آثار الإمام

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإصلاح - السياسة - الاجتماعيات - التاريخ
البرقيات والاحتجاجات - الفواتح والخواتم

الجزء الخامس



صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة
الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007
يُهدى ويُوضع في المكتبات ولا يباع



الإمام المصلح الشيخ عبد الحميد بن باديس

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

للسيد عبد الرحمن شيبان
الوزير السابق للشؤون الدينية

في سنة 1982 ظهر كتاب « مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير » وهو الجزء الأول من آثار إمام النهضة الجزائرية الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس ، وكان ذلك أحسن هدية قدمتها وزارة الشؤون الدينية للشباب الجزائري ، وكل داع إلى الله من الأئمة والمرشدين والمدرسين والمربين ، بمناسبة الذكرى العشرين لاسترجاع السيادة والاستقلال الوطني .

وقد ظهر بعد ذلك ، في السنوات الثلاث الموالية ، الأجزاء الثلاثة الأخرى من آثار الإمام هي :

ـ مجالس التذكير من حديث البشير النذير في سنة 1983 . وفي سنة 1984 برز الجزء الثالث وهو يشتمل على رجال السلف ونسائه ، وتراجم لمجموعة من أعلام الإسلام ، وقصص ديني ، وفتاوى ، ومسائل فقهية . وفي سنة 1985 ظهر الجزء الرابع وهو يحتوي على فصول في التربية والتعليم ، وخطب ورحلات .

* * *

وها هي الوزارة ، بعد خمس سنوات من الانتظار القاهر ، تستأنف نشر آثار الامام باصدار الجزء الخامس ، وهو يشتمل على

فصول في الإصلاح الديني والاجتماعي ، ومقاومة البدع والضلالات ، وفي السياسة ، والوطنية ، والاجتماع ، والتاريخ ، وتقارير وبرقيات واحتجاجات .

وهذا الجزء الخامس ـ كالأجزاء السابقة ـ يعتبر صفحات من الجهاد المرير من أجل أن يستجمع المواطن الجزائري المادة التي يعي بها ذاته ، والعدة التي يفك بها أغلاله ، ويبعث بها أمجاده ، ويسترد بها استقلاله ، ليحقق بعد ذلك ما يصبو إليه من رقي وازدهار تحت راية الإسلام والعروبة ، وفي كنف الحرية والكرامة ، والعدل الاجتماعي ، والوحدة الوطنية ، والإخاء الإنساني العام .

يبرز هذا الجزء الخامس من آثار الإمام في ظرف يموج فيه المجتمع الجزائري بأفكار واتجاهات ، بعضها متقارب ومتشابه ، والكثير منها يتناقض ويتعاكس ، وبعضها مستتر ، وبعضها ظاهر، لكن جميعها وجد في الإصلاحات الجديدة المناخ الصالح لمحاولة الهيمنة على الساحة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية ، بشتى البرامج والوسائل ، ومختلف الأساليب والحبائل ؛ فما أحوجنا إلى نور يبدد الظلمات ، وقدوة تجمع القلوب والعزائم على تحقيق ما تسعى إليه البلاد من أنبل الغايات ، بروح تبني ولا تهدم ، وتيسر ولا تعسر ، وتؤلف ولا تتلف .. وليس من سبيل إلى كل هذا إلا السبيل التي سلكها العلماء العاملون الراشدون المرشدون كما رسم ذلك الإمام ابن باديس إذ يقول عن السر في بلوغ جمعية العلماء ، إلى شيء من غايتها في أمد قصير من جهادها :

« إذا كانت الجمعية بلغت ـ بتوفيق الله ـ إلى شيء من غايتها فذلك لأنها أتت هداية الأمة من بابها ، فخاطبتها بلسانها ، وقادتها بدينها الذي هو زمام روحها ، والجزء الأعظم الذي تتكون منه وتحيا به شخصيتها ؛ فعالجتها بالكتاب والسنة ، وهدي صالح الأمة ، حيث يتوجه كل مسلم منشرح الصدر ، مطمئن النفس ، وحيث تنطوي

كل المذاهب والفرق ، فيقل الخلاف ، أو يخف ، أو ينعدم ، فلو كان في الجزائر جميع مذاهب الإسلام لوسعتهم هذه الجمعية بعلاجها الناجع النافع ـ بإذن الله ـ للجميع » (1) .

ويعلن الأستاذ في دعوة وبيان وجههما إلى عموم الشعب الجزائري تحدي جمعية العلماء للاستعمار وصمودها أمام ما تلاقيه من حربه ومناوراته ، في الجزائر وفرنسا ، لا لشيء سوى أنها روح الأمة الجزائرية ، والسد الحصين الذي يحميها من الذوبان والاضمحلال فيقول :

« إن أعداء الأمة الذين تمثلهم الجرائد الاستعمارية الكبرى هنا وهناك ، ويصدع بأمرهم كراسي متنوعة ، ما فتئوا يوالون ضرباتهم ويعيدون هجماتهم على الجمعية ، لأنهم يرون فيها حياة الأمة ، ويشاهدون فيها السد الحصين دون ما يرغبون من ذوبان الأمة وانحلالها ، لإفنائها وابتلائها ، وتنقصها من أطرافها ؛ فكل ما تجتازه الأمة اليوم ، وما تعانيه وما تلاقيه ، هو ما تجتازه الجمعية وما تعانيه وما تلاقيه على أبلغه وأشده ؛ لأن الجمعية هي الأمة ، والأمة هي الجمعية !

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، كالمسلمين الجزائريين ، جبلت على النضال والمقاومة ، والصبر والمصابرة ، وقد صبرت لغشم الحكومة وأذنابها ، وكيد الاستعمار وجرائده ، ولن تزال ، ثم لن تزال » (2) .

إن عظمة الشعوب تبدو في تقديرها لعظمائها وأبطالها في مختلف المجالات : العلمية والسياسية والعسكرية ، لأنهم المعالم التي تهتدي بها في مسيرتها نحو الغد الأفضل بثقة واعتزاز وأمان

---

(1) من خطاب رئيس جمعية العلماء فى الاجتماع بنادى الترقى بالعاصمة فى 11 رجب 1355 و 27 سبتمبر 1936 م . أنظر الجزء الرابع من آثار الامام ص 198

(2) البصائر : العدد 27 ـ 12 جمادى الثانية 1356 و 20 أوت 1937 .

من العثرات والانحرافات ، ودون أن تحس بأية عقدة ضعف أمام التطاولات والمزايدات ، التـي يبديها الأقربون والأبعدون عـلى السواء : « وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَـٰهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ، كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ » (3).

روى ابن عبد البر ، عـن أبي الحسن المدائني ، قال : خطب زياد ذات يوم على منبر الكوفة، فقال : « أيها الناس، إني بت ليلتي هذه مهتما بخلال ثلاث رأيت أن أتقدم إليكم فيهن بالنصيحة .. رأيت إعظام ذوي الشرف ، وإجـلال ذوي العلـم ، وتوقـير ذوي الأسنان ؛ والله لا أوتى برجل رَدَّ على ذي علـم ليضع بذلك منه إلا عاقبته ، ولا أوتى برجل رَدَّ على ذي شرف ليضع بذلك منه شرفه إلا عاقبته ، ولا أوتى برجل رَدَّ على ذي شيبة ليضعه بذلك إلا عاقبته ؛ إنما الناس بأعلامهم وعلمائهم وذوي أسنانهم » (4) .

☆ ☆ ☆

والجزائر ، كما يشهد التاريخ ، غنية بالعظماء في جميع الميادين وفي الميدان العلمي بصفة خاصة . فـإن بلادنا قد أوتيت ، عبـر العصور ، قمما شامخة تباهي بها وتفاخر ، وفي عهد الكفاح الفكري ضد الاستعمار الغاشم عرفت الجزائر نجوما زاهرة أضاءت الدرب للعاملين من أجل خروج الجزائر من ظلمات الاحتلال إلى نور الحرية والكرامة ، وفي طليعتهم إمامنا ابن باديس وإخوانه العلماء : (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ ، وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً » (5) .

☆ ☆ ☆

(3) الطور : 21 .

(4) جامع بيان العلم وفضله ، ج 1 ، ص : 53

(5) الاحـزاب : 23 .

إننا لا نستطيع ، في تقديمنا لهذا الجزء ، أن نستعرض جوانب كثيرة من عبقرية الإمام ابن باديس ، ولكننا نقتصر على إثارة نماذج معبرة عن الخطة العامة التي رسمها لرسالة جمعية العلماء في الجزائر ، والمنهاج المعد لأدائها في الميدان السياسي بصفة خاصة :

إن الرسالة هي رسالة ورثة الأنبياء ، أي إخراج المجتمع الجزائري العربي المسلم من ظلمات الجهالة والتخلف والاحتلال ، إلى نور العلم والحرية والتقدم ، وهذا ما يفهمه كل من درس حياته وجهاده ، وما نشر من خطبه ودروسه ومحاضراته ومقالاته !!

أما المنهاج فهو المنهاج الذي يتوخاه المربون المستلهمون في خطواتهم وتصرفاتهم، السنة التي فطر الله الناس عليها في تحديد الهدف المراد بلوغه بعزيمة وإيمان ونكران الذات ؛ ثم الحكمة والمرونة والتدرج ، واستعمال اللباقة وأنجع الأساليب الواجب اتخاذها ، والمراحل اللازم اجتيازها .

وان أكمل ما يلخص هذه المعاني كلها كلمة بسيطة جعلها عنوانا لافتتاحية العدد الأول من مجلته « الشهاب » بعد أن تحولت من جريدة أسبوعية إلى مجلة شهرية ، فيقول : « تستطيع الظروف تكييفنا ، ولا تستطيع بإذن الله إتلافنا » !!!

معنى هذا الكلام هو العمل على النهوض بالذات حتى لا تذوب في الكيان الاستعماري الدخيل ، ولا ضير بعد ذلك أن تتكيف هذه الذات مع التقلبات التي تقتضيها المسيرة وسط الزوابع والأعاصير والعراقيل من جهات كثيرة وبأدوات شتى ، فاستمع إليه كيف يقرر بهدوء وثقة حقيقة الشعب الجزائري في نظر الواقع والتاريخ ، لا بحسب مزاعم الاستعمار ، وأذناب الاستعمار ، وضحايا التربية الاستعمارية :

« الأمة الجزائرية أمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال ، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة ، وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمم الدنيا .؛ ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت ؛ بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها ، وفي أخلاقها وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة والذي يشرف على إدارته العليا الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية » (6) .

ولكن هذه الحقيقة الواضحة الهادئة لن تحظى بالوجود القانوني السياسي العملي إلا بالجهاد والتضحية والفداء ، فيقول الإمام عبد الحميد محرضا شعبه على العمل الجدي من أجل التحرر والانعتاق ، معتمدا في ذلك على تفسير قوله تعالى : « وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا » (7) تفسيرا لم يسبقه إليه أي مفسر في المشرق أو في المغرب ، يقول رحمه الله : « مجيء الحق هو بظهور أدلته وقيام دولته ، وزهوق الباطل هو ببطلان شبهه وذهاب دولته ، فأما القسم الأول فإن الأمر فيه ما زال ، ولن يزال كذلك ؛ ولن تزداد على الأيام أدلة الحق إلا اتضاحا ، ولن تزداد شبه الباطل إلا افتضاحا؛ وأما القسم الثاني فإنه مرتبط بأحوال أهل الحق وما يكون عليه من تمسك به، وقيام فيه، أو إهماله، وقعود عنه ؛ فيدال لهم ويدال عليهم بحسب ذلك ..؛ فعلى أهل الحق أن يكون الحق راسخا في قلوبهم عقائد ، وجاريا على ألسنتهم كلمات ، وظاهرا على جوارحهم أعمالا ، يؤيدون الحق حيثما كان وممن كان ، ويخذلون

(6) الشهاب . ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 ـ نوفمبر 1937 .
(7) الاسراء : 81 .

الباطل حيثما كان وممن كان ، يقولون كلمة الحق على القريب والبعيد ، وعلى الموافق والمخالف ، ويحكمون بالحق كذلك على الجميع ، ويبذلون نفوسهم وأموالهم في سبيل نشره بين الناس وهدايتهم إليه بدعوة الحق ، وحكمة الحق ، وأسبابه ووسائله ؛ على ذلك يعيشون ، وعليه يموتون ؛ فلنجعل هذا السلوك سلوكنا ، وليكن من همنا ؛ فما وفينا منه حمدنا الله تعالى عليه ، وما قصرنا فيه تبنا واستغفرنا ربنا ؛ فمن صدقت عزيمته ووطن على العمل نفسه ــ أُعِينَ ويُسِّر للخير ، وَرَبُّكَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » (8) .

☆ ☆ ☆

ويقول عن الحرية إنها عين الحياة لا يتم الوجود الإنساني إلا بها : « حق كل إنسان في الحرية كحقه في الحياة ، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية ، المتعدى عليه في شيء من حريته المتعدى عليه في شيء من حياته ؛ وكما جعل اللــه للحياة أسبابها وآفاتها جعل للحرية أسبابها وآفاتها ، ومن سنة اللــه الماضية أنه لا ينعم بواحدة منهما إلا من تمسك بما لها من أسباب، وتجنب وقاوم ما لها من آفات ؛ وما أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام وما أنزل عليهم الكتب ، وما شرع لهم الشرع إلا ليعرف بني آدم كيف يحيون أحرارا وكيف يأخذون بأسباب الحياة والحرية ، وكيف يعالجون آفاتها ، وكيف ينظمون تلك الحياة وتلك الحرية ؛ حتى لا يعدو بعضهم على بعض ، وحتى يستثمروا تلك الحياة وتلك الحرية ، إلى أقصى حدود الاستثمار النافع المحمود المفضى بهم إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة » (9) .

☆ ☆ ☆

---

(8) الشهاب : ج 4 ، م 7 ــ ذى الحجة 1349 و أفريل 1931 .

(9) الشهاب : ج10 ، م11 . شوال 1354 و جانفى 1937 .

ولأجل هذه الحقائق ، وهذه البينات ، لا نكون مبالغين إذا قلنا بأن الإمام ابن باديس كان ينظر بنور الله فيما كان يعتقد ويقول ويعمل ؛ فجعل الله تعالى من كراماته أن يكون استفتاء تقرير المصير ، الذي توجت به ثورة نوفمبر 1954 الظافرة المجيدة ، في جويلية 1962 ، حسبما كان توقعه الإمام في جوان 1936 .

تقول وثيقة الاستفتاء :

« هل تريدون أن تصبح الجزائر مستقلة متعاونة مع فرنسا وفق الشروط المحددة في بيانات 19 مارس 1962 ؟ » .

هذا ـ لعمرك ـ هو عين ما قرره الإمام في مقال نشر بالشهاب في ربيع الأول 1355 (جوان 1936) إذ يقول :

« .. إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا ، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة ؛ ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله ويقولون : إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد ؛ فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أن تزداد تقلبا .. وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر .. » !!

✡ ✡ ✡

أما الوحدة الوطنية للشعب الجزائري فهي في نظر الإمام من الحقائق الثابتة ثبات الجبال الراسيات ، هيهات أن تنال منها محاولات المستعمرين والمنحرفين ؛ لأن ما جمعته يد الله لا تفرّقه يد الشيطان فيقول : « إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء ، وتؤلف بينهم في العسر واليسر ، وتوحدهم في السراء والضراء ، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا ، أمه الجزائر وأبوه الإسلام . وقد كتب أبناء يعرب وأبناء

مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم ..؛ فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم لولا الظنون الكواذب والأماني الخوادع ! . يا عجبا لم يفترقوا وهم الأقوياء ، فكيف يفترقون وغيرهم القوي ؟ كلاً والله ؛ بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم ، ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم ، والإسلام له حارس ، والله عليه وكيل » (10) .

* * *

وأما عن وحدة المغرب العربي فقد كانت شغله الشاغل ، والركن الركين الذي قامت عليه دعوته ؛ فلنقرأ ما يقول فيَ برقية وداع وشكر للشعب التونسي الشقيق على ما لقيه لديه ولدى صحافته التقدمية الحرة من ود وتقدير ، إثر زيارة قام بها إلى تونس في ربيع (1356 هـ - 1937 م) للمشاركة في الحفلة التي أقيمت احتفاء بذكرى الزعيم المؤرخ التونسي البشير صفر ، من ذلك ما كتبته جريدة « البتي ماتان » (Le ptit matin) تصف عظمة الإمام ابن باديس الخطابية ، والعلمية والسياسية قائلة : « لقد وفد من الجزائر للمشاركة ، في هذه الحفلة ، الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .. إن ابن باديس ، من هذه الناحية ، لقريب إلى ميرابو ، وجوريس ، وزغلول .. لقد يستطيع أن يفعل ما يريد في الجموع التي كانت بالأمس تستمع إلى خطابه .. كان يستطيع أن يجعل منها سربا من الطيور الكاسرة ، أو قطيعا من الخرفان ، وهذا ما نستطيع أن نصف به هذا الرجل الخارق للعادة » !!

---

(10) الشهاب : ج 11 ، م 11 - ذى القعدة 1354 و فيفرى 1933 .

وهذا نص برقية ابن باديس :

« أودع الأمة التونسية الكريمة ، شاكرا لها ولصحافتها الراقية ما أبدته نحوي من عواطف الود الأخوى الذي فاق كل تقدير ، وإن الذي يسرني ــ حقا ــ من ذلك هو أنه كان موجها في الحقيقة نحو المبدإ الـذي دعوت إليـه في خطبتي ، وهـذا الاحتفاظ بالذاتية العربية الإسلامية في الشمال الافريقي كلـه ، والإعلان بوحـدة أقطاره الأربع ــ طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ــ في الحاضر والمستقبل ، مثلما هي ثابتـة في الماضي ، وأفضل الـود والإكرام ما كان للمبادىء الخالدة ، وجاءت فيه الأشخاص الفانية على التبع . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » (11) .

✡ ✡ ✡

والأستاذ الإمام ــ إلى جانب اهتمامه بوطنه الجزائر ، والمغرب العربي الكبير ، والأمة العربية الإسلامية جميعا ــ حريص أشـد الحرص على نزعته الإنسانية العالمية ؛ فيقول ، في كلمة وجهها إلى الشباب الجزائري في سنة 1357 هـ :

« أنـا زارع محبة ؛ ولكن عـلى أساس مـن العـدل والإنصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس ، ومن أي دين كان ؛ فاعملوا للأخوة ، ولكن مـع كل مـن يعمل للأخوة ؛ فبذلك تكـون الأخوة صادقة » (12) !!

✡ ✡ ✡

أما قضيـة فلسطين الجـرح الدامي في جسـم الأمـة العربية الإسلامية ، فقد كانت في طليعة القضايا التي ما فتيء يجاهد من أجلها ؛ فيقول في برقية احتجاج ضد تقسيم فلسطين ، وجهها باسم الأسـة الجزائرية إلى وزيـر الخارجية الفرنسية : « بـاسم الأمـة

---

(11) الشهاب : جمادى الاولى 1356 و 11 جويلية 1937 .

(12) الشهاب : ربيع الثانى 1357 .

الإسلامية الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضد مشروع تقسيم فلسطين ، ذلك القطر العربي الذي ضمنت له العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله ، وأعتبر هذا المشروع ضربة قاضية على حياة شعب ضعيف دافع طيلة سنين عديدة ،دفاع الأبطال عن شرفه وحريته ، واعتداء شنيعا على جميع الشعوب العربية الإسلامية وانتهاكا لحرمة الأماكن المقدسة عند سائر المسلمين ، ولي الأمل في تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنع هذا التقسيم » (13) ..

* * *

ويقول عن أصول الولاية في الإسلام انطلاقا من خطبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند بيعته بالخلافة :

الأصل الاول : « لا حق لأحد في ولاية أمر من أمور الأمة إلا بتولية الأمة ؛ فالأمة هي صاحبة الحق والسلطة في الولاية والعزل ؛ فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها ، فلا يورث شيء من الولايات ولا يستحق الاعتبار الشخصي .. وهذا الأصل مأخوذ من قوله : « وليت عليكم » أي قد ولاني غيري وهو أنتم » .

ويقول عن الأصل الثامن ، وهو يتعلق بتقديم من يترشح للولاية برنامجا يعرض على الأمة ويطبق بإرادتها : « على من تولى أمرا من أمور الأمة أن يبين لها الخطة التي يسير عليها ليكونوا على بصيرة ، ويكون سائرا فى تلك الخطة عن رضى الأمة ، إذ ليس له أن يسير بهم على ما يرضيه ، وإنما عليه أن يسير بهم فيما يرضيهم ، وهذا مأخوذ من قوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم » ؛ فخطته هى طاعة الله ؛ وقد عرفوا ما هو طاعة الله في الإسلام .

(13) البصائر : جمادى الثانية 1356 و 20 أوت 1937 .

ويقول عن الأصل الثالث عشر والأخير ، من أصول الولاية في الإسلام : « شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة بينهما في صلاح المجتمع ، شعورهما ــ دائما ــ بالتقصير في القيام بها ليستمرا على العمل بجد واجتهاد ، فيتوجهان بطلب المغفرة من الله الرقيب عليهما ؛ وهذا مأخوذ من قوله : « أقول قولي هذا ، وأستغفر الله لي ولكم » (14) .

☆ ☆ ☆

تلكم هي ، أيها القراء الكرام ، لمحة عن شخصية الإمام ابن باديس من خلال النصوص التى نشرتها وزارة الشؤون الدينية ــ تباعا ــ في خمسة أجزاء ؛ وبصدور الجزء السادس والأخير الذي تعتزم الوزارة نشره في مستقبل قريب ، إن شاء الله تعالى ، تكون قد قدمت إلى المكتبة الجزائرية خاصة ، وإلى المكتبة العربية الإسلامية عامة ، أشمل مرجع فى آثار باني نهضة الجزائر ، وأحد الرواد المصلحين الأفذاذ في العالم العربي الإسلامي .

فجازى الله كل العاملين على إنجاز هذا المشروع العظيم بجد وعناية ، أخص بالذكر الأخ الاستاذ محمد الصالح الصدّيق الذي واكب هذه المجموعة من آثار الإمام ، منذ 1982 ، والإخوة الأساتذة : محمد الهادي الحسني ، عمار سفسوف ، محمد نسيب ؛ راجيا من الجميع مواصلة الجهد لإعادة طبع الأجزاء التي نفدت ، مصححة منقحة ، والعمل الدائب على إصدار آثار غيره من علماء الجزائر الأعلام في مختلف العصور ..

هذا ونسأل الله تعالى الرحمة والرضوان للأستاذ الرئيس ابن باديس ، الذي لا تزيدنا الأيام إلا تيقنا بصدق جهاده ، وسداد

(14) الشهاب : ج 11 ، م 13 ــ غرة ذى الحجة و جانفى 1938 .

منهاجه ، وحكمة قيادته ؛ مما جعل كثيرا من العلماء والباحثين ، في الجزائر وخارج الجزائر ، يتسابقون إلى تـأليف الكتب ، وإعداد الأطروحات الجامعية ، للكشف عن نواحي عبقريته ، وجلال أعماله في شتى الميادين !

ورحمة الله تبارك وتعالى على شهدائنا الميامين منذ طلوع فجر الاسلام على ربوعنا الغالية .

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد المبعوث هداية ورحمة للعالمين .

عبد الرحمـن شيبـان

حيدرة في 26 ربيع الثانى 1411 هـ
13 نـوفمبـر 1990 م



القسم الاول

الإصلاح



« ... ليس ما ندعو إليه ونسير على مبادئه من الإصلاح بأمر يخص المسلم الجزائرى ولا ينتفع به سواه ، كلا ، فإن صحة العقيدة ، واستنارة الفكر ، وطهارة النفس ، وكمال الخلق ، واستقامة العمل - وهذا هو الإصلاح كله - مما يشترك فى الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بنى الإنسان . وإنما نذكر المسلم الجزائرى لأنه هو الذى قدر أن يكون منا ونكون منه كما يكون الجزء من كله والكل من جزئه ، فحاجته أشد ، وحقه أوجب ... » (1) .

☆ ☆ ☆

« بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمود والخمود والخرافات والأوضاع الطرقية المتحدرة للفناء والزوال ، حتى أصبح القطر الجزائرى كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو إلى الإصلاح وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولى والعملى ، وأصبحت البدع والضلالات تجد فى عامة الناس من يقاومها وينتصر عليها » (2) .

« عبد الحميد بن باديس »

---

(1) و (2) ش - ج 1 م 12 محرم 1355 هـ - ابريل 1936 م .



1 مـن هـم الوهابيـون ؟

2 ـ ما هى حكومتهم ؟ 3 ما هى غايتهم السياسية ؟

4 ـ ما هو مذهبهم ؟

— 1 —

هاته أسئلة طرقت أسماعنا فى هاته الأيام كثيرا، وسمعنا الخطأ فى الجواب عنها كثيرا ، ولا عجب فى كثرة السؤال عنهم وقد تواترت أعمالهم السريعة المدهشة ـ هاجموا الأردن وأخضعوا الحجاز وأجلوا الحسين وأتباعه بعد ما ثلوا عرشه غير مبالين بأحلافه الانكليز . كل هذا فى مدة قصيرة من الزمن مع بعد المسافة وصعوبة الطريق . ولا عجب كذلك فى أن يخطىء الناس فى الجواب عنهم ، فإنهم قوم ظهروا فى القرن الماضى بمظهر صلب شديد على خصومهم من الترك والعرب حتى ملكوا مع نجد الحجاز واليمن، ناشرين دعوتهم الدينية بحماس، منفذين مبادئهم بصرامة وعزم شديد، وما ردهم الجيش المصرى ، إذ باتفاق العرب ضدهم، وبعد جهد جهيد . فقتل زعيمهم ابن السعود بالأستانة بعد ما تفرقت جنوده وشرد آله ، فانزوى الوهابيون من يومئذ بنجد واختفت أخبارهم عن العالم ، وصار من يريد معرفتهم لا يجد لها موردا إلا كتب خصومهم الذين ما كتب إكثرهم الا تحت تأثير السياسة التركية التى كانت تخشى من نجاح الوهابيين نهضة العرب كافة .

وأقلهم من كتب عن حسن قصد من غير استقلال فى الفهم ولا تثبت فى النقل فلم تسلم كتابته فى الغالب من الخطأ والتحريف .

وأنَّى تعرف الحقائق مــن مثل هاته الكتب أو تلك،أم كيف يؤخذ حقيقة قوم من كتب خصومهم،ولا سيما إذا كانوا مثــل الصنفــين المذكورين.ولهذا رغب مني بعض من يجرى في عروقهم دم العرب، وبعض من يهتمون بأمر الأمة العربية ذات التاريخ الماجد العظيم ، أن أجيب عــن هذه الأسئلة خدمة للعلم،وإظهارا للحقيقة،فأجبت بالأجوبة الآتية مستصدرا ما كان منها دينيا مــن وسائل علمائهم المطبوعة بمطبعة المنار الملخصة فى مجلته . ومعتمدا فى غير ما كان دينيا على ما كتبه الثقاة من كتاب العربية،مسلمين وغيرهـــم،فى الجرائد والمجلات،وما عربوه عن ثقاة كتاب الغربيين،غير متعصب « علم الله » لا لهم ولا عليهـــم،وأعوذ بالله أن أكون لشيء مــن المتعصبين . ولا قائل « إن شاء الله تعالى » إلا ما أعلم ، وَمَا شَهِدْنَا إِلاَّ بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَافِظِينَ .

(١) هم أتباع محمد بن عبد الوهاب التميمى النجدى،المتوفى سنة ست بعد الألف والمائتين من الهجرة ، وقد ناهز المائة،وهـــم عرب من أصرح العرب أنسابا وأشدهم بأسا وأرسخهم فى صفات العروبية وأنقاهم من الدخيل . أهل ذكاء وسرعة خاطر ، وحـدة ذهن،شنشنة آبائهم الأولين . ومـــن صفاتهم الممتازة إباؤهـــم ، وشجاعتهم،وصبرهم العجيب . فكان الجريح منهم فى هذه الحرب حين إجراء العمليات الجراحية لا يتوجع ولا يتألم ، ولا ينقبض له وجه،كأنهم يعملون فى جسم غيره . يبلغ عددهم المليونين،لا خلاف بينهم ولا تنازع ولا تباغض،يطيعون رؤساءهم وخصوصا سلطانهم طاعة عمياء،يستبسلون فى الحرب ويقدمون إقدام من يتيقن أن وراء الموت حياة خيرا من هذه الحياة ، ولا يرجعون إلا بأمر قوادهم ولو فنوا عن آخرهم .

يقل بينهم من لا يحسن القراءة والكتابة،ويكثر فيهم جدا حفظة القرآن،وكلهم على علم بالضرورى من عقائد الإسلام وأصـــول

مبادئه ، وآدابه ، شديدو التمسك بأهداب الدين وتباعد عن كل ما أحدث فيه .

(2) إمامهم الحالي هو عبد الرحمن آل فيصل آل سعود،لكن القائم بأعباء الملك هو ابنه السلطان عبد العزيز،وهو المباشر حقيقة للسلطة والإدارة،وصف هذا الأمير الأستاذ الريحاني بقوله : « طويل القامة مفتول الساعد شديد العصب متناسق الأعضاء،وهو أسمر اللون أسود الشعر ، ذو لحية خفيفة مستديرة وشارب يقضبه على الطريقة الوهابية،له من السنين سبع وأربعون ، وله في التاريخ ــ تاريخ نجد الحديث ــ مجد إذا قيس بالأعوام تجاوز السبع والاربعين والمائة . كبير القلب والنفس والوجدان،خلو من الادعاء والتصلف،خلو من التظاهر الكاذب » (1) . ووصفه مسترارنيست برنيك في جريدة نيويورك بقوله : « بطل من أشد الأبطال الذين أنجبتهم الأمة العربية،صلب العود في مكافحة الأعداء ، وكريم الأخلاق متى قهرهم ، شديد التمسك بأهداب الدين،وفي مقدمة الذابين عن عقائد الإسلام الأصلية . قد أنفق الشطر الأكبر مما مضى من حياته على صهو الجياد ، فكان له من ذلك رياضية جسدية جعلته قوي البنية. وهو جامع بين جلال وجمال أمير شرقي»(2)

أسلافه كلهم ذوو شهرة عظيمة في جزيرة العرب،وبيته عريق في إمارة نجد حتي سقط في القرن الماضي وحلت محله أسرة آل رشيد،ونفي هذا الأمير إلى الكويت،لكنه بهمته وعزيمته ، وشجاعته وحسن تدبيره تفلت من قيود الأسر وجمع حوله جندا فتح به « الرياض » عاصمة ملكه،وأعاد عائلته إلى ملكها القديم. ثم ما برح يتربص بآل رشيد الأحايين ، وينتظر الفرصة حتى سنحت

---

(1) عن الهلال .

(2) عن الهدى .

له فأوقع بهم فى أثناء الحرب الكبرى وقضى على إمارتهم،وساقهم إلى عاصمته وهم عنده الآن أسرى مكرمون.وامتدت مملكته بعد أن كانت محصورة فى نجد من حدود الحجاز إلى الخليج الفارسى ومن الربع الخالى إلى الجوف .

يسوس السلطان عبد العزيز هذه المملكة الواسعة بسياسة العدل التام بين القريب والبعيد،الجليل والحقير، وينفذ أحكام الشرع بكل تدقيق بلا هوادة ولا محاباة.ومن كلماته فى هذا الباب : « العبد ، والأمير،عيننا على الاثنين حتى ننصف دائما الاثنين ونعدل بينهما ، ومن لا ينصف بعيره ، لا ينصف الناس » فأنتج له ذلك فى مملكته الأمن التام الذى لا تجده فى البلاد المتدنة ، وقد عجزت فرنسا بجيشها اللهام عن إقامته اليوم فى ربوع الشام .

ويجرى فى سياسته على أصل الشورى الذى أوجبه الإسلام،فلا يفصل فى الأمور العظيمة إلا باستشارة العلماء ، والأمراء،والأعيان،ورؤساء الأجناد،كما فعل عندما أراد غزو الحجاز فقد عقد لذلك مؤتمرا فى ذى القعدة تناقلت حديثه جرائد الشرق ، والواقف عليه يعلم بعد نظر أعضائه وأدبهم الإسلامى ، والمحاورة بالادب الذى يعز وجوده فى مجالس النواب الاوروبية التى كثيرا ما تخرج عن الكلام إلى اللكام،ويحمى مملكته جيش منظم متأهب على الدوام،له جميع الصفات المعنوية التى يحاز بها الانتصار من قوة الإيمان،ومتانة الاتحاد،وتمام الانقياد،وتحمل المشاق ، وشدة الثبات فى مواطن النزال .

« جاءوا هذه المرة إلى الشرق العربى منقسمين إلى فرق،وكل فرقة فيها المحاربون وفيها من يعنى بتموينهم وحمل ذخائرهم وأثقالهم،وفيها من يعنى بالجرحى،وفيها الخطباء والأئمة » .

وعن السياسة ، ويقول العارفون:إنــه جيش يمثل جيوش العرب الفاتحين الأولين مع نظم العصر وأسلحته (1) .

(1) النجاح ـ العدد 24/179 أكتوبر 1924 م .

1 ـ من هم الوهابيون ؟ 2 ـ ما هي حكومتهم ؟

3 ـ ما هي غايتهم السياسية ؟ 4 ـ ما هو مذهبهم ؟

ـ 2 ـ

والحكومة النجدية تسعى بكل قواها فى تحضير البدو ، وتثقيف عقولهم وإدخال الإصلاح الذى يتفق مع حالتهم الاجتماعية ،وتعتنى اعتناء زائدا بالحالة الصحية ، ففى الرياض عاصمتهم مستشفى عظيم تمتد فروعه إلى كثير من البلاد النجدية . وكذلك بالشؤون الزراعية والتجارية ، والمالية ،فكلها متقدمة تقدما حثيثا . وتحافظ كل المحافظة على سلامة الأخلاق والآداب، فلا سوء ، ولا فحشاء ، ولا منكر ، مما غرقت فيه أوروبا بمدنيتها المادية الملوثة بالأقذار .

(3) قام الوهابيون فى حروبهم بالقرن الماضى لنشر دعوة دينية إصلاحية فخابوا،فانكمشوا بنجد أمنع جزيرة العرب وأبعدها عن مطامع الاستعمار ــ ولم تستطع الدولة العثمانية إخضاعهم، فبقوا فى منعتهم مستقلين ، وكانت انقلترا تصانعهم بدفع راتب شهرى وافر لسلطانهم ليكفوا أيديهم عما تحت يدها من سواحل الجزيرة . ولما جاءت الحرب الكبرى كانوا على الحياد التام فى الظاهر، وقاموا للدولة العثمانية فى الباطن بأجل خدمة فى تلك الظروف ، فربطوا المواصلة بين جنودها ، وجنودها بفلسطين وسوريا والعراق لما خرج عليها الحسين بالحجاز، فكانت قوافل التموين تنقطع داخل

الجزيرة تحت خفرهم رغما عن احتجاج الانكليز وذهبه الرنان ، وهاك شهادة رسمية لما قام به ابن السعود مع عدوه فى حياده الظاهرى :

قال جمال باشا في مذكراته ص 282 من الطبعة المصرية للتعريب عن أحمد شكرى « ولم يكن فى استطاعة الأمير ابن السعود أن يمد لنا يد المساعدة المباشرة لقربه من الانكليز الذين كان فى استطاعتهم إيصال الأذى إليه . إلا أنه كان شخصيا نافعا جدا لنا،إذ أرسل الجمال للجيش،وسمح بتصدير التجارة إلى سوريا » .

انتهت الحرب الكبرى وكان حظ العرب منها بتفرق كلمتهم وتنازع أمرائهم فى داخل الجزيرة ووفودهم تحت نير الاستعمار الجائر فى سوريا والعراق وفلسطين . قد علم الناس كلهم أن الحسين بن علي هو السبب فى الأمرين بخروجه من الجماعة ومحاولته جعل جميع الأمراء تحت سلطانه بمعونة الانكليز،أو بالحرى جعل الأمة العربية جمعاء تحت امبراطوريتهم،وبهاته المحاولة نفسها خاب مؤتمر الكويت الذى انعقد بين أمراء العرب أخيرا لعقد حلف بينهم على قدم المساواة التى يأباها عليهم حسين . لم يبق بعد هذا كله من يرجى للنهضة العربية وزعامة العرب حقيقة إلا ابن السعود بشخصيته البارزة وصفاته الممتازة وسيرته الحكيمة العادلة وجيشه المرهوب ، فقام هذا الأمير وغايته الوحيدة التى جعلها نصب أعينه هى تطهير جزيرة العرب من الأجانب وأذنانهم . وفى مقدمتهم الطاغية حسين ، ثم جميع الأمراء المنخدعين وجمع شمل الأمة العربية بعقد حلف بين أمرائها فى الجزيرة وخارجها . والواقف على منشوراته العامة ومداولاته مع أمراء الجزيرة يعلم هذا ويتحققه ، فاخذ يسعى لهذه الغاية العظيمة ، ويهىء لها الأسباب، فرفض المرتب الانكليزى حتى لا يبقى لعدو يد عليه .

قالت جريدة دايلي مايل «إن ابن السعود نفسه كانت له جراية من الحكومة البريطانية قدرها 5000 ليرة انكليزية في الشهر ، ولكنها قطعت عنه منذ عدة شهور » . (1)

ونشر منشورات في الموضوعات العامة بين فيها سياسته ورغبته في توحيد العرب وترقيتهم ، وأن بلاده مفتوحة لأهل العلم والعمل من أبناء العرب ، وفعلا قد وفد عليه العدد الكثير من الشبان المتعلمين من مصر والشام والعراق ، وأصبح متصلا بالعالم الخارجي اتصالا أدبيا مكينا ، بعد ذلك الانعزال التام،فبرهن بهذا على أنه سائر بأمته في الطرق التي تسير عليها الأمم الراغبة في الحياة . (طرق العلم والتسامح ، وربط العلائق الودية السلمية مع الناس) . ولم يهجم هجومه الأخير على الحجاز إلا بعد اتفاقه على ذلك مع لجنة الخلافة بالهند ، كما هو مصرح به في خطابها الذي وجهته إليه ونشرته الأهرام،ومع حزب الاستقلال العربي بمصر ، ورؤساء قبائل الحجاز أنفسهم ، وبعد إنذار حسين وإبايته من الامتثال ، ثم ما وجه حملته على الحجاز حتى أرسل جندا إلى شرق الأردن فاصطدم بالقوات الانكليزية مصادمة عنيفة برهنت على أنه لا علاقة له بهم ، ولما دخل مكة وطرد آل حسين منها طلب من جمعيات الهند ومصر أن يأتمروا لتعيين شكل حكومة الحجاز،فبرهن بذلك على أنه لم يغز للغلبة والاستلاء ، وإنما حارب وتحمل المشقة لتطهير الحرمين الشريفين من الخائنين الآثمين ، وامتثالا لرغبة عموم المسلمين .

وقد جاءت الأنباء بتولية الشريف على حيدر على الحجاز ولا يتخذها إلا ولاية وقتية ريثما ينعقد مؤتمر الخلافة القادم فيرى رايه الفاصل .

---

(1) عن الزهرة .

بان لنا من جميع ما تقدم (1) أن الأمة النجدية لها من الصفات النفسية والأدبية والاجتماعية ما تستحق به السيادة والاستقلال والتقدم ، والقيام بجلائل الأعمال (2) وأن الحكومة النجدية مرتكزة على نشر الأمن والعدالة والتسامح وحب المعارف، وهذه الأربعة كما قال الأستاذ (فلندر زبترى) العالم المؤرخ المشهور هى أصول الحضارة والشروط اللازمة للتمدن الدائم الصحيح (3)،وان حركة الوهابين اليوم حركة سياسية إصلاحية ترمى إلى توحيد العرب بربط حلف بين أمرائهم المعتبرين،وتثقيفهم بالعلوم، وتفهيمهم بالحكمة حقيقة دينهم العظيم،حتى يصبحوا بإذن الله تعالى أمة حية تعرف ما لها من الحق فى الوجود وما عليها من الواجب نحوه . ويمثلوا حقيقة تلك الأمة الكريمة التى دوخت العالم بسياستها ، ونشرت فى أقطاره خطها ولسانها،وأنارته بدينها ومدنيتها ، وكانت الواسطة الأمينة الفعالة بين التمدن القديم ، والتمدن الحديث ، ويرفعوا منار الإسلام بمدنيته الحقة الراقية فى هذا الزمان كما رفعوه كذلك فى سالف الأيام . ويجب أن نعلن بأن الفضل الأول فى هذا كله للرجل الكريم ، والبطل العظيم السلطان عبد العزيز عبد الرحمن آل فيصل آل سعود،الذى لا نشك أنه سيكون له « إن شاء الله تعالى » فى تاريخ العرب ما كان لمصطفى كمال فى تاريخ الترك ، فالأمة العربية اليوم تعتبر هذا الأمير العظيم زعيمها الحقيقى الوحيد ، وتعلق عليه الآمال الكبار ، والعالم الإسلامى ينظر إليه بعين العطف والاعتبار،شاكرا له خدمته الجلى وسلوكه السياسى النظيف ومقصده السامى الشريف ومقدار منزلته العالية التى نالها فى عين العالم عن جدارة واستحقاق (1) .

---

(3) عن الزهرة .

(1) النجاح ـ العدد 180 ـ 31 أكتوبر 1924 م .

1 ـ من هم الوهابيون ؟

2 ـ ما هى حكومتهم ؟ 3 ـ ما هى غايتهم السياسية ؟

4 ـ ما هو مذهبهم ؟

ـ 3 ـ

(4) قام الشيخ محمد عبد الوهاب بدعوة دينية ، فتبعه عليها قوم فلقبوا بالوهابيين . لم يدع إلى مذهب مستقل فى الفقه ، فإن أتباع النجديين كانوا قبله ولا زالوا إلى الآن بعده حنبليين، يدرسون الفقه فى كتب الحنابلة ، ولم يدع إلى مذهب مستقل فى العقائد ، فإن أتباعه كانوا قبله ولا زالوا الى الآن سنيين سلفيين، أهل إثبات وتنزيه، يؤمنون بالقدر ويثبتون الكسب ، والاختيار ، ويصدقون بالرؤية ، ويثبتون الشفاعة ، ويرضون عن جميع السلف ، ولا يكفرون بالكبيرة ، ويثبتون الكرامة .

وإنما كانت غاية دعوة ابن عبد الوهاب تطهير الدين من كل ما أحدث فيه المحدثون من البدع ، فى الأقوال والأعمال ، والعقائد، والرجوع بالمسلمين إلى الصراط السوى من دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير ، وزيغهم المبين .

لم تكن هاته الغاية التى رمى إليها بالقريبة المنال ولا السهلة السبل . فإن البدع والخرافات باضت وفرخت فى العقول، وانتشرت فى سائر الطوائف وجميع الطبقات على تعاقب الأجيال فى العصور الطوال . يشب عليها الصغير، ويشيب عليها الكبير ، أقام لها إبليس

من جنده من الجن والإنس أعوانا ، وأنصارا ، وحراسا كبارا من زنادقة منافقين، ومعممين جامدين محرفين ، ومتصوفة جاهلين، وخطباء وضاعين .

فما كانت ـ وهذا الرسوخ رسوخها ، وهذه المنعة منعتها ـ لتقوى على فعلها طائفة واحدة « كالوهابيين » في مدة قليلة، ولو أعدت ما شاءت من العدة ، وارتكبت ما استطاعت من الشدة .

قام الوهابيون لتحقيق هذه الغاية بحماس وشدة وجهل في كثير منهم ، فارتكبوا في سبيلها أمورا نفرت منهم النفوس .

وأتى جهالهم شنائع كانت من النكارة بمكان ، ووجدها أضدادهم سلاحا قويا في تشويه سمعتهم إلى اليوم ، وأسخطت عليهم العالم الإسلامي كله ، فكانت الخيبة تصيبهم من جراء سلوكهم القاسي ، وإن كانت غايتهم من أنبل الغايات . إن الغاية التي رمى إليها ابن عبد الوهاب ، وسعى إليها أتباعه ، هي التي لا زال يسعى إليها الائمة المجددون ، والعلماء المصلحون في جميع الأزمان، فلها ألّف أبو بكر بن العربي ، العواصم من القواصم وسراج المريدين ، وألف الإمام الشاطبي الاعتصام ، وألف الشيخ ابن الحاج المدخل ، وغيرهم من الأئمة وكتبهم كثير ، وإليها يسعى حزب الإصلاح المعتدل الذي أسسه الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، ورفع لواءه الشيخ رشيد رضا في مجلة المنار .

إن الدعوة إلى الحق لا تنجح إلا إذا كانت كما أمر الله تعالى ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن .

ولم تكن في الوهابيين كفاءة للقيام بتلك الدعوة العظيمة على هاته الطريقة الحكيمة فخابوا ، وبقيت غايتهم مقصورة عليهم ، ونهض بأعبائها الأستاذ الإمام والشيخ رشيد وحزبهما، فملأوا بها

الأرض وانتشر مؤيدوها فى العالم الاسلامى أى انتشار، ولا يزالون بحمد الله فى ازدياد .

بان بهذا أن الوهابيين ليسوا بمبتدعين لا فى الفقه ولا فى العقائد ، ولا فيما دعوا إليه من الإصلاح ، وإنما تنكر عليهم الشدة والتسرع فى نشر الدعوة وما فعله جهالهم

وهنا لا أرى بدا من ذكر مسألة هى أعظم ما أظهروا فيه شدتهم وهى مسألة زيارة القبور ودعاء أهلها والبناء عليها .

زيارة القبور مشروعة ولا خلاف فى ذلك بين أحد من المسلمين، وذلك مأخوذ من قوله وفعله صلى الله عليه وسلم ، المروي فى الصحيح ، ودعاؤه لما خرج للبقيع ، مروى ثابت كذلك ولكن.

(1) هل تشد لزيارتها الرحال ؟ هذه مسألة اختلف فيها قديما ، والوهابيون من المانعين،وهى بعد مسألة علمية ظنية لا تستوجب تنسيقا ولا تبديعا .

(2) وهل يدعى صاحب القبر كأن يقال مثلا ، يا فلان اقض لى حاجتى ! هذا شىء لم يثبت عن أحد من السلف أنه فعله . والدعاء عبادة (هذه مقدمة صغرى ، وهى لفظ حديث) وكل عبادة لا تكون إلا لله (هذه مقدمة كبرى ودليلها قطعى من الآيات العديدة) فالدعاء لا يكون إلا لله .

(هذه نتيجة هذا القياس من الضرب الأول من الشكل الأول) فلا نرى بعد هذا وجها لأن ينكر عليهم . والسكوت عن هذا أو نحوه أدى العامة إلى الغلو فى الأولياء رضى الله تعالى عنهم ، غلوا أنطقهم بألفاظ الشرك ، وصدع منهم عقيدة التوحيد التى هى أساس الإيمان. فإذا دعوا قالوا يا رب يا فلان. وإذا أصابتهم نعمة من الله قالوا هذه من الله ومن فلان ، وإذا حلف أحدهم فإنه يحلف بالله وبفلان ، بل بلغوا إلى ما هو أشنع وأبشع . يأبون من الحلف كذبا

بشيوخهم ، ويكذبون فى الحلف بالله ، والنهي عن الحلف بغير الله تعالى معلوم مشهور .

(3) وهل يبنى على القبور ، وتتخذ عليها المساجد ، قد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم ثبوتا لا شك فيه ، النهى عن البناء على القبور ، ولعن من اتخذوها مساجد،ونص الفقهاء من المذهب على المنع من ذلك والأمر بهدم ما يبنى . (راجع كتاب الزواجر لابن حجر التيمى) .

وأساطين هذه البدعة وأنصارها هم أرباب الزوايا ، وشيوخ الطرق . فلذا أردنا أن ننقل لهم كلام رجل عظيم شهير فى الطريقة الشاذلية ؛ بل هو شيخ طريقة ينسب إليه هو الشيخ أحمد زروق ، قال في شرحه على رسالة ابن أبى زيد ج 1 ص 28 من الطبعة الجمالية : «اتخاذ المساجد على مقبرة الصالحين ووقد القناديل عليها دائما أوفي زمان بعينه والتمسح بالقبر عند الزيارة ، وهو من فعل النصارى ، وحمل تراب القبر تبركا به، كل ذلك ممنوع بل يحرم» اهـ. ونقله الرهونى وسلمه (1) إننا والله لا نحاج إلى قول أحد مع ثبوت الحديث الشريف ، وإنما نجارى حالة الناس الذين هجروا السنة حتى صارت بينهم غريبة ، وأصبحوا منها بعيدين ، وهل بعد هذا وذاك نرى إخواننا أرباب القباب المضروبة ، والهياكل المنصوبة راجعين عن الضلال البعيد ؟ إنى أشك فى ذلك بل لا أكاد أطمع فيه . فاللهم اهدنا إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم (1) .

---

(1) النجاح : العدد 7/181 نوفمبر سنة 1924 م .

بيـان لا لبس فيـه

« إجابـة لصـوت الواجـب »

جاءتنا المقالة للعلامة الأستاذ صاحب الإمضاء تحت العنـوان أعلاه ، فبادرنا بنشرها شاكرين .

سيدى مدير « المنتقد » ثبتك الله،سلام عليكم .

إنى وإن كنت أتشرف بأن أعد من خدمة كل مشروع عظيـم كمشروعكم ، فإنى لا أحب أن ينسب إلي جميع ما يقوم به غـيرى من العاملين ، وقد علمتم أن كثيرا ممن يقولون ولا يحققون نسبوا إلى هذا الحقير جميع ما ينشر فى صحيفتكم بإمضاءات صريحـة لكتاب علماء مشهورين ، لعل هذا الكوتيب لا يشق غبارهم ، وهذا يا سيدى غمط قبيح وكذب حبريت ، وجب علي أن أتبرأ منه على لسان صحيفتكم الصادقة ، كما أرغب منكم أن تنشروا إلي (1) هذا « البيان » لخدمة الدين ، وليعلم الخراصون أننى إذا أردت أن أكتب فإنى لا أكتم اسمى ، وهاكم البيان :

قد علم كل مؤمن أن لله من عباده أولياء ، وعرف كـل تـال للقرآن بفهم (من نص القرآن) أنهم أهل الإيمان والتقوى ، وأن جزاءهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وأن لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأن أهل الولاية متفاوتون فيها بتفاوتهم فى إيمانهم وتقواهم اللذان(2) هما السبب إليها ، وأنه لاحظ لمن لا إيمان أو لا تقوى له فى شيء منها .

(1) كذا فى الاصل والظاهر : ان تنشروا لى .
(2) كذا فى الاصل والظاهر : اللذين .

هذا بيان القرآن الذى ما بعده بيان لحقيقة الولاية وحقها ، ولتفاوت أهلها فى منازلهم ، ولجزائهم المتفاوت كذلك عند ربهم ، بينته آية الولاية من سورة يونس بنصها ومفهومها وأسلوب نظمها ومكان الاسم الموصول بها .

فهؤلاء هم الذين لو أقسم أحدهم على الله لأبره ، وهؤلاء هم الذين من آذى منهم وليا فقد آذنه الله تعالى بحرب .

ولقد كان أفضلهم من هذه الأمة (بإجماعها) سلفها ، وأهل القرون الثلاثة منها ، ثم من جاء بعدهم ممن اقتفى أثرهم وسلك سبيلهم ، وما كانت سبيلهم التى تواترت عنهم إلا سنة ذلك الرسول الأعظم ، علم بلا تكلف ، وعبادة بلا تنطع ، وزهد بلا ترهب ، وإرشاد للخلق بنصوص الكتاب وأحاديث محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

ولقد كان فى طبقات هذه الأمة «بحمد الله» من أئمة العلم وشيوخ الزهد وولاة الحكم من ساروا على منهاجهم ، وبذلوا الجهد فى اللحاق بهم ، فكانوا على تخصيص كل منهم بما يسر له مشتركين فى أصل الاهتداء بهم ، والسعى إلى الغاية الشريفة التى يسعى إليها جميعهم ، وهى نشر دين التوحيد والفطرة والإخاء والسلام .

مضوا فى سبيلهم ـ رحمة الله عليهم ـ لا يدعون لأنفسهم سلطة خاصة على الخلق ، ولا تصرفا فى الكون ، ولا علما بالغيب ، ولا يضمنون لأحد من أبنائهم أو أتباعهم فوز الجنة (1) ، ولا نجاة من النار ، ولا يسمعون كلامهم فى الاستدلال به بالكتاب والسنة ، ولا يدعون لأنفسهم فى قول ولا عمل شيئا من العصمة ، بل هم يصرحون بنفي هذه الدعاوى كلها ويتبرءون من أهلها ، ومن وقف على شىء من كلام أيمة العلم فى مثل « جامع » ابن عبد الله ، وشىء

(1) هكذا فى الاصل والظاهر : فوزا بالجنة .

من كلام شيوخ الزهد فى رسالة القشيرى عرف حقيقة ما نقول ، ووقف ثَم على ما يعسر علينا جلبه فى مختصر هذا المقال .

ثم لقد أدخلت على نمط الحكم الإسلامى الشورى بدعة الاستبداد الفردى التى أماتت ضمائر الأمم،وذهبت بكبريات الممالك .

كما أدخلت على مذهب أهل العلم بدعة التقليد العام الجامد التى أماتت الأفكار وحالت بين طلاب العلم معين السنة والكتاب بل صيرتهما ـ فى زعم قوم ـ غير محتاج إليهما من نهاية القرن الرابع إلى قيام الساعة ، لا فى فقه ، ولا استنباط ، ولا تشريع ، استغناء عنهما « زعموا » بكتب الفروع من المتون والمختصرات ، فأعرض الطلاب عن التفقه فى الكتاب والسنة وكتب الأئمة ، وصارت معانيها الظاهرة بله الخفية مجهولة حتى عند كثير من كبار المتصدرين .

وكما أدخل أيضا على طرق شيوخ الزهد التى ما دعا أهلها الأولون إلا إلى تهذيب الأخلاق وتكميل الصفات وتطهير القلوب وتحلية النفوس ـ من البدع والدعاوى ما أخرجها عن حقيقتها ، ورمى بها ضد غايتها ، وصير أكثر المنتمين إليها على غاية البعد والمضادة لما كان عليه أولئك الشيوخ الأُخيار ، فترى أكثر شيوخ المنتسبين اليهم « على ما يحسبون » بدلا من ان يتنافسوا فى تحقيق أتباعهم يتنافسون فى تكثير أتباعهم ، وبدلا من أن يتصرفوا من أهل العلم بآداب السلوك وسير الصالحين يصدفون عنهم ، بل منهم من ينفر أتباعه منهم ، ويتغالون فى أولئك الأبرار بما يتبرأ منه الصالحون رضى الله عنهم ، فنسبوا لهم التصرف فى الكون ، والله قد بين فى غير ما آية من كتابه أن أشرف خلقه لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وزادوا فقالوا يعلمون الغيب ، والقرآن ينفى ذلك عن محمد صلى الله عليه وآله وسلم،وزادوا ، وزادوا .. مما لا محل لتفصيله الآن .

وهذا كلـه ناشىء عـن الإخلال بأصل النجاة والفوز ، وهـو الرجوع إلى السنـة والكتاب ، فـإن إخواننا هؤلاء أخذوا بكـل ما نسب من الأقوال والأفعال والأحوال لشيوخ الزهد جملة ، كما يؤخذ بما ثبت عمن ثبتت له العصمة ، أخذوا به عن غير تثبت فى النقل ، ولا عرض عـلى الكتاب والسنة وهدي السلف ، ولا وزن بميزان الشرع . وما أشد غضبهم وحميتهم عند ما تذكرهم بـأن الشيخ الزاهد ، وإن فاق أباذر والإمام العالم ، وإن كان أعلم من أبى بكر وعمر ، غير معصومين من الخطإ فى القول والعمل ، وأن الاجماع مشهور معلوم عـلى أنه لابد مـن الرجوع إلى المعصوم ، فيكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آيات اللـه فى إثبات هذا الأصل ولزوم العمل به ، وإن تركه هو سبب كل هلاك وضلال ! هـذا ، والأصل المذكور تواتر معناه بالآيات والأحاديث وآثـار السلف من أئمة العلم وشيوخ الزهد .

لا أذهب بالقارىء بعيدا ولا أحمله من هذا كثيرا ، بل أقتصر له على نقل واحد عن شيخ كبـير عالم زاهد ، وهـو سيدى أحمد التيجانى ، رضى الله عنه ، فلقد قال : « ما وجدتموه من كلامى موافقا للكتاب والسنة فاقبلوه ، وما وجدتموه مخالفا فاطرحوه » أو ما هذا معناه . فرحم الله هذا الرجل العظيم وأمثاله الصالحين ، وجزاهم عن الإسلام والمسلمين خيرا ، فلقد بروا ونصحوا ونجوا بهذه الكلمة ومثلها من كل تبعة تورط فيها المتورطون من بعدهم من عند أنفسهم .

ثم من أعجب وأقبح حال الكثير من إخواننا هؤلاء (عفا اللـه عنهم) أنهم إذا قام أخوهم مسلم يدعو إخوانه المسلمين إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة وكلام الأئمة ويدعو المنتمين إلى شيوخ الزهد خاصة إلى اقتفاء آثار شيوخهم ، والرجوع بالطرق إلى ما أسست لـه وكانت عليه فى زمانهم ـ إذا دعاهم أخوهم إلى هـذا قابلوه

بالصلابة والعناد ، وسلقوه بألسنة حداد ، ورموه بالكفر والإلحاد ، وخرجوا فى إذايته عن حد المشروع والمعقول ، وقولوه ما لا يقول، وأقل ما له عندهم أنه أنكر الولاية ، ونفى الكرامة ، وحارب أهل النسبة ، إلى غير ذلك من التلبيس والتدليس والتخليط والتوريط « وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ » .

يرمون إخوانهم أهل الدعوة والإرشاد بهذا وهم يعلمون أنهم ما أنكروا عليهم شيئا مما انتسبوا إليه من الحق ، وإنما أنكروا عليهم شفقة ونصحا ما تورطوا فيه من الباطل ، وأنهم لا ينكرون أهل الولاية وسلوكهم ، وإنما ينكرون ما أحدثه المحدثون بعدهم . وكثيرا ما كان هذا منهم سببا فى إخراج الدعاة وإغضابهم حتى يقابلونهم بشدة النكير عليهم ، فتتسع شقة الخلاف بينهم ، وتحرم الأمة من ثمرة ذلك الإرشاد .

لا تبعة على الدعاة من ذلك ، فإنهم فى سبيل واجبهم يعلنون الحق ولا يبالون ، ما داموا يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلون بالتى هى أحسن ، ولا ننسى أن من الحكمة الإغلاض أحيانا على المعاندين والمتعنتين .

ولكن التبعة كل التبعة على الرؤساء : من الشيوخ والعلماء الذين ربما عرفوا ـ كثير منهم ـ الحق ثم سكنوا ، مدارين أو مجارين أو مراعين ، أو ...؟ وليست المداراة أو المجاراة أو المراءاة مما يقوم لهم شبه عذر عند الله والمسلمين .

بل الواجب عليهم أن يستمعوا القول فيتبعوا أحسنه ، وأن يكونوا قدوة للأمة فى قول الحق وقبوله ممن جاء به ، وأن يكونوا دعاة لها إلى ما دعاها القرآن إليه ولا إيمان إلا به ، ولا نجاة من الخسران إلا بسببه ، وهو : التواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ،

وبذلك يؤدون أمانة العلم ، ويقومون بواجب النصيحة فى الدين ، وينالون رضى الله رب العالمين .

وأنا الحقير كواحد ممن ينسبون إلى شيء من العلم ، قد رأيت بعض الواجب علي بهذا البيان فى غير عنف ولا وجل ؛ أخا مشفقا ، لا عدوا مخاصما ، غير حامل بين جنبى لإخوانى المسلمين (علم الله) غير الحب والحنان والنصح والإخلاص ، وهذا هو الذى يحملنى على مصارحتهم بالحق الذى قد يغضب بعضهم ، ودعايتهم إلى أصلى السعادة الدنيوية والأخروية اللذين جاء بهما الإسلام ، وهما : التوحيد والاتحاد ، وإذا لحقنى فى هذا السبيل أذى من إخوانى فإننى موطد عزمى (إن شاء الله تعالى) على أن أقول لهم دائما ما قاله يوسف عليه السلام لإخوته : « يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » (1) .

(1) المنتقد ـ 23 صفر 1344 هـ ـ 1925/9/24

الفكــرة الاســلامية

— 1 —

وقفة فى صحيفة « الشهاب » على مثل لـ م. أشيل روبير تحت العنوان المذكور بترجمة إدارة الجريدة ، فرأيت أن أجيبــه بهذا المقـــال :

الشرق والإسلام اليوم هما الشغل الشاغل لأفكار زعماء السياسة وقادة الدين مــن الغربيين، يرون منهما تنبها حقيقيا لحالــة العالم ومركزهم فيــه ، يرون منهما حركة عامــة نحو الرقــى والإصلاح والتجديد ، يرون منهما نفورا شاملا لما كانا عليه فى عصور مضت من جمود وخمول واستسلام .

يرون هذا كلــه أمــرا واقعا ، وحالا محسوسا ومشاهدا ، وإن تفاوتت أمــم الشرق والإسلام فيــه ، يرون هذا كلــه فيدهشون ويتعجبون ويأخذون فى البحث فيه وذكر أسبابه ونتائجه،فلا يخلو غالبا كلامهم منه مهما خطبوا أو كتبوا .

ثم هم ليسوا سواء فيما يخطبون ويكتبون ، فمنهم من يحترمون أنفسهم ويحترمون التاريخ فلا يتكلمون إلا بعلم وإنصاف،فلا ياتى فى كلامهم غالبا إلا ما لابد منه من النقص الطفيف فى كــل كلام على موضوع كبير خطير ، ومنهم من يحسبون الشرق العظيم مهــد الأديــان والمدنيات ــ كدائرة قطرهم ، ويحسبون الإسلام الديــن الكامل الجامع المرقى للعقول المزكى للنفوس المقوم للأعمال ــ أمرا

بسيطا يدركونه بما يدركون به رواية من رواياتهم ، فهؤلاء عندما يتكلمون عن الشرق والإسلام يهرفون بما لا يعرفون ، وإذا زاد أهل هذا القسم إن كانوا ممن ذاقوا لذة السيطرة في دائرة من دوائر المستعمرات كـ م. أشيل ، كان بلاء التاريخ والأدب بهم متضاعفا ، وخلطهم وتحريفهم فوق ما يتصور . النقطة التى أراد هذا الكاتب تحقيقها فى مقاله الطويل هى « أن المسلمين الشرقيين لهم تهيب وعداوة وحقد ضد الأمم الغربية المسيحية،فهم لشرقيتهم عدو مخطر لكل غربى ، ولإسلاميتهم عدو مخطر لكل مسيحى » .

لقد كان الإنسان إنسانا بغرائزه الطبيعية قبل أن ينتحل دينا أو ينتمى إلى وطن ، فمن الواجب على الناظر فى شؤون المجتمع الإنسانى الباحث فى أحوال الأمم أن يجعل لتلك الغرائز مقاما أوليا فى طريق تفكيره ، ومقدمات استنتاجاته ، ومساند أحكامه .

أول غريزة فى الإنسان هى حبه لذاته . وجديرة هذه بأن تكون الأولى ، لأن بها حفظ ذاته وبقاء حياته ، وهو بهذه الغريزة يحب من أحسن إليه ويبغض من أساء إليه بالجبلة والخلقة .

والمسلمون الشرقيون ــ كأناسى ــ لا يخرجون من هذا القانون ، فهم يحبون من أحسن إليهم بل ومن يتوهمون فيه الإحسان ، ولا يبغضون إلا من يسىء إليهم وتدوم إساءته .

عاش النصارى واليهود والمجوس فى الشرق والغرب فى حجر المسلمين وتحت سلطانهم قرونا طوالا،فما أكرهوا على الإسلام ، ولا نصب لهم ديوان تفتيش ، ولا أرهقوا بالضرائب ، ولا اقتيدوا للموت فى سبيل الإسلام ، ولا انتزعت أراضيهم بأفانين الاحتيال ، ولا منعوا من قراءة دينهم ولغتهم بوجود المنع ، ولا أخذت أموال بيعهم وكنائسهم وتركت تعيش بالتقتير والاستجداء ءاتية للخلاء والخراب ، ولا تعرض للطعن والتشهير بأديانهم وأعراضهم

وعظمائهم بالزور والبهتان ، ولا خصصوا بأحكـام استثنائية فى قانون العدل العام ، بل كانوا لهـم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، يبلغون من العلم والجاه والثروة تحت لـواء العدل الإسلامى حيث يستطيعون تبوؤ الكتابـة والحجابـة والوزارة ، وأثـروا حتى استغرضهم الأمراء والأشراف راتعين فى بحبوحة الأمـن والمودة والمساواة للمسلمين فى أبواب العدل والإحسان ، اللهـم إلا أمرا واحدا فإن المسلمين استقلوا به وحدهم واحتازوه دون أهل ذمتهم أجمعين ، فقد كان المسلمون إذا داهـم الخطر ونزل الموت الزؤام ـ سواء كانوا هاجمين أو مدافعين ـ لا قوه بصدورهم وأبقوا أهل ذمتهم في مأمنهم موفورة عليهم راحتهم، يحمونهم بأنفسهم في مقابلة ما ياخذونه من الرجال القادرين منهم من القدر اليسير من المـال الذى يسمى جزية ، ويا حبذا المال اليسير تفدى به النفوس وتراح به الأبدان .

هكذا يصف لنـا التاريخ العادل حيـاة أهل الملل المختلفة مـع المسلمين،والسلطان سلطانهم،والدولـة دولتهم، إلا وقـائع فرديـة لا يخلو منها زمان ولا مكان ، ولا تنقص ما ثبت فى الأمر العام .

وهكذا كان المسلمون الشرقيون يحسنون ويحبون من هم إليه محسنون ويكتفون منه بالمسالمة ويرونها إحسانا،يكونون لـه عليه شاكرين .

فهل من المعقول أن يقال فيهم بعد هذا كله أنهم ـ وهم الأضعفون المغلوبون المملوكون ـ يبغضون من يحسن إليهم ، ويعادونه لمجرد مخالفته لهم فى شرقيتهم وإسلامهم ؟ كلا ! ثم كلا !

وإنما يقول من يعرف دخائل النفوس وطبائع البشر : « إنهم إذا كانوا يحبون لقليل الإحسان فإنهم لا يبغضون إلا لكثير الإساءة » ،

فليست المسألة مسألة شرق وغرب أو إســلام ومسيحية ، وإنما هى مسألة إساءة وإحسان .

وسنبين فى مقالنا التالى أن المسلمين لا يبغضون الأروبيين ، وأن الجزائريين خاصة لا يزالون مع دولتهم وجيرانهم محاسنين ومحسنين رغم تحريش المحرشين وتحريف المحرفين (1) .

● رد على مقال م. أشيل روبير ●

— 2 —

المسلم حبيب الانسانية ، مأمور بالعطف على أبنائها من أي ملة كانوا،وإلى أى وطن انتسبوا ، والقرآن يذكره بالأخوة الإنسانية فى كثير من آياتــه « خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِـدَةٍ » ... « وَالْأَرْحَامَ » ومن قتل نفسا ظلما فكأنه قتل جميع الناس ومن أحياها فكذلك ، ولا ينهاه دينه عن الذين لم يقاتلوه فى الدين ولم يخرجوه مـــن دياره « أن يبرهم ويقسط إليهم » . هذه هى التعاليم التى سار عليها أكثــر المسلمين مـــع الأروبيين ، سواء كانوا غالبين أو مغلوبين أو محالفين . وإليك البيان :

فتح المسلمون أروبا من الأندلس فلم يرغموا أحدا على دينهم ، ولا عملوا عــلى إبــادة مــن نزلوا ديارهم مــن الاسبانيين وغيرهم المستعبدين لرؤساء دينهــم ودنياهم ، المتوحشين ـ حقيقــة ـ فى أخلاقهم وعوائدهم ، بــل كسروا قيــود تلــك العبودية الفكرية والبدنية،ومحوا أثر السيادة بالباطل ، وسووا بين الناس فى قانون العدل وسبل الحياة ، وتركوا الأهالى فيما عدا ذلك على ما اختاروه لأنفسهم من عقائد وعوائد .

---

(1) ش : ع 6 ـ ص 4 ـ 30 جمادى الاولى 1344 هـ ـ 1925/12/17 م .

لا يجذب الأمم المغلوبة إلى الأمم الغالبة مثل ما تشاهده فيها من خلق وإيمان ، وما تعاملها به من عدل وإحسان ، وهذا هو الذى يشاهده الأهالى من المسلمين الفاتحين بالأندلس وغيرها ، فينجذبون إليهم فيدخلون في دينهم ، ويتكلمون بلغتهم ، ويتأدبون بآدابهم عن رغبة منهم واختيار ، فاستطاع المسلمون بذلك فى مدة قليلة أن ينشروا دينهم ولغتهم وآدابهم بين الأمم المختلفة وفى الأقطار الشاسعة ، بدون حاجة إلى إرساليات تبشيرية ، ولا أساطيل حربية ، ولا معاهدات سياسية ، ولا إرهاقات ومعاكسات إدارية ، مما لا يستعمله من يريد حقيقة السعادة لبنى الإنسان ـ ولو ليكون هو أسعدهم ـ ولا يثمر إلا خلاف المراد .

إن الأمم الغالبة المبغضة لغيرها تجدها نافرة منفرة ، فلا هى تتنازل عن الغلو فى تفوقها فتحب فيها المغلوبين ، ولا هم يرون فيها ما يجذبهم إليها من الكمال والعدل والإحسان ، فتبقى الفوارق قائمة أبدا ويستحيل معها الامتزاج .

فلو كان المسلمون يبغضون الأروبيين لما استطاعوا أن يحولوا شبه الجزيرة الأندلسية إلى أرض عربية مسلمة فى زمن قليل ، كما لم يستطع غيرهم مثل هذا التحويل فى الزمن الكثير !

كانت أروبا في القرون الوسطى المسماة بـ «القرون المظلمة» ـ في أحط دركات الجهل والهمجية، يتلاعب بعقولهم وأرواحهم القساوسة والملوك الذين ـ وإن كانوا مقدسين فى نظرهم ـ فليسوا أرقى منهم فى التفكير . فى تلك العصور المظلمة كانت المدنية الإسلامية تشع على الشرق من بغداد ، وتشع على الغرب من قرطبة ، وفيها فتح المسلمون بالأندلس (خصصتهم لأن حديثى مع أروبا) مدارسهم ومكاتبهم لرواد العلم بلا ميز بين الأجناس والأديان ، وكان لأبناء أروبا الذين كان منهم من صار بعد « بابا » فى رومة ـ ما كان لأبناء المسلمين .

إن الأمة المبغضة لأمة لا تسمح لأبناء المبغوضة أن يتناولوا من جميع أمور العلم ما يتناوله أبناؤها .

فلو كان المسلمون يبغضون الأروبيين لكانوا حرموهم من تلك العلوم التى عليها انبنت مدنية اليوم . هذه حالة المسلمين مع الأروبيين ، وهذا إحسانهم إليهم لما كانوا غالبين ، فهل أبغضوهم وأساءوا إليهم لما صاروا مغلوبين ؟

ألق نظرة على الجزائر التى دافعت دفاع الأبطال أيام الاستيلاء ، وشهد لها إذاك قواد الجيش الفرنسوى بالشجاعة والإقدام ، وكانت صاحبة المقام الأول فى ذلك فى تاريخ الاستعمار .

ألق نظرة عليها بعد أن ألقت السلاح بشرف ترها كيف تحولت بسرعة إلى الطاعة والانقياد ، وكيف امتزجت بالأمة الفرنسوية فى التعاشر والتعامل حتى ملأت صفوف الجند الفرنسوى وصارت ذات الحظ الأوفر بعد ذلك فى جميع حروب المستعمرات ، حتى إذا جاءت الحرب الكبرى وعم قانون الجندية على المسلمين ـ صلوا نارها مع الفرنسويين جنبا لجنب ـ أو هم الأولون ـ وقامت الأمة جمعاء تدافع عن الراية الفرنسوية بالنفس والنفيس ، ولا يزالون إلى اليوم يموتون تحت تلك الراية شرقا وغربا ، رغم ما يرون من التباطىء فى إنجاز وعود قيلت لهم ، وما يسمعون ـ من مثل م. أشيل ـ من التحريش بأمتهم والنكران لجميلهم ، فهل يعد مثل هؤلاء مبغضين للفرنسويين !؟ لعل م. أشيل يحتج عليها بثورات وقتية موضعية كانت من بعد الاستيلاء ، فنقول له : على رسلك يا هذا ، فإننا نعلم أن كل تلك الحركات ما نشأت إلا عن أسباب خاصة ، ربما لا تسمح لنا الظروف ببيانها،لا عن مجرد البغضة التى تزعمها .

هذا موجز من إحسان المسلمين الجزائريين لإخوانهم الفرنسيين ، وهو نموذج لحسن طاعة المسلمين وانقيادهم إذا كانوا مغلوبين ، أما

إحسانهم اذا كانوا محالفين فإنه لم يعرف فى الأمم أوفى منهم عهدا ، ولا أرعى منهم ودا ، لا أذهب بك إلى التاريخ البعيد ؛ فبين يديك التاريخ القريب .

انشطرت الدولة العثمانية ـ وهى أعظم دولة إسلامية ـ فى الحرب الكبرى شطرين ، فكان الترك مع المانيا وأحلافها ، وكان العرب مع الحلفاء ، والجانبان من الأروبيين يشهدان بالوفاء التام لكل قسم من المسلمين لمن كان معه إلى آخر نقطة ، كما يشهد التاريخ بمقدار وفاء الأروبيين لأحلافهم من طائفتى المسلمين .

تأمل بعد هذا فيما ألقيناه عليك يا م. « أشيل » يا حضرة « الميسطراطور » المتقاعد ... تأمل بإنصاف ـ إن أمكنك أن تنصف ـ تجد أن المسلمين لا يبغضون الأروبيين لأنهم أروبيون ، وتجد أن ما حسبته بغضا للأروبيين إنما هو بغض لأعمال أمثالك من المستبدين،وأقوال أمثالك من الجاهلين المتعصبين الذين هم شياطين كل فتنة وتفريق بين الغربيين والشرقيين ، قطع الله دابر المفسدين من جميع العالمين (1) .

الفكرة الإسلامية

● رد على مقال م. أشيل روبير ●

— 3 —

قال م. أشيل : « ثم إن الشعوب الإسلامية من بحر الصين إلى المحيط الاطلانطيقى بعد تشبثهم بالروح الوطنى الخصوصى لهم ـ يخضعون للعروة الوثقى المنيعة وهى القرآن الكتاب المقدس ... » .

(1) ش : ع 7 ـ جمادى الثانية 1344 هـ ـ 1925/12/24 ـ ص 2 .

لكل فرد من أبناء الإنسان روابط مادية أو روحية تربطه بغيره تضيق وتتسع ، ويختلف مقدار شعوره بتلك الروابط والقيام بحقها والاستفادة منها بقدر رقيه وبساطته . هذه الروابط سلاح في يد الأفراد والأمم ، لها جهة نفع وجهة ضرر،أو لجلب نفع لا يضر بالغير ، أو ترجح منفعته على مضرته ، فتستحسن وتحمد وتعمل في عكس ذلك فتستقبح وتذم .

إن الرابطة الدينية والرابطة الوطنية أعظم هذه الروابط وهما أنفعها وأخطرها في آن واحد ، وما زالت أمم الشرق والغرب مشربة روحهما على تفاوت في ذلك بحسب الأمكنة والأزمنة ـ ولن تزال .

ينعى م. أشيل على المسلمين خضوعهم للقرآن الذى هو أساس رابطتهم الدينية ، وينسى خضوع الغرب للإنجيل الذى هو أساس رابطتهم ، لا عيب على أهل أي دين أن تكون لهم رابطة من دينهم ، وإنما العيب إذا استعملوا تلك الرابطة للتنكيل بمن لا يدين بدينهم ، كما استعملتها أمم النصرانية من قديم .

دخلت أروبا النصرانية مقهورة بالحديد والنار ، وما تم خضوعها لها إلا بعد أجيال ، ثم جاءت تستعمل هذه الرابطة الدينية ضد الإسلام والشرق،فحملت حملاتها الصليبية التى كانت في القساوة والشدة كحملات مجوس التتار ، ثم استمرت تحمل ذلك الضغن على الإسلام والشرق متوارثا في الأصلاب والأرحام ، يسمعه اليوم كل من يسمع ، ويراه كل من يرى في كثير من الأقوال والأعمال .

قال الفيلسوف الكبير الدكتور غوستاف لوبون ـ متأسفا ـ : « إن العقيدة الكاثوليكية المتوارثة فينا تجعلنا من ألد الأعداء للمسلمين » .

هاك كلمة صغيرة كبيرة مـن ذلك الإرث المشؤوم منقولة عـن « البيان » ، هى تلك الأنشودة الطليانية للشاعر الطليانى الذائع الصيت « فرنسكوا كالابروا » سماها « الوطنية » ووقـع تلحينها الموسيقى الطليانى الشهير « رليزوباريا » فجاءت آيـة فى الوضع والتلحين ، وانتشرت فى ايطاليا حتى عدت مـن جملة ما أبرزته أدمغة أرباب فنونهم ، وحفظها الكبير والصغير ، وتغنى بها الوجيه والحقير ، وطبعت منها نسـخ عديدة وزعت عـلى أفـراد الجيش الطليانى يترنمون بها ، ويغذون أرواحهم بما حوته من المعانى الرقيقة والأفكار السامية ، وقـد وجدت نسخة فى جيب جندى طليانى حر يتضرج بدمائه فى ساحة الحرب فى طرابلس الغرب . الأنشودة مؤلفة من أربعة أدوار ، والمهم منها هـو الدور الثانى وهـو :

1 ـ « ليمت الشعب الإسلامى التعس ،

2 ـ وليحارب هذا الدين الإسلامى ،

3 ـ الذى يضع المخدرات من النساء تحت تصرف السلطان ،

4 ـ إنى سأحارب بكل شجاعة لمحو القرآن ، وبذلك أموت طليانيا شريفا » هـ .

هكذا استعمل الغرب الرابطة الدينية وهو يقول إنـه يخضع للإنجيل ـ الذى لا يأمر بالقتال ـ .

فهل استعمل المسلمون الذين يخضعون للقرآن رابطتهم الدينية هذا الاستعمال ؟ كلا ، ثم كلا .

فلن تجد فى تاريخهم مثل تلك الحملات الغامة ، ولا فى كـلام أحد منهم مثل تلك الكلمات الجارحة الداعية إلى إبـادة الديـن المخالف وأهله من الوجود ، بل تجد منهم التسامح الذى يشهد لهم

بـه المؤرخون المسيحيون المنصفون . قال م. « رينيه ميليه » في خطبة ألقاها في أحد مؤتمرات افريقيا الشمالية المنعقد في باريس : « لزم مسلمو الأندلس التسامح مـع النصارى ومودتهم حتى في الدور الذى اضمحلت فيه دولتهم،وأخذ أمراء المسيحيين ينقصونها من أطرافها » .

بهذا السيد وأمثاله من المنصفين ـ يا حضرة الميسطراطور ـ نرجو الإخاء بين الشرق والغرب الذى نسعى اليه ويسعى اليه كل عاقل من الجانبين ، لما فيه من السعادة البشرية العامة ، ولولا أنت وأمثالك من المتعصبين لما كان منا ببعيد .

كما نعى م. أشيل على المسلمين خضوعهم للقرآن ، نعى عليهم تشبثهم بالروح الوطنى .

ونقول أولا :

والله قبيح وعجيب أن يكون أحد من أبناء فرنسا التى ألقت دروس الوطنية على أروبا والعالم بثوراتها الكبرى التاريخية ، والتى تفاخر ـ محقة ـ بمساعدتها بمالها ورجالها وعقلها وساعدها للوطنيين من اليونان والبولونيين والتشيكوسلوفاكيين والاميركانيين ـ ينعى على الناس أن يحبوا أوطانهم !!

وثانيا : أن العالم الغربى اليوم بلغت منه الروح الوطنية غايتها ، فمن المستحيل أن يبقى العالم الشرقى ـ مع ما بينهما من اتصال فكرى واقتصادى وسياسى ـ محروما من هذه الروح ، بل نواميس النمو الاجتماعى قاضية بأنها لابد أن تصل فيه إلى ما وصلت إليه فى أخيه ، فسريان الروح الوطنى في المسلمين ـ كجميع الأمم الشرقية ـ أمر واقع لا أخالفك فيه .

إن ساسة الغرب يعلمون هذه الحقائق حق العلم . غير أن منهم من تغلب عليهم الروح الاستعمارية فيوجسون خيفة من تنبه الشرق ويعاكسون نهضته ويحاولون قتل روح وطنيته فيكونون محاولين للمحال ، وفى الوقت نفسه موجدين لأسباب الخوف الحقيقية فى نفوس الشرقيين .

ومنهم من تغلب عليهم الروح الحكمية فيسايرون نهضة الشرق لتجرى فى روحه الوطنية فى مجرى الاعتدال ، ويحفظ أبناؤه أيادى الغرب ، ويعيش الجميع فى إخاء وهناء وسلام .

ولأي الروحين تكون الغلبة النهائية ؟

إذا لم نتشاءم مع المتشائمين ، ولم نتفاءل مع المتفائلين ، فإننا نقول : الجواب للمستقبل ، والعلم عند الله (1) .

---

(1) ش : ع 8 ـ 14 جمادى الثانية 1344 هـ ـ 1925/12/31 ـ ص 3 .

الفكـــرة الإسلاميـــة

رد على مقال م. أشيل روبير

— 4 —

قال م. أشيل روبير : « كان الإسلام سببا فى تبديل فلسفة وفكرة الأمم الذين اعتنقوه . . » .

نعم ، تبدل كبير وعجيب ، ولكن لخير العالم ونفع الإنسانية . إذا شئنا أن ننظر آثار الإسلام الحقيقية فى الأمم التى اعتنقتـه فلتنظرها فى الأمة العربية التى نزل كتابه ــ القرآن ــ بلسانها ، وكان نبيه من أبنائها . فكانت أول من اعتنقه وتشرب روحه ، ثم تناولته الأمم من يديها .

كانت الأمة العربية قبيل الإسلام فى انحطاط وهمجية ، وتفرق وجاهلية ، يئدون البنات ، ويأتون المنكرات ، ويعبدون الأوثان ، وينكرون الرحمان ، بعيدين عن أسباب الملك والسيادة ، بعيدين عن أسباب الرقي والتمدن ، محرومين من شروط الرقي الفكـرى والتهذيب الأخلاقى ، ينقص أرضهم من أطرافها جيرانهم من دولة الفرس ودولة الرومان المسيطرتين على المناذرة بالحيرة ، وعـلى الغساسنة بالشام . فلما اعتنقت هاته الأمة الإسلام اتحدت بعد تلك الفرقة ، وتهذبت بعد تلك الخشونة ، وأخبتت للتوحيد وتألهت بالطاعة بعد الشرك والإلحاد .

ولم يمض عليها العقد الثانى فى الإسلام حتى قهرت فارس والروم أعظم دول الأرض فى ذلك العهد ، ولم يمض عليها قرن حتى مدت جناح ملكها من « نهر تاج » بالأندلس إلى نهر «الكانج» بالهند ، ركزت رايتها فى قلب أوروبا فاستعمرت جانبا كبيرا من فرنسا وسويسرا حقبة من الدهر ، وبلغوا فى سعة الملك فى ظرف ثمانين سنة ما لم يبلغه الرومان فى ثمانية قرون ، فسادوا العالم وساسوا أممه بالرحمة والعدل والإنصاف ، وشهد لهم المؤرخون المنصفون بذلك ، حتى قال بعضهم : « ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب » . ولم يمض عليها القرن الثانى حتى استخرجت كنوز الأمم المتقدمة من اليونان والفرس والهند ، ونقلت إلى لغتها طب بقراط وجالينوس ، وهندسة إقليد ، وهيئة بلطليموس ، وفلسفة أفلاطون وأرسطو ، بتصحيح واستدراك واستنتاج ، وبلغت إلى الطبقة الثالثة من الرقي فى العلوم الطبيعية وهى طبقة الامتحان والتجربة .

قال العلامة سيديو المؤرخ الفرنسوى : « لما اشتغل العرب بالفلك التفتوا إلى العلوم الرياضية فأتوا بالعجب العجاب فى الهندسة والحساب والجبر وعلم الضوء والميكانيكا ، وترجموا من ابتداء خلافة المأمون هندسة اقليدس ونبودوس وأبولونيوس وو .. وشرحوا مؤلفات ارشميدس فى الكرة والأسطوانة وغيرها ، واشتغلوا قرونا بدقائق الهندسة ، وظهرت حميتهم فى المناظرات العلمية خصوصا فى المراسلات الرياضية ، وطبقوا الجبر على الهندسة ، وترجموا كتب هيرون الصغير فى الآلات الحربية ، وقطيزبوس وهيرون الاسكندرى فى الآلات المفرغة للهواء والرافعة للمياه ، وألف حسن بن هيثم فى استقامة النظر وانعكاسه فى المرايا التى تحدث النار ، وألف الخازن فى علم الضوء والنظر كتابا فى انكسار الضوء وفى المحل الظاهر للصورة من المرايا المنحنية ،

ومقدار الأشياء الظاهرة ، وكبر صورتى الشمس والقمر إذا رئيا على الأفق عند الشروق والغروب .

ومعلوم أنهم ما كانوا قبل الإسلام فى شيء من هذا كله لا من العلم ولا من الملك .

أرأيت يا م. أشيل كيف كانت آثار الإسلام ـ الإسلام كما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ـ فى الأمة العربية وأين بلغت به ؟ ثم ألعلك تحسب ـ إن أذعنت لما تقدم ـ أن الإسلام كان خيرا وسعادة للعرب دون سواهم ؟ كلا ، ثم كلا . إن الإسلام الذى جعل الأمة العربية الواسطة الحية بين القديم والحديث ـ رمى بإشاعته الساطعة بواسطة العرب على أوروبا فأخرجها من الظلمات إلى النور . قال الأستاذ غوستاف لوبان : « إن العرب هم سبب انتشار المدنية ببلاد أوروبا » .

وقال دروى فى تاريخه : « بينما أهل أوروبا تائهون فى دجى الجهالة لا يرون الضوء إلا من سم الخياط ، إذ سطع نور قوي من جانب الملة الإسلامية من علوم أدب وفلسفة وصناعات وأعمال يد وغير ذلك ، حيث كانت بغداد والبصرة وسمرقند ودمشق والقيروان ومصر وغرناطة وقرطبة مراكز عظيمة لدائرة المعارف ، ومنها انتشرت فى الأمم ، واغتنم منها أهل أوروبا فى القرون المتوسطة مكتشفات وصناعات وفنونا عظيمة . لسنا ممن يفتخر بالعظم الرميم أو بالتوكل على المجد القديم ، وإنما ذكرنا هذا إحقاقا للحق وإثباتا لمجد العرب بفضل انتشار الإسلام فيهم بشهادة غير العرب وغير المسلمين ، وإفحاما لكل خصم عنيد وجاهل متعصب من الغربيين الذين قال فيهم الأستاذ لويجى رينالدى الطليانى : « وقد يحزنني ، والله ، كما يحزن غيرى ممن ينصفون أن يكون بيننا نحن الأوروبيين نفر يقودهم سوء الظن والجهل إلى احتقار العرب وحسبانهم من أمة أدنى من أمتهم ، وأن نرى كلمة عربى

عندنا تدل على معنى غير معنى التمدن ، وهذا بلا شك افتـــراء ونكران للجميل » .

فمما تقدم يستنتج كل منصف أن الإسلام يبدل العقول مــن الجمود إلى النظر ، والأفكار من الأوهام إلى الحقائق ، والأخلاق من الهمجية إلى الكمال ، والأمم من الانحطاط إلى المدنية والرقي ، كما فعل بالعرب الجاهلين ، وكفى بذلك دليلا على أنه دين الفطـــرة والكمال الإنساني ، وطريق السعادتين للخلق أجمعين ، بأمر الله رب العالمين » (1) .

الفكـــرة الإسلاميـــة

رد على مقال م. أشيل روبير

— 5 —

قال م. أشيل : « فوصل المسلمون بتحريض من أيمتهم ومشائخ طرقهم إلى تعصب غريب ضد الديانات الأخرى ، وصار غضبهم الشديد يجعلهم يعتقدون منع المسيحيين من الخوض فى القرآن » .

التعصب حمية ذوى وصف ذاتى أو روحى يجمعهـــم لأنهـم مشتركون فيه — لبعضهم ، فيقومون بما ينفع مجموعهم ويدفــع عنه عادية غيرهم . وأصل التعصب بهذا المعنى لا يخلو منه ذو جنس ولا ذو دين ولا ذو فكرة ، وهو من الغرائز الفطرية زود بها الإنسان فى المعترك الدنيوى على سنة الله الكونية المسماة بتنازع البقاء ، وهو كسائر الصفات والغرائز له طرفا إفراط وتفريط مذمومان ووسط محمود ، فبالتفريط فيه موت الشعور وانحلال الوحـدة وتساقط أعضائها أشلاء يتغذى بها ذوو العصبيات الأخـــرى ،

(1) ش : ع 9 — 21 جمادى الثانية 1344 هـ — 1926/1/7 م — ص 4 .

والإفراط فيه ظلم وإرهاق واحتقار لذوى العصبيات الضعيفة ، ومشادة بقساوة ومكر وخيانة مع ذوى العصبيات القوية .

فالشرق والغرب والإسلام والمسيحية لم يخرج واحد منها عن هذه الفطرة الإنسانية،وبالضرورة لم تكن جميع أفرادها وأممها على رتبة واحدة فى هذه الغريزة من الإفــراط والتفريــط أو التوســط .

لكن م. أشيل وأمثاله ـ لتعصبهم أو جهلهم ـ يجعلون كل تعصب من الغرب والمسيحية محمودا وكل تعصب من الشرق الإسلام مذموما، لا والله ، ما هذه الكليات فى مثل هاته الأحوال من أحكام العلماء المنصفــين .

لنلق نظرة على التاريخ نزن بها الجانبين فى التعصب المذمــوم والتسامح ، فإننا لا نجد الأمم الشرقية الإسلامية لما استولت عــلى غيرها من أمم الأرض من جميع الملل ـ اجتاحت أمة من أرضهــا ولو كانت من أحط الأمم ، ولا حملت أمة على الدخول فى دينهــا بالسيف والنار ، ونجد فى الجانب الآخر أعمال البراطرة البيزنطيين فى نشر النصرانية ، تلك الأعمال التى تتبرأ منها المسيحية الحقة ، وأعمال اسبانيا فى اليهود والمسلمين .

قال م. رينيه ميليه فى خطبته التى نقلنا عنها سابقا : « ولــو أعدتم النظر فى تاريخ القرن الرابع والخامس والسادس للمسيح لوجدتم البراطرة متوفرين على توحيد الدين وموجهين إليه كل قوى الدولة وفي ذلك كان تضعضع ملكهم وانقراضه ، فكم أهرقت دماء في سبيل كل عقيدة من العقائد المسيحية ، وكم من مقاطعة ضيعهــا الامبراطور على إثر كل قرار كان يصدر من مجمع «نيقة» ، وأن مسألة طبيعة المسيح أو مسألة الأقاليم التى نعتقدها الآن بكــل سكينة واطمئنان قد سالت من أجلها دماء غزيرة،ونشأت من الجدال فيها حروب هائلة » .

وقال أيضا : « وأن الاستيلاء على غرناطة الذى يفتخر به الاسبانيون الذى يحسبونه يجعل عصر فرديناند وإيزابلا ـ لم يكن فى الحقيقة إلا عملا وحشيا بربريا لم أعهد فى التاريخ أقبح منه ، خصوصا وأن إمارة غرناطة لم تكن لتهدد اسبانيا فى شيء لاستلائها على ما حواليها من الأراضي والمدن ، وإنما كانت غرناطة عروسة اسبانيا وزينتها ـ ولابد أن يكون لاكليروس الاسبانى أو الطليطلى رأي أن يحق هذا الجمال ويزيل هذه المدنية البديعة ، خدمة للمسيحية والمسيحية بريئة منه .

والأدهى من ذلك أن المسيحيين كانوا أعطوا وعودا قبل الدخول ولكنهم أخلفوها،وجمعوا الكتب الجليلة وأحرقوها،فتلذذوا بمنظرها، وظنوا أنهم بعملهم هذا قد قضوا على دين المسلمين وآدابهم . ثم أنهم أمروا المسلمين أن يدخلوا فى المسيحية كافة ، ولما لم يجابوا إلى طلبهم جمعوهم زمرا وحبسوهم فى غرف واسعة ورشوهم بالماء إشارة إلى تعبيدهم وتنصيرهم ! ثم لما رأوا أن هؤلاء المسلمين المتنصرين لا يزالون يغتنون طمعوا فى أموالهم وصاروا يظلمونهم من آن لآخر . ومن ذلك ما وصل إلينا من أوامر فيليب الثانى الذى يحرم عليهم فيها لبس الثياب العربية ، واستعمال اللغة العربية ، والاستحمام فى الحمامات العامة ، والسبب فى هذا الأمر الأخير أن الكنيسة الاسبانية كانت ترى الاستحمام جرما لا يغفر !! » .

ولم يكن تعصب الكاتليكيين وفتكهم بالبروطيستانيين المخالفين لهم فى المذهب دون التعصب والفتك بالمخالفين فى الدين .

كما نجد هذا التعصب الديني في هذا الجانب كذلك نجد التعصب الجنسى فى إبادة أهل البلاد الأصليين بدعوى توحشهم ، كما فعل سكان أميركا الأولين الذين أخذت أعمال الباحثين عن الآثار ، واكتشافاتهم تدل على أنهم كانوا على حضارة وتمدن أيام كانت أوروبا فى همجية وتوحش .

أنا لا احكم على كل فرد من الغربيين المسيحيين بهذا التعصب الذميم ، ولكنني أقول : هو مظهر بارز في تاريخ القوم (1) .

الفكـــرة الإسلاميـــة

رد على مقال م. أشيل روبير

— 6 —

أعيد اليوم قول م. أشيل : « فوصل المسلمون بتحريض مـــن أيمتهم ومشائخ طرقهم إلى تعصب غريب ضد الديانات الأخرى ، وصار غضبهم الشديد يجعلهم يعتقدون منع المسيحيين من الخوض في القرآن » . لأتمم الكلام عليه .

زعم هذا الرجل أن أئمة المسلمين (وأحسبه يعني أئمة الجمعة) ومشائخ طرقهم من عوامل تعصبهم الغريب ضد الديانات الأخرى ، ونحن قد نفينا بالدليل البين التعصب المذموم عن الإسلام قطعا،وعن المسلمين في الأعم الأغلب قديما وحديثا في مقالنا السابق ، وبقي علينا أن نبين براءة هذين الصنفين من تحريضهم على التعصب ضد الأديان الأخرى .

من الخطباء من هم خطباء حقيقة يخطبون الخطب الحية فيما يرون ويسمعون ، وهؤلاء علماء شأنهم عدم الخروج عـــن سنة القرآن الذي ينهى عن كل تعصب ذميم ، ومن الخطباء من قعد بهم قصورهم أو تقصيرهم عن إنشاء الخطب ، فهم يسردون في كل جمعة أوراقا محفوظة مرت عليها أجيال وقرون،لا حديث في أكثرها على الدنيا وشؤونها ، ولا شيء فيها مما يكون العصبية لا المذموم منهـا ولا المحمود .

ش : ع 10 ـ 29 جمادى الثانية 1344 هـ ـ 14 جانفي 1926 م .

هذه حقيقة حال أئمتنا وخطبائنا ، أما مشائخ الطرق فإن أياديهم البيضاء فى خدمة الدولة وتمهيد الطرق لها ـ مما لا يجوز لرجل إدارى مثل م. آشيل أن يجهلها (1) ، ويزيد على الجهل بها فيرميهم بالتعصب والتحريض عليه ، ولئن جهلها هو فقد عرفتها لهم الحكومة التى لا زالت تحلى صدورهم وتطوق أعناقهم بأوسمة العلم والفضل والاحترام ، وإذا لم تكتف حضرته بهذا الدليل الإدارى فليرجع إلى كتاب م. « ليون روش » ونحوه ليعرف الدليل التاريخى ، ولا نخاله بعد ذلك يرمى حضراتهم بشىء من التعصب .

كانت الكتب المقدسة عند الأمم السابقة ـ ومنهم أهل الكتاب ـ مقصورة على الكهنة ورجال الدين دون غيرهم من جميع المؤمنين بها ، فلا تصل إليها يد لامس ، ولا تفتح لذى فكر ونظر ، وبذلك توصل أولئك الرؤساء الروحيون إلى الاستبداد فى التشريع والتحجير على العقول ، والتصرف فى الأموال والأبدان ، وقد قاست أمم أروبا من اكليروسها ألوان العذاب فى العصور الطوال ، ولم تصل إلى ما وصلت إليه إلا بعد أن كسرت ذلك النير وأوقفت سلطة أولئك الرؤساء عند حد محدود ، وما عرفت كتب الأناجيل إلا بعد أن نهض لوثر بإصلاحه المشهور .

بينما كتب الملل ـ كما ذكرنا ـ إذا أتى القرآن كتاباً هدى لجميع الخلق بلسان عربي مبين ، يخاطب العقل ويدعو إلى الفطرة، يقارع بالحجة ويدعو إلى التفكير ، يحارب الجمود ويحث على الاستدلال ، يقرر الحرية بأنواعها ، والأخوة بطبقاتها ، والمساواة بأتم وجوهها ، بين جميع الناس أمام الله والحق والعدالة ، يتلوه النبى صلى الله عليه وسلم على جميع السامعين ، ويأمر بإبلاغه للنذارة به إلى الناس أجمعين ، قد بين لهم ليفهموا ، ويسر ليذكروا وقرب ليتناول منه كل أحد على حسب استعداده ما يهتدى به أو يزداد فى اهتدائه ، فلا يرجع منه خائبا إلا من كان من المعرضين .

هذا هو القرآن الذى جاء ليقرأه كـل أحد ، ونشره المسلمون قديما وحديثا فى كل بلد ، ثم يقول فيه م. أشيل : إن المسلمين يعتقدون منع المسيحيين من الخوض فيه !

نعم ، يحمى المسلمون كتابهم من الأمم التى تكون معهم فى حالة حرب حذرا من أن يحملها تعصبها على أن تمسه بسوء ، كما يمقتون ـ مقتا أدبيا ـ كل من يخوض فيه بجهل ... وتعصب ... وعناد ... ولو كان من المصدقين به .

قـد خاض هذا الكاتب فى القرآن العظيم بجهله وتعصبه فى مقاله فجاء يصف تعاليم القرآن فى الحرب بالتعاليم القاسية !

وذكر منها آية الأنفال : « فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ » الآية ، وآية سورة القتال : « فَإِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ » الآية ، وبنى عليهما أن المسلمين يرون مـن واجبهم إعلان الحرب ضـد الديانات الأخرى !

قد قدمنا قول بعض علماء أروبا أن التاريخ لـم يعرف فاتحا أرحم ولا أعدل من العرب . ومعلوم أنهم لـــم يكونوا كذلك إلا بتعاليم القرآن التى لم تخرج فى جميع أبواب المعاملات عن أصلي العدل والإحسان .

جـاء القرآن داعيا بالبرهان ، وجـاء بالقتال لحماية الدعوة وأهلها ، ودفع من يقف فى طريقها ، وأمر بقتال « الذِينَ يُقَاتِلُونَ » فخرج عـن ذلك الذين « يَجْنَحُونَ لِلسَّلْمِ » فتعقد معهم المعاهدات ويسالمون ، وخرج كذلك النسوة والعجزة من الشيوخ والصبيان والمرضى والزراع والرهبان ونحـوهم ما دامـوا لا يقاتلون ولا يعينون . فليس من قتال الإسلام المقذوفات الجوية والأرضية التى تصيب كل أحد بلا تمييز ، وتفعل ما تفعل من التدمير والتخريب. شرع القرآن قتال الذين كفروا عند اللقــاء فى المعركة بقوله :

« إِذَا لَقِيتُمُ الذِينَ كَفَرُوا » ، وأمر بالإحسان فى القتال بما يحصل به المقصود بدون تشويه ولا تعذيب وهو « ضَرْب الرِّقَابِ » لا كسر الرؤوس وفقأ العيون وقطع الأعضاء ، كل هذا يجتنب مهما كان إلى اجتنابه سبيل ، لأن القتل شرع للضرورة فيقدر بقدرها دون زيادة ما يستغنى عنه من الألم والتعذيب . ثم إذا ظهر الغلب بالإثخان والبلوغ للغاية الكافية فى القتل وجب ترك القتل والاقتصار على الأسر ، ثم إما أن يمن عليهم بالعتق لا فى مقابلة شيء ، وإما ان يفادوا بأنواع الفداء . فانظر إلى هذه الآية كيف قيدت القتل بوقت الملاقاة وجعلته على أحسن وجه وأسهله ، وأمرت بالانتهاء منه عند الاستغناء عنه ، وبينت حسن معاملة الأسير ، فإنك تجدها فوق كل ما تبجح به أروبا ــ وقد لا تنفذه ــ من قوانين الحروب .

الخيانة ونقض العهود يسببان كل شر وبلاء بين الأمم والأفراد، فلذا جاء القرآن بالتشديد على من يؤسر من الناقضين حتى يكونوا عبرة لغيرهم ، فـ « الذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ » هم المرادون بقوله فيهم بإثر ما تقدم : « فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ » الخ ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم إذا ثقفهم وتمكن منهم أن ينكل بهم بالقتل ليرهب بذلك من خلفهم فيتفرقوا عن حربه ، وليست الآية فى جميع المحاربين ، ها هما الآيتان كما يفهمهما من يفهم العربية لا كما يفهمهما من لا يوثق بفهمه لبعض اللغة العامية . ها هما درتان فى جبين أصول المعاملة فى حروب الأمم ، حرب الرحمة والإحسان ، لا يضرهما أن تعشى عنهما عيون تقذى بالجهل عليها غشاوة .

ها أنت ذا يا م. أشيل لما خضت فى القرآن جئت تقلب حقائقه وتقول فيه كلمة السوء التى ما أزرت أخيرا إلا بك ، وما دلت إلا على قلة علمك ، أو لا يكون بعد هذا الأحسن والأليق بمثلك

ألا يخوض فيه ما دام على هذه الحال ؟ وانظر الآن إلى العلماء المنصفين من الأروبيين لما خاضوا فى القرآن بعلم وإنصاف كيف قالوا ؟

قال كاريل : « إن القرآن كتاب لا ريب فيه ، وان الإحساسات الصادقة الشريفة والنوايا الكريمة ـ تظهر لى فضل القرآن ، لا ، بل هو الكتاب الذى يقال عنه فى الختام ـ وبه فليتنافس المتنافسون ـ لكثرة ما فيه من الفضائل العديدة » .

وقال واشنطون ايرفنج : « القرآن فيه قوانين زكية سنية » .

وقال جيبون : « القرآن مسلم به من حدود الاوقيانوس الاتلانتكى إلى نهر الكانج بأنه الدستور الأساسى ، ليس لأصول الدين فقط ، بل للأحكام الجنائية والمدنية ، وللشرائع التى عليها مدار نظام حياة النوع الإنسانى وترتيب شؤونه ـ إن الشريعة المحمدية تشمل الناس جميعا فى أحكامها من أعظم ملك إلى أقل صعلوك ، فهى شريعة حيكت بأحكام منوال شرعى لا يوجد مثله قط فى العالمين » .

هذا يا م. أشيل كلام أهل البحث والتنقيب الذين يخدمون العلم بالعلم ، ويحترمون الحق للحق ، وهم مثلك غربيون مسيحيون **يمكنك** أن تقتدى بهم فى درجتهم فى الإنصاف إن لم يمكنك أن تقتدى بهم فى درجتهم فى العلم (1) .

(1) ش : ع 11 ـ 7 رجب 1344 هـ ـ 1926/1/21 م .

رد على مقال م. أشيل روبير

— 7 —

كنا نكتب مقالاتنا السابقة لبيان الحقائق وخدمة التاريخ متأيدين بالعلماء المنصفين من رجال الغرب ، فنقضنا كلام هذا الكاتب عروة عروة .

وقد بقي من كلامه شيء كثير متعلق بشؤون سياسية حاضرة ، وأحوال جارية فى بعض أمم الإسلام أنحى فيه باللوم والشتيمة — مع جهل — على الأمم الإسلامية عموما ، وأفراد منها خصوصا وصور العالم الإسلامى الضعيف الأعزل المشتت بصورة الخطر المحدق بالعالم الغربى — القوى المسالم المتحد وحيث الدول الكبرى الاوروبية على الاتفاق السريع ضده لا لأعرض لمناقشتك يا م. « اشيل » فى هذه المسائل السياسية ، فإن الكلام فيها فى مثل هذه الظروف ثقيل على النفوس ، محرج للصدور ، وربما وجد أحدنا من حرية القول والنشر ما لم يجده الآخر ، وشرط المناظرة استواء المتناظرين فى امتلاك ساحات الميدان للجولان .

غير أننى لابد لى أن أنفث لك بكلمة واحدة : « أنه ما تقابلت أمة غربية وأمة شرقية إلا كان من الشرقيين عدد كثير فى أول صفوف الدولة الغربية فلم تنظر أنت وأمثالك — وأنتم قليل — إلى الشرقيين المحاربين فتجيش الصدور بمراجل الحقد ، وتتفجر الأفواه بحمم السباب ، وتعرضون عن الشرقيين الموالين المخلصين

ـ والشمال الافريقي الا فرنسي كله منهم ـ فلا تستدلون بأعمالهم على حسن نوايا الشرقيين المسلمين ؟؟ ولقد كان من العدل أن تنظروا بعينين ، ومن الكمال أن ترجحوا الاستدلال بالموالين ، على الاستدلال بالمعادين » .

ـ الخاتمة ـ

نحن اليوم في حاجة إلى الكتابات التي تقرب بين العنصرين المتساكنين في الجزائر اللذين تتوقف سعادتهما على تحابهما وتعاونهما.ولا شك أن مقال م أشيل صور المسلمين بصورة تبغض فيهم العامة من جيراتهم الفرنسيين ، فلذا رأيت من الواجب أن أبطله وأزيفه حتى لا يغتر به أحد ، ولما قمت بهذا الواجب بقي علي أن أنبه إخواني الجزائريين إلى أن أفكار هذا الرجل ليست إلا أفكار فئة قليلة من أمثاله ، لا كلمة لها في سياسة أمته غير راضين على قوله ولا مصدقين له فيه . فلنسر كعادتنا التي يفرضها علينا ديننا مع جيراننا:التعاون والتراحم والإحسان (1) .

(1) الشهاب : السنة الاولى ، العدد 12 ، ص 2 ، ع 1 ـ 3 ـ 1926 .
أعيانا البحث عن هذه الحلقة فانجدنا بها الدكتور عمار طالبي مشكورا .

المناظـــرة ـ والمهاتـــرة ...

دعانا ما نشاهده من حال شعبنا المنحطة انحطاطا لا يختلف فيه اثنان إلى العمل على ما فيه سعادته ورفعة منزلته ، فأسسنا بهـذه النية جريدة سياسية تهذيبية انتقادية . وليس هذا كـل ما يحتاج إليه الوطن ويبلغ بالشعب إلى مصاف الأمم ، ولكن اقتصرنا عـلى الأهم والأصل الذى تتفجر منه ينابيع السعادة الحقة .

عزمنا على خدمة الوطن من هذه الوجهة ـ وجهة الصحافـة ـ وبهذا البرنامج ونحن نعلم أن خدمة الأمة على هذا النحت ليست من مستطاع الفرد والأفراد القليلة ، ولكن أبرزنا عزمنا من القوة إلى الفعل ثقة بأن الأمة ـ وإن بلغت من الانحطاط ما بلغت ـ لا تخلو من أولى الإحساس والشعور بالواجب . وما ظهر مشروعنا فى عالم الوجود حتى رأينا من الأدباء والمفكرين أرباب الأقـلام البليغة والأفكار السامية ما شجعنا وحقق أملنا ، وأقام الدليـل على أن المعدن الجزائرى معدن ذهبى لا ينقطع وإن دق .

تناول كتابنا تلك المواضيع الثلاثة فخدموها بضمير طاهر وقلم نزيه وفكر ثاقب . ولكن كان موضوع الانتقاد أسعد حظـا وأوفر نصيبا ، لأن أسبابه أكثر من أن تؤثر فيها المقالات القليلة ، ولأن شأنه أظهر من أن يعاند فيه ويتحزب ضد الكاتب فيه .

ومع ظهور شأن الانتقاد من ذاته ولسان الحال فيه أقوى عاضد للسان المقال ، فإن كتابنا لم يكتفوا بذلك كله،وجمعوا إلى تصوير الانتقاد بأصدق صورة النظر الصحيح والاستدلال بالكتاب العزيز

من غير تحريف لمعناه ، وبالحديث الشريف من غير تخليط فيه بل واقفين عند حد ما اتفق الأئمة على الاستدلال به ، لا تجد لديهم للموضوعات رواجا ، فتأثر من سلوكهم هذا طائفة حدثتها نفسها بمناهضتهم ، وعجزت عن أن تسلك سلوكهم فى معارضتهم ، فكان شأنها دائرا بين تقويل الكتاب ما لم يقولوه ، وإساءة الظن بهم والقدح فى أعراضهم ، ومحاولة نقض أقوالهم بالأحاديث الموضوعة وتحريف معنى الآيات الكريمة .

فمن الأول تدليسهم على العامة بأن كتابنا أنكروا الولاية وطعنوا فى الأموات ، فهبوا يذبون عن الأولياء ويغارون على العظم الرميم ، وحشوا مقالاتهم فى هذه السبيل بما لا ترضاه الفضيلة ، ولا تجيزه الأمانة ، ولا تحله أى شريعة .

ومن الثانى ما وقف حياته على نشره الرشيد ، وعضده «صهيب» الجديد ، إلى غير ذلك من الألقاب التى شمر صحلها عن ساعد الجد للسباب ، وتستروا خشية الفضيحة بين العبيد . ولم يبالوا بما يلاقونه يوم الوعيد ، فترى الواحد منهم إذا جلس فى مجالس العقلاء أنكر ما يأتيه أصحاب الألقاب الجديدة من النبز واللمز والاعتياض عن جادة المناظرة بترهات الهاترة ، وإذا خلا مع من يرضيه هذا السلوك ممن أقصدتهم سهام الحق فلم تشوهم رضى لرضاهم،ولو كان فى رضاهم سخط الله تعالى ومقت العقلاء ، فكان على عكس ما قال الشاعر الحكيم :

اتق الله فأغبى الورى   من أغضب الرب وأرضى الورى

ومن الثالث الاستدلال بآية : « وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » فى غرض ليست الآية منه ، وحملها عليه من باب تحريف الكلم عن مواضعه ، والاستدلال بمثل : « أفضل الأعمال جلوسك بين يدي ولي » الخ ، وهو موضوع لا يتجرأ على الاستدلال بأمثاله من الموضوعات إلا من له حاجة فى نفسه يريد الوصول إليها باسم الدين

هذه سبل ثلاثة سلكتها تلك الطائفة لإيقاف حركة المصلحين المخلصين لدينهم وشعبهم، فهل جاراها كتابنا في ذلك ، وعاملوها بما عاملتهم به وقابلوها بالمثل ؟

لا ، بل ذهبوا في سبيلهم هونا وقالوا لها سلاما ، وكتبوا على أنفسهم أن لا يجيبوا إلا من أناب إلى فضيلة المناظرة وتاب من رذيلة المهاترة .

إن الخطة التي رسمها كتابنا للسير عليها إزاء هاتيك الطائفة لتنم عن حكمة ورزانة هم جديرون بهما .

فإن معارضيهم ما أرادوا بمعارضتهم بتلك الطرق الدنيئة إلا تحويل وجهتهم عن غايتهم الشريفة إلى الاشتغال بتزليف أراجيفهم التي ليس لها تمرة ، ولا في الاعتناء ببيان قيمتها شيء من خدمة الأمة .

إن لمشروعنا مبادىء صحيحة ، ولنا غاية شريفة ، فما علينا إلا أن نسير على تلك المبادىء إلى تلك الغاية بضمائر طاهرة، وأقلام نزيهة، حتى نكون قد قمنا بواجبنا الوطني بصدق وإخلاص ، ونترك لمن بعدنا نموذجا صالحا وتراثا طيبا وثمرة سائغة .

ومن عارضنا في سيرنا بفكر ونظر وقصد حسن قبلنا صوابه وأعلنا بالامتنان له وأوضحنا خطأه وشكرناه على حسن قصده .

ومن سلك معنا سبيلا من تلك السبل الثلاثة أعرضنا عنه، وتركنا للعقلاء الحكم عليه ، وفوضنا للجيل المقبل النظر في صنيعنا وصنيعه، والتمييز بين ما أهديناه له وما أهداه له اخصامنا.

فلنثبت على سيرنا ، وليثبت الأخصام على سيرهم إن شاءوا ، وليعمل كل على شاكلته ، فكل ميسر لما خلق له .(1)

ش : ع 15 ــ 5 شعبان 1344 هـ ــ 18 فبراير 1926 م .

مؤتمر مكة :

يا جمعية الحرمين ما هذا السكوت ..؟!

أرسل ملك الحجاز فى 12 رمضان الماضى البرقية الآتية إلى ملوك العالم الإسلامى وأمرائه وجمعياته العلمية والدينية ، والذى أرسلها إليه من الجزائريين هو العالم الفاضل الشيخ مصطفى شرشالى قاضى بلدة تيزى وزو ، كما وقفنا على ذلك فى جريدة « أم القرى » وجريدة « الأهرام » ، ونظن سبب توجيه البرقية إليه شهرة اسمه بمكة المكرمة بسبب المدة التى كان أقامها بها ، ولصفته الشرعية ، ولكونه عضوا لجمعية الحرمين الشريفين .

وها هى البرقية بنصها نقلا عن الجريدتين المذكورتين :

« خدمة للحرمين الشريفين وأهلهما ، وتأمينا لمستقبلهما ، وتوفيرا لوسائل الراحة للحجاج والزوار ، وإصلاحا لحال البلاد المقدسة من جميع الوجوه التى تهم المسلمين جميعا ، ووفاء بوعودنا وعهودنا التى قطعناها على أنفسنا ، وميلا منا فى تكاتف المسلمين وتعاضدهم فى خدمة هذه الديار الطاهرة ـ رأينا الوقت المناسب لانعقاد مؤتمر عام يمثل البلاد الإسلامية والشعوب الإسلامية يكون فى 20 ذى القعدة سنة 1344 ، وقد أرسلنا الدعوة لكل من يهمه أمر الحرمين من المسلمين وملوكهم، وأملي أن مندوبيكم يكونون حاضرين فى التاريخ المحدد .

والله يتولانا جميعا بعنايته .

ملك الحجاز سلطان نجد ، عبد العزيز »

كنا نشرنا مقالا خاطبنا فيه هاته الجمعية أيام جلسته الأخيرة بالجزائر ، وذكرناها فيه بالواجب عليها فى شأن تمهيد طريق الحج ومؤتمر الخلافة ومؤتمر مكة ، ثم لم نسمع منها إلى اليوم صوتا ولم نر لها عملا ، وها نحن اليوم نعيد تذكيرها وخصوصا بهذا المؤتمر الذى سيفصل فى أمر الحرمين الشريفين الذى تضيف الجمعية نفسها إليهما ولم يبق لتاريخ انعقاده إلا قليل .

أيتها الجمعية الموقرة ، إن سكوتك هذا عن القيام بالواجب عليك جناية على نفسك ، وعلى الأمة ، وعلى فرنسا نفسها .

إن فرنسا تبذل الأموال والجهود لتحسين سمعتها بالشرق وبالعالم الإسلامى خصوصا ، وما يقول الناس ؟ وما تكتب الجرائد؟ عندما يرون أمم شمال افريقيا الإسلامية ـ دون غيرها من المستعمرات الابريطانية مثلا ـ متعطلة عن الحج غير ممثلة فى هذا المؤتمر الدينى المحض الذى يحق لكل أمة مسلمة ويجب عليها أن تحضره لتعلقه بالأرض المقدسة عند جميع المسلمين والمشاعة بينهم.

إن لفرنسا بالشرق والعالم الإسلامى منافسة كبرى ومزاحمة جبارة تعمل دائما باقتدار وبراعة على تضعيف نفوذ فرنسا وتشويه سمعتها ، وسواء أحببنا أم كرهنا فإن الحقيقة هى أنها كثيرا ما فازت عليها ! ولا سبب لذلك إلا قصور أو تقصير من بعض الممثلين فى الخارج ، وبعض الرسميين ـ مثلكم ـ فى الداخل .

أيتها الجمعية الموقرة: إننا لا نحب أن تكونى ـ باسمك الشريف ـ ثقلا على كاهل الجزائر تحمل منته ، ولا تجنى ثمرته .

أيتها الجمعية الموقرة ؛ إن جمعية تسمى ـ جمعية الحرمين الشريفين ـ ولا تشتغل بشأن الحرمين الشريفين،مهزلة سياسية ينزه عنها مركزك الذى هو دينى فيما يظهر لنا .

فإما أن تعملى بمقتضى اسمك فتؤدى الواجب عليك نحو نفسك ونحو المسلمين ونحو فرنسا نفسها ، وإما أن تبدلى اسمك مما شئت، وتريحى نفسك وتريحينا من عناء الخطاب ومرارة العتاب . ونحن لك فى كلتا الحالتين من الشاكرين باحترام .[1]

(1) شى : ع 26 ـ 30 شوال 1344 هـ ـ 13 ماى 1926 م .

في بحـــر عـــام

« أعمـالنـا وآمـالنـا »

نحن اليوم على عتبة السنة الثانية في حياتنا الصحافية ، ننظر إلى مستقبل مملوء بالآمال ، وإلى ماض ما فيه إلا قليل من الأعمال ، غير أن ما حققناه رغم كل الصعوبات في هذه السنة من قليـــل العمل ، يبعث فينا الرجاء القويّ في أن نحقق مع الأيام ـ بإذن الله ـ كثيرا مما لنا من الأمل .

في السياســـة :

قد تأسست هذه الصحيفة على أن تخدم الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية ، فكانت في جميع مواقفها ترمي بنفسها في سبيل الأمة حيث تعطب وحيث تسلم ، وكانت في جميع مواقفهـا متشبثة بالجمهورية الفرنسوية ،مستصرخة عدلها وإنسانيتهـا ، مستعينة بها على كل من يخرج عن مبدا الحرية والأخوة والمساواة .

غير أن هذه الصحيفة كان لها من الصدق والصراحة والحـــزم والصرامة ما لم تعرفه الجزائر قبلها ، فكان غير مستغرب أن يثير الشكوك فيها رغم صراحتها ، وأن يخلق لها أضدادا ومنافسين . وقد لقيت من جراء ذلك ما لقيت مما كان ـ عند ضعاف العزائم ـ عذرا كافيا في النكوص أو السكوت .

من حسن صنع الله للأمة أن يكون على رأس إدارتها رجال أهل خبرة ورزانة ، يتعمقون في البحث عن الأمور إلى قراراتها . ولقد

كان من هؤلاء أفراد فى هذا القطر ، وأولئك كانوا محل رجائنا فى أن تفهم الحكومة غايتنا وحقيقتنا ، ونحن بعد أن أمضينا سنة كاملة بالصدق والصراحة فيما قدمناه من مبدئنا - لا نشك أنهم قد حققوا ذلك الرجاء .

إننا سنثابر على مبدئنا،آملين أن نكون من أقوى العاملين على الاتحاد الأخوى الفرنسوى الجزائرى المبنى على أساس الجمهورية وكلماتها الثلاث الخالدات ، وإننا نعلم أننا نجد من الحكومة على ذلك استحسانا وتأييدا ، وأننا لا نجد من الجزائريين عليه إلا معينا ونصيرا ، وإذا وجدنا معرقلات فى ذلك فإنها لا تكون إلا من حزب الاستعمار بشرهه واثرته وأنانيته ، ومن كثير ممن بيدهم السلطة خارج المدن الذين ينفذون باسم فرنسا ما ليس من مبادئها فيتركون أثرا سيئا فى القلوب ، ونحن فى سبيل الاتحاد الأخوى المنشود سنكون لجميع هؤلاء من ألد الخصوم .

فى التهذيب :

من المعلوم أنه لا يكون تهذيب إلا بإنارة العقول ، وتقويم الأخلاق ، وتطهير العقائد ، وقد كان فيما نشرناه لكتابنا ونقلناه عن غيرنا جانب وافر فى تحصيل ذلك .

قد رأينا - ونحن أمة مسلمة - أن نسعى لتهذيبها من طريق الإسلام ، ولم نشك قط أن الإسلام ليس هو ما تمثله بسيرة مجموعها وأفرادها ، وأن الإسلام إنما هو فى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما كان عليه سلفها من أهل القرون الثلاثة المشهود لهم بالخيرية على لسان الصادق المصدوق ، فصمدنا ندعو الأمة إلى الرجوع إلى هذه الأصول،وطرح كل ما يخالفها من قول وعمل واعتقاد .

لقد كان يسهل الرجوع إلى هذه الأصـــول التى معرفتها مـــن ضرورات الإسلام ـ لو كانت بقيت لها صورتها الحقيقية فى الأذهان، ومعناها الحقيقى فى القلوب ، وبقيت كذلك متداولة متناقلة بين الناس ، ولكن ـ ويا للأسف ـ لم يكن الأمر كذلك لا فى كثـــير ولا فى قليل .

أما السلف فكل من مات ممن تقدم هؤلاء الأحياء فهو سلف ..! وكل ما جاء عنهم فهو حق ، سواء أوافق أم خالف كلام السلـف ، وتفضيلهم على السلف إذا سلم منه أحد فلا يسلم إلا القليل المتعلمون.

وأما السنة فكتبها مجهولة ومهجورة ، ولا يسمع الناس إلا صحيح البخارى عند احتباس الغيث ! نعم ، ما أكثر ما تجد فى أيدى العامة وأشباه العامة الضعيف والموضوع المأخوذ من كتب القصص والمناقب والحكايـات .

وأما الكتاب أصل الهداية والميسر للذكر ـ فقد اتخذه القوم ـ والله ـ مهجورا ، وزعموا الاحتجاج به والدعوة إليه قولا منكورا ، وقالوا : إننا لا نفهمه ! فجاءوا ظلما وزورا .

هذه حالة السواد الأعظم إلا القليل النادر، وما أخفاه فينا ! ومع هذا فلقد كانت هداية العامة قريبـــة لولا ساداتهـا وكبراؤها ، والذين لا يعيشون إلا على جهلها ، ومن لهم غرض فى بقائها على حالهـا .

صدعنا ـ رغم هذه الحالة ـ بعقيدتنا ، ونشر دعوتنا إلى مبدئنا، فلبى الدعوة علماء وكتاب ، ووقف فى وجهها قوم آخرون ، فكانت معركة قلمية دامت سبعة أشهر، واتسعت دائرتها حتى تقحمها كل من حدثته نفسه بالكتابة ، ومن لم يعرف اسمه قبلها على صحيفة ، وكثر سلاحها حتى استعملت فيها سهام الوشايات والرمي بالكفـر الضلالات، بله المعاصى والمنكرات ، ولقد كانت تستمـر كذلك

ـ والإثم على فاعله ومعينه ـ لولا ما عرض مما اقتضى تحويل الدعايا الإصلاحية من ذلك المجرى إلى أساليب أخرى ، فغير « الشهاب » أسلوبه وهو ثابت على مبدئه ، راسخ فى عقيدته ، قد زعزع عقائد كانت تحسب من صميم الإيمان ، ونسف صروحا مشيدة من الخرافات والأوهام ، ووضع الأساس للإصلاح الدينى فى هاته الديار ، وزرع البذرة الأولى لتطهير العقائد وتحرير الأفكار ، وهو يأمل أن يستمر على تشييد ما أسس، وتنمية ما بذر، حتى يتفيأ ظلال بنائه ، ويجتنى ثمار غرسه جميع إخوانه المسلمين الجزائريين ، وما ذلك على العاملين المخلصين ـ بإذن الله ـ ببعيد .

الانتقاد :

لا يكون إصلاح إلا بالانتقاد ، فلذلك وجدنا أنفسنا فى خطتنا مضطرين إليه ، وقد كانت منا انتقادات سياسية واجتماعية وأدبية ودينية . وقد كانت وجهتنا الأولى فى النقد الدينى هى الاعتقادات، ولقد كان همنا الأول تطهير عقيدة التوحيد من أوضار الشرك القولى والفعلى والاعتقادى ، فإن التوحيد هو أساس السلوك، ولذلك ابتدئى بـ : « إِيَّاكَ نَعْبُدُ » قبل « اِهْدِنَا » فى فاتحة القرآن العظيم.

هنا اصطدمنا بزعماء الطرق وشيوخ الزوايا الاصطدام المعروف ، لأنه إذا خلص التوحيد توجه الناس إلى ربهم الذى خلقهم وتركوهم،واعتقدوا فيهم أنهم مخلوقون مثلهم لا يضرون ولا ينفعون،إلى غير هذا مما ينتجه التوحيد الصحيح من تحرير العقول والأرواح والقلوب والأبدان .

إننا نصرح أمام الله والناس أن هؤلاء القوم إخواننا فى الدين والوطن ، نحب لهم ما نحب لأنفسنا،ونكره لهم ما نكره لها ، وإننا إذا قلنا كلمة الحق فإنما نقولها على وجه النصح الذى فرضه الله على المسلمين ، غير زارين عليهم فى شخصياتهم،ولا قادحين فى شأن

من شؤونهم الخاصة بهم ، والحكم فوق الجميع هو كتاب الله وسنة رسوله وعمل سلف الأمة الصالحين . وإذا رضى إخواننا بهذا الحكم — قولا وتطبيقا — فإننا نرجو رجاء قويا حصول الخير العميم للجزائريين ، وأن يكونوا هم من أقوى أنصاره المؤيدين .

الخلاصة :

إن « الشهاب » سيسير على خطته،ثابتا على مبادئه ، مراعيا مقتضيات الحال والزمان والمكان بسياسة حكيمة ، وتهذيب راق ، وانتقاد نزيه ، يوالى الحق والإنسانية ، وينصر أنصارهما من كل جنس ودين ، ويعادى الباطل والوحشية،ويحارب أنصارهما من كل جنس ودين ، يمجد الحرية والعدل والأخوة من كل إنسان ، ويمقت الاستبداد والظلم والشقاق من كل إنسان ، وله من ثقته بالله ثم بنفسه وأنصاره خير معين وأقوى نصير (1)

« النخبة »

(1) ش : ع 32 — 11 ذى الحجة 1344 هـ — 1926/6/24 م — ص 1 .

شيــوخ الأمــس واليـــوم

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله .

الشيوخ المتقدمون رحمهم الله كانوا فى مجموعهم أهل علـم وصلاح ،علموا الناس وذكروهم،وماتوا ولـم يتركوا من حطـام الدنيا إلا القليل أو لم يتركوا شيئا ، فرحمهم الله وجازاهم الله خـيرا ، لا نذكرهم إلا بخـير ، ولا نتعرض لهم إلا بوزن ما جاءنا عنهم من الأقوال والأعمال والأحوال بميزان الكتاب والسنة ، فما وافق قبلناه وما خالف طرحناه ؛ ونحن فى ذلك موافقون لوصاية أكبر الشيوخ الزهاد المتقدمين الإمام الجنيد رحمه اللـه لما قال : أمرنا هذا مقيد بالكتاب والسنة .

ولوصاية كبير من أشهر المتأخرين الشيخ التجانى رحمه الله تعالى لما قال :«اعرضوا ما جاءكم عنى على الكتاب والسنة فما وافق فاقبلوه وما خالف فاضربوا به عرض الحائط». وقد قال إمام الأئمة ونجم السنة مالك بن أنس رحمة الله عليه:كل أحد يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر . يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، أما شيوخ اليـوم فإنهم أعرضوا عن العلم وأقبلوا عـلى جمع الحطام، وأعرضوا عـن الكتاب والسنـة وأقبلوا عـلى كتب منسوبة إلى المتقدمين،متمسكين بكل ما فيها من غث وسمين ، ودعوا إلى طرقهم المتعددة المتشعبة كل يرى طريقته على الحق وغيرها على الباطل ، فأحدثوا العداوة والفرقة بين المسلمين،وأنسوهم الوحدة الإسلامية التى تجمعهم .

فهؤلاء إخواننا فى الإسلام . نحب لهم ما نحب لأنفسنا، ونكره لهم ما نكره لأنفسنا ، كما يفرضه علينا الإسلام . فلهذا ندعوهم بدعاية الله إلى كتاب الله وسنة رسول الله وما كان عليه السلف الصالح من هذه الأمة . فنقول لهم : يا أيها الجاهلون المتقدمون أن التقدم لا يكون إلا بالعلم فتعلموا وتقدموا . ويا أيها المتكاسلون عن العمل المنتظرون لأوساخ الناس والآكلون لأموالهم بالباطل اعملوا واكدحوا وكلوا خبزكم بعرق جبينكم، وتقوتوا من كد يمينكم، ويا أيها المعرضون عن كتاب الله وسنة رسوله ارجعوا إلى دينكم من الكتاب والسنة فإنه لا نجاة إلا بهما ، ولا خير إلا فيهما، واجعلوهما حجة على غيرهما، ولا تجعلوا غيرهما حجة عليهما . ويا أيها الذاهبون فى سبل متعددة متباينة اعدلوا عن بنيات الطريق، واسلكوا الجادة، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ، فإنكم ما دمتم على هذه النسب المتباينة يضلل بعضكم بعضا ، وينفر بعضكم من بعض، لا يرجى لكم اتفاق ولا اتحاد . فارجعوا إلى اسم الإسلام الذى يجمعنا ، وطريقه الوحيد المستقيم الذى كان عليه محمد وأصحابه والصالحون أسلافنا ، وكتابه النور والتذكرة والتبصرة الذى نجتمع عليه ونتفق على الاهتداء به ويطمئن قلب كل مؤمن إليه .

هذه دعوتنا لإخواننا ، هؤلاء الذين اتخذوا دينهم لعبا ، وذهبوا فيه طرائق قددا ، ونحن لا نضمر ــ والله يشهد ــ لأحد المسلمين بغضا ولا حقدا ، بل لا ننطوى لهم إلا على الحب والشفقة والإخلاص. رَبَّنَا اَغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلاَ تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِلذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

قاله وكتبه خادم العلم وأهله صبيحة الأحد 22 شوال 1345 ببلدة تلمسان حماها الرحمان الرحيم، بطلب من الأخ فى الله سيدى

محمد بوصالح وجماعة من المحبين فى الله . راجيا فى ذلك ما يرجوه
كل داع إلى الله ودينه القويم،والسلام (1) .

(1) الشهاب العدد 99 ، يوم الخميس 2 ذى الحجة 1345 هـ 2 جوان 1927 م .

دعـــوة إلى الحسنـــى

فهـــل مـــن مجيـب ؟

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (قرآن كريم) .

« المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقـره، التقوى ههنا ــ ويشير بيديه إلى صدره ، ثلاث مـرات ــ بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم. كل المسلم على المسلم حرامٌ دمه وماله وعرضه » (حديث شريف) .

مهما اختلفت مذاهب المسلمين وتشعبت طرقهم وكثرت فرقهم، فإنهم ــ بحمد الله ــ متفقون على أصل دينهم الذى لا يكون أحد من أهل الدين إلا به . ذلك الأصل الذى بينه حديث جبريل فى بيان الإيمان والإسلام والإحسان لما جاء يعلم المسلمين دينهم . فكلهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وكلهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضـان ويحجون البيت متى استطاعوا إليه سبيلا ــ أو يقرون بذلك وإن لم يفعلوا ــ وكلهـم يقولون بلسان المقال أو بلسان الحال : رضينا بالله ربا، وبالإسلام دينا، وبمحمد صلى الله عليه وآله وسلم رسولا . فقـد حفظـوا ــ بفضل الله ــ مما لم يحفظ منه غيرهم : من الخلاف فيما يكون به المسلم مسلما، قد كان من مقتضى تفاوت النظار فى القوة الفكرية من أصل الفطرة ، وتباينهم فى العدة العملية بحسب الزمان والمكان

والبيئة ـ إن اختلفوا ، كما قد كان من مقتضى عوامل سياسية داخلية فى تاريخ الإسلام ، ودسائس أجنبية من جمعيات سرية تعمل على هدمه متسترة باسمه ـ إن افترقوا ، ولقد كان افتراقهم السبب الأول الأقوى لجميع البلايا والمحن الداخلية والخارجية التى لحقتهم فى جميع أجيالهم أيام قوتهم وأيام ضعفهم ، وإن فى تاريخهم لعبرة،وإن فى أنبائهم لمزدجرا .

حق علينا ـ معشر الجزائريين ـ اليوم أن نتدبر تلك العبر، وأن نزدجر عما فى مصائب الفرقة من خطر ، فقد قامت بين كتابنا خلافات فى مسائل دينية ؛ أدت إلى افتراقات حزبية حتى خرجت ببعض الكتاب من الجانبين إلى مراعاة بسهام التشاؤم وقذائف السباب مما لا ترضيه مروءة ؛ ولا يسيغه عقل ولا دين . لا نريد ـ ونحن فى موقف الدعوة إلى الحسنى ـ أن نذكر من المبادىء ولا من صاحب القسط الأكبر من ذلك الفحش والبذاء ؛ مما يعيدنا إلى ما نود طرحه والإعراض عنه، وإنما نقول لجميع الكتاب من الجانبين بلسان الدين والأخوة الإسلامية،هاته الكلمة : اقلعوا عن المهاترة والمشاتمة والمغامزة والملامزة مما هو حرام بإجماع المسلمين، واسلكوا فى المناظرة طريق القرآن الكريم بيان لقول الخصم بدون تعرض لشخصه وإقامة للحجة التى ترده عليه مع حسن السلوك والقصد فى الوصول إلى الحقيقة ، والإذعان لها إذا ظهرت على أى لسان ، ومع الشعور بأن الراد والمردود عليه إخوان يريد كل واحد منهما أن يهدى أخاه إلى ما يراه خيرا له،ويصرفه عما يراه شرا ؛ لأنه ـ كما يأمره ، الإسلام ـ يحب لأخيه ما يحب لنفسه ، ويكره له ما يكرهه لها،فإن من لم يحسن القصد والسلوك يكون خابطا أو مرائيا ؛ ومن لم يكن ذا إذعان للحقيقة يكن معاندا ، ومن لم يشعر قلبه روح الأخوة ينقلب عدوا مؤذيا،ومن اتصف بهذه

الصفات أو بعضها كان شرا وبلاء ـ والعياذ بالله ـ على نفسه وعلى غيره في قوله وعمله وكتابته .

نقول هاته الكلمة الحقة البارة لجميع الكتاب،راجين أن يقبلوها ويعملوا بها ، وإننا سنكون أول عامل بها . فلا ننشر ـ كما لم ننشر ـ يخرج عن دعوتها (1) ، ونحسب أن سيكون العمل بها ـ إن شاء الله تعالى ـ سببا في زوال الفرقة إن لم يكن سببا في إزالة الخلاف (2) .

(1)كذا في الاصل والواضح :ما يخرج عن دعوتها .

(2) الشهاب العدد 102 ، 23 ذى الحجة 1345 هـ 23 جوان 1927 م ·

أخ جديد فى الاسلام (1)

فى يوم من أواخر شهر رجب الماضى (1346) ، زارنى فى إدارة جريدة (الفتح) شاب فرنسى ، فى الثامنة والعشرين من عمره ، يحمل إلي كتابا من صديقي الشيخ عبد الحميد بن باديس ، قائد الحركة الفكرية فى الجزائر ، وزعيم النهضة الإصلاحية هناك .. وهو يثنى فى كتابه الثناء الأوفى على حامل كتابه : (المسيو جان مرسال بوسار) . ويقول : إنه من أسرة سرية ، وبيت وجيه .. وقد شرح الله صدره للهداية الإسلامية ، فأنس بها وتشربتها نفسه .. فعزم على أن يهاجر بعقيدته هذه إلى بلد بعيد عن أسرته .. فاختار الإقامة فى القاهرة ، ليعيش فيها ساعيا لدنياه وآخرته معا ، وهو أهل للثقة والكرامة ..

ذلك أول عهدى بصديقى السيد (يحيى عز الدين) ــ أخينا الجديد فى الإسلام ــ وهو الشاب الفرنسى ، الذى نعلن فى (الفتح) أنه يعلم اللغة الفرنسية .. ومن الأهمية بمكان أن تعرف رأيه فى حالة المسلمين الحاضرة ، بالقياس إلى ما عرفه من فضائل الإسلام ، التى حببت إليه هذا الدين ، وجعلته يؤثره على غيره .. فهو يرى أن من حق الإسلام على المسلمين أن يكونوا هم أنفسهم مسلمين ، (حقا وصدقا) ليكونوا قدوة لغيرهم فى الإقبال عليه ، والانتفاع بمبادئه وتعاليمه .. أما الذى هم عليه الآن فهو الغفلة العميقة ،

(1) الحقنا هذا الفصل بآثار الامام لتعليقه عليه وأدرجناه فى باب (الاصلاح) .

والسبات الطويل .. يسيرون فى طريق الهلاك ـ الذى هرب منه (المسيو جان بوسار) .. لاجئا إلى طريق النجاة ، الذى شرعه الإسلام .. « وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً .. » والمسيو جان بوسار ، أو السيد يحيى عز الدين ـ كما يريد أن نسميه الآن ـ يعد محاضرة طويلة ، سيلقيها عما قريب ، فى نادى جمعية الشبان المسلمين ، عن الأسباب التى حملته على أن يكون واحدا منهم .. وماذا رأى فى الإسلام مما حببه إليه ، وجعله يؤمن بتعاليمه .. ولعل هذه المحاضرة ستكون طويلة فيلقيها فى يومين .. يوجه الكلام فى أحدهما إلى المسلمين ، داعيا شبانهم وشيوخهم إلى أن يكونوا مسلمين حقا .. ليحسنوا إلى الإنسانية كلها ، وينقذوها من شر مستطير ، أوشكت أن تقع فيه ..

ويوجه الخطاب فى اليوم الثانى إلى غير المسلمين ، معارضا بين ما كان فيه وما صار إليه .. موازنا بين حقائق الحياة كما كان ينظر إليها قبل إسلامه ، وكما صار ينظر إليها بعد إسلامه ..

ذلك هو الشاب المهذب ، العميق التفكير ، الذى أعرب بثلاث كلمات قالها بين يدي فضيلة الأستاذ الشيخ محمد محمود قراعة ، فى محكمة مصر الشرعية ، يوم السبت رابع رمضان ، سنة 1346 .. وهى :

ـ « أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله » .

ـ « وأن سيدنا عيسى عبد الله ورسوله .. » ثم قال :

ـ « برئت من كل دين يخالف دين الإسلام .. وأشهد على نفسى بذلك .. » .

فأصدرت المحكمة الشرعية بذلك إعلانا رسميا .. (سجل فى وزارة الحقانية ، طبقا للإجراءات الجارى بها العمل ..) وبذلك

أصبح السيد يحيى عز الدين عضوا فى الاسرة الإسلامية .. منذ نحو أسبوعين .. وكان كذلك بنظـر نفسه وبنظرنا أيضا ، منـذ أكثر من شهرين ..

فأهنئه بما كتب اللـه لـه من الخير ، وما يسره له من الهدى ، وأرجو الله أن ينفع بإيمانه المسلمين ، وأبناء الإنسانية جميعا ..

(محب الدين الخطيب ـ مجلة الفتح) .

تعليـق (الشهاب) :

هكذا يفقه الإسلام من ينظره بالعلم والإنصاف من الغربيين ، فيفوز بهدايته .. بينما أبناء الإسلام الذين مضت عـلى إسلامهم قرون فيه .. لا يحملون منه إلا اسمه ، لجهلهم بحقيقته ، وعدولهم عن طريقته .. ومن جميل الاتفاق أننا يوم تناولنا صحيفة «الفتح» الهادية من البريد وقفنا فى صحيفة (لاديبيش) على خبر من لندرة فيه أن خمسين من سراة الانقليز أسلموا بمناسبة زيارة جلالة أمان الله خان لانقليترا .. وهكذا ينتشر دين الله بلا دعاية ولا تبشير ..

وللأخ المجاهد الأستاذ محب الديـن الخطيب ، صاحب (مجلـة الفتح) الهادية ، شكر الإسلام والمسلمين ، والجزاء الأوفر من رب العالمين (1) ..

(1) الشهاب الاسبوعى عدد 142 ـ 21 شوال 1346 هـ ـ 12 افريل 1928 ..

يتكلمون بما لا يعلمون

إن الجاهل بالشيء جاهل به،ولو كان من أعلم الناس بغيره ، وما علمه بما علم برافع جهله فيما جهل . إن هذه لحقيقة من الوضوح بمكان . ولكن يحتاج إلى تكرار ذكرها بقدر ما يتكرر من وقوع مخالفتها . إن الناس قسمان : الجاهلون بكل علم ، والعالمون وليس منهم من يعلم كل علم . ومن العجيب أن أهل الجهل أعرف بجهلهم فلا يتكلمون فيما لا يعلمون . وأما أهل العلم فكثير منهم يتجاوزون حدود علمهم فيتكلمون بما لا يعلمون . فكأن الجاهلين آيسوا من العلم ولم تكن لهم شبهة فأحجموا،وكأن هؤلاء اغتروا بما عندهم فقالوا فيما غاب عنهم فأقدموا،وذلك هو الغرور المبين .

قد لا أكون ـ أنا كاتب هذه السطور ـ سالما من هذا العيب ، ولكن ذلك لا يمنعني من أن أذكره لأحذره وأحذر منه . خصوصا إذا رأيت شره قد مس العزيزين علي : ديني ، ووطني ، وقد رأيت ذلك هذه الأيام من ثلاث جهات فأردت أن أعرض لها في هذا الفصل :

الجهة الاولى :

نشرت « مجلة الرابطة الشرقية » في عددها الثالث من المجلد الثاني مقالا بإمضاء (علوى) عرض فيه كاتبه للخلاف الواقع بين العلويين الأشراف الحضارمة ، والإرشاديين في جاوة وسنغافورة، وقبل أن يدخل في موضوعه ذكر « الجزائر » لينظر بها فقال :

« إليك نبأ عن الجزائر، فإن في أرجائها حركة تحسبها حركة

نهوض لشعبها العربى الذى ... إلى صورة مشوهة من العجمة بالعسف والجهل وعدم المعونة على سلوك سبيل الحياة .

وتدهش إذ تعلم أن الحركة الجزائرية بمظاهرها من نقاش على صفحات الصحف والمجلات هى حركة مفاضلة بين شيخين من شيوخ الطرق الصوفية هنالك ، أيهما أصح نسبا وأنفذ أمرا وأقدر على الكرامات والخوارق » .

الحقيقة التى يعلمها كل أحد أن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم برزت جريدة « المنتقد » المعطلة بقرار وزيرى ، فمن يوم ذلك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل . ولم تكن الجريدة أسست للدفاع عن أحد ، وإنما أسست للمبدأين اللذين لا يزالان مكتوبين على سفر هاته المجلة إلى اليوم . ثم كانت مخاصمات ضرورية فى مبدأ كل نهوض،ثم تقررت المبادىء وعرفت الخطط ورجع الجميع ـ فى الغالب ـ إلى العمل فى دائرة الإخاء والتسامح والتفاهم بالحسنى . ولم تكن قط فى الجزائر هاته الصورة التى ذكرها الكاتب من الخصومة على المفاضلة بين شيخين،ولكن صاحبنا تخيل فخال ، وجازف المقال . وبدل أن يقتصر فى كتابته على جاوة التى يعرفها ـ إن كان يعرفها ـ جاوزها إلى الجزائر التى لا يعرفها فكان من الخاطئين .

الجهة الثانية :

كتب الأستاذ سلامة موسى فى كتاب « تاريخ الفنون وأشهر الصور » فى فصل « الفنون الإسلامية » يقول : « وقد نزع الإسلام نزعة توحيدية،وجعل للتوحيد المقام الأول فى الإيمان،فتأثرت الفنون من هذه الناحية بحذف كل ما يختص برسم الإنسان أو الحيوان أو نحت تماثيلهما . وذلك لأن الصور والتماثيل تومىء إلى الأوثان التى يخشى على التوحيد منها . ولكنا نجد أمتين

إسلاميتين هما : الفرس ، ومصر (مدة الفاطميين) تسامحتا بعض التسامح فى الرسم والنحت،حتى كانت ترى فى قصور الفاطميين مناظر الرقص والصيد والغزلان ، وكانت كتب الفرس وقصورهم تزين أيضا بصور الحيوان والنبات . ولكن هذا لا يطعن فيما نثبته من معارضة الإسلام لهذين الفنين،بل هو أجدر أن يؤيد ما قلناه ، وذلك لأن فارس ليست سنية،وكذلك مصر أيام الفاطميين كانت شيعية . والتشيع نوع من الانشقاق عن الإسلام،وخروج على جمهور المسلمين » .

لا شك أن حضرة الكاتب يجهل أن جمعا كبيرا من علماء الإسلام لا يمنعون من الصور ما كان مثل رقم فى ثوب ، وإنما يمنعون ما كان تمثالا تام التصوير ، وليس جهله بهذا هو الذى يدعونا إلى الإنكار عليه . ولكن قوله : « والتشيع نوع من الانشقاق عن الإسلام » هو الجدير بكل إنكار . فقد حسب نفسه لما عرف شيئا من تاريخ الفنون أنه عارف بمذاهب الإسلام ، فحكم على الشيعة بالانشقاق عنه . وهذا الكاتب لم يكفه أن ينفى ــ فى أكثر ما يكتب ــ عن الإسلام كل ما يحسبه فضيلة،حتى جاء يحاول أن ينفى عنه أمما كاملة من أبنائه،ونعوذ بالله من سوء القصد وقبح الغرور.

الجهة الثالثة :

قوم من بنى جلدتنا مرقوا من جنسنا ــ وهم أحرار فيما يفعلون ، ورفضوا شريعتنا ــ وهم أحرار فيما يفعلون . ثم نصبوا دعاية لهذا الرفض وهذا المروق،يزعمون أن ما فعلوه مما لا يأباه الإسلام ، ويرمون كل من لم يوافقهم بالجمود والتعصب .

ليعلموا ــ أولا ــ أن كاتب هذه السطور وبنى دينه وجلدته يحترمون جميع الأجناس البشرية ، ويقدرون الحق والعدل فى جميع القوانين الأممية ، ويدعون لهؤلاء السادة وما اختاروه

لأنفسهم،غير أنهم ينكرون هذه الدعاية المريضة التى يتقول فيها على الإسلام بغير علم،ويرمى فيها علماءه بالجهل والتعصب والجمود.

أيها السادة ــ مع احترامى لكم ولما اخترتموه لأنفسكم ــ أقول لكم بغاية الصراحة : إنكم تجهلون أصول الإسلام،لأنكم لم تتعلموها، وانكم ــ بضرورة ذلك ــ مخطئون فيما تنسبونه إليه ، وان الناس لعلمهم بذلك منكم ، لا يغترون بشىء مما تقولون .

خير لكم ــ أيها السادة ــ أن تسلكوا فى دعايتكم مسلك البيان للمنافع الدنيوية التى تحصل للناس بموافقتكم ــ إذا كانت ثـم منافع ــ وتضربوا الأمثال لذلك بما حصل لكم بالفعل من الميزان كان قد حصل ، وتدعوا أمر الدين والفتوى لأهلهما ، وأنتم لـو سلكتم مسلك الدعاية بالدنيا لما عرضت لكم ، ولكن لمـا أخذتم تدعون باسم الدين لم يسعنى إلا تنبيهكم بهذه الكلمات ، وعساكم ــ لما كنتم ترغبون من علماء الدين أن يجاوبوكم ــ أن تتلقوا منى هذه الآيـة القرآنية الكريمة ، وهذا الحديث النبـوى الشريف ، كتحقيق لرغبتكم واعتبار لهـا . وثقـوا مـع ذلك باحترامى لأشخاصكم ، وتقديرى لمـا هنالك بيننا مـن روابط شخصية أو عمومية هى غير ما نحن بصدده .

قال اللـه تعالى : « فَلَا وَرَبِّـكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُـمَّ لَا يَجِدُوا فِى أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا » وأين الرفض من هذا التسليم .

وقال سيدنا ومولانا محمد ــ صلى اللـه عليه وآلـه وسلم ــ : « .. ومن ادعى إلى غير أبيه أو انتهى إلى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين،لا يقبل اللّٰه منه يوم القيامة عدلاً ولا صرفـاً » رواه مسلم والبخارى فى صحيحهما مـن طريق عـلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه .

ثبتنا اللــه بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة إنــه الحليم الكريم (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 6 ، غرة رمضان 1348 هـ ـ فيفرى 1930 م .

مـــا هكـــذا عهدنـــا أدب صروف

وقفت في جزء فيفرى الماضى من مجلة « المقتطف » الكبرى على مقال من قلم تحريرها تحت عنوان « مفاخر اور الكلدانيين » جاء فيه قول كاتبه : « لقد جاء فى بعض الخرافات العربية القديمة أن عاصفة من الرمل طمرت مدينة عاد فأصبحت بعد العاصفة ولا عين لها ولا أثر » .

لا نشك أن كاتب المقال ليس مسلما ، كما لا نرتاب أنه لا يجهل أن قصة عاد من قصص القرآن ، فتعبيره عنها بالخرافة مـــن سوء الأدب الذى مـــا عهدنا فى المرحوم الدكتور صروف الذى كان فى علمه وفلسفته وشدة تحقيقه دينـــا صحيح التدين محترما لكتب الأديان ، هذا من الوجهة الأدبية . وأما من الوجهة العلميـــة فإن الحكم على قصة مشهورة متواترة عند أمة بأنها خرافة بدون بحث ولا تدليل ليس من شأن العلماء المحصلين .

ثـــم ــ بعد هذا ــ نقول فى تحقيق هذه القصة القرآنية ــ إن القرآن العظيم كما يسلك فى أدلته العقلية أقرب طريق وأوضحه، كذلك يسلك فى تذكيره أصدق المواعظ وأبلغها . وإنه كان يخوف العرب أن يحل بهم ما حـــل بالأمم قبلهم ، ولقد خلت قبلهم أمـــم كثيرة جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا فأخذهم الله بالعذاب الشديد، ولكن القرآن كان يذكرهم ويخوفهم بمن هم أقرب الأمم إليهم ممن كانوا فى أرضهم العربية ، قـــد تواترت لديهم أخبارهم ، ومثلت أمامهم آثارهم من قوم عاد سكان الأحقاف،وقوم ثمود سكان الحجر .

وقـد كان للتذكير بأحوال تلك الأمم التى هى فى أرضهم ومـن جنسهم أبلغ الأثر فى نفوسهم ، كما كان من حديث عقبة بن ربيعة الذى رواه أصحاب السير : تلا عليه النبي ـ صلى اللـه عليه وآله وسلم ـ حـم فصلت إلى قوله:صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَـادٍ وَثَمُودَ ، فأمسك عتبة بيده على فم النبي ـ صلى اللـه عليه وآلـه وسلم ـ وناشده الرحم أن يكف . وما كان محمد الرجل العظيم ، والمصلح الحكيم ، والرسول الكريم ليجعل تذكيره الذى يريد التأثير به على سامعيه مما لا حقيقة له،ولو أنه خاطبهم بما لا يعرفونه من أخبار تلك الأمـم وتيقنوه لأسرعوا إلى تكذيبه فيما يقـول . فسكوتهم ـ وهم أسرع الناس إلى مجادلته بالباطل ـ دليل قاطع على أن القصة كانت عندهم مما هو معلوم بالقطع مـن تواتر الخبر ، ومشاهدة الأثـــر (1) .

(1) ش : ج 3 ، م 6 ، غرة ذى القعدة 1348 هـ ـ ابريل 1930 م .

بواعثنا ـ علمنا ـ خطتنا ـ غايتنا

رأينا-كما يرى كل مبصر-ما نحن عليه معشر المسلمين من انحطاط في الخلق، وفساد في العقيدة،وجمود في الفكر،وقعود عن العمل، وانحلال في الوحدة،وتعاكس في الوجهة،وافتراق في السير . حتى خارت النفوس القوية وفترت العزائم المتقدة ، وماتت الهمم الوثابة ودفنت الآمال في صدور الرجال ، واستولى القنوط القاتل واليأس المميت،فأحاطت بنا الويلات من كل جهة،وانصبت علينا المصائب من كل جانب .

رأينا هذا كله كما رآه المسلمون كلهم،وذقنا منه الأمرين مثلهم، ففزعنا إلى الله الذى لم تستطع هذه الأهوال والمصائب كلها أن تمس إيماننا به ، وتزعزع ثقتنا فيه،فاستغثنا واستجرنا واستخرنا وتوسلنا إليه جل جلاله بالإيمان وبسابق آلائه ، وجأرنا إليه بأسمائه ، فهدانا ـ وله المنة ـ إلى النور الوضاء الوهاج الأتم ، والمنهاج الواضح الأقوم ، هدانا إلى سنة سيدنا الأكرم ، وقدوتنا الأعظم،سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

عرفنا ـ مما هدانا إليه ربنا ـ الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،والهدى الذى ما بعده إلا الضلال،وسبيل النجاة التى ما فى مخالفتها إلا الهلاك ، والدواء الذى بدونه لا تبرأ النفوس من أدوائها ولا تظفر بالقليل من شفائها ، فحمدنا الله على ما هدانا،وعقدنا العزم على المحافظة على هذه النعمة وشكرها ، وما شكرها إلا فى العمل بها وبنشرها،وأشفقنا على أنفسنا من تبعة

الكتمان،وما جاء فيمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه من ضعف الإيمان ، فأخذنا على أنفسنا دعوة الناس إلى السنة النبوية المحمدية،وتخصيصها بالتقدم والأحجية،فكانت دعوتنا ـ علم الله ـ من أول يوم إليها،والحث على التمسك والرجوع إليها،ونحن اليوم على ما كنا سائرون،وإلى الغاية التى سعينا إليها قاصدون،وقد زدنا من فضل الله ، أن أسسنا هذه الصحيفة الزكية . وأسميناها (السنة النبوية المحمدية) لتنشر على الناس ما كان عليه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فى سيرته العظمى ، وسلوكه القويم، وهديه العظيم ، الذى كان مثالا ناطقا لهدى القرآن،وتطبيقا لكل ما دعا القرآن إليه بالأقوال والأفعال والأحوال،مما هو المثل الأعلى فى الكمال،والحجة الكبرى عند جميع أهل الإسلام،فالأئمة كلهم يرجعون إليها ، والمذاهب كلها تنطوى تحت لوائها ، وتستنير بضوئها ، وفيها وحدها ما يرفع أخلاقنا من وهدة الانحطاط،ويطهر عقيدتنا من الزيغ والفساد،ويبعث عقولنا على النظر والتفكير ، ويدفعنا إلى كل عمل صالح،ويربط وحدتنا برباط الأخوة واليقين، ويسير بنا فى طريق واحد مستقيم،ويوجهنا وجهة واحدة فى الحق والخير،ويحيى منا النفوس والهمم والعزائم،ويثير كوامن الآمال، ويرفع عنا الاصر والاغلال،ويصيرنا ـ حقا ـ خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله .

فها نحن اليوم نتقدم بهذه الصحيفة للأمة كلها على هذا القصد وعلى هذه النية : عملنا نشر السنة النبوية المحمدية وحمايتها من كل ما يمسها بأذية . وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم ، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم ، ودعوة المسلمين كافة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم . وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدي نبيهم فى الأقوال ، والأفعال ، والسير والأحوال ، حتى يكونوا للناس كما كان هو صلى الله عليه وآله وسلم مثالا أعلى فى الكمال .

والله نسأل التوفيق والتسديد فى القصد والقول والعمل لنا وللمسلمين أجمعين (1) .

(1) (السنة) السنة الاولى ، العدد الاول ، الاثنين 8 ذى الحجة 1351 هـ ـ 1932 م

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

فى عـامهـا الثـانـى

تمهيـــد :

كنا نعلم من يوم تأسيس هذه الجمعية رغم تفاؤلنا ، ما ستلقاه مثل كل مشروع عظيم من صعوبات وعقبات ، ولكننا ما كنا نحسب أن حظها من ذلك يكون (1) إلا من خارجها،ولكن الواقع جاء بخلاف ذلك،وكانت مصاعب الجمعية ومتاعبها من داخلها ، حصلت نفــرة بين أعضاء مجلس الإدارة ورئيس لجنة العمل فأدت إلى ما أدت إليه من فرقة وفتنة وقى الله شرها . وقد علم الناس حقيقة الحال من البيان الرسمى الذى نشره مجلس إدارة الجمعية إثر انتخابه مما لا حاجة إلى اعادته،وإن كنا سنشير إلى أشياء منه لزيادة البيان .

بأي نية ذهبت للاجتماع العمومى : ذهبت عازما على إصلاح ذات البـين،وعلى تسيير انتخاب الجمعية عــلى مقتضى قانونها الأساسى والوقوف معه مهما كان الحال . وعرفت من الاجتماعات التى كانت قبل يوم الانتخاب ومن محاولاتى الخاصة أن الصلح غير ممكن،وأنه لـم يبق علي إلا المحافظة على الجمعية قبل كـل شيء،وكنت رغم ما يأتينى من أنباء بما يدبر من أمور ، مطمئنا على الجمعية،لأننى كنت أعتقد أن الاجتماع العمومى سيضم جمعا عظيما مـن أهـل العلم، وحسبى بعلمهم هاديا لهم إلى ما فيه خير وسداد للجمعية والأمة . فدخلت صبيحة الاثنين 18 محرم الماضى إلى نادى الترقى وأنا على هذا الاعتقاد .

(1) كذا فى الاصل والواضح (لا يكون) .

ماذا كان يدبر للاستيلاء على الجمعية :

كان رئيس لجنة العمل قد سعى سعيا شديدا فى تكوين عدد كثير ممن يوافقونه على القائمة التى يقدمها للانتخاب ، وكانت مكاتبات لبعض الجهات فى الحث على القدوم يوم الانتخاب،وأصبح مكتب الدعاية منعقدا على الساعة الخامسة فى مدرسة السلام، يديره رئيس لجنة العمل وشيخ زاوية بمستغانم ـ كما اعترف لي بذلك رئيس اللجنة فى الحديقة العمومية أمام جماعة ـ وأصبحت الوصولات توزع على كل من يقال فيه طالب ليأتى للجمعية العمومية وينتخب من كتبت أسماؤهم فى ورقة سلمت له .

نكتة المسألة :

القائمة التى أعطيت من طرف السيدين المذكورين فيها ثلاثون شخصا،الاعضاء الأقدمون مع ضرب على أسماء بعضهم وزيادة عليهم، والسيد رئيس اللجنة هو أحد الثلاثين وحضرته ـ بلا مؤاخذة ومع الاحترام ـ ليس من أهل العلم ولا من الطلبة ، وإذا كانت الأعمال والأقوال هى التى تدل على القصود والنوايا فلا نكون ظالمين إذا استدللنا بهذا العمل على ما يدل عليه،مفوضين العلم بذلك والجزاء عليه إلى الله تعالى .

كيف كنا وكيف كانوا :

بينما كان السيدان يعملان عملهما ويقويان حزبهما،كنا تاركين للمسألة حالها تسير بطبيعتها،ولو كنا على شيء من سوء النية أو القصد إلى الاستيلاء بالأغلبية لكنا دعونا تلامذتنا دعوة عامة للحضور ـ وهم كثر وكلهم من أهل العلم ـ فملأوا نادى الترقى والشوارع المتصلة به،ولا فخر،ولكن ما كنا ـ والحمد لله ـ لنقصد إلى التكثر ولا إلى العصبية والتحزب وإحداث الفرقة بين الناس .

صبيحة يوم الاثنين وما صبيحة الاثنين :

اكتظ النادى على سعته بالناس،وألقيت خطـــاب الافتتـــاح والترحيب،وعرفت الجمع بأن المنتخبين لابد أن يكونوا من أهــل العلم،كما تنص عليه المادة السابعة من القانون الأساسى للجمعية التى تقول : « الأعضاء العاملون هم الذين يصح أن يطلق عليهــم لقب عالم بالقطر الجزائرى،بدون تفريق بين الذين تعلموا ونالوا الإجازات بالمدارس الرسمية الجزائرية،وبين الذين تعلموا بالمعاهد العلمية الإسلامية الأخرى » وعرفت الجمع بان مجلس الإدارة عين لجنة لتقيد أسماء من ينطبق عليهم هذا الوصف المذكور فى المــادة، وأنها تقبل من كانت له شهادة أو كان باشر التعليم أو كان يشار إليه بالعلم فى قومه،وأنه بعد تقييد أسماء المنتخبين يكون الانتخاب. وهنا قامت القيامة واضطربت أركان القاعة بالضجيج،وأبى القوم إلا الانتخاب فى الحين دون اعتبار للمادة القانونية،ولا اعتبــــار لتقييد أسماء المنتخبين ، واستمر ذلك الاضطراب وذلك الهياج إلى قرب الزوال فافترقنا ـ بعد أن وقفنا على شفا حفرة من الهــلاك فأنقذنا الله منها ـ على أن نجتمع مساء على الساعة الثانية بعــد الــزوال .

لــوازم واستنتاجــات :

عرفنا بما رأينا فى ذلك الجمع وما سمعنا فيه أن أهل العلم قد حشر فيهم من ليس منهم،وكان معهم من لم يتخلــق بأخلاقهم،ولا تأدب بآدابهم،وأن ما وقع صباحا سيقع مساء،وأن ذلك مفض ولا محالة إلى عاقبة سيئة،ربما قضت على الجمعية،وعلى النادى الــذى نحن ضيوف فيه،وأن المسؤولية تكون على رئيس الجمعية،فلزمنى إذاً أن أخبر إدارة الشرطة لترسل أعوانها لحفظ النظام فأعلمتها، وعرفت بما رأيت وما سمعت أنه يراد الاستيلاء على الجمعية بطريق

غير مشروع،وبعدد كثير لا تنطبق عليه المادة القانونية ، ولذلك فر من فر من الوقوف أمام اللجنة،وهى لجنة تعريف وسؤال لا لجنة امتحان ، فلزمنى أن أحافظ على شرف الجمعية العلمية من أن يسيطر عليها غير أهل العلم .

مساء الاثنين :

ما جاءت الساعة الواحدة بعد الزوال حتى امتلأت سقائف النادى ورحابه والدرج المصعدة إليه ـ فما أكثر العلماء فى ذلك اليوم ـ وبقى الناس فى انتظار الساعة الثانية لفتح باب النادى،وجاء أعوان الشرطة،وفتح النادى،وعاد الحال إلى ما كان عليه فى الصباح، ولما رأيت الأمر لا يزيد إلا هياجا وارتباكا أعلنت بارتفاع الجلسة، ووقف الشرطة محافظين على النظام حتى خرج الناس . ولا والله ما أهان الشرطة أحدا،ولا زادوا على إسكاتهم للغوغاء وحفظهم للنظام،وأحسب أنه لولا وجود الشرطة عند الإعلام برفع الجلسة لكانت وجوه خاصة رأيتها ثم تفعل ما لا تحمد عقباه . ولا أشك أن التهويل الذى أثاره بعض الناس فى بعض النشريات على استدعاء الشرطة والتقبيح لذلك أمام الفكر العام،والتعدى بالباطل على أعوان الحكومة،ورميهم بأنهم أهانوا العلماء ، لا أشك أنهم ما حملهم على ذلك إلا شدة تأسفهم على ما فاتهم من كيد دبروه،كانوا ينفذونه لولا وجود أعوان الشرطة ، مع ما يقصدون من الحط من مقام الجمعية . فنحن بقدر ما تقولوا على أعوان الشرطة وسبوهم، نشكرهم على حفظهم للأمن والنظام وقيامهم بواجبهم،ونعترف بأنه لولاهم ـ بعد حفظ الله ـ لكانت الجمعية فى خبر كان .

يوم الثلاثاء :

أصدرت الجمعية منشورا ونشرت فى الصحف الفرنسية بما وقع،وأعلمت أن الانتخاب يكون من الغد يوم الثلاثاء،فجاء الناس

صبيحة الثلاثاء،وكان الانتخاب مساءها على ما هو مبين بالصحف وبيان الجمعية . وكان يوم هدوء ونظام وتأمين . وشاهد أعـــوان الشرطة ورجال الخفية الفرق بين يوم الاثنين الذى حضرته الغوغاء ومن حشر فى أهل العلم،ويوم الثلاثاء الذى لم يحضره أولئك ـ ولا أعنى بكلامى هذا أن كل من تخلف عن يوم الثلاثاء فهو ليس من أهل العلم،كلا ـ فقد تخلف بعض أهل العلم الذين لم يستطيعوا بما شاهدوا من فظاعة يوم الاثنين أن يعودوا إلى الاجتماع،أو لـم يحسبوا يوم الثلاثاء إلا مثل يوم الاثنين .

كيف كان الترشيح للانتخاب :

قدم مجلس الإدارة القديم قائمة هـذه صورتها : الشيـوخ : ابن باديس ، الإبراهيمى ، العقبى ، الميلى ، العمودى ، الفضيـل (من مجلس الإدارة القديم وكانوا حاضرين) ، المهاجى (منه وكان غائبا لقدومه من الحج) ابن عربية ، أبو اليقظان ، خير الدين ، التبسى ، المكى ، القاسمى (هؤلاء جـــدد وكانـــوا حاضرين) أبو عبد الله البوعبدلى (جديد وكان غائبا واعتذر ببرقية يقول فيها : اعتبرونى معكم فى كل شىء)،وأعلن للمنتخبين أن لهـــم الحرية فى أن ينتخبوا القائمة كلها،أو يرفضوها كلها،أو يختاروا بعضها دون بعض،فجرى الانتخاب على الوجه القانونى على تفاوت فى عدد الأصوات،وفاز الشيوخ المذكورون إلا واحدا فاز عليـه الزاهرى بنحو العشرين صوتا .

عناصر مجلس الإدارة :

لقد جاء مجلس الإدارة مؤلفا من جميع عناصر الأمة الجزائرية ممثلا لها خير تمثيل،ففيه من العلماء المنتمـــين للزوايا كالمهاجى وأبى عبد الله والفضيل،وفيه من العلماء الموظفين كابن عربيــة القاضى والعمودى الوكيل الشرعى،وفيه من علماء القبائل الفضيل

وفيه من علماء الإباضية أبو اليقظان ، أفبعد هذا يقول قائل يلتزم الصدق : ان الجمعية إنما تمثل طائفة .

رئاسة الجمعية :

شاء الإخوان أن يجددوا لهذا العاجز حمل مسؤولية الرئاسة رغم امتناعه، والله لقد كنت أود لو صرفت عنى، ووالله لولا خوفى من عظيم المسؤولية عند الله ما قبلت من إخوانى ذلك، رغم شدة احترامى لإرادتهم ، وتقديرى لإشارتهم ، فالله نسأل لنا ولهم أن يعيننا جميعا على القيام بقوة وأمانة وإخلاص بهذا العبء الثقيل (1) .

(1) ش . ج 8 ، م 8 ، غرة ربيع الثانى 1351 هـ ـ أوت 1932 م .

« عبداويون » ! ثم « وهابيون » !

ثم ماذا ؟ لا ندري . والله !

لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسنطينة عام 32،وعزمنا على القيام بالتدريس،أدخلنا في برنامج دروسنا تعليم اللغة وأدبها،والتفسير، والحديث، والأصول، ومبادىء التاريخ،ومبادىء الجغرافية،ومبادىء الحساب،وغير هذا،ورأينا لزوم تقسيم المعلمين إلى طبقات،واخترنا للطلبة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية التي وضعتها وزارة المعارف المصرية،وأحدثنا تغييرا في أساليب التعليم،وأخذنا نحث على تعلم جميع العلوم باللسان العربي والفرنسي،ونحبب الناس في فهم القرآن ، وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية،ونرغبهم في مطالعة كتب الأقدمين،ومؤلفات المعاصرين ، لما قمنا بهذا وأعلناه قامت علينا وعلى من وافقنا قيامة أهل الجمود والركود وصاروا يدعوننا (1) للتنفير والحط منا « عبداويين » دون أن أكون ــ والله ــ يوم جئت قسنطينة قرأت كتب الشيخ محمد عبده إلا القليل،فلم نلتفت إلى قولهم ، ولم نكترث لإنكارهم ، على كثرة سوادهم،وشدة مكرهم، وعظيم كيدهم ، ومضينا على ما رسمنا من خطة،وصمدنا إلى ما قصدنا من غاية،وقضيناها عشر سنوات في الدرس لتكوين نشء علمي لم نخلط به غيره من عمل آخر.فلما كملت العشر وظهرت

(1) كذا في الاصل،والأظهر يدعون .

ـ بحمد الله ـ نتيجتها،رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص،والعلم الصحيح،إلى الكتاب والسنة وهدي صالح سلف الأمة،وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات،فكان لزاما أن نؤسس لدعوتنا صحافة تبلغها للناس،فكان المنتقد،وكان الشهاب. ونهض كتاب القطر ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام، وفتحوا بكتاب الله وسنة رسوله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أعينا عميا،وآذانا صما،وقلوبا غلفا ، وكانت هذه المرة غضبة الباطل أشد،ونطاق فتنته أوسع،وسواد أتباعه أكثر،وتمالأ على دعاء الحق الجمود والبدعة،وعليها بنيت صروح من الجاه ، ومهما جرت أنهار من المال ، وأصبحت الجماعة الداعية إلى الله يدعون من الداعين إلى أنفسهم « الوهابيين »،ولا والله ما كنت أملك يومئذ كتابا واحدا لابن عبد الوهاب،ولا أعرف من ترجمة حياته إلا القليل، والله ما اشتريت كتابا من كتبه إلى اليوم ، وإنما هي أفيكات قوم يهرفون بما لا يعرفون،ويحاولون من إطفاء نور الله ما لا يستطيعون، وسنعرض عنهم اليوم وهم يدعوننا « وهابيين »،كما أعرضنا عنهم بالأمس وهم يدعوننا « عبداويين »،ولنا أسوة بمواقف أمثالنا مع أمثالهم من الماضين .

ولما كان من سنة القرآن الحكيم التنبيه على مشابهة اللاحقين من الناس للسابقين في منازعهم وأهوائهم وكثير من أحوالهم،حتى كان التاريخ يعيد نفسه بإعادة ذلك منهم،وجاء ذلك في مثل قوله تعالى : « كَذَلِكَ مَا أَتَى الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَتَوَاصَوْا بِهِ » وقوله : « تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ » وغيرها ، لما كان هذا من سنة القرآن فتحنا هذا الباب من الصحيفة تحت عنوان : « التاريخ يعيد نفسه » لننشر فيها ـ ما أمكننا النشر ـ قصصا عن حياة رجال السنة المصلحين مع دعاة البدعة المبطلين ، تزيد العالم المصلح ثباتا على الحق،والقارىء الصادق تبصرة في الأمر،و « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ » .

ولسنا نقصد فى وضع قصصنا إلى وضع تأليف،ولا نخص هذا النقل بكاتب معين أو كتاب مختص ، وبين أيدينا الآن كتاب « الاعتصام » لمؤلفه علامة المعقول والمنقول أبي إسحاق الشاطبي المالكي المتوفى سنة 790 ، فرأينا أن ننقل منه الفصل التالى الذى يذكر فيه أبو إسحاق ما رمي به من مثل ما رمينا به،حتى كأنا فى زمان واحد ، قال رحمه الله :

فلما أردت الاستقامة على الطريق وجدت نفسى غريبا فى جمهور أهل الوقت،لكون خططهم قد غلبت عليها العوائد،ودخلت على سننها الأصلية شوائب من المحدثات الزوائد،ولم يكن ذلك بدعا فى الأزمنة المتقدمة فكيف فى زماننا هذا ، فقد روي عن السلف الصالح من التنبيه على ذلك كثير كما روي عن أبى الدرداء ـ رضى الله عنه ـ أنه قال:لو خرج رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ عليكم ما عرف شيئا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة ، قال الأوزاعى:فكيف لو كان اليوم ، قال عيسى بن يونس : فكيف لو أدرك الأوزاعى هذا الزمان . وعن أم الدرداء قالت : دخل أبو الدرداء وهو غضبان فقلت : ما أغضبك ؟ فقال : « والله ما أعرف فيهم شيئا من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا » وعن أنس بن مالك قال : « ما أعرف منكم ما كنت أعهده على عهد رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ غير قولكم : لا إله إلا الله » . قلنا بلى يا أبا حمزة ؟ قال : قد صليتم حتى تغرب الشمس أفكانت تلك صلاة رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ ، وعن أنس قال : لو أن رجلا أدرك السلف الأول ثم بعث اليوم ما عرف من الإسلام شيئا ، قال : ووضع يده على خده ثم قال : إلا هذه الصلاة، ثم قال : أما والله على ذلك لمن عاش فى النكر ولم يدرك ذلك السلف الصالح فرأى مبتدعا يدعو إلى بدعته ، ورأى صاحب دنيا يدعو إلى دنياه فعصمه الله من ذلك ، وجعل قلبه يحن إلى ذلك السلف

الصالح ، يسأل عن سبيلهم،ويقتص آثارهم ، ويتبـــع سبيلهم ، ليعرض أجرا عظيما ، وكذلك فكونوا إن شاء الله .

وعن ميمون بن مهران قال : لو أن رجلا أنشر فيكم من السلف، ما عرف غير هذه القبلة .

وعن سهل بن مالك عن أبيه قال : ما أعرف شيئا مما أدركت عليه الناس إلا النداء بالصلاة ، إلى ما أشبه هذا من الآثار الدالة على ان المحدثات تدخل فى المشروعات ، وأن ذلك قد كان قبل زماننا، وإنما تتكاثر على توالى الدهور إلى الآن .

فتردد النظر بين ـ أن أتبع السنة على شرط مخالفة ما اعتــاد الناس فلابد من حصول نحو مما حصل لمخالفى العوائد لا سيما إذا ادعى أهلها أن ما هم عليه هو السنة لا سواها ، إلا أن فى ذلك العبء الثقيل ما فيه من الأجر الجزيل ـ وبين أن أتبعهم على شرط مخالفة السنة والسلف الصالح ، فأدخل تحت ترجمة الضلال، عائذا بالله من ذلك،إلا أنى أوافق المعتاد،وأعد من المؤالفين (1) ، لا من المخالفين فرأيت أن الهلاك فى اتباع السنة هو النجاة ، وأن الناس لن يغنوا عنى من الله شيئا،فأخذت فى ذلك على حكـــم التدريج فى بعض الأمور ، فقامت علي القيامة،وتواترت علي الملامة،وفوق إلى العتاب سهامه ، ونسبت إلى البدعة والضلالة ، وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة،وإنى لو التمست لتلك المحدثات مخرجا لوجدت ، غير أن ضيق العطن،والبعد عن أهل الفطن ، رقى بى مرتقا صعبا ، وضيق علي مجالا رحبا،وهو كلام يشير بظاهره إلى أن اتباع المتشابهــات لموافقات العادات أولى من اتباع الواضحات ، وإن خالفت السلف الأول .

---

(1) هكذا فى الاصل ، ويبدو أن أصل العبارة : واعد من المؤالفين .

وربما ألموا في تقبيح ما وجهت إليه وجهتي بما تشمئز منه القلوب،أو خرجوا بالنسبة إليَّ بعض الفرق الخارجة عن السنة شهادة ستكتب ويسألون عنها يوم القيامة ، فتارة نسبت إلى القول بأن الدعاء لا ينفع ولا فائدة فيه ، كما يعزى إلى بعض الناس ، بسبب أنى لم التزم الدعاء بهيئة الاجتماع فى أدبار الصلاة حالة الإمامة ، وسيأتى ما فى ذلك من المخالفة للسنة وللسلف الصالح والعلماء .

وتارة نسبت إلي الرفض وبغض الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ بسبب أنى لم ألتزم ذكر الخلفاء الراشدين منهم فى الخطبة على الخصوص إذ لم يكن ذلك من شأن السلف فى خطبهم ، ولا ذكره أحد من العلماء المعتبرين فى اجزاء الخطب . وقد سئل (أصبغ) عن دعاء الخطباء للخلفاء المتقدمين فقال : هو بدعة فلا ينبغى العمل به ، وأحسنه أن يدعو للمسلمين عامة . قيل : فدعاؤه للغزاة والمرابطين،قال ما أرى به بأسا عند الحاجة إليه،وأما أن يكون شيئا يعمد إليه فى خطبته دائما فإنى أكره ذلك . ونص أيضا عز الدين ابن عبد السلام على أن الدعاء للخلفاء فى الخطبة بدعة غير محبوبة.

وتارة أضيف إلي القول بجواز القيام على الأئمة وما أضافوه إلي من عدم ذكرى لهم في الخطبة ، وذكرهم فيها محدث لم يكن عليه من تقدم . وتارة أحمل على التزام الحرج والتنطع فى الدين ، وإنما حملهم على ذلك أنى التزمت فى التكليف والفتيا الحمل على مشهور المذهب الملتزم لا أتعداه وهم يتعدونه،ويفتون بما يسهل على السائل ويوافق هواه ، وإن كان شاذا فى المذهب الملتزم أو فى غيره .

وأئمة أهل العلم على خلاف ذلك،وللمسألة بسط فى كتاب « الموافقات»،وتارة إلى معاداة أولياء الله ، وسبب ذلك أنى عاديت بعض الفقراء المبتدعين المخالفين للسنة ، المنتصبين بزعمهم لهداية

الخلق ، وتكلمت للجمهور على جملة من أحوال هؤلاء الذين نسبوا أنفسهم إلى الصوفية ولم يشتبهوا بهم .

وتارة نسبت إلي مخالفة السنة والجماعة ، بناء منهم عـلى أن الجماعة التى أمر باتباعها ـ وهى الناجية ـ ما عليه العموم ، ولم يعلموا أن الجماعة ما كان عليه النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وأصحابه والتابعون لهم بإحسان.وسيأتى بيان ذلك بحول اللـه ، وكذبوا علي فى جميع ذلك وأوهموا والحمد لله على كل حال .

انتهى كلام أبى إسحاق وسننقل عنه فى العدد الآتى ما ذكره من حال بعض الأئمة الذين كانوا قبله ووقع لهم ما وقع له (I) .

السنة ـ السنة الاولى ـ العدد الثالث ـ 29 ذى الحجة 1351 م .

كلمة كفر لو درى قائلها

لما كتبنا فى الجزء الماضى فى تحقيق العبادة الشرعية ، تحرينا الاستدلال بالكتاب والسنة وهدى الصحابة ، لأن المسألة مسألة دينية، وهذه هى مأخذها، ولأنها جرى فيها خلاف،والله تعالى يقول:

« فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » فقال أحد الكاتبين فى جريدة (أتى البيوت من ظهورها) فسمى استدلالنا بالكتاب والسنة ، وهدى الصحابة إتيانا للبيوت من ظهورها،وهى كلمة مصادمة للآية القطعية المتقدمة ، وغيرها . ولعل الكاتب لم يتفهمها، ولم يدر مقتضاها،وإلا فما كان لمسلم أن يقولها ، ثم إذا كان الكتاب والسنة وهدى سادات الأمة ظهورا للبيوت، فما هى ـ يا صوفى الزمان ـ أبوابها ، ما عندنا ـ والله يا أخى ـ إلا هذه التى جعلتها ظهورا للبيوت ، فإذا كانت لا ترضيكم ـ والله يهديكم ـ فـ « لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ » (1) .

---

(1) ش : ج 2 ، م 9 ، غرة شوال 1351 هـ ، فيفرى 1933 م .

إنكار العلماء المتقدمين

على المبدعين المبتدعين

كلما قام دعاة الإصلاح بالإنكار على البدع الفاشية والضلالات الرائجة ، بينوا قبحها وضررها بالبراهين الساطعة ، وأفحموا أهلها بالأدلة القاطعة ـ صاح المتعيشون عليها فى أتباعهم المغترين بهم : « لو كان ما نحن عليه باطلا لأنكره العلماء المتقدمون قبل أن ينكره هؤلاء « العصريون »،لكن المتقدمين رحمهم الله رأوه وسكتوا عليه،وأقروه ورضوا به،ومضى على ذلك الزمن الطويل وعاش عليه الجيل بعد الجيل » وقالوا مثل ما قال الأولون : « مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ »،« إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ » ولما كان هذا قد يغر الجاهل وشبه الجاهل فيحتسب أن الأمر كما ذكروا،وأن العلماء المتقدمين سكتوا وما أنكروا ـ أردنا أن ننقل لقراء « السنة » بعضا من إنكار أهل العلم على هؤلاء المتسمين بالفقراء،المدعين لطريقة الزهد،المتمسكين بالبدعة،ليعرفوا سنة العلماء فى الرد عليهم،والتقبيح لحالهم، والتحذير من ضلالهم،فيعلموا أن العلماء الإصلاحيين المعاصرين ما جاءوا إلا بما يفرضه عليهم الدين من نصح المسلمين،وارشاد الضالين،والذب عن سنة خاتم الأنبياء والمرسلين ـ صلى الله عليه وعليهم وسلم ـ .

إنكار الامام القشيري
صاحب الرسالة القشيرية
من أهل القرن الخامس

قال فى وصف المتشبهين بالصوفية المنتحلين لطريقتهم المباينين لسلوكهم : « فعدوا قلة المبالاة بالدين أوثق ذريعة ، ورفضوا التمييز بين الحلال والحرام ، ودانوا بترك الاحترام وطرح الاحتشام، واستخفوا بأداء العبادات ، واستهانوا بالصوم والصلاة ، وركضوا فى ميدان الغفلات ، وركنوا إلى اتباع الشهوات وقلة المبالاة بتعاطى المحظورات ، والارتفاق بما يأخذونه من السوقة وأصحاب السلطان .

إنكار أبى بكر الطرطوشى المالكى
من أهل القرن الخامس والسادس

قال فى خطبة كتابه الذى ألفه فى إنكار البدع والمحدثات، وعندنا نسخة خطية مكتوبة نحو القرن العاشر :

« ثم ازداد الأمر إدبارا،حتى بلغنا أن طائفة من إخواننا المؤمنين ـ وفقنا الله وإياهم ـ استنزلهم الشيطان واستغوى عقولهم فى حب الاغانى واللهو وسماع الطقطقة والتغبير واعتقدته من الدين الذى يقربها إلى الله عز وجل،وجاهرت به جماعة المسلمين، وشاقت به سبيل المؤمنين ، وخالفته الفقهاء والعلماء وحماة الدين، « وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً » فرأيت أن أوضح

الحق وأكشف عن شبه أهل الباطل بالحجج التى تضمنها كتاب الله تعالى وسنة رسوله،وأبدأ بذكر أقاويل العلماء الذين تدور الفتيا عليهم فى أقاصى الأرض ودانيها،حتى تعلم هذه الطائفة أنها قد خالفت علماء المسلمين فى بدعتها،والله ولي التوفيق » .

إنكار الإمام أبى حيان الأندلسى
من أهل القرن السابع والثامن

قال في الجزء الرابع من تفسيره الكبير ص 310 ـ وهو يصنف متصوفة زمانه مما ينطبق على أمثالهم فى زماننا : « ولو عاش الحسن إلى هذا الزمن العجيب الذى ظهر فيه ناس يتسمون بالمشايخ، يلبسون ثياب شهرة عند العامة بالصلاح،ويتركون الاكتساب، ويرتبون لهم أذكارا لم ترد فى الشريعة يجهرون بها فى المساجد، ويجمعون لهم خداما يجلبون الناس إليهم لاستخدامهم ونتش أموالهم،ويذيعون عنهم كرامات،ويرون لهم منامات يدونونها فى أسفار،ويحضون على ترك العلم والاشتغال بالسنة،ويرون الوصول إلى الله بأمور يقررونها من خلوات وأذكار لم يأت بها كتاب منزل ولا نبى مرسل ، ويتعاظمون على الناس بالانفراد على سجادة ، ونصب أيديهم للتقبيل ، وقلة الكلام ، وإطراق الرؤوس ، وتعيين خادم يقول : « الشيخ مشغول فى الخلوة » رسم الشيخ ، قال الشيخ رأى الشيخ ، الشيخ نظر إليك ، الشيخ كان البارحة يذكرك ، إلى نحو من هذه الألفاظ التى يخشون بها على العامة ، ويجلبون عقول الجهلة ، هذا إن سلم الشيخ وخادمه من الاعتقاد الذى غلب الآن على متصوفة هذا الزمان من القول بالحلول أو القول بالوحدة ، فإذ ذاك يكون منسلخا عن شريعة الإسلام بالكلية،والعجب لمثل هؤلاء كيف ترتب لهم الرواتب،وتبنى لهم الربط،وتوقف عليهم

الأوقاف،ويخدمهم الناس فى عروهم عن سائر الفضائل ، ولكـن الناس أقرب إلى أشباههم منهم إلى غير أشباههم.وقد أطلنا فى هذا رجاء أن يقف عليه مسلم فينتفع به .

إنكار الإمام أبى إسحاق الشاطبى المالكى
من أهل القرن الثامن

قـال فى كتـاب الاعتصام (ا : 216) يصف « فقراء » زمانـه بالأندلس : « فهذه مجالس الذكر عـلى الحقيقة وهى التى حرمها الله،أهل البدع من هؤلاء الفقراء الذين زعموا أنهم سلكوا طريق التصوف وقلما تجد منهم من يحسن قراءة الفاتحة فى الصلاة إلا على اللحن فضلا عن غيرها،ولا يعرف كيف يتعبد،ولا كيف يستنجى أو يتوضأ أو يغتسل من الجنابة ، وكيف يعلمون ذلك وقد حرموا مجالس الذكر التى تغشاها الرحمة،وتنزل فيها السكينة،وتحف بها الملائكة،فبانطماس النـور عنهم ضلـوا فاقتدوا بالجهـال أمثالهم، وأخذوا يقرأون الأحاديث النبويـة والآيات القرآنية فينزلونها عـلى آرائهم لا عـلى ما قال أهل العلم فيها،فخرجوا عـلى الطريق المستقيم ».

إنكار الإمام القلصادى المالكى
من أهل القرن التاسع

قال فى كتابه : « لباب الأزهار اليمنية عـلى الأنوار السنية » ص 35 : « وكم من سنة دثرت،وبدعة أقيمت،وتوصل عليها بدلائل، وذلك بسبب علماء السوء،لأن البدعة فى الغالب لا يحدثها عـلم، لكن إذا وقعت ينصرها من كان له غرض فاسد،ويقيم الدليل على

صحة ذلك،ويحدث لذلك أتباع على ما هو مشاهد معلوم » وقال فيه ص 151 : « وليس المراد بالذكر إدامته باللسان وعدم التحلى بـه، وذلك من تلبيس إبليس،ويحسبون أنهم على شيء » .

إنكار الشيخ عبد الرحمن الأخضرى الجزائرى
من أهل القرن العاشر

لهذا العالم الصالح قصيدة تعرف بالقدسية مشهورة،وصف فيها هذه الطائفة وصفا كاسفا فاضحا،صورهم على الصورة التى يعرفها منهم كـل من عرفهم،ولا يستطيع أن ينكـرها أحـد حتى المتعصب لهم ، ومما قال فيهم :

وظهرتْ فى هــذِهِ البلادِ　　　طائفةُ البلــعِ والازدِرَادِ

... الخ

إنكار الشيخ عبد الكريم الفكون القسنطينى
من أهل القرن الحادى عشر

قال فى كتابه « مشهور الهداية ، فى التعريف بحال من ادعى العلم والولاية » :

« فلما رأيت الزمان بأهله تعثر،وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر،وسحائب الجهـل قد أضلت،وأسواق العلـم قـد كسـدت واضمحلت،فصار الجاهل رئيسا،والعالم فى منزله يدعى من أجلها خسيسا،**وصاحب أهل الطريقة** قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائحة ، وروائح السلب والطرد من المولى عليه فائحة ـ تمسكوا من دنياهم بمناصب شرعية ، وحالات كانت قدما للسادات الصوفية،

فأوهموا على العامة بأسماء ذهبت مسمياتها،وأوصاف تلاشت أهلها منذ زمان وأعصار،لبسوا بانتعالهم لها على أهل العصر أنهم من أهلها ــ وربما صارت **الطائفة البدعية** مقطعا للحقوق،وقسما يقسم بهم فى البر والحقوق ــ أعلنوا بأن سوابق الأقدار منوطة بإرادتهم،وتأثيرات الأكوان **صادرة عن اختيارهم**،فزادت بهم العامة شغبا إلى شغبهم،وتشويشا دخل فى قلوبهم،واتخذت أتباعهم ألقابا باسم الشيخوخة ــ وزادت فى إفصاح أحوالهم والحمل على بثها وإبدائها ما أحدثوه من أن من مات منهم بنوا عليه وشيدوا بناءات،وجعلوا عليهم قبابا من العود وألواحا منقوشة بأسمائهم وما اختاروا من الالقاب التى لا تصلح لهم ــ وهى من أوصاف ساداتنا العلماء العاملين والصلحاء الفاضلين،وصيروا ذلك لغابر الدهر بحيث أنهم لبسوا على العامة فى الحياة وعلى من سيكون بعد الممات».

إنكار الشيخ مصطفى العروسى
من أهل القرن الثالث عشر

هذا العالم هو محشى شيخ الإسلام زكريا شارح الرسالة القشيرية قال ــ ينقل الأستاذ الميلى فى تاريخ الجزائر (2 : 263) : « إنى بذلا للنصيحة أحذرك من متابعة مشايخ هذا الوقت،ممن لا يثمر الاجتماع بهم خلاف المقت،إذ هم قطاع طريق الله على عباده،وأعداء الأولياء الداعين إلى سبيل رشده،حيث لا همة لهم إلا جمع الغرض الفانى،ولا سعي لهم إلا فى تجريد القاصى والدانى،أزاحهم الله من جميع البلاد،وأراح منهم الدواب والعباد ... فعليك يا أخى فى مثل هذا الوقت بخاصة نفسك،وتباعد عمن بهم تزيد قاذورات رجسك،وتابع هدى سيد المرسلين،وإمام كل النبيين والمرسلين، فكافيك التمسك بالقرآن،والتمسك على طريق سيد ولد عدنان،

ولا تغرنك ـ لو فرض ـ خوارق العادات،فإنها كما تكون للكرامة توجد لقصد الإهانة ، فهذه وصيتى إليك قد ذكرتها شفقة عليك، دعانى لذكرها رعاية المقام،فتقبلها منى وعليك السلام » .

بان بهذا لمن عرف وأنصف أن الحق لم يعدم أنصارا فى سائر الأزمان،وأن الارض لا تخلو من قائم لله بحجة على مر الأيام،وأن الطائفة القائمة على الحق التى تحيي من سنة النبى صلى الله عليه وسلم ما أمات الناس لن تزول من على وجه الارض،ولا تزال ظاهرة لا يضرها من خالفها أو خذلها حتى يأتي أمر الله،والحمد لله رب العالمـين (1) .

(1) (السنة) السنة الاولى العدد 4 ، 6 محرم 1352 هـ ، 1 ماى 1933 م .

طلب الآخرة وحدها مذموم فى الإسلام

غلو الصوفية بجعل الكمال عدم طلب الدنيا والآخرة

كنا بينا نحن وغيرنا على صفحات هذه المجلة أن العبادة الشرعية موضوعة على الرجاء والخوف،وأن الطمع فى فضل الله لا ينافى إخلاص العبادة له ، وذكرنا الأدلة الكثيرة على ذلك من الكتاب والسنة،وكانت أدلة ثابتة صريحة غير قابلة للتأويل ، وبينا بها أن من زعم أن العبادة تتجرد عن الرجاء والخوف ، فقد زعم باطلا، وأنه لا يجد آية واحدة ولا حديثا صحيحا واحدا يستدل به على دعواه ، فالعبادة المتجردة عن الرجاء والخوف ليست العبادة التى جاء بها الإسلام .

ثم لما اطلع أخونا فى الله شيخ الإسلام الأستاذ محمد رشيد رضا على ما دار فى المسألة بيننا وبين خصومنا ، كاتبنا بموافقته على ما قلنا ، وذكر لنا ما كان كتبه هو فى المسألة فى الجزء الثانى من تفسير المنار الشهير ، وها نحن ننقل ما كتبه الأستاذ فى المسألة عند تفسير قوله تعالى : « رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً » الآية ، إفادة لقرائنا،شاكرين لفضيلته عنايته وتنبيهه .

قال أحسن الله جزاءه :

« ولم يذكر فى التفسير من لا يطلب إلا حسنة الآخرة ، لأن التقسيم لبيان ما عليه الناس فى الواقع ونفس الأمر بحسب داعى الجبلة وتأثير التربية وهدى الدين . ولا يكاد يوجد فى البشر من

لا تتوجه نفسه إلى حسن الحال فى الدنيا مهما يكن غاليا فى العمل للآخرة ، لأن الإحساس بالجوع والبرد والتعب يحمله كرها على التماس تحقيق ألم ذلك الإحساس ، والشرع يكلفه ذلك بما يقدر عليه من أسبابه ، وقد جعل عليه حقوقا لبدنه ، ولأهله،ولولده ، ولرحمه ، ولزائره ، وإخوانه ، وأمته ، لا تصح عبوديته إلا بدعاء الله تعالى فيها .

وفى الآية إشعار بأن هذا الغلو مذموم خارج عن سنن الفطرة ، وصراط الدين معا . وما نهى الله أهل الكتاب عن الغلو فى الدين وذمهم على التشدد فيه إلا عبرة لنا ، وقد نهانا عنه نبينا ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ ، فى حديث أنس عن البخارى ومسلم أن رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ دعا رجلا من المسلمين قد صار مثل الفرخ المنتوف فقال له : « هل كنت تدعو الله بشىء ؟ » قال نعم كنت أقول : اللهم ما كنت معاقبى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا . فقال رسول الله ــ صلى الله عليه وآله وسلم ــ : « سبحان الله،إذا لا تطيق ذلك ولا تستطيعه ، فهلا قلت : « رَبَّنَا آتِنَا فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ » ودعا له فشفاه الله تعالى .

وأبعد من هذا فى الغلو أن بعض الصوفية سمع قارئا يتلو قوله تعالى : 3 ، 152 «مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ» فصاح أواه ، فأين من يريد الله ؟ وهو قول حسن الظاهر قبيح الباطن ، فالآية خطاب لخيار الصحابة ، وهو وشيخه من الصوفية لم يبلغوا مد أحدهم ولا نصيفه ، فإرادة الدنيا والآخرة بالحق إرادة لمرضات الله تعالى،وعمل بسنته وبشرعه ، والمراد بالدنيا فيها الغنيمة فى الحرب ، وبالآخرة الشهادة فى سبيل الله ، فهل يظن بجهله أن من شهد الله تعالى لهم بأنهم بذلوا أنفسهم فى سبيله ونصر رسوله وآثروا الشهادة فى القتال على الغنيمة أنهم

لا يريدون الله ؟ وقد ورد فى الصحيح أن الآية كانت أكثر دعاء النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فهل يدعى ذلك الصوفى وأمثاله من الغلاة أنهم أشد حبا منه لله وطلبا له عز وجل ؟

(أقول) : كلا،إنما هى فلسفة خيالية من خيالات وحدة الوجود البرهمية الهندية ، قد شغل بها أفراد عن فطرة الله وشرعه معا ، فجعلوها أعلى مراتب العبودية ؛ وتأولوا لها بعض آيات الكتاب العزيز كقوله تعالى : « يُرِيدُونَ وَجْهَهُ » وما إرادة وجهه تعالى إلا الإخلاص له فى كل عمل مشروع من مصالح الدين والدنيا وتحرى هداية دينية فيه ، لا تخيله من إرادة وجهه تعالى هو الوصول إلى ذاته بعد التجرد من كل نعمة فى الدنيا والآخرة جميعا ، فإن الاتصال بتلك الذات العليا القدسية التى لا تدركها العقول ولا تدنو من كنهها الأفكار ولا الأوهام ، ما لم يتعلق به تكليف ولم يرد به شرع ، بل إدراك كنه الذوات المخلوقة له تعالى فوق استطاعة خلقه ، وإنما أعلى مراتب معرفة الله تعالى فى الدنيا هى معرفة كل شىء به ، ومعرفته فى كل شىء وبكل شىء ، ودعاؤه بكل اسم من أسمائه بما يناسب تعلقه بشؤون عباده ، وبهذا فضل جمهور أهل السنة خيار البشر على الملائكة الذين يعبد كل منهم ربه عبادة خاصة ، والمؤمن الكامل من يعرف حق ربه على عباده ، وما شرعه من حقوق بعضهم على بعض ، والقيام فى كل ذلك بذكره وشكره وحبه والتوكل عليه والإخلاص له ، وأعلى مراتب معرفته فى الآخرة هو مقام الرؤية بتجليه الأعلى فى جنات عدن ، والاشتغال بذكر الجزاء عن العمل الموصل إليه جهل لا علم ولا معرفة » .

(1) ش : ج 12 ، م 9 · غرة رجب 1352 هـ ـ نوفمبر 1933 م ·

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

جواب الرئيس للشيخ قدور الحلوى

إلى جانب المكرم المحترم سيدى قدور الحلـوى،السلام عليكـم ورحمة الله . وبعد،فقد وقفت في بعض الجرائـد عـلى تقديمكم استعفاءكم لنا من عضوية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومن رئاسة لجنتها الدائمة بالجزائر، احتجاجا على البرقية المنشورة فى بعض أعداد (الدفاع) الأخيرة بغير استشارة ولا موافقـة غالب أعضاء الجمعية ، وتحرجا مما نشر فى مجلة الشهاب من مقال منقول عن مجلة المنار الإسلامى .

فأما استعفاؤكم من عضوية الجمعية فقد قبلته . وأما استعفاؤكم من رئاسة لجنتها الدائمة فهو واقع منكم فى غير محله،إذ حضرتكم لـم تكونوا رئيس اللجنة فى يـوم مـن الأيام،ورئيسها معروف منشور اسمه مع أعضائها فى عدد (السنة) الذى نشر فيه الاجتماع العام الماضى،ومن العجب أن يخفى عليكم هذا . وأعجب منه أن لا يعرف عضو فى جمعية مركزه فيها . وأما البرقية المنشـورة فى (الدفاع) فهى برقية احتجاج على لجنة م. ميرانت الوزارية التى ذهبت لتطعن المسلمين الجزائريين الطعنة النجلاء فى مسألة المساجد والمكاتب والصحافة . وهى مسائـل جمعيـة العلماء المسلمـين الجزائريين التى كتبت فيها صحفها ـ أيام كانت لها صحافـة ـ ونشرت فيها بياناتها،ووجهت فيها برقيات احتجاجها،قبل تكوين

هاته اللجنة ، أتريد من الجمعية أن تسكت عن الاحتجاج لما احتج القطر كله بالمظاهرات والبرقيات مع جميـــع الجهات والطبقات ؟ أفتخرج الجمعية عن إجماع المسلمين فى مسائل هى المقصودة بها بالذات ؟ وأما توجيه البرقية باسم الجمعية فلاعتماد الرئيس على التفويض المعطى له من المجلس الإدارى فى القيام بالدفاع عــن الجمعية فى جميع مسائلها . وقد علم كل أحد أن هذه المسائل هى مسائل الجمعية التى ما زالت تدافع عنها،وتضطهد فيها،ومن أجلها. على أن أكثر أعضاء المجلس الإدارى قد خاطبوا الرئيس يستحثونه على القيام باحتجاج ، وستسمع يوم الاجتماع العــام الآتى كيف يكون التصويت على تلك البرقية وغيرها بالإجماع،ليعلم كل أحد أن هذه الجمعية متضامنة فى جميع أعمالها،لا يشــذ عنها إلا مــن شذ . وأما جعلكم تحرجكم مما نشر بمجلة (الشهاب) السبب الثانى لاستعفائكم،فهو عجب آخر من حضرتكم،إذ مجلة الشهاب معروفة بخطتها الإصلاحية مستقلة بها من يوم نشأتها قبل وجود الجمعيــة بسبع سنوات،فكيف تحملون مسؤوليتها على الجمعية .

فاما ما تهجمتم به على الجمعية فى بقية مقالكم،ولخصتم به ما كان يتقوله غيركم عن الجمعية وأنتم من أعضائها،دون أن يحملكم على الخروج منها ، فإنا لا نجيبكم عنه،لأنا فرغنا منه قبل اليوم مــع أناس بينت حقيقتهم الأيام،وضربهم الله بالتفرق والخذلان ، فأين هم ، وأين صحافتهم اليوم ، وتلك عاقبة الظالمين،ونهايــة كيــد الخائنين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (1) .

(1) ش : ج 7 ، م 10 ـ غرة ربيع الاول 1353 هـ ـ 14 جوان 1934 م .

المجتنيات من الجرائد والمجلات

نصيحة الأستاذ الإمام لأهل الجزائر وتونس

للمشاركة فى حفلة الذكرى الثلاثين (1) التى أقامها إخواننا المصريون للأستاذ الإمام، نشرنا صورته وقدمناها هدية للقــراء، وننقل هنا بمناسبة ذلك نصيحته التالية عن المجلد الحادى عشر من (المنــار) .

من يعرف الأستاذ الإمام يعرف أن كـل حادثة فى جميع أوقاته نصح وتعليم، فمجالسه ومسايره يستفيد علما وحكمة فى كل أمر من أمور الدنيا والآخرة، ولذلك نعتقد أن الذين عرفوه واجتمعوا به فى رحلته الأخيرة الى الجزائر وتونس قد سمعوا منه نصائــح لا تحصى، ولكن النصيحة العامة الشاملة التى كان يشافه بها أهل العلم والدراية فى القطرين هى :

« 1 ــ الجد فى تحصيل العلوم الدينية والدنيوية من طرقهــا القريبة التى أرشد إليها فى الخطاب الذى ألقاه فى تونس .

« 2 ــ الجد فى الكسب وعمران البلاد من الطرق المشروعـــة الشريفة مع الاقتصاد فى المعيشة .

« 3 ــ مسالمة الحكومة وترك الاشتغال بالسياسة . وبهذا الأخير يتم لهم كل ما يريدون من مساعدة الحكومة الفرنسية لهــم على ما قبله، فإن الحكومات فى جميع الأرض يضيقون على البلاد الــتى

يستعمرونها ما داموا يعتقدون أن أهلها ساخطون عليهم ، أو لهم ضلع مع حكومة أخرى ، وهذا الإعراض عن السياسة لا ينافى مخاطبة الحكومة فيما يرونه ضارا بهم من القوانين والمعاملات ، فإذا لم تكشف ضلامتهم بعد الالتجاء إليها في كشفها كانوا معذورين إذا سخطوا وتربصوا بها الدوائر » (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 11 ـ غرة جمادى الاولى 1354 هـ ـ أوت 1935 م .

التقريـر الأدبـي

الذى ألقاه رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
فى افتتاح اجتماعها السنوى العام

صبيحة يوم الأحد 16 جمادى الأخيرة 1354هـ/الموافق 15 ـ 9 ـ 1935 م

بسـم اللّٰه الرحمـٰن الرحيـم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمـام المرسلين ، صلى الله عليه وعليهم أجمعين ، وعـلى آلـه وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد : فباسم الله تعالى ثم باسم جمعية العلمـاء المسلمـين الجزائريين ، أفتتح هذا الاجتماع الرابع للجمعية والمؤتمر الدينى العلمى لهيئتها العمومية ، ثم أرحب بكم شاكرا لكم إقبالكم عـلى الجمعية وعضدكم لها ، بوفودكم على اجتماعها ، كما أشكر أولئك الإخوان الذين حبستهم الأعذار ، فاعتذر من يحسن منهم الكتابة بالكتب ، والبرقيات ، واكتفى الأميون منهـم بهبـات الأرواح ونبضات القلوب .

أيها الإخوان : لقد كانت السنة الماضية ، وهى الرابعة مـن سنوات الجمعية ، سنة ممتازة فى حياة الجزائـر ، تحركت فيها الجزائر حركة الألم ، وحركة الأمل ، حركة ألم أورثه الجمود من

ناحية ، والغفلة من ناحية ، وأسباب أخرى من نواح أخرى ، فطال عليه الأمد حتى أنهك الروح ، والجسد ، وحركة أمل بعثه الشعور بالحياة وثقة برجال ممن بيدهم الحل والعقد ، أولهم كلمة مع من بيدهم الحل والعقد ، فارتفع صوت الجزائر حتى سمع الصم ، وإن قل المجيب،وظهر رسمها على صفحات الأيام ، وإن اختلف تلوينه باختلاف أذواق الدساسين ونزعاتهم ، وإذا ذكرت الجزائر ـ أيها الإخوان ـ فقد ذكرت الجمعية فهي ـ ولا نكـــران ـ الممثلـــة للجزائريين من ناحيتها الروحية والأدبيـــة،وما كتب كاتب في صحيفة من كبريات الصحف وصغرياتها عن الجزائر إلا كان حديثه عن الجمعية في طالعة كلامه ، وإذا ألغينا تهاويل مقصودة وأنبـــاء مقلوبة يبقى الاعتراف للجمعية بمكانتها ، وأن صلاح الجزائـــر ، وإرضاء الجزائر معظمه في مساعدة الجمعية على ما تقوم به مـــن تربيـــة وتهذيـــب .

لقد أبدت الجمعية ألم الأمـــة وألمها من ناحيتها الخاصة بها بما نشر لها وبما أبرقت من برقيات وما ارسلت من كتب ، وقد أبدت ما لها من أمل يوم قابل رجالها وزير فرنسا م. ريفي وسمعت منه ما قوى ذلك الأمل .

وكم كان يسرني ـ وأنا رجل مسلم طبعتني تربيتي الإسلامية على الاعتراف بالجميل أو(1) استطعت أن أذكر لكم اليوم شيئا مـــن تحقق ذلك الأمل ، لكن بغاية الأسف لا أستطيع أن أقول لكم إلا أنه لم يتحقق شيء منه ، فالمساجد ما تزال موصدة الأبواب في وجوه الوعاظ والمرشدين،والمكاتب العـــربية ما زالت تلقـــى العراقيل السديدة ، وصحيفة الجمعية ما تزال في نطاق المنع والتحجير،وما يزال رجال مـــن أشخاص الجمعية البارزين تحت الرقابة والشدة

(1) هكذا في الاصل والظاهر : لو استطعت .

بغير ذنب ، غير أننا لا نقطع حبل الرجاء ما دام على رأس الإدارة رجل عالم خبير يقدر العلم وأهله ، وبما انفسح أمامه المجال للعمل فى عهد الولاية الجديدة ، ومع ذلك فإننى إبقاء لصوت الحق أرفع باسم جمعكم هذا إلى المراجع العليا الاحتجاج على بقاء هاته الحالة التى يحال فيها بين علماء الإسلام ومساجد الإسلام ، ويحال فيها بين الأمة وتعلم دينها فى أماكن دينها،ويعرقل فيها المسلمون على تعليم أبنائهم ، لغــة وعقائد وآداب دينهم . ويخنق فيها صوت جمعية دينية علمية فيحال بينها وبــين الصحافة التى هى الأداة المشروعة المعترف بها لكل جمعية لنشر دعوتها والدفاع عن نفسها.

ثم مــع هذه الحالة وضيقها،فإن الجمعية قامت بحمد اللــه بما استطاعت من واجباتها ، فالدروس العلمية فى بلدان عديدة يقوم بها رجال الجمعية للطلاب،والمدارس القليلة المسموح بها يتولاها رجال من الجمعية لتعليم الصغار ، وقد قام رجال مجلس الإدارة فى آخر السنة برحلات فى العمالات الثلاث،فوفدوا عــلى خمسين بلــدة ونيف،فألقوا فيهــا دروس الوعظ والارشاد عــلى الجموع الكثيرة من الناس،فأحيوا بما نشروا مــن الهداية نفوسا،وأنعشوا أرواحا،وفتحوا عيونا وآذانا،وبعثوا ــ من الخــير ــ آمالا،وبذروا بذور الرحمة والمحبة بين جميع السكان .

واليوم ــ وقد قطعنا المرحلة الرابعة من سيرنا ــ فإننا نستعين الله تعالى على التقدم للمرحلة الخامسة بإيمان ثابت،ويقين صادق، وقصد للخير صحيح.ونحن نجدد لكم عهد الله على السير بالجمعية أو مع الجمعية على خطتها الدينية العلمية،لنفسر العلم والفضيلة، ومحاربة الجهل والرذيلة ، والقرآن إمامنا،والسنة سبيلنا،والسلف الصالح قدوتنا،وخدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخــير لجميع سكان الجزائر غايتنا ، فلنسر موحدين متحدين على هذا الصراط

المستقيم لخير الجميع،والله مع العاملين المخلصين ، والحمد لله رب العالمين (1) .

(1) سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، ص : 74 ـ 67 . 12 جمادى الاخيرة 1354 هـ ـ 15 سبتمبر 1935 م .

العنايــة بهـــلال رمضــان وثبــوته

قيـــاما بالواجب حسب عـــادة الجمعية ،كاتب مكتب الرئاســة جميع رؤساء الشعب فى القطر كله بالكتاب التالى :

حضرة الأخ الكريم : السلام عليكم ورحمة الله ،

وبعد : فالمرغوب منكم أن تقوموا بأنفسكم أنتم ومــن معكم بالعناية برؤية هلال رمضان ، وقــد ثبت دخول شعبان بالثلاثاء، فتجب مراقبة الهلال ليلة الاربعاء الآتية،إذ هى ليلة الثلاثين فإذا رؤي فليبادر بإعلام أقــرب محكمة شرعية لديكــم،ولتعلمونا إلى مكتب رئاســة الجمعية عــلى تيلفون : 15 ــ 25 (خمسة وعشرين خمسة عشر) . وليكن تلقى الخبر دائما باثنين من اثنين إلا إذا لم يره إلا واحد فليتلق عنه اثنان وليبلغ الخبــر على الوجه المذكور، إذ قد يكون شخص آخر رأى فى ناحية أخرى فتلفق الشهادة ، فاذا لم ير ليلة الاربعاء فتصدروا له ليلة الخميس،ولتعملوا فيه كما بينا.

هذا وقد طلبنا من مدير إدارة البريد فى العاصمة أن يأمــر بإبقاء التيلفون مفتوحا إلى الساعة العاشرة .

والمرغوب أن تعرفونا بعدد التيلفون الذى نخاطبكم عليه فى حين اتصالكم بكتابنا هذا إما ببرقية وإما بالتيلفون .

إننا نؤكد عليكم فى القيام بهذا الأمر الدينى العظيم ، والله يتولانا وإياكم والمسلمين بالتوفيق والتأييد .

والسلام عليكم من أخيكم : رئيس الجمعية عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة 1 العدد 1 ــ 1 شوال المبارك 1354 هـ ــ 17 ديسمبر 1935 م .

العنايــة بهــلال رمضــان

وفاء بالوعد وإتماما للفائدة ننشر لقرائنا الكرام نقلا عــن الشهاب الأغر ما يتعلق بهذا المبحث قال :

فجاءت الأجوبة من عندهم كلهم بالكتب والبرقيات باستعدادهم لتنفيذ ما خوطبوا به وتعيين محال مخاطباتهم .

ولما كان مساء يوم الثلاثاء انتصب بمكتب الرئاســـة رئيس الجمعية وهيأته من الأعضاء لتلقي الأخبار، فوردت عليهم نحو مائة تيلفون من جميع جهات القطر تسأل عن الرؤية،وتخبر بوجود الغيم المتكاثف،وهطول المطر في بعض الجهات .

كما انتصب بالمحكمة بجوار مكتب الرئاسة فضيلــة الشيــخ القاضي الشيخ محمد بن الساسي في ثلة من أهل العلم حسب عادته، من يوم نهضت الجمعية بهذا الواجب،وكان فضيلته من أول من لبى دعوتها ونهض به معها .

أكمل شعبان ثلاثين وفي مساء الاربعاء رأى الهـــلال بقريــة أم البواقي جمع كثير من الناس ، وأخبرتنا بذلك هيأة الشعبة ولم نحتج إلى إعلان الخبر، لأن رمضان قد يثبت بعد ـ قطعا ـ بكمــال شعبان،ثم من الغد جاءتنا الأخبار من جهات عديدة بأنهم رأوه ليلة الخميس .

إدارة البــريــد

كاتب رئيس الجمعية مدير البريد بالعاصمة يرغب منه أن يأمر ببقاء التيلفون مفتوحا بالمراكز الصغرى التي يغلق فيها باكــرا ـ إلى الساعة العاشرة من ليلة الاربعاء ـ وقد كلمتنا بعضها متأخرة فنظن أنه أمر بذلك ، فنشكره .

الإصـــلاح

أمـس واليـــوم

أول من نادى بالإصلاح الديني علما وعملا نداء سمعه العالم الإسلامي كله في عصرنا هذا هو الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وأول من قام بخدمته بنشرة إسلامية عالمية هو تلميذه حجة الإسلام السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار، رحمهما الله، وجازاهما عن الإسلام والمسلمين خير ما جازى به المجددين لهذا الدين .

ومن عدل الله وحكمته أن كان مبعث هذه الدعوة الإصلاحية هو مصر ، مصر التي هي مبعث أكثر البدع والضلالات الاعتقاديـة والعملية، من يوم انتصبت فيها دولة الفاطميين، فرسخت فيها البدع الطرقية وغير الطرقية ـ والطرق حيثما كانت فهي تكأة وملجـأ البدع والخرافات ـ وصارت الخطة الطرقية من الخطط الإسلامية في الحكومات المصريـة التي تحميهـا وتؤيـدها، فصارت البـدع والضلالات رسمية في نظر المسلمين وغير المسلمين، وجاء الأزهر وأهل الأزهر ـ إلا قليلا ـ على ديـن الدولة وهوى العامة يقرون تلك البدع والضلالات بسكوتهم، بل بمشاركتهم العملية، وتأييدهم الفعلي والقولي، وما ينتشر عنهم من كتب وتلاميذ .

أما الجامعان اللذان يذكران مع الأزهر بشمالنا الافريقي وهما الزيتونة بتونس، والقرويون بفاس ـ فهما ـ إلا قليلا ـ كما قال الأول :

فما شــر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذى لا تصبحينا

وكيف يكون حــال العالم الإسلامى ومراكزه العلمية الدينية فى ذلك الضلال المبين .

جاءت الدعوة الإصلاحية ـ ومصر والعالم الإسلامى على تلك الحال ـ فاصطدمت بقوة ما كانت تثبت لها لولا قوة الحق والإيمان، ومضى ثلث قــرن أو يزيــد والدعوة الإصلاحية تنتشر وتتقدم، وتنقص البدع والضلالات مــن أطرافها،ولكنه لم تقم فى أمـــة إسلامية هيئــة علمية منظمة تعلن الدعوة إعــلانا عاما،وتصمد للمقاومة،غير مبالية بما يؤيد البدع والضلالات من سلطان دينى وسلطان دنيوى ـ غير الأمــة الجزائرية،فكان من علمائها الأحرار المستقلين الذين لا يعيشون عــلى الوظيف،أولئك الذيــن نهضوا بالدعوة الإصلاحية منذ بضع عشرة سنة،وجاهدوا فيها لله،وصبروا، وأسسوا لهــا أعظم مؤسسة دينيــة ـ جمعيــة العلمــاء المسلمين الجزائريين ـ حتى أصبحت الدعوة الإصلاحية ـ والفضل للـــه والحمد للــه ـ ثابتة الأركان،مشيدة البنيان، باسقة الافنان، دانية الثمار،وارفة الظلال ـ لا على الجزائر وحدها بــل عــلى الشمال الافريقى كله .

لــم يبق للمتشبثين بالبدع والضلالات والأوهام والخرافات من شبهة يتمسكون بها ويستندون إليها إلا طرقية مصر وعلماء مصر ورجال الأزهر . وكانت ـ لا كانت ـ شبهــة لبس بهــا الشيطان كثيرا،وأضل بها العوام وأشباه العوام،وأيد بها حزبه،وشغب بها على حزب الله . وكنا على اليقين من أن الله سيزيل هذه الشبهة ، ويزيح هذه المحنــة،ويؤيد العلماء المصلحين فى الأزهر،فيصبــح الأزهر ـ حجة للمصلحين ، ومصدر هداية للمسلمين ، وقد حقق اللــه الرجاء وأصبح الأزهر اليوم يؤلف من رجاله ـ الرسميين ـ لجانا للقيام بالإصلاح الدينى علما وعملا ، ومــن ورائه الحكومة

المصرية تؤيده وتسنده،كما تراه في المقال التالى الذى نقلناه من جرائد مصر . فمـا أعظمها بشرى نـزفها للمسلمين ولقرائنا فى ختـام هذه السنة الحادية عشرة مـن عمر مجلتهم، فتكون أعظـم ما نهنيهم به في هذا العيد،عيد النحر السعيد،راجين من الله المزيد. « كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِيَ ، إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ » . آمين،والحمد لله رب العالمين (١) .

(1) ش : ج 12 ، م 11 ـ غرة ذى الحجة 1354 هـ ـ مارس 1936 م .

احتفال جمعية التربية والتعليم الإسلامية بالحجاج

وتعرض الحكومة لها بعد إذنها

جرت عادة الجمعية أن تحتفل بالحجاج، وكانت تحتفل بهم في (نادي الاتحاد)، وكان يضيق عن أفواج الراغبين في السلام على الحجاج والتبرك بهم، فرأت هذا العام أن تحتفل بهم في الجامع الكبير، فذهب السيد « الحاج إدريس » المحامي، كاتبها العام والنائب البلدي، والسيد « حسين بن شريف » أمين ماليتها، والنائب البلدي، فطلبا الإذن من الكاتب العام بدار العمالة فأذن لهم، وبعد هذا الإذن أصدرت الجمعية منشورا على الناس يوم الثلاثاء هذا نصه :

جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة

تكريم حجاج بيت الله الحرام

تبتهج النفوس وتنشرح الصدور بقدوم وفد الله وحجاج بيته المحرم ، حديثي عهد بتلك الديار المطهرة ، والآثار الكريمة ، فيود كل مسلم أن يراهم وان يلتمس الخير من الاجتماع بهم .

لكن ذهاب أفواج الناس إليهم في بيوتهم فيه ما فيه من التثقيل عليهم ، والكلفة لأهلهم ، والسرف المذموم فيما يضطرون لتقديمه لقاصديهم ، حتى ليكاد يقارب الذي ينفقونه عند قدومهم مما أنفقوه في حجهم . وهذا كله من الحرج والتكلف والتبذير التي نهينا عنها .

فالجمعية تدعو إخواننا المسلمين ان يقلعوا عن هذه المنهيات ، وأن ينكفوا عن الذهاب إلى الحجاج فى بيوتهم إلا من كان من أقاربهم .

والجمعية قد عزمت على تكريم الحجاج مساء يوم الجمعة القابلة إثر صلاة العصر بالجامع الكبير إن شاء الله تعالى .

فهى تدعو جميع المسلمين إلى الإتيان إليهم والتبرك بهم .

وبهذا نكون قد اجتمعنا بوفد الله في بيت الله ، وسلمنا مما نهى عنه الله . فيتضاعف إن شاء الله الأجر ، ويتكاثر المغنم ، ويتجلى جمال المظهر ، ويحسن عند الله وعند الناس الأثر .

جمع الله قلوبنا على الحق ، وأقوالنا على الصدق ، وأعمالنا على العدل والإحسان ، والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

وفى صبيحة الاربعاء استدعت الإدارة السيد « الحاج ادريس » والسيد « حسين »،ولغياب السيد الحاج إدريس ذهب مكانه مع السيد حسين السيد « محمد الشريف » ابن الأبيض المحامي والنائب البلدى والعضو فى الجمعية فأخبرهما الكاتب العام بالرجوع فى ذلك الإذن لعدم جواز الاجتماع فى الجامع ، فأعلماه بما أصدرته الجمعية من الإعلان بالاجتماع للعموم بناء على إذنه المتقدم ، وبعد مراجعة طويلة أوقف الأمر النهائي على مراجعة عامل العمالة السيد البريفى .

فى مساء الاربعاء سافرت إلى (عنابة) لمقابلة الحجاج صبيحة الخميس،فلما نزلت بدار السيد « الحاج الخوجة » رئيس شعبة جمعية العلماء أخبرنى أن السّو بريفي يسأل عن قدومي،وأمره أن يخبره

عنى بمجرد قدومى ، ولما أخبره إذ ذاك بقدومى طلب حضورى لديه مع السيد الخوجة على السابعة صباح الخميس . ولما ذهبنا إليه فى الموعد أخبرنى بأن السيد البريفى يمنع من إقامة الاحتفال بالجامع، وينكر إعطاء الإذن، فأجبته بأن الناس سوف يجتمعون لأجل المنشور الذى وزع عليهم بعد إذن خليفة البريفى ، وأما الاحتفال فلا يقام .

رأيت بعد خروجى من عند الشو بريفى أن هذا الأمر لا يجوز السكوت عليه، فليس من اللائق بإدارة محترمة أن تضطرب هذا الاضطراب ، ولا من اللائق بجمعية محترمة أن تعامل هذه المعاملة، وعلمت ما يتركه هذا العمل فى قلوب المسلمين من الأثر السيء والكدر التام، فبادرت إلى إرسال برقية إلى دار العمالة بقسنطينة ومثلها إلى دار الولاية العامة، ذكرت فيها أن المنشور ما كان إلا بعد الإذن ، واستنكرت الرجوع فى الإذن ، وأعربت عن الاستياء الذى يحصل من منع المسلمين من إقامة احتفال دينى محض فى مسجدهم، ونصحت بالرجوع عن المنع فى صالح الجميع .

قفلت الى قسنطينة مساء الخميس ومكثت صبيحة الجمعة انتظر جوابا عن برقيتى فلم يات عنها جواب .

لما صليت عصر الجمعة جاءني جماعة من المسلمين فذكروا لى أن الجامع الكبير قد غص بالناس، وأنهم فى انتظارك، وأنهم لا يتفرقون إلا إذا أتيت ، فذهبت إلى الجامع الكبير فوجدت رؤساء الشرطة ورجالها قد اكتنفوا بابي الجامع ، ووجدت الجامع غاص الرحاب بالناس ، فشققت طريقى إلى المحراب حيث وجدت جمعا من الحجاج أربعة عشر أو أكثر فسلمت ، ثم توجهت للناس فبشرتهم بما لهم عند الله باجتماعهم فى بيته لإكرام وفده ، ثم أعلمته بمنع الحكومة من إقامة الاحتفال الذى هو عبارة عن تلاوة آيات من القرآن العظيم، وإلقاء خطاب دينى فيه تذكير وتشويق وتبشير ، ولأجل أن

أخفف على الناس ما أصابهم من الألم من صدمة المنع ـ قلت لهم : حسبكم أن عملكم قد وقع عند الله ، وأن نتوجه كلنا بالدعاء إليه وإخواننا الحجاج يدعون الله لكم ، وبعد الدعاء قام الحجاج ووقفوا عند باب بيت الصلاة فسلموا عليهم وصافحوهم مهنئين متبركين.

الملاحظـــات

1 ـ ما كان رجوع عامل العمالة في الإذن الذى أعطاه خليفته إلا بعد سعي من المفتى « ابن الموهوب » وتحريش وتهويل ، وقد علم السيد « ابن الابيض » لما خاطبه السيد البريفى لغيبتى فى « عنابة » أن المسألة أثارتها الناحية الرسمية فى الجامع الكبير .

2 ـ برهنت الأمة باجتماعها الهائل بالجامع الكبير على أنها تعرف قيمة الناس، فلم تلتفت إلى ما نشرته صحيفة معلومة من الصد والتثبيط . ولا ما نشره فى أوراق ووزعها من لم يجسر أن يصرح باسمه تحت أوراقه ...

3 ـ ما يزال بعض الرجال فى الادارات يغترون ببعض الرسميين الذين لا قيمة لهم عند الامة حتى يوقعوهم فيما لا ينبغى.

إنا نود أن تعرف الحكومة مقدار تعلق الأمة بمساجدها،ورغبتها فى عمارتها بأمور دينها ، فترجع عن معارضتها فيها ، ومنعها منها ، فتكسب شيئا من قلوبها وصادق شكرها (1) .

عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية التربية والتعليم الاسلامية بقسنطينة

(1) البصائر : ع 14 ـ 18 محرم 1355 هـ ـ 10 أبريل 1936 م .

معـــاذ اللـــه

ظن المتستر وراء (الطالب الزيتونى) أننى لم أجبه ترفعا عنه ، ومعاذ الله من هذا معاذه . وإنما لم أجبه لأنه تستر وراء إمضاء مستعار فى مخاطبة من يكتب بإمضائه الصريح، وليس من العدل أن ينازل الرجال من يختفى وراء الحجال ، فـإن أردت أن تجاب ، فارفع الحجاب ، وسلام عليك يا أستاذ ! (1)

عبد الحميد

---

(1) البصائر : السنة 1 ، العدد 24 ـ 29 ربيع الاول 1355 هـ ـ 19 جوان 1936 م

من آثـار جمعية العلماء فى تهدئة الأفكار

نشرت جمعية العلماء المسلمين على الأمـة الجزائرية منشورين فى أيام الحادثة (1) ، تحضها على ملازمة الهدوء والسكون وتدعوها إلى الثقة بالعدالة الفرنسوية،وهذا نص المنشور الأول :

نداء من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أيها الشعب الكريم !

ها أنت اليوم استيقظت من نوم عميق ، وفتحت عينيك للحياة ، ونهضت للعمل مع العاملين .

فتقـو بالاتحاد،وتسلـح بالإيمان،وتـدرع بالصبر ، وتحصن بالثبات ، سر بهدوء ونظام فى طريق الحق والخـير ، إلى منزلتك اللائقة بك من الحياة بين الشعوب .

كن حذرا كن يقظا .

اعرف أصدقاءك من أعدائك .

وما أصدقاؤك إلا الذين يحترمون الإنسانية فى جميع أجناسها وجميع أديانها،ويرحمون الضعيف وينصرون المظلوم ، ويقاومون الظلم والاستعباد .

(1) هى حادثة اغتيال الشيخ كحول سنة 1355 هـ ـ 1936 م .

وما أعداؤك إلا الذين وقفوا لك فى طريق الحياة والتقدم منذ عرفتهم وعرفوك ، فسدوا عليك أبواب الرزق والعلم ، وسلبوك الحرية والثروة ، واستغلوك كما تستغل الحيوانات العجماء بل أشد وأشر .

وها هم اليوم يريدون خدعك ، ويحاولون استعمالك آلة لأغراضهم ضد أصدقائك الإنسانيين .

أيها الشعب الكريم :

كن – كلك – مع الحكومة الفرنسوية الممثلة للشعب الفرنسى الديمقراطى أصدق تمثيل .

كن كلك ضد كل متعصب ضد أي جنس وأي دين .

كن متحدا،فبالاتحاد – فقط – تبلغ غايتك الشريفة الإنسانية.

كن مستيقظا منظما ، لتبرهن على أنك شعب لا تريد إلا العيش والحرية والسلام .

ارفع عقيرتك بالاحتجاج ضد جميع الذين يستعملون العنف والقسوة والأساليب الشيطانية الخفية ليحدثوا الفتنة والشغب ضد فرنسا والجزائر .

ناد من كل قلبك : لتحيى الجزائر ! لتحيى فرانسا الشعبية !

ليسقط الظلم والاستعباد ! ليسقط أضداد الأجناس وحرية الأديان والأفكار !

عن الجمعية : الرئيس عبد الحميد بن باديس

وهذا نص المنشور الثانى

أيها الشعب الكريم :

كبر على أعدائك أن يروك فرحا مسرورا بمؤتمرك العظيم ، ووفدك إلى باريس ، وبلوغ صوتك إلى الحكومة الفرنسية وأحزاب

الجبهة الشعبية،ورجوع وفدك يحمل الآمال الصادقة ، والثقة التامة من تلك الحكومة وتلك الأحزاب .

كبر على أعدائك كل هذا،فأخذوا يدبرون لك المكائد ، وينصبون لك الأشراك ، فكانت تلك الجناية المنكرة على الإمام (ابن دالى)،ثم كانت تلك التهمة الشنيعة على الأستاذ (الطيب العقبى) .

كل ذلك لأجل أن يثيروك فيخرجوك عن النظام والسكينة ليصوروك بالصورة التى يريدونها لك من القبح والفساد ، ولأجل أن يزيلوا ثقتك بالجبهة الشعبية حكومتها وأحزابها ، ويوهموك أنه لم يصبك فى أيامهم ما أصابك فى أيامها،فيفصلوك عنها لتقع فريسة بين أيديهم .

أيها الشعب الكريم :

ارفع صوتك بالاحتجاج ضد كل إجرام وكل كيد .

أعلن مقتك للكائدين المكارين .

دم على ثقتك بالجبهة الشعبية حكومتها وأحزابها .

ثق بأن عين العدالة الفرنسية ستفضح الكائدين .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

شكر وتقدير

كانت حادثة اعتقال الأستاذ (الطيب العقبى) فى ظاهرها محنة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثرت ما تؤثره المحن المفاجئة من حيرة لم تذهب بالصبر، واضطراب لم يزلزل العقيدة .

ولكنها كانت فى حقيقتها نعمة عظيمة لا يقوم بها الشكر، فقد أحدثت فى العالم المتصل بالجزائر روحا جديدة من العطف على

الجمعية،والتنبه لمكانتها،والتأييد لهـا،والانتصار لمبادئها الحقـة ، وكانت موحدة لشعور سكان الشمال الافريقى على الخصوص .

وقد أحدث طرفا الحادثة وهما الاعتقال والإفراج ، ضجة أسف عامة ، وهزة فرح شاملة ، نطقت بهـا مئات البرقيات والرسائل التى وردت على الأستاذ وعلى مركز الجمعية ، وعبرت عنها الصحف العربية والفرنساوية .

فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتقدم بالشكر الجم للجرائد التونسية على موقفها الشريف فى هذه الحادثة،واعتنائها المضاعف، واهتمامها بإظهار الحقيقة،وللجرائد الباريزية على انتصارها للحق، وللأمم التى أظهرت عطفها على الجمعية ، وشاركتها فى الأسف عند نزول الكربة،والفرح عند انجلائها،مقدرة للجميع إحساسهم، سائلة رب العباد أن يديم على الكل ستره العميم وفضله الشامل (1) .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

تنظيم الاجتماع العام والدعوة إليه

بسم الله الرحمن الرحيم

قسنطينة فى .... سنة 1355 هـ ــ 1936 م

فضيلة الشيخ

رئيس شعبة الجمعية بـ ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد فإن الاجتماع العام للجمعية يكون صبيحة الأحد 11 رجب 27 سبتمبر بنادى التـرقي بعاصمة الجزائر ، فالرجـاء منكـم أن

(1) البصائر : العدد 32 ــ 10 جمادى الثانية 1355 هـ ــ 28 أوت 1936 م .

تحضروه أنتم وبعض أعضاء مجلس ادارة شعبتكم ، هذا على سبيل اللزوم،ثـم من تيسر له القدوم من بقية الأعضاء،هذا عـلى سبيل الرغبة الأكيدة .

وقد وجهنا لكم عددا من أوراق الدعوة لتوزعوها بعناية عـلى إخواننا أعضاء الجمعية لديكم،ممن ترون منهم تيسر القدوم .

واللـه يستعملنا وإياكم فى طاعته ، ويتولانا وإياكم بجميل عفوه وجزيل بره .

والسلام عليكم ومن أخيكم رئيس الجمعية (1) .

عبد الحميد بن باديس

« ورقـــة استـدعــاء »

للاجتماع العام الذى يقع بنادى الترقى بالعاصمة صبيحة الأحد الثانى من رجب 1355 هـ ــ 27 سبتمبر 1936 م .

أيها الأخ الكريم ...

السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته .

أما بعد،فالمجلس الإدارى للجمعية يدعوكم للحضور للاجتماع العام فى الزمان والمكان المذكورين أعلاه،ويؤكد عليكم فى الدعوة، راجيا لكم التوفيق والتيسير .

والسلام من أخيكم رئيس الجمعية .

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : السنة الاولى العدد 36 ــ 9 رجب 1355 هـ 25 سبتمبر 1936 م .

استصحب هاته الورقة معك عند القدوم :

فالمرجو من كل من لم يصله كتابه من رؤساء الشعب أو بطاقته من الأعضاء أن يعتبر النص المنشور هنا موجها إليه . وأن يسعى جهده لحضور هذا الاجتماع وعدم تفويته ما استطاع ووجد إلى الحضور سبيلا. والله الميسر والهادى إلى سواء السبيل .[1]

(1) البصائر : السنة الاولى العدد 36 ـ 9 رجب 1355 هـ 25 سبمبر 1936 م .

الإسلام دين علم خالد

ألف الاستاذ محمد فريد وجدى كتابا تحت هذا العنوان بحث فيه فى الوحى والدين والإسلام ، فوفى البحث حقه . وقد كان بعض المعجبين بالأستاذ أطلعنى على الكتاب،فوقفت فيه على أشياء أنكرتها،منها : تعبيره عن موجد الكون بروح الكون،وجعله الحياة الإنسانية قبسة من الحياة الوجودية ، ويعنى بالحياة الوجودية ما عبر عنه بروح الكون،وهذا صريح فى أن الروح الإنسانية مأخوذة من الله تعالى، جل الله عن ذلك ، وكيف يؤخذ الحديث من القديم ؟ ومنها زعمه عن الموجودات (ص 12) أنها سابحة فى روح الوجود سبح النينان فى المحيط الزاخر ، منه وجدت،وبه تحيا، وفيه تفنى ، وكما كان تعبيره عن موجد الكون بروح الوجود من العبارات الحلولية الموهمة أن الموجد سار فى الموجودات ، فقد (1) تعبيره هنا بأنها سابحة فيه وتفنى فيه، مقتضيا أنها حالة فيه،وكلا الامرين محال، باطل اعتقاده . حاشا الأستاذ أن يكون قصده . ومنها زعمه أن في الناس علماء منتهون (2) (ص18) لا يتطلبون أن ياخذوا الدين آدابا وأخلاقا،ولا ان يتعلموا منه أسلوبا فى الحياة ولا دستورا فى المعاملات ، ثم يقول عنهم (ص 20) إن هؤلاء العلماء الأعلام يرون أن لا حاجة بهم إلى الأديان المعروفة،هم هكذا ويسميهم بالعلماء الأعلام !

(1) هكذا فى الاصل والظاهر : فكذلك .

(2) هكذا فى الاصل والصواب : منتهين .

رأيت هذا فى الكلام واستنكرته ونبهت الإخوان عليه ، ثم رأيت لحجة الإسلام الأستاذ رشيد رضا بحثا مستفيضا فى هذا الكتاب ومؤلفه (ص 3) (*)

(*) ش : ج 7 ، م 12 ـ غرة رجب 1355 هـ ـ أكتوبر 1936 م .

الهيئة الشرعية بالعاصمة

كنا فى السنوات الماضية لما يثبت الهلال فى جهة قسنطينة ونحاول الاتصال ـ تيلفونيا ـ بمفتى العاصمة أو قاضيها لا نجد إلى ذلك سبيلا،حتى نرغب من بعض الفضلاء من إخواننا الجزائريين الذين نخاطبهم كالسيد ابن صيام،والسيد ابن المرابط ـ أن يذهبوا إليهما ويعلموهما فلا يجدون منهم عناية،لأن الذى كان يسيطر على الهيئة الدينية هو إمام الجامع الكبير المعروف،وكان بقلبه مرض من قسنطينة ومن جمعية العلماء،فلا يريد أن يقبل كل ما يأتى من قسنطينة،وإن كان من محكمة الشيخ القاضى وبحكمه،لما فيه من دخل من عناية الجمعية ، حتى أنه فى السنة الماضية خوطب هو نفسه من محكمة الشيخ القاضى فأبى إلا العناد،كما نشرناه وعلمه الناس فى وقته .

أما فى هذه السنة ـ والحمد لله،فقد قطع الله اليد الظالمة،وانقذ منها الهيئة الدينية،فتألفت الهيئة الشرعية من فضيلتى الشيخ القاضى ، والشيخ المفتى،وغيرهما،وتصدت للعناية بأمر الهلال، وجلست بمحلها ليلة الاربعاء لانتظار الأخبار، وشاهد الناس بالعاصمة مظهرا من العناية الدينية لم يشهدوه من قبل . فنشكر الهيئة على ما قامت به،ونرجوها الاستمرار فى هذا المنهج الحميد الذى هى أهله .

(رجاء من أصحاب الفضيلة القضاة والمفاتي)

ندعو فضيلاتكم ـ باسم الدين والأخوة فيه ـ إلى القيام بهـذا الواجب العظيم فينصبوا بمحلاتهم ليلة الثلاثين لتلقى الأخبـار بعضهم من بعض وليتلقى الأخبار من الناس .

(رجـاء مـن الأمـة)

إن ليلة الثلاثين هي ليلة الجمعة،فيجب لرؤية الهلال وعلى كل من رأى وتحقق أن يرى غيره ـ إن كان معه ـ ويبادر برفع رؤيته إلى أقرب محكمة إليه . ومن المحتمل القوى أن يرى هلال شوال ليلة الجمعة إذا لم يمنع منه غيم،لأن علماء الفلك متفقون على أن هلال رمضان كان استهل نهار الثلاثاء،وما منع من رؤيته ليلـة الاربعاء إلا عموم الغيم،ويؤيد قولهم شيوع رؤيته ليلة الخميس .

(إلى رؤسـاء شعـب الجمعيـة)

نرجو من إخواننا رؤساء شعب الجمعية أن يحثوا الناس على هذا الواجب كما هي عادتهم ـ شكر الله لهم ـ فبفضل الله ثم بعنايتكم انتشرت هذه الروح من العناية الدينية والتعاون المشروع المحمود، وتلك هي غاية الجمعية،وقد وصلنا إلى معظمها والحمد لله ، ونرجو من الله المزيد،فنعم المولى ونعم النصير (1) .

---

(1) البصائر : السنة الاولى ، العدد 2 ـ 15 شوال 1354 هـ ـ 10 جانفي 1936 م.

المجلة الزيتونية

يحق لى ـ وأنا تلميذ من تلامذة الزيتونة ـ أن أغتبط بالمجلة الزيتونية غبطة خاصة .

ويحق لى ـ وأنا جندى من جنود الإصلاح الإسلامى العام ـ أن أسر سرورا خاصا بتعزز معاقل الإصلاح بها .

ما كنت لأنسى أربع سنوات قضيتها بالزيتونة ، شطرها متعلما وشطرها متعلما ومعلما ، فكان لى منها آباء وإخوة وأبناء ، فأكرم بهم من آباء،وأكرم بهم من إخوة،وأكرم بهم من أبناء .

مضت بضع سنوات حالت فيها الأعمال المتوالية بينى وبين زيارة ذلك المعهد الشريف وأهله الكرام ، ولقد كان ـ علم الله ـ شذى مجالسنا بذكره ، ونعيم أرواحنا بذكراه ، وما أعرف صائفة حل بنا معشر خدمة الإصلاح ـ بها البلاء واستحكمت حلقاته مثل الصائفة الماضية ، بما كبدت به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وما نصب لها ولرجالها من أشراك لولا دفع الله وحفظه ، وما أعلم صائفة هاج بى الشوق إلى جامع الزيتونة مثلها ، ولقد علم رفاقى أنه كان صبابة وهياجا لا شوقا معتادا . وأى واجبات هى من حقوق الجزائر غالبت ذلك الشوق فغلبته فلم أستطع براحا ، وأى ألم هو كنت ألقاه بين سلطان الواجب وصولة العاطفة ، لكن الله الذى أرانا فنونا من لطفه فى تلك الصائفة عجل بما سكن ذلك الشوق ، وأنعش الروح ، وشرح الخاطر ، فأطلع علينا (المجلة الزيتونية) من سماء تلك الديار ، مشرق الشموس،مطلع الأقمار،وقد ازدانت

غرتها بأسماء أربعة من خيرة الشباب العلماء العاملين : الأستاذ محمد الشاذلي بن القاضى،والأستاذ محمد الهادى ابن القاضى ، وكنت تلقيت قسما من البلاغة على المنعم والدهما ، والأستاذ محمد المختار بن محمود ، والأستاذ الطاهر القصار ، وكنت مررت يوم امتحان شهادة التطويع أمام المنعمين والديهما مع غيرهما،وقد اضطلع هؤلاء الأساتذة الأربعة بالمجلة وتحريرها وإدارتها وماليتها، وأمدهم الأستاذ الاكبر شيخ الجامع بتأييده الرسمى،ووازرهم فى العمل أمثالهم من الشباب العلماء وأصحاب الفضيلة الشيوخ الكبراء،مثل العلامة أستاذنا شيخ الإسلام المالكى ابن عاشور، والعلامة أستاذنا الشيخ الصادق النيفر، والعلامة الأستاذ الشيخ عبد العزيز جعيط،والعلامة الأستاذ الشيخ البشير النيفر وغيرهم . فكانت المجلة الزيتونية تمثل تمثيلا صحيحا جامع الزيتونة بشيوخه وشبانه،فتتجلى فيها الجرأة والرصانة ، والنشاط والتؤدة . فتسير ـ ان شاء الله ـ إلى غايتها فى قوة وسلام .

كانت أول دعوة للإصلاح الإسلامى أعلنت فى هذا الشمال الافريقى على لسان الصحافة ـ هى دعوتنا منذ بضع عشرة سنة فى جريدة (المنتقد) الشهيدة،وفى خلفها (الشهاب)،وما كان ينتظر من جامع الزيتونة المعمور فى جلاله وثقل تقاليده أن يخف لتأييد تلك الدعوة،فكنا نعذره بالسكوت حينا ، ونأمل أن يأتى يوم يأبى عليه الحق فيه إلا أن يقول كلمته،ويرفع صوته،فيدوى له هذا الشمال ، وكنا نستعجل هذا الفينة بعد الفينة بما نلوح ونصرح به من عتب واستنجاد ، حتى جاء هذا العام المبارك فجاءت (المجلة الزيتونية) تعلن الإصلاح،وتحمل رايته،وتدعو إليه باسم جامع الزيتونة المعمور،فكان فوزا مبينا للإصلاح والمصلحين،ونصرا عظيما للإسلام والمسلمين .

وقد صدر العدد الأول بمقال الافتتاح بقلم رئيس التحرير

الأستاذ محمد المختار ابن محمود، وخطاب لصاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع، وخطاب الأستاذ محمد الشاذلي بن القاضي صاحب المجلة، وكلها صريحة فيما ذكرناه من تقدم جامع الزيتونة والمجلة الزيتونية لميدان الإصلاح الإسلامي العام . وها نحن ننقل فيما يلي دررا منها نحلي بها جيد هذا المقال :

قال الأستاذ رئيس التحرير : « ونحن إذا تأملنا حالة المسلمين في هذا العصر ، من كل قطر ومصر، وجدناهم قد نبذوا تعاليم الإسلام ظهريا ، وتجافوا عنه كبرا وعتيا ، فسوق المفاسد والضلالات في رواج، وظلام الشرك يوشك أن لا يكون له انبلاج ، فكان لزاما على علماء الدين في جميع النواحي أن يشمروا عن ساعد الجد ، وينفقوا كل ما لديهم من مال وجاه وكد ، ويرفعوا أصواتهم بإرشاد الناس ، من جميع الاجناس ، حتى يملأ صوتهم الفضاء ، ويصل إلى عنان السماء ، فينفذ إلى قلوب أعمتها الضلالة، وأتت عليها الجهالة ، وبذلك يتميز السبيل القصد عن الجائرات من السبل ، وما تكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، ويصرع الباطل وإن شاع، ويظهر الحق وتعلو كلمة الله في جميع البقاع » .

« وسيكون في المجلة باب بعنوان (الوعظ والإرشاد) وهو من أعظم أبواب المجلة، حيث سيكون مجالا فسيحا لإرشاد الناس وتنبيههم إلى مواقع الخطأ فيما هم سائرون عليه، حتى يقلعوا عنه ويرجعوا إلى هدى الإسلام » .

« وسيكون شعار المجلة في جميع أعمالها وفي مختلف أطوارها ، الإصلاح الديني ومقاومة كل حركة ترمي إلى الإلحاد أو إلى التعصب الديني أو المذهبي، ومقاومة البدع بجميع أنواعها ما استطاعت إلى ذلك سبيلا » .

وقال الأستاذ الأكبر أستاذنا المالقي ـ في بيان مهمة مشيخة الجامع الأعظم التي تسعى لتحقيقها ـ : (خامسا) إرشاد العلماء

للعامة وإنقاذهم من وهدة الجهالة التى لا يعــذر صاحبها،وذلك بالوعظ والإرشاد فى الجوامــع ، والمجتمعات العامة،وتعهدهــم بالموعظة كما كان عليه سلف الأمة.ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها » .

وقال الأستاذ صاحب المجلة : « وليس هذا هو كل ما يتطلب منا القيام به،فإن أمامنا مهمات كثيرة تتطلب رجالا مصلحين أمثالكم هى اليوم فى طي الذهول أو النسيان » .

* * *

نحن نسجل بغاية السرور والغبطة ومع صادق الرجاء وعظيــم الأمل ، التصريحات الجليلة التى لا تصدر إلا من قلوب أفعمت بالخير، ونفوس تشعر بالواجب ، وهمم تريــد النهوض بإرث النبــوة والرسالة،من إنقاذ الخلق وهدايتهــم إلى الصراط المستقيــم . وخصوصا تصريحات مولانا الأستاذ الأكبر،فقد بين أن من مقاصد مشيخة الجامع القيام بالوعظ والإرشاد فى الجوامع والمجتمعــات، وان تلك هى سيرة السلف الصالح . وطبع كلامه بكلمة إمام دار الهجرة التى هى شعار « الشهاب » .

وهذا الذى بينه فضيلته هو ما قامت وتقوم به جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وهو ما لقيت وتلقى فى سبيله كل عرقلة وشر من طرف الإدارة الظالمة الغاشمة المتعرضة لتربية المسلمين تربية إسلامية إنسانية صحيحة ، فليتكل فضيلته على الله،وليقدم الشبان العلماء من أبناء الزيتونة إلى سيادين الوعظ والارشاد فى الجوامع والمجتمعات فى جميع نواحى المملكة ـ لا العمالة ! ـ التونسية . وليوطن إخواننا من الأساتذة أنفسهم على ما يلقونه من البــلاء وما تمطرهم به سحب الظلم والجهل من أنواع الأذى.وفقهم اللــه وأعانهم على تعجيل ما عزموا عليه .

وبعد، فإن اسم الزيتونة اسم إسلامي علمي تاريخي عظيم فيجب أن تكون « المجلة الزيتونية » ممثلة له مجددة لعهده . وإن في تعاون أساتذة الجامع : شبابهم وشيوخهم على النهوض بها ما يحقق ذلك إن شاء الله . وإنني أقترح على إخواني القائمين بها أن يضموا إلى قلم تحريرها رجالا من الزيتونيين الذين يعرفون بعض اللغات الغربية، ولهم خبرة بحركات العصر من وراء البحر، فإن العلوم والآداب والفنون تراث الإنسانية كلها، لا تستقل فيها أمة عن أمة، وأكمل الأمم إزاءها من تحسن كيف تحافظ على حسنها وتستفيد من حسن غيرها (1) .

وسلام عليكم أيها الرفاق ، من أخ مشتاق .

عبد الحميد بن باديس

---

(1) ش : ج 10 ، م 12 ـ غرة شوال 1355 هـ ـ جانفي 1937 م .

المجلـــة التونسيـــة

اجتمعنا بالاستاذ مبارك الميلى فى شهر رمضـــان الماضى ودار الحديث على النهضة الاصلاحية التى ظهرت بجامع الزيتونة المعمور وكان من ثمارها المجلة الزيتونية . فأخبرني الأستاذ أنه كتب لها تقريظا وأرسله إلى ادارتها . وكنا نحسب أنه يصدر بجزء شوال، ولما اجتمعت بالأساتذة أصحاب المجلة بشهـر شـــوال أخبروني باتصالهم بالتقريظ واعتذروا عن تأخره بكثرة المواد،وذكروا لى أنهم سينشرونه ـ مع تعليق على شيء فيه ـ في جزء ذى القعـدة، فصدر الجزء ولم ينشر فيه . فلما اجتمعت بالأستـاذ الميـــلى فى العشرين منه تذاكرنا أمر التقريظ وتأخر نشره،وسألته هل فيه ما جعل نشره على الإخوان ثقيلا ؟ وطلبت منه أن يطلعنى عليـه وأن يأذن لى فى نشره،فأعطانيه فلم أجد فيه إلا كل ما يسر ويفيد فبادرت بنشره (1) .

(1) ش : ج 12 ، م 12 ـ غرة ذى الحجة 1355 هـ ـ فيفرى 1937 م .

دعوة جمعية العلماء الجزائريين وأصولها

1 ـ الإسلام هو دين الله الذى وضعه لهداية عباده ، وأرسل به جميع رسله ، وكمله على يد نبيه (محمد) الذى لا نبي من بعده .

2 ـ الإسلام هو دين البشرية الذى لا تسعد إلا به،وذلك لأنه :

أولا ـ كما يدعو إلى الأخوة الإسلامية بين جميع المسلمين ، يذكر بالأخوة الإنسانية بين البشر أجمعين .

ثانيا ـ يسوى فى الكرامة البشرية والحقوق الإنسانية بين جميع الأجناس والألوان .

ثالثا ـ لأنه يفرض العدل فرضا تاما بين جميع الناس بلا أدنى تمييز .

رابعا ـ يدعو إلى الإحسان العام .

خامسا ـ يحرم الظلم بجميع وجوهه وبأقل قليله من أى أحد على أى أحد من الناس .

سادسا ـ يمجد العقل ويدعو إلى بناء الحياة كلها على التفكير .

سابعا ـ ينشر دعوته بالحجة والإقناع لا بالختل والإكراه .

ثامنا ـ يترك لأهل كل دين دينهم يفهمونه ويطبقونه كما يشاؤون .

تاسعا ـ شرك الفقراء مع الأغنياءِ فى الأموال،وشرع مثـــل القراض والمزارعة والمغارسة ، مما يظهر به التعاون العادل بـين العمال وأرباب الأراضى والأموال .

عاشرا ـ يدعو إلى رحمة الضعيف فيكفى العاجز، ويعلم الجاهل، ويرشد الضال،ويعان المضطر، ويغاث الملهوف، وينصر المظلـــوم، ويؤخذ على يد الظالم .

حادى عشر ـ يحرم الاستعباد والجبروت بجميع وجوهه .

ثانى عشر ـ يجعل الحكم شورى ليس فيه استبداد ولو لأعدل النـاس .

3 ـ القرآن هو كتاب الإسلام .

4 ـ السنة ـ القولية والفعلية ـ الصحيحة تفسير وبيـــان للقـرآن .

5 ـ سلوك السلف الصالح ـ الصحابـة والتابعين وأتبـــاع التابعين ـ تطبيق صحيح لهدى الإسلام .

6 ـ فهوم أئمة السلف الصالح أصدق الفهوم لحقائق الإســلام ونصوص الكتاب والسنة .

7 ـ البدعة كل ما أحدث على أنه عبادة وقربة ولم يثبت عـن النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ فعله،وكل بدعة ضلالة .

8 ـ المصلحة كل ما اقتضته حاجة الناس فى أمر دنياهم ونظـام معيشتهم وضبط شؤونهم وتقدم عمرانهم مما تقره أصول الشريعة.

9 ـ أفضل الخلق هو (محمد) صلى الله عليه وآله وسلم ، لأنه :

أولا ـ اختاره الله لتبليغ أكمل شريعة إلى الناس عامة .

ثانيا ـ كان على أكمل أخلاق البشرية .

ثالثا ـ بلغ الرسالة ومثل كمالها بذاته وسيرته .

رابعا ـ عاش مجاهدا في كل لحظة من حياته في سبيل سعـادة البشرية جمعاء حتى خرج من الدنيا ودرعه مرهونة .

10 ـ أفضل أمته بعده هم السلف الصالح لكمال اتباعهم له .

11 ـ أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وكانوا يتقون،وهم الأولياء والصالحون،فحظ كل مؤمن من ولاية الله على قدر حظه من تقوى الله.

12 ـ التوحيد أساس الدين ، فكل شرك ـ في الاعتقـاد أو في الفعل ـ فهو باطل مردود على صاحبه .

13 ـ العمل الصالح المبني على التوحيد به وحـده النجـاة والسعادة عند الله،فلا النسب ولا الحسب ولا الحظ بالذى يغني عن الظالم شيئا .

14 ـ اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع اللـه في شيء ما شرك وضلال ، ومنه اعتقاد الغوث والديوان .

15 ـ بناء القباب على القبور،ووقد السرج عليها،والذبح عندها لأجلها،والاستغاثة بأهلها ضلال من أعمال الجاهلية،ومضاهاة لأعمال المشركين،فمن فعله جهلا يعلم،ومن أقره ممن ينتسب إلى العلم فهو ضال مضل .

16 ـ الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف،ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتحيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيـخ وأولاد الشيخ إلى ما هناك من استغلال .... ومن تجميد للعقـول وإماتة للهمم وقتل للشعور،وغير ذلك من الشرور ..

17 ـ ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام،وما بيناه منه من الأحكـام، بالكتاب والسنة وهدى السلف الصالح من الأئمة، مع الرحمـة والإحسان،دون عداوة أو عدوان .

18 ـ الجاهلون والمغرورون أحق الناس بالرحمة .

19 ـ المعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسـوة .

20 ـ عند المصلحة العامة من مصالح الأمة يجب تناسى كل خلاف يفرق الكلمة،ويصدع الوحدة،ويوجد للشر الثغرة ، ويتحتم التآزر والتكاتف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة بإذن الله ، ثم بقوة الحق وادراع الصبر،وسلاح العلم والعمل والحكمة .

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِيَ : أَدْعُو إِلَى اللّٰهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَـنِ اتَّبَعَنِى ، وَسُبْحَانَ اللّهِ ، وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » .

عبد الحميد بن باديس
بقسنطينة بالجامع الاخضر اثر صلاة
الجمعة 4 ربيع الاول 1356 هـ (1)

(1) البصائر . السنة الثانية ، العدد 71 ـ ربيع الثانى 1356هـ ـ 18 جوان 1937م

تعطيل التعليم ، والتنكيل بالمعلمين

ماذا يراد بالقرآن في هذه الديار ؟

هاك ما وقع لدينا أيها الأستاذ : ذلك أن أربعة من مؤدبي الصبيان بقريتنا (خميس مليانة) قد عانوا في هذه الطريق ما عانوا مما لاقوه من حكومة القرية من الحكم عليهم أولا بخطيئة قدرها خمس فرنكات مع التصريح لهم بغلق المكاتب، ثم أشاروا عليهم بطلب الرخص ، فنهضوا لطلبها، وأحضروا كل اللوازم القانونية ، وبلغت مصاريف تلك اللوازم ما يقرب من ثلاثمائة فرنك . وقع ذلك منذ ثلاثة أشهر . فإذا بالإذن جاءهم بأن يغلقوا المكاتب وإلا يلزمهم ما يلزم المجرمين من تجويزهم في «البرسيف»، وقد ردوا عليهم كل اللوازم مكتوبا عليها «ريفوزى» من الحكومة . وهاك أسماء الأربعة : معروف عرايبي عبد الرحمن، مطاى عبد القادر بن أحمد ، بختارى قويدر بن الحسين ، بورزامة العيد بن حارمح ».

كتاب مؤرخ بـ 10 ربيع الثاني و 11 جوان

هذا قليل من كثير مما علمناه ومما لم نعلمه ، لأن كثيرا من المعلمين من يسكتهم اليأس أو الخوف . اقتصرنا على هذا القليل مما نعلم ، لأنه مما رفضت فيه الرخص هذه الأيام، والأمة كلها تضج بالألم والشكوى مما يلاقيه تعليم القرآن والإسلام ولغة القرآن والاسلام من الضغط والاضطهاد . فكأن الإدارة تطبق علينا المثل العربي : « إن ضج فزده وقرا » .

قالوا : إنما أريد بقانون 8 مارس التنظيم . وقالت الأمة : إن ما سبقه وما لحقه يدل على أنه سيكون آلة للتعطيل والتنكيل، فمثل هذه الحادثة التى نشرناها لأى القولين يدل ، وعلى أيهما يبرهن ؟

لما قابل نوابنا الوالى العام منذ أيام صرح لهم بأن الكتاتيب القرآنية الصغيرة سيصدر الإذن بفتحها . ولما قابله الشيخ الهادى الزروقى مع بعض النواب مرة أخرى ، وأخبره الشيخ بالمكاتب القرآنية الكثيرة التى أغلقت فى دائرة بجاية، صرح له جناب الوالى بأنه لا علم له بذلك، فى شىء من الاستنكار لغلقها ثم تقع مثل هذه الحوادث !

هل نستنتج من هذا أن الإدارات الصغرى المحلية هى التى تتولى التصرف فى هذه المسألة الخطيرة بلا رقيب ولا حسيب ؟ أم نستنتج منه أن هنالك أصلا مقررا يؤمر بتنفيذه دون حاجة إلى مراجعة أكبر مسؤول بوجه عام، أم ماذا ؟

مهما يكن من شىء فإننا نقول ونكرر : إن مسألة حرية تعليم القرآن والإسلام ولغة القرآن والإسلام ـ مسألة هى كبرى المسائل عند المسلمين . وكفى دليلا ما قام عليها من شكوى واحتجاج من جميع الجهات، مما لم يقع مثله لغيرها ، فلا يجوز بحال ، أن تترك على هذه الحال ، بل يجب أن يجاب فيها المسلمون بما لهم من حق طبيعى وشرعى فى تعلم دينهم ولغة دينهم، فى دائرة القانون العام المنفذ بإنصاف وإخلاص على جميع السكان . فعسى أن يكون من الرجل العظيم المسؤول عن الجزائر ما يوده محبو الخير والصفاء للجميع (1) .

(1) البصائر : ع 119 ـ 25 ربيع الثانى 1357 هـ ـ 24 جوان 1938 م .

حول كارثة سوف الأَليمة :

سوف قبل الإصلاح وبعده

عرف أهل سوف من قديم بالتدين والتشدد في العقيدة والتفاني فيها . وقد شطرتهم الطريقة التيجانية والطريقة القادرية إلى شطرين بلغت العداوة والبغضاء ما بينهما مبلغها ، حتى انعدمت المصاهرات بينهما أو كادت ، وحتى صار من كان من فريق لا يصلي خلف من كان من الفريق الآخر . وفي بلدة الرقيبة ـ إلى اليوم ـ مسجد قسم بشطرين، وضرب فيه بحائط بين المصلين، حتى أنه ليسمع كلا الفريقين إمام الآخر ، فلا تسأل عن التخليط والتشويش . هذا وأكثر من هذا يقع بين أولئك المؤمنين المخلصين في إيمانهم، الجاهلين بحقيقة ما هم به مؤمنون ، وشيوخهم المدعون فيهم مقامات أكابر عباد الله الصالحين يرون ذلك ولا يغيرونه ، بل يؤكدونه بما يبثونه من الدعاوى المتغالية في فضائل طريقتهم، ومن ينتسبون اليه، وما تتضمنه تلك الدعاوى من الحط من الفريق الآخر وزيغه وضلاله ، فيزداد أولئك الأتباع الجهال المغرورون المخدوعون غلوا في طريقتهم، ومقتا للطريقة الأخرى، ويزداد الجفاء والقطيعة، وما ينشأ من الجفاء والقطيعة بين أولئك المساكين من الجانبين .

فلما ارتفعت دعوة الإصلاح بالجزائر كان في طليعة رجالها نبهاء من أبناء سوف المثقفين، وعلمائها المستنيرين، فدعوا إخوانهم بسوف إلى كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما كان

عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباع التابعين ، والخلف الناصح من أيمة المسلمين، وإلى التواصل والاتفاق،وطرح التقاطع والافتراق،فاستجاب لهم كثير من أهل سوف وتلقوا دعوة الإصلاح بذلك الإيمان القوى واليقين الثابت والتدين المتين ، وأخذ عددهم يزداد،وأخذ ذلك التقاطع يزول،وأخذت تلك الأحقاد تنطفىء،وأخذ الناس يتقاربون ويتواردون ، حتى الذين استمروا على اتباع شيوخ طريقتهم قللوا مما كانوا عليه بما رأوا من تسامح المصلحين ووصلهم من يقاطعهم،وتجاوزهم عمن يظلمهم،وما كانوا يسمعون من العلماء المصلحين من الدعوة بالقرآن والهدى النبوى الكريم . وقد كان أعظم مظاهر الإصلاح فى قمار حيث سعى المصلحون وجدوا فى بناء مسجد عظيم وتأسيس مدرسة للتعليم . وقد ظهرت قوة الإصلاح بسوف يوم زارها وفد جمعية العلماء فى الشتاء الماضى وحل بجميع بلدانها،وكانت الاجتماعات العلمية الدينية تقدر بالمئات والألوف .

هكذا كانت سوف قبل الإصلاح،وهكذا صارت بعده . وها هى قد أصيبت بكارثتها الأليمة وابتلى فيها المصلحون على الخصوص أشد البلاء ، فكانت كما ينتظر من أهل الدين والإيمان صبرا وجلدا وثباتا ويقينا . ثم براءة من كل ما حاول الكائدون أن يرموها به من تهم الثورة والانتقاض . ومحال على من استنار قلبه بالدين الخالص أن يعيش في ظلام ، ومحال على من تذوق طعم الإيمان الصادق أن يكون منه إلا الخير والإحسان (1) .

(1) البصائر : ع 122 ــ 17 جمادى الاولى 1357 هـ ــ 15 جوليت 1938 م .

للحقيقة والتاريخ :

الـزوايـــا وغـايـاتهـا

كفـــى بهـم شهـداء عـلى أنفسهـم

عرفنا مما كتبه الأخ الشيخ حمزة بوكوشة فى عدد 146 مــن « البصائر » ردا على بعض الناس، أن ذاك المردود عليه زعـم أن جمعية الزوايا تبنت القانون الأساسى لجمعية العلماء ، وتمنـــى كذلك ــ ضلة ــ أن تحل محلها . فدعاه الأستاذ بوكوشة إلى نشر القانون الأساسى لجمعية الزوايا ليحكم القراء هل هو موافق لقانون جمعية العلماء أو مخالف لــه مخالفة إنجيل يوحنا للقرآن الكريم. ولما كان القانون الأساسى للجمعية الطرقية بقسنطينة قد وقع إلينا منذ أكثر من سنة،رأينا أن ننشره ليطلع عليه القراء ويعرفوا منه غاية هؤلاء الناس وما إليه يعملون .

علم الناس كلهم أن غاية جمعية العلماء هى تعليم الناس أمــر دينهم وتفقيههم فيــه وتهذيبهم به وإصلاح ما فسد مــن شؤونهم العامة والخاصة إصلاحا إسلاميا مستمدا من الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة بلسان هذا الدين الكريم ، اللسان العربى المبين، إلى هذا دعت وفيه جاهدت ، ومن أجله والاها من والاها وعاداها من عاداها ، ومن جرائه هى تلقى الأذى والعنت والبلاء الشديد ، ويلقى خصومها الولاية والرعاية والمدد والتأييد ...

فأما كبراء الزوايا وجامعتهم فها هى غايتهم كما هى فى الفصل الثامن من قانونهم :

« غاية هذه الجمعية هى أولا المحافظة على نفوذ الزوايا والطرق، وعلى شهرتها وسمعتها ومكانتها » .

النفوذ ! والشهرة ! والسمعة ! والمكانة ! فهل أبقوا من مظاهر السلطان والسيادة والكبرياء والعظمة والاستيلاء شيئا ؟ هذه هى غايتهم : أن يبقوا سادة على الناس،وأن يبقوا الناس مستعبدين لهم.

أين هى التربية ؟ أين هو التعليم ؟ أين هو نشر الإسلام ؟ أين هى مقاومة المفاسد والشرور ؟ أين هو الوعظ والإرشاد ؟

هذه كلها أمور لا ذكر لها عندهم ، لأنهم يخافون منها على سلطانهم ، ويخافون من ذكرها على أنفسهم ممن يبتغون عندهم ما يبتغون .

نعم من غايتهم فى بقية الفصل السابق قولهم :

« وثانيا الاهتمام بجيوش الفقراء المنتشرين فى المساجد والزوايا وإصلاح حالهم » .

نحن نعلم أن ذكر الطعام والشراب لا يغضب عليهم أحدا .... إذ هو شعبة من شعب « سياسة الخبز » المتبعة .... وليتهم صدقوا فيما وعدوا وقاموا للمسلمين بهذه الناحية ، ولكننا لا نرى فى مدينة من المدن ولا فى قرية من القرى ولا فى مدشر من المداشر شيئا من ذلك . نعم فى بعض من الزوايا قليل من الفقراء فى حالة تعيسة يربح بهم أضعاف ما ينفق عليهم .

تكفى الإشارة بهذا الإيجاز إلى غايتهم،كما شهدوا بها على أنفسهم ، فإن أعمالهم وأقوالهم ومواقفهم كافية فى بيان حقيقتهم وغاية قصدهم . وقد بقيت فيما نشرناه من قانونهم بقايا من فضائحهم لا تخفى على قرائنا الألباء .

فهذه الغايات وما وراء هذه الغايات،وتلك الخفيات وما وراء

تلك الخفيات ، هى التى اخرجت رؤساء الزوايا من جمعية العلماء بعد أن كانوا من المؤسسين لها والواضعين لقانونها الأساسى الباقى إلى اليوم ، وبعدما قضوا عامها الأول فى عضويتها ، وهى هى التى باعدت بينهم وبين العاملين لنفوذ الإسلام وشهرة الإسلام وسمعة ومكانة الإسلام،لا لغيره من الأفراد والجماعات،كائنا من كان ذلك الفرد،وكائنة من كانت تلك الجماعة .

ووالله لو أن هؤلاء الناس استقلوا فى إرادتهم ، وتحرروا فى عملهم من مسيريهم ، وطرحوا عنهم الأغلال التى وضعوها باختيارهم فى أعناقهم ، وجعلوا نشر العلـم وخدمة الإسـلام أقصى غايتهم ـ لمددنا لهم يد الأخوة والاتحاد .

« فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ » (1) .

(1) البصائر : ع 148 ـ 22 ذى القعدة 1357 هـ ـ 13 جانفى 1939 م .

القسم الثانى

السياسة

القسم الثاني
السياسة

نحن قوم مسلمون جزائريون ، في نطاق ـ مستعمرات الجمهورية الفرنسوية ، فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني ، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر ، وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقوماته قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا ، لأننا نعلم أنه لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين. وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها ، وأن الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيء في سياستها وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعاب ، بل ربما حصلت لها هزاهز وفتن،كما أصاب حكومة هيريو في العهد القريب ، ولا نعني بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا ، ولا أن يتداخل رجال الدين في سياستنا ، وإنما نعني اعتبار الدين قواما لنا ، ومهيعا (1) شرعيا لسلوكنا ، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا ، وقوة معنوية نلتجيء إليها في تهذيب أخلاقنا ، وقتل روح الإغارة والفساد منا وإماتة الجرائم من بيننا ، فلهذا لا نألوا جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحقة العالية ، وتطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون ، والدفاع عنه من أن يمس بسوء من أهله أو من غير أهله .

عبد الحميد بن باديس

---

(1) طريقا واضحا .

(2) المنتقد ـ ع 1 ـ 11 ذي الحجة 1343 هـ الموافق لـ : 2 جويلية 1925 م .

الحـــرب الـــريفية

شاءت الأقدار أن يبرز العدد الأول من جريدة « المنتقد » ونار الحرب الريفية تشتعل لظاها ، ويستطير شررها ، وتشغــل أنباؤها أسلاك البرق وأكياس البريد ، وتمــلأ صفحات الجرائد والمجلات بالشرق والغرب .

وقــد عرف الناس تفاصيل أخبارها ، وما بقــى لنـــا إلا كلمة مختصرة مجملة نشارك بها الكتاب .

أسبابها : سبب هذه الحرب فى ظاهرها نزاع على الحدود ؛ فالأمير ابن عبد الكريم يرى أن فرنسا قد احتلت شمال وادى ورغة ، وهو خارج عن منطقتها ، ويرى ذلك الاحتلال مضرا به سياسيا واقتصاديا، وترى فرنسا أنه داخل فى منطقتها ، وأنها إذا لم تحتله تخشى من هجوم الأمير الريفى عــلى منطقة احتلالها،واحتلاله واحتلال مدينة فاس ، ومبايعته سلطانا على المغرب بتمامه . فأصبح احتلال وادى ورغة كاحتلال الريــن ، هذا لخشية الهجــوم الألمانى وذاك لخشية الهجوم الريفى .

موقف الدول إزاء هذا الحرب :

قد وقفت انكلترا وايطاليا فى الظاهر موقف الحائــد المتفرج ، منتظرة منتهى العراك ، غير أن المطلع على السياسة الدولية والتناحر الاستعمارى لا يشك أن هاتين الدولتين لا تسمحان لفرنسا بــأن تزداد شيئا تتقوى بــه فى شمال افريقيا والبحر المتوسط . وأمــا

اسبانيا فإنها لما يتقنت أن فرنسا لا تطمع فى الريف الذى هو موضوع بمعاهدة دولية فى منطقة نفوذ اسبانيا ، رضيت بالتعاون مع فرنسا لقهر الريف ، فهى تحاول أن تنال بالتعاون ما عجزت عنه وحدها .

موقف أحزاب الأمة الفرنسوية إزاء الحرب :

لقد كانت أحزاب اليمين ـ وسياستها معروفة ـ معضدة لفكرة الحرب من أولها . ووقف الاشتراكيون فى أول الأمر وقفة المعارضة حتى أقنعتهم الحكومة بأن فرنسا مدافعة غير هاجمة ، وأنها لا تنوي أخذ شيء من أرض الريف ، وأنه من واجب شرفها أن تحمي سلطان فاس ورعيته من سلطة الريفيين ، وتأكدت موافقتهم لما رجع م. بانلوفى من رحلته إلى المغرب ، وأقنعهم بأن الحرب وطنية !. وأما الحزب الشيوعي فإنه أعلن بمعارضته من أول الأمر ووالى الهجمات على الحكومة ، وصرح خطباؤه بأن الحرب استعمارية محضة حركها الحزب المالى والحزب العسكرى ، وصرح بوجوب الانجلاء عن أرض الاحتلال ، وتجاوز المعارضة فى البرلمان إلى المظاهرات فى الشوارع ، ونشريات الأوراق فى تشذيب الحرب وتثبيط المقاتلين فى فرنسا والمستعمرات .

هذه الحرب فى نظر الناس : فاجأت هذه الحرب الناس مفاجأة على منظر غريب ، فإن القوتين المتقاتلتين فيها لا نسبة بينهما ولا مناسبة فإن الريف أمة قليلة ضعيفة ، وفرنسا أول دولة حربية فى العالم اليوم . ثم مع ذلك طالت مدة النضال ، واحتاجت فرنسا إلى استعمال الكبراء من قوادها ، والشيء الكثير من عدتها ، والاستعانة بجارتها، كل هذا والحرب إلى اليوم لم تظهر نتيجتها . رأى قوم أن أعداء فرنسا من البلشفيك والألمان وجدوا منفذا إلى مصادمتها ومعاكستها، ويزيد قوم فيقول : إن بعض أحبابها غير مخلصين لها ، مدفوعين بعامل المنافسة ، ويد أصحاب رؤوس الأموال منهم .

ثم إن من الناس ـ حتى الفرنسويين أنفسهم ـ من يستنكر الحرب في هذه الظروف التى تواجه فيها فرنسا أزمة مالية ، وتحتاج فيها إلى اليد العاملة من أبنائها .

ويقول قوم : إنها مظهر من مظاهر العراك العنيف القائم بين الشرق والغرب اليوم .

ويرى قوم : أنها ما هى إلا حرب بين الاستعمار والاستقلال ، وأنه إذا اعترف للأمير عبد الكريم بالاستقلال نزع غيره من الشمال الافريقي منزعه ، وفي ذلك خطر كبير على الاستعمار . وهكذا تختلف الأنظار والأفكار ، والحقيقة يكشفها المستقبل ، ومصير الأمر بيد الله .

ومهما يكن من شيء فإننا نقول : إن الحرب حرب شعواء ، كانت فوق ما ظننت ، فرع فيها النبع بالنبع ، ولقى فيها بنو دارم آل مسمع .

ورأينا : أن فرنسا اليوم تواجه أزمة مالية شديدة ، وفى حاجة إلى اليد العاملة من أبنائها ، بل إن القوة العسكرية لإرهاب عدوها القوي الحقيقى الالمانى ، ففى خيرها « وخيرنا مرتبط بخيرها » ان تنهى هذه الحرب بصلح عادل شريف ، وتتساهل فى مفاوضة الأمير ابن عبد الكريم الذى نعتبره زعيما ثائرا ، وهو فى الحقيقة صاحب الحق الشرعى فى أرض الريف ـ كما صرح به م. بانلوفى عند مروره بمالقه ـ لما قال : « وإنى أكرر القول بأنه ينبغى لفرنسا واسبانيا أن تتفقا مع ابن عبد الكريم لأنه صاحب السلطة الشرعية بلا منازع » . وأما مسألة استيلاء عبد الكريم على المغرب إذا اعترف باستقلاله ، والخوف من ثوران الشمال الافريقى فبعيدة عن الصواب ؛ فإن الأمير أعقل من أن يغامر تلك المغامرة العقيمة ورعايا فرنسا أصدق لها وأعرف بخيرهم أن يقابلوها بالعدوان (1)

(1) المنتقد ـ ع 1 ـ 11/12/1943 هـ ـ 2/7/1925 م .

مبادؤنا وغايتنا وشعارنا

بسم الله ، ثم باسم الحق والوطن ، ندخل عالم الصحافة العظيم شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه ، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون ، والمبدأ الذى نحن عليه عاملون ، وها نحن نعرض على العموم مبادئنا التي عقدنا العزم على السير عليها ، لا مقصرين ولا متوانين ، راجين أن ندرك شيئا من الغاية التي نرمى إليها بعون الله،ثم بجدنا وثباتنا وإخلاصنا، وإعانة إخواننا الصادقين في خدمة الدين والوطن .

مبدؤنـا السيـاسى :

نحن قوم مسلمون جزائريون ، في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنسيوية ، فلأننا مسلمون نعمل على المحافظة على تقاليد ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني ، ونحرص على الأُخوة والسلام بين شعوب البشر وفي المحافظة على هذه التقاليد المحافظة على أهم مقومات قوميتنا وأعظم أسباب سعادتنا وهنائنا ، لأننا نعلم أنه لا يقدر الناس أن يعيشوا بلا دين ، وأن الدين قوة عظيمة لا يستهان بها ، وأن الحكومة التي تتجاهل دين الشعب تسيء في سياسته وتجلب عليه وعليها الأضرار والأتعاب ، بل ربما حصلت لها هزاهز وفتن كما أصاب حكومة هيريو في العهد القريب . لا نعنى بهذا أننا نخلط بين الدين والسياسة في جميع شؤوننا ، ولا أن يتداخل رجال الدين في سياسيتنا ؛ وإنما نعنى اعتبار

الدين قواما لنا ، ومهيعا (1) شرعيا لسلوكنا ، ونظاما محكما نعمل عليه في حياتنا ، وقوة معنوية نلتجىء إليها فى تهذيب أخلاقنا وقتل روح الإغارة والفساد منا وإماتة الجرائم من بيننا ، فلهذا لا نألو جهدا في خدمته بنشر مبادئه الحقة العالية وتطهيره من كل ما أحدثه فيه المحدثون، والدفاع عنه من أن يمس بسوء من أهله أو من غير أهله (2) ولأننا جزائريون نعمل للم شعب الأمة الجزائرية وإحياء روح القومية فى أبنائها وترغيبهم فى العلم النافع والعمل المفيد حتى ينهضوا كأمة لها حق الحياة ، والانتفاع فى العالم وعليها واجب الخدمة والنفع للإنسانية .

وإننا نحب الانسانية ونعتبرها كلا،ونحب وطننا ونعتبره منها جزءا ، ونحب من يحب الإنسانية ويخدمها،ونبغض من يبغضها ويظلمها .

وبالأحرى نحب من يحب وطننا ويخدمه ، ونبغض من يبغضه ويظلمه ، فلهذا نبذل غاية الجهد فى خدمة وطننا الجزائرى وتحبيب بنيه فيه ، ونخلص لكل من يخلص له ، وتناوىء كل من يناوئه من بنيه ومن غير بنيه .

ولأننا مستعمرة من مستعمرات الجمهورية الفرنسوية نسعى لربط أواصر المودة بيننا وبين الأمة الفرنسوية وتحسين العلائق بين الأمتين المرتبطتين بروابط المصلحة المشتركة والمنافع المتبادلة من الجانبين ، تلك الروابط التى ظهرت دلائلها وثمراتها فى غير ما موطن الحرب والسلم .

إن الأمة الجزائرية قامت بواجبها نحو فرنسا فى أيام عسرها ويسرها ، ومع الأسف لم نر الجزائر نالت على ذلك ما يصلح أن

(1) طريق مهيع : بين منبسط .
(2) تقدمت هذه الفقرات فاتحة لهذا الباب .

يكون جزاءها ، فنحن ندعو فرنسا إلى ما تقتضيه مبادئها الثلاثة التاريخية « الحرية والمساواة والأخوة » من رفع مستواها العلمي والأدبي بتعميم التعليم كل ممت الحديث (1) .

وتشريكنا تشريكا صحيحا سياسيا واقتصاديا في إدارة شؤون وطننا الجزائري ، إن لفرنسا ما يناهز القرن في الجزائر ولا أحد ينكر ما لها من الأيادي في نشر الأمن وعمارة الأرض وجميع وجوه الرقي الاقتصادي . غير أنها ـ ويا للأسف ـ ليست لها تلك الأيادي ولا نصفها في تحسين حال الأهالي العلمي والادبي ، مع أن الذي يناسب سمعة فرنسا ومبادئها،ويصدق ما ينادي به خطباؤها،ويكون أجمع للقلوب عليها هو أن تعنى بالعباد كما تعنى بالبلاد .

إننا نسعى بكل جهدنا لتحقيق هاته الأمنية التي هي حقنا وفيها سعادة الجميع .

إن الأمة الجزائرية أمة ضعيفة ومتأخرة فترى من ضرورتها الحيوية أن تكون في كنف أمة قوية عادلة متمدنة لترقيها في سلم المدنية والعمران،وترى هذا في فرنسا التي ربطتها بها روابط المصلحة والوداد ، فنحن نخدم للتفاهم بين الأمتين،ونشرح للحكومة رغائب الشعب الجزائري،ونطالبها بصدق وصراحة بحقوقه لديها، ولا نرفع مطالبنا أبدا إلا إليها،ولا نستعين عليها إلا بالمنصفين من أبنائها .

وفي جدنا وإخلاصنا وشرف الشعب الفرنسوي وحريته ما يقرب كل أمل بعيد .

(1) في الاصل محو مطبعي . وعبارة غير واضحة .

مبدؤنا التهذيبي :

كما تحتاج الأبدان إلى غذاء من المطعوم والمشروب ، كذلك تحتاج العقول إلى غذاء من الأدب الراقي والعلم الصحيح ، ولا يستقيم سلوك أمة وتنقطع الرذيلة من طبقاتها وتنتشر الفضيلة بينهم إلا إذا تغذت عقول أبنائها بهذا الغذاء النفيس ، فنحن ننشر المقالات العلمية والأدبية وكل ما يغذي العقول من منظوم ومنثور من صحف الشرق والغرب وأقلام كتاب الوطن، ونقاوم كل معوج من الأخلاق وفاسد من العادات، ونحارب على الخصوص البدع التي أدخلت على الدين الذى هو قوام الإخلاص فأفسدته .

وعاد وبال ذلك الفساد علينا، وتأخرنا من حيث يكون تقدمنا، وسقطنا بما لا نرتفع إلا به ، لما شوهناه بإدخال ما هو ضده عليه ، ونحسن ما كان من أخلاق الأمم حسنا وموافقا لحالنا وتقاليدنا ونقبله ، ونقبح ما كان منها قبيحا أو مباينا لمجتمعنا وبيئتنا ونرفضه، فلسنا من الجامدين في جحودهم، ولا مع المتفرنجين في طفرتهم وتنطعهم ، والوسط العدل هو الذى نؤيده وندعو إليه .

مبدؤنا الانتقادى :

فى الهيئة الاجتماعية أشخاص تقدموا للأمة وتولوا،أو يريدون أن يتولوا، قيادتها وتدبير شؤونها الاجتماعية، سياسية أو اقتصادية أو علمية أو دينية ، ولهم صفات خاصة بأشخاصهم وشؤونهم في أنفسهم وأعمال في دائرتهم وحدهم، وصفات بها يباشرون من شؤون الأمة ما يباشرون، وأعمال تتعلق بأحوال العموم .

فأما صفاتهم الشخصية وأعمالهم الخاصة فلا يجوز لنا أن نعرض لها بشيء ، وأما صفاتهم وأعمالهم العمومية فهى التى نعرض لها وننقدها، فننقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء والمقاديم وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير

من الفرنسويين والوطنيين ، ونناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين،فننصر الضعيف والمظلوم بنشر شكواه والتنديد بمظالمه كائنا من كان ، لأننا ننظر من الناس إلى أعمالهم لا إلى أقدارهم ، فإذا قمنا بالواجب فلإشخاصهم منا كل احترام .

وسنسلك في انتقادنا طريق الحقيقة المجردة والصدق والإخلاص والنزاهة والنظافة في الكلام ، وننشر كل انتقاد يكون على هذه الصفات ، علينا أو على غيرنا ، على مبدأ الإنصاف الذى لا يتوصل للتفاهم والحقائق إلا به .

هذه مبادؤنا،وهي مبادىء الصحافة الحرة الصادقة التى هي قوة لا غنى لأمة عنها ، ولا رقي لأمة ناهضة في هذا العصر بدونها .

هذه مبادؤنا وسيرضى عنا بها الأحرار المفكرون أصحاب الصدور الواسعة والقلوب الكبيرة من الوطنيين والفرنسويين ، وسيغضب بها علينا المستبدون الظالمون والدجالون المحتالون وصغار الأدمغة وضيقو الصدور من بغاث البشر .

ونحن بين الجميع لا نخدم إلا الحق والوطن والدين،ولا نسمع إلا لصوت الواجب،ولا نسترضى أقواما ولا نستغضب آخرين،قائمين حسب الجهد بالواجب الصحافى الشريف،صامدين إلى غايتنا السامية وهى :

« سعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرنسا الديمقراطية »

صارخين دائما بشعارنا الرسمى وهو :

« الحق فوق كل أحد،والوطن قبل كل شيء »

وعلى الله ثم على اجتهادنا وإخلاصنا ومناصرة أنصار المبادىء الحرة الاعتماد والاتكال (1) .

---

(1) المنتقد ـ ع 1 ـ 1943/12/11 هـ ـ 1925/7/2 م .

هل تخشى عاقبة الصلح أم تحمد ؟

كثير من الأمة الفرنسوية من يود تعجيل الصلح فى حرب الريف، ورئيس الوزراء نفسه صرح مرارا برغبته فى ذلك ، وقد قدمت فعلا شروط الصلح المتفق عليها بين فرنسا واسبانيا للأمير ابن عبد الكريم ، وهى منافية تماما لما صرح مرارا بلزومه من استقلال الريف التام ، والمتطلعون على مجارى الأمور لا يشكون فى رفضه لهذه الشروط،واستمراره على القتال بشدة ونشاط، ما دامت تحت يده جنوده . وإذا استمرت الحرب إلى أيام الشتاء فإنها بلا شك تزداد صعوبة على الجنود الفرنسوية التى تلاقى الآن من صعوبات الطبيعة مشاق عظيمة ، فكيف إذا جاءت الثلوج،وسالت الوديان، وانقطعت المسالك ؟ لا شك أن التكاليف المالية والعسكرية تكون كثيرة ومتعبة ، وتستمر سنة أخرى شهباء حمراء ، ربما ضعضعت الميزانية وزادت فى سقوط الفرنك . هذه الملاحظات كلها توجب على الحكومة السرعة التامة فى تعجيل الصلح ولو بشىء من التضحية والتسامح ، غير أن كثيرا ممن يرغبون فى الصلح يعلمون شرط ابن عبد الكريم الأساسى وهو الاستقلال التام ، يخافون ويخوفون من هذا الاستقلال وسوء عاقبته ، ويقولون : إن استقلال الريف يهدد مستعمراتنا بشمال افريقيا ، ففى يوم ما ينهض ابن عبد الكريم لتأسيس امبراطورية من تجمع الشمال ، ويقولون : إن استقلال الريف تعقبه ثورة عامة بجميع الشمال ، وسواء علينا أكانوا يقولون عن اعتقاد حقيقى أو لمقاصد أخرى ، فإنا نرى هذه الأقوال من التخوفات المبنية على كثير من الأوهام ، أن الريف تلك

القطعة الصغيرة من الأرض التي لا زالت لم تستثر نفسها ولم تؤسس على وجه لائق بهذا العصر نظمها،لا يمكن أن يحدث عقلاؤها أنفسهم بتأسيس امبراطورية من أمم مختلفة الأخلاق والعوائد وكثير من الأحوال . ولا يكون مجرد الاشتراك في الدين كافيا في هذا التخوف-، فإن أمما إسلامية عديدة وقوية متجاورة بالشرق ولم تحدث ولن تحدث نفسها بالانضمام لتكون ملكا واحدا.

وأما التخوف من الثورة العامة فإنها ولا شك فكرة خيالية دساسة مخلوقة من حماة سوء الظن وصديد الاستعمار .

إن أهالي شمال افريقيا الذين لم يكف في حسن الظن بهم محاربتهم لأبناء دينهم وجنسهم وما قدموه من النفوس والأموال في الحرب الكبرى وهذه الحرب نفسها ، ومنهم أكثر جنودها ، ليست لهم فكرة ثورية ، رغم حرص المتحرصين المفرضين ، ولو كانت لهم فكرة ثورية لظهرت أيام أطلقت قنابل قوبان وبروزلو على شاطىء سكيكدة وعنابة ، ولو كانت ثم فكرة ثورية لبادر بها المراكشيون ، وهم أقرب من غيرهم إلى الريف . وأما القبائل الثائرة فهي قبائل كالريفية لم يتم خضوعها من قبل ، ووقعت أخيرا بين المطرقة والسندان ، فهذا كله يحقق لمن ينصف أن أهالي شمال افريقيا سواء استقل الريف أم لم يستقل ليسوا كما يصورهم المهولون .

وبعد هذا البيان يحق لنا أن نقول : الصلح خير مخشى العاقبة على أي وجه كان ، بل محمود العاقبة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا لفرنسا دولة السلام . (1) « الجزائري »

---

(1) المنتقد : ع 7 ـ 13 ـ 8 ـ 1925 م .

بيـان شـروط الصلـح

قـال م. بافلوفى : إن شرط ابن عبد الكريم الاعتراف بالريف قبل الدخول فى أدنى مذاكرة شرط يجدد قبوله فتح كامل المسألة المغربية فى الحين بصورة مخطرة . ما هو هذا الخطر ؟ إذا أردنا أن نعرفه وجب أن نلقـى نظرة عـلى المسألـة المراكشية فى تاريـخ الاستعمار .

كانت افريقيا فى الربع الأخير من القرن الماضى ميدانا للمنافسة الدولية الأوربية ومطامعها ، وخصوصا بين الفرنسويين والانجليز الذين كانوا أسبق من غيرهم وأقوى .

وأما الالمانيون فـإنهم ما دخلوا هذا الميدان إلا مؤخرا لسياسة بزمارك الذى كان يقول عن نفسه إنه ليس رجل مستعمرات . وأما ايطاليا فإنها كانت أقـل الدول نجاحا وأكثرهم خيبة وأضرارا فى طريق الاستعمار .

وكانت مراكش تتنازعها مصالح ثـلاث دول أوربية ؛ اسبانيا وفرنسا وأنكلترا . وأما ألمانيا فلـم تكـن لها مصلحة فيها،وإنما كانت تـدس الدسائس لتعرقل النفوذ الفرنسوى،ومثلهـا ايطاليا التى لم تنطفىء نيران أحقادها من يوم خروج تونس من قبضتها ، وهى منها على رمية سهم .

وكانت انجلترا أيضا تعمل على منع فرنسا مـن تكوين مملكة كبرى بشمال افريقيا ، غير أنها عقدت مع فرنسا فى 18 أفريل 1904

العقد الذى تخلت بموجبه فرنسا لأنكلترا عن مصر، وتخلت هي لفرنسا عن مراكش ، وأصبحت كل واحدة منهما مطلقة اليد في جهتها ، وما بقي بعد هذا على فرنسا إلا ترضية ايطاليا وكف يد الدسائس الالمانية التى صرح امبراطورها في زيارته لطنجة بأن حكومته لن توافق على أى تغيير في إدارة تلك البلاد بدون رضاها ، فكان مؤتمر الجزائر الاول 1906 وفيه رضيت ايطاليا بإطلاق يدها في طرابلس والنمسا بمقاطعتي البوسنا والهرسك،فكانا بهذا الرشوة عوينى على حليفتهما ألمانيا ، فكان نصيبها الفشل التام ، وقرر المؤتمر احترام استقلال مراكش ، وتكليف فرنسا بالمحافظة على النظام ، ومعنى هذا في قاموس السياسة الاستعمارية إطلاق يدها للاستلاء حسبما يقتضيه الحال . خابت ألمانيا في هذا المؤتمر ورجعت كاضمة على حقد تتحين الفرص لتظهر أثره . فلما أرسلت الجيوش الفرنسية لاحتلال عاصمة مراكش ، أعادت ألمانيا احتجاجها وعززته بإرسال مدفعية إلى أغادير لحماية المصالح الالمانية ، ودعا هذا إلى عقد مؤتمر الجزائر الأخير 1911 ، وفيه تقرر إطلاق يد فرنسا في مراكش،وأسكتت ألمانيا بتنازل فرنسا لها عن جزء من الكونغو الفرنسوية ، وقد كانت فرنسا تحاول أن تعطي مراكش كلها ، ولكن انكلترا سدت السبيل في وجهها،فرأت أن فرنسا إذا وقفت بسبتة حول مضيق جبل طارق أمكنها يوما ما قفل المضيق في وجه بريطانيا ، وفي ذلك تلاشي نفوذها في البحر الأبيض المتوسط وانسداد طريق الهند العزيز عليها ، فحملت المؤتمر على إعطاء جبل الريف وهو نحو العشر من مملكة مراكش لاسبانيا ، تلك الدولة الضعيفة التي لا تخشى واحدة من الدولتين العظيمتين جوارها ، وقد لاقت من هذه العطية الصغيرة الكبيرة ما هو معروف .

هذه هي المعاهدات والالتزامات الدولية العامة التي يقول

م. بانلوفي ان شرط ابن عبد الكريم مضاد لها ، ولا يمكن لفرنسا واسبانيا أن تتخلصا منها بإزاء الدول .

إن إيطاليا ما تسوغت من طرابلس التي طارت لها في المؤتمر إلا الحنظل،والتي لا تزداد على الأيام إلا طمعا في تونس ، ونفوذا بين أبنائها العاملة هناك ، ننتظر بفروغ صبر الفرصة الملائمة لطرح مسألة القسمة الاستعمارية من جديد على بساط النظر ، ولا شك عندها أنها تفوز يوم ذاك بتونس ، وهذا أعظم خطر يخشى على الاستعمار الفرنسوي العظيم ، وربما جر هذا إلى حرب أوربية، وهذا أعظم الأخطار كلها على بني الإنسان .

هذه هي الصورة الخطرة التي عناها م. بانلوفي في تصريحه ، وهي كما ترى بمكان من الاعتبار . وبعد هذا ، فهل يحدث ما يحمل أوربا على غض النظر عن المعاهدات كما فعلت في لوزان ؟ وهل تغلب على عقول الساسة الحكمة والتبصر فيعملوا على تجنب هذه الأخطار في سبيل السلام .

فكل الجواب لمستقبل الزمان (1) .

(1) المنتقد : 1925/8/25 .

الانتخابات وتمثيل الأمــة

لا ينمو النبات ويزهو إلا إذا كان فى نطاق واسع مــن الفضاء والهواء والمنبت،يجد فيه الحرية للنمو والازدهار ، وبقدر ما يضيق نطاقه يكون ما يصيبه من اليبس والذبول .

هكذا الإنسان تنمو مداركه وتتجمد ، وتقوى إرادته وتضعف ، وتحسن أعماله وتقبح ، بقدر ما يكون له من الحرية الصحيحة فى الحيــــاة .

فلهذا كان الإنسان ــ شعبا وفردا ــ متعشقا للحرية بطبعه،لأنها شرط كماله ، والكمال محبوب فى فطرة الإنسان . ليست الحريــة إلا « السلطة على إتيان كل شىء لا يضر بالغير » ، فإذا لابد من نظام تعرف به حقوق النفس من حقوق الغير ، ويوصل كل أحد إلى حقه ويوقفه عند حده ، ولابد أيضا من هيئات لتشريع القانون وتطبيقه وتنفيذه .

ولا تسلم حرية الشعب والفرد من الأذى وكرامته من المساس إلا إذا كانت هاته الهيئات منه لا من غيره . والطريق الموصل إلى تكوين هذه الهيئات هو الانتخاب العام الحر الذى تعرب فيه جميع طبقات الأمة عن إرادتها فى اختيار هيئاتها .

ولهذا كان حق الانتخاب طبيعيا للأفراد ، ولكنها لا تتوصل إليه إلا بالتدريج ، وبالرغم من جميع المعرقلات فانه لا يزال يتسع نطاقه بين الأمم إلى اليوم ، شأن كل شىء طبيعى فى هذا الوجود . الهيئات

المنتخبة من الشعب كما تكون حاكمة عليه بإرادته كذلك هي في الوقت نفسه ممثلة لقوميته ونفسيته ورغائبه وأفكاره ، ولا يكون تمثيلها له صحيحا إلا إذا كانت منه ، تحس بإحساسه ، وتشعر بشعوره ، وتألم بألمه ... وتكون فوق ذلك منتخبة انتخابا حرا ... لا دخل ليد سلطة فيه ... فالانتخاب والنيابة القومية إذاً هما الكفيلان بحرية الأمة وتمثيلها ، وبهما تعرف درجة الأمة في الرقي ، ومنزلتها بين الأمم .

هذه الحقيقة يعرفها العلماء بالعلم ، وتدركها أفراد الشعوب الحية بالفطرة ، فهي تبذل في تحقيقها كل عزيز وغال .

أما الشعوب المستعبدة فإن طول استعبادها يفسد عليها فطرتها ، ويميت شعورها حتى تجهل ما لا يجهله أحد ، وتزهد فيما لا يزهد فيه مخلوق ... ولا يكون هذا في عامة سوادها فقط ، بل يكون حتى في أفراد متعلمين منها فتنقلب عليهم الحقائق ... ويقبلونها ويكابرون بل يحاربون من يريهم شيئا من الحقيقة ويدعوهم إليها .

إن هذين الحقين المقدسين ـ الانتخاب والتمثيل ـ قد ازداد شعور الأمة بهما ومعرفتها بضرورتهما بعد الحرب العالمية الكبرى ، فتوسع في حق الانتخاب ، وأعطيت النساء حق التصويت في كثير من الأمم ، ولم تبق من أمم أوروبا الكبيرة لم تمنح المرأة هذا الحق الأمة الفرنسوية !

حتى الدول الاستعمارية شعرت بوجوب هذين الحقين ولزومهما لمستعمراتها ، فأدخلت انكلترا عليهما تحسينا في الهند لم تكتف به الأمة الهندية ، ولا يزال مثار القلاقل إلى اليوم ، ومنحت ايطاليا طرابلسا دستورا أهليا محضا يرأسه ممثلها هناك ، وأدخلت فرنسا بعد النهضة الدستورية على النظام التونسي إصلاحات لا تزال غير مقبولة ولا كافية عند حزب الأحرار الدستوريين ، ومنحت

الجزائريين ـ بعدما ماتت الآلاف المؤلفة من أبنائهم فى الدفــاع عنها ـ حقوقا طفيفة فى الانتخابات للمجالس البلدية والعماليـة والمجلس المالى ضيقة النطاق فى التصويت أقلية قليلة فى التمثيل ، ما كانت الجزائر لترضى ببقائها على نقصها، ولا الأحرار الفرنسويين ليطول تركهم لها على حالها .

إن الحجـة التى يتذرع بها الاستعماريون لإبقائها على حالها أو إزالتها هى عدم أهليتنا وكفاءتنا ، والبرهان القاطع الذى نقض به ظهر هذا الباطل هو ما نظره من حســن سلوكنا فى الانتخابات ، وحسن اختيارنا لمن يمثلنا منا ...

فكل من يتدخل فى الانتخابات من العامة أو الحكام بوجوه غــير قانونية ... حتى يشوش على الأمة سيرها ، وكل مــن يدعوها إلى تمثيل الأكفاء منها أو من يحسبهم أكفاء ... من غيرها ... فهــو ظالم للأمة ، غاش وخائن لها .

فيا أيتها الأمة الجزائرية المحبوبة ، أقدرى هذين الحقين قدرهما، واسعي فى نيل غايتهما ، وبرهني لأحرار فرنسا بحسن استعمالهما على استحقاقك لاستكمالهما (1) .

(1) المنتقد : 15 أكتوبر 9125 .

★ النـاكـرة للمعـروف ★

هكذا يقول الكاتب ريجينالدكان في جريدة « الطان » كبرى جرائد باريس ولسان الحكومات الفرنسوية في الفصل الذى نقلناه عنها بالعدد الماضي . أكثر الكتاب الغربيين ينظرون إلى الشرق كجسد واحد ، فإذا رأوا ما يكرهونه ... من أمة من أمم الشرق،رموا به الشرق عامة غير مفرقين بين موال ومعاد ، ولا محارب ومسالم . فيكون هذا منهم في وقت واحد دليلا على تعصبهم الذى أعمامهم عن التمييز ، ومنها لروح التضامن الشرقي الذى منه يخافون،وإياه يحاذرون ، ويكونون بهذا التعصب الممقوت ظالمين في الحكم وجالبين للخطر ... الخطر في زعمهم من هؤلاء الكتاب . هذا ريجينالدكان المذكور ، فهو يعلم أن في افريقيا الشمالية أمما كثيرة موالة لأُمته في الحرب والسلم . وأن جنودها وأموالها وصادرتها المتنوعة ــ بها كان الانتصار في الحرب الكبرى التي أخذت النفوس والأموال وتركت الوعود ... والآمال ... ويعلم أيضا أن الحرب الافريقية التي تواجهها فرنسا واسبانيا اليوم ــ إنما يصلى نارها في الأكثر أبناء افريقيا الشمالية الناكرة للمعروف !!

إننا نعرف جميل فرنسا ، ولا تجهل فرنسا الديمقراطية جميلنا أيضا ، لكن أمثال هذا الكاتب المتعصب يتجاهلونه ، فلتسمح لنا فرنسا أن نعرفه بشيء منه .

إذا كانت فرنسا رقت البلاد اقتصاديا ترقية استثمرتها الفئة الاستعمارية قبل كل أحد ، وإذا كانت فرنسا رقت الحالة الأدبية

على قلة حظ الأهالى منها ، فإننا دفعنا ثمن ذلك بأبنائنا وأموالنا ، وهل شيء أعز من الأرواح والأموال ؟.قال البريفى م. بورد فى خطاب ألقاه بعين البيضاء : « إن قطرة من الدم الفرنسى لا تغسلها دماء القطر الجزائرى !! » له الحق فى أن يعتبر بنى قومه هـــذا الاعتبار ، كما لنا الحق أن نقول : إن اعتبارنا لأبنائنا لا يقل عن اعتباره لقومه وقد بذلناهم لفرنسا ، فهل بعد هذا يقال عنا أننا ناكرون للمعروف ؟ ! نحن نعلم أنه لا يقول هذا فرنسوى منصف ، وإن تمشدق به المتمشدقون .

ألا فليعلم م. ريجينالدكان أن الأمة الجزائرية العربية تفعـــل المعروف ولا تمن به ... وإن لم تنل ما تستحقه من الجزاء عليه ، وأنها تعرف المعروف وتقدره وتجازى عليه . فليعرف إن شاء أن يعرف ، وليهرف بعد ما شاء أن يهرف (1) .

(1) المنتقد : العدد 16 ــ 25 أكتوبر 1925 .

خطبة الوالى العام
فى مجلس النيابة فى مصالح الأهالى كان لها تأثير حسن
(عن التقدم)

ألقى م. فيوليت الوالى العام للقطر الجزائرى بمجلس النيابة المالية الخطاب الذى يلى :

قد سمعت باستفادة كبيرة بيانات السيد الدكتور بوردير ، وطلب منى إفادة العائلات الكثيرة،وطلب منى أيضا إفادة المرأة فى حالة الوضع . أما أنا فإنى مستعد للقيام بالنفع للكبار والعائلات الكثيرة وللنوافس فى وقت واحد،على شرط أن تبذلوا لى السعة .

فلى مع الاهتمام بهذا الشأن أن أقول لكم : لماذا تبتدئى القوانين الاجتماعية فى التنفيذ بالجزائر ؟ ذلك لما ظهر لى من أنها مسألة سياسية عامة ، واسمحوا لى أيضا أن أقول لكم إنها مسألة تخص الشفقة والعدالة ، ومن المستحيل أن تبقى الجزائر فى العالم أجمع محرومة من قوانين الاجتماع « حسن جدا » .

أرادوا الابتداء ــ وقيل لى ذلك ــ ولكن لماذا لا يقع الابتداء بقانون العائلات الكثيرة ؟ إنى لا أبتدئى بهذا القانون لأنه يستلزم طلب 40 مليونا تصرف فى سبيله ، وقد قيل لى أيضا لماذا لا تبتدئون بإسعاف النوافس الذى يستلزم مصروفا أقل ؟ وعليه كما يجب ابتدائى بتجربة استعمال قانون إسعاف النوافس ، وأعتبر بصفة أساسية أن جميع القوانين الاجتماعية تنفذ فى الجزائر

بالإسعافات الطبيــة ، وحيث تــوجد دواع حقبــة لهــذا المسلك لا يستدعى الحال أن يقع الابتداء بتنفيذ قانون العائلات الكثيرة .

وهنا وجدت أمامى ملاحظات م. كيتولى الذى قال لى إن له مدة أربعة عشر سنــة وهو مشتغل بالقوانين الاجتماعية . وبالنظر إلى شفقة م. كيتولى ولطفه تتحقق أنه كان يعمل بإخلاص . وأنكــم لتشكرون الإدارة إذا حققت محاولة الأربعة عشر سنــة بمساعى الوالى العام التنفيذية لوجود السعة اللازمة فى قرار يعرض عــلى المجلس .

قد عرضتم مسألتين فى هذا الشأن الضمان أو الإسعاف ، وأنتم تعلمون إحساساتى . ولماذا لم يقبلوا فى فرنسا الضمان ؟ وبهــذا الاعتبار يكون فى الجزائر أيضا . لماذا لم يقبلوه فى فرنسا ؟ لحــق بسيط وهو الواجب مــن المضمون نحو قانون الضمان فــإن حمله ثقيل لا سيما من جهة الأداء المالى . أما فى الجزائر فإن فى أعماق الدواوير نساء فى حالة بئيسة للغاية ، ولا يستطعن بحال أن يؤدين الضريبة الضمانية ، ومنهن من لا تستطيع تحصيل قــوت يومها . فقولوا لى بصراحة هل تستطيع المرأة من هذا النوع أن تؤدى ضريبة الضمان لا سيما إن لم تكن تابعة لمستخدم ؟ هذا هو أمر الضمان . والآن نتفرغ للكلام عــلى شــأن الإسعاف الذى أطلب مــن مجلس النيابة المالية قبولــه بالإجماع ، وقــد سمعت بمحاولة بعضكم فى تأسيس هيأة القوابل والممرضات ، وهو عمل حسن ، أؤكد لكم من جهتى أنه يجب تعميمه على سكان القطر الجزائرى ، سواء فى ذلك الأروبيون والأهالى . تعلمون جيدا شدة حاجتنا إلى الأطباء وقلتهم فى الدوائر المختلطة ، فيلزم مع هذا أن بالجزائر كما بكل موطن من المواطن هيأة من الممرضات الجزائريات لإسعاف المرضى ، والبحث عــلى الأمراض المعدية ، ومعالجة الأمراض الخفيفــة ، واستدعاء الطبيب فى الحالات الخطيرة .

لما لاقتكم الصعوبات فى استحضار الهيأة الطبية الكافية جئتم تتساءلون هل يمكن بثلاثين امرأة حفظ صحة مائة ألف صبي ؟ ولكنى أقول لكم ببساطة ؛ أعطونى هذا المقدار حتى يصير كل طبيب متبوعا بثلاثين امرأة ممرضة . فى أى وقت يستدعى الطبيب ؟ ففى الجزائر وفى فرنسا أيضا لا يستدعون الطبيب إلا عند حدوث الخطر ، وفى البادية فى فرنسا لا يستدعون الطبيب إلا عند الإياس من المريض .

وما تعطيه عملية إقامة مصلحة الإسعاف بالممرضات هو مقاومة الأمراض المعدية كالسل ، والزهرى ، والحميات ، وقد يعطين الإرشادات للأمهات فى معاملة أولادهن الصحية . وقد يقال الحق هو هذا ، لأن نسوة الصليب الأحمر والبعثات الانكليزية ، قمن منذ زمان بهذا العمل بلا متعاونات محلية فكيف تصبح النتيجة عندما تنظم هيأة الممرضات المتجولات لإسعاف المرضى وبالأخص النوافس ؟

لقد مضت أربعة عشر سنة فى الدرس ، ولكنه درس طويل بلا عمل ! تيقنوا أيها السادة أن فى حصول هذه المصلحة نفعا جليلا يعطى لهؤلاء القوم المخلصين نحو فرنسا برهانا على حنو وشفقة فرنسا عليهم ، وهذه المصلحة لا تتكلف إلا ببضعة ملايين ، وهو شيء قليل بالنسبة لجلب قلوب خمسة ملايين من الأهالى ، وقد لا تساوى هذه القلوب صرف بعض الملايين (تصفيق حاد فى مقاعد نواب الأهالى) فاعلموا أيها السادة أنى لهذا أرى أن هذا العمل من واجبى ، وأخاطب فى هذا إنسانيتكم وشفقتكم ، فتتأملون معى بأسف فى موت أربعين فى المائة من أطفال الأهالى ، وذلك لعدم وجود الوقت والوسيلة للحصول على معرفة أسباب موتهم ، وليس

فيكم واحد يرفض اللحوق بى لنفعهم ، إنكـــم لا ترفضون ذلك لكونكم كلكم رجالا ذوى قلوب رحيمة . فلنعمل جميعا للصالـح العام المقيم للوفاق والاتحاد .

(1) الشهاب : العدد 8 ـ 14 جمادى الثانية 1344 هـ ـ 31 أكتوبر 1925 .

حـول خطبـة الـوالى العـام

(المدرجة فى العدد الماضى)

لما فازت عصبة الشـمال استبشرت جميع الأمم التى كانت لنظر فرنسا لما تعرفه من سيادة الروح الديمقراطية فى أحزاب هـذه العصبة ، وعلمت أن الأغلبية سترسل من أفرادها من ينشـر مباديها فى إدارة تلك الأمم ، وكذلك كان ، لم يكن أولئك الأفراد متساوين فى القيام بما أنيط بهم لأسباب ليس بيانها الآن مـن غرضنا ، فلم يتحقق على يدهم ذلك الأمل .

إذا نظرنا فى سير أولئك الأفراد بخبرة وتجرد فإننـا نقـول نحن ــ معشر الجزائريين ــ إن الرجل الذى أرسل إلينا وهـو م. فيوليت كان أحسنهم وأمثلهم .

زار م. فيوليت مواضع كثيرة من الجزائر وأدرك ببصره الثاقب حالة الأمة الجزائرية التعيسة،رغم ما تقدمـه إليـه الدوائـر فى احتفالات الاستقبال من مناظر الأهالى المزخرفة بالزينة الوقتيـة التى ما وراءها إلا البؤس والشقاء ، والتى لولا إخلاص الأهـالى الذى يثير نشاطهم وفرحهم باستقبال واليهم ــ لما أمكنها أن تستر حقيقة تعاستهم ولو مؤقتا .

رأى هاته الحالة فجاء يعمل على تداركها حتى « لا تبقى الجزائر فى العالم أجمع محرومة من قوانين الاجتماع » .

وجد أمامه أعمالا فى صالح الأهالى ، ولكنها أعمال طالت مدتها

وعقمت نتائجها كأعمال م. كيطولى التى ما وسع الوالى العام إلا أن يصفها بأنها درس طويل بلا عمل .

أعرب جانبه عن تأثر شديد من حالة الأمة الجزائرية وعن استعداد تام للعمل وسرعة التنفيذ إذا بذل له المجلس المالى القدر الكافى من المال .

قد علم جنابه أن أغلبية المجلس - وهى استعمارية طبعا - ضنينة بالمال فى مصالح الأهالى أصحاب القسط الأكبر فى دخل الخزينة !! ورأى نواب الأهالى أقلية ضئيلة فى المجلس - فجاء بذلك اللسان الفصيح والقلب الرقيق يستعطف « إنسانيتهم وشفقتهم » ويذكرهم بأن « المسألة تخص العدالة والشفقة » وأن هذه المصلحة تكون برهانا لدى الأهالى المخلصين ، على « حنو وشفقة فرنسا عليهم » وأن فى ذلك « جلب قلوب خمسة ملايين ، وأن هذه القلوب تساوى أكثر من بضعة ملايين » .

وذكرهم أخيرا بالأمر المحزن المدهش وهو « موت أربعين فى المائة من أطفال الأهالى » .

وافق النيابة على طلب الوالى العام وصوتت على ثلاثة ملايين وستمائة ألف يصرفها فى نظام الممرضات وإعانة الحوامل .

هذا الموقف الشريف الذى تشكر فيه الأمة الجزائرية الوالى العام - يجب ان يكون قد ألفت نظره إلى ضرر جعل نواب الأهالى أقلية بذلك المقدار مما كان سببا أصليا فى فوات مصالح أهلية عديدة لم يقبض لها مثل حضرته أو لم يكن لغيره مثل تأثيره ، فرجاؤنا أن يكون رفع عدد نواب الأهالى فى جميع المجالس من أول برنامج أعماله .

وهذه ملاحظات على ما يريده جنابه من الإصلاح .

إن موت الأربعين فى المائة ناتج فى الأكثر عن عدم الوجـــد وسوء الحال،بدليل أن الموت والمرض فى أبناء الفقراء أكثر منهما فى غيرهم ، ولأكثر الحوامل دراية بما يليق بأولادهم ومحافظـة طبيعية عليهم إذا وجدوا لذلك سبيلا بالمال ، فترى أن يكلف الحكام القياد كل قائد بما فى دواره من الحوامل الفقـيرات يعينهـن ، فيعطين الإعانات المالية فى أيام الحمل ومدة الرضاع ، ونرى أن هذا أنفع من محاولة لتعليم الممرضات وتكثيرهن .

لأنهن مهما كثرن فلا يستطعن الذهاب كما يلزم لرؤوس الجبال وبطون الأودية حيث تقيم الحوامل الأهليات ، فتذهب أموال كثيرة فى تنظيم إدارة الممرضات ورواتبهن من غير تحصيل على المقصود.

ولا ننسى أن نقول هنا لجناب الوالى العام الذى رأينا منه هذا الحزم والشفقة : إنه اذا كان يموت من أبناء الجزائريين أربعون فى المائة موتا جسديا ـ فإنه يموت منهم نحو الألف فى الألف موتا فكريا ، فما نلاقيه من داء الجهل أكثر مما نلاقيه من داء الموت ، وأن الأمة الجزائرية لتحفظ له ودا تاريخيا إذا استعمل حزمه ونفـوذه فى محاربة هذا ، كما استعملهما فى محاربة ذاك (1) .

(1) الشهاب : ع 9 ـ 21 جمادى الثانية 1344 هـ ـ 7 جانفى 1926 م .

فى الشمال الافريقى :

سياسة وخز الدبابيس

لا ننكر أننا معجبين بالآداب الفرنسية، ولا ننكر أننا مع المعجبين فوق ذلك بالصحافة الفرنسية الكبرى ، وما لها من بديع نظام ، ومهرةأقلام ، وجرأة وإقدام ، لهذا يؤلمنا ويزعجنا ويملأ أنفسنا حسرة واشفاقا أن نرى الآداب الفرنسية وأن نرى الصحافة الفرنسية الكبرى تنحط أحيانا إلى دركة الهذر واللغو والسخافة ، وتنغمس فى خمأة التعصب الممقوت المظلم،فتنكر على غيرها ما تستحسنه لنفسها ، وتعتبر الفضيلة عندها رذيلة عند غيرها . ثم تلجأ فوق كل ذلك إلى باب الاختلاق والإفك والبهتان، فتتهم الأبرياء، وهى تعلم أنهم أبرياء ، وتقلب الحقائق،وهى تعلم أنها تقلب الحقائق ، وما ذلك إلا خدمة لغايات انتفاعية ، ودفاعا عن مصالح مادية لبعض الهيئات التى تغذى صناديق تلك الصحف الكبرى .

وهكذا يقع التدليس والتلبيس على الشعب الفرنسى ، فيبقى بفضل صحافته الكبرى المتحاملة عن غرض أو عن استئجار ، جاهلا حقيقة ما يجرى بالبلاد المرتبطة مع وطنه ارتباطا وثيقا ، غالطا فى حكمه عليها ، غير متصور حقيقة ميولها وعواطفها وآمالها وآلامها .

وكلامنا اليوم مع أم الصحف الباريسية الكبرى ، العجوز الوقورة،جريدة الطان . فقد سولت لها النفس الأمارة بالسوء أن تسود مقالا عن الجزائر والجزائريين بمناسبة الاجتماع الذى عقدته

بباريس لجنة البحر المتوسط الجديدة ، وهى التى تجمـــع نواب الوزارات ورجال الحكم فى مستعمرات فرنسا وبــلاد الحمايــــة والانتداب ، ومهمتها النظر فى المشاكل المشتركة التى تهم سياسة فرنسا الاستعمارية لكى تتوحد تلك السياسة،وتسير فى خطــــة متماثلة بكل الأقطار التى يخفق على أرضها العلم،الذى يقولون إنه يمثل بأحمره وأبيضه وأرزقه الحرية والأخوة والمساواة .

فلتحريش أعضاء هذه اللجنة ، ولحملهم على سلوك سياســـــة الشدة والعنف والجبروت مع الرجال الذين دانوا بطاعة فرنسا ما يزيد عن القرن ، وسقطوا فى كل ميادين القتال ألوفا مؤلفة حول رايتها ، ولأجل غايتها ، ولتشويه الحقائق وإلباس الحوادث غــــير لباسها الطبيعى ، كتبت الطان مقالها المأسوف له والمتحسر عليه ، ونشرته فى عددها الصادر يوم 20 فيفرى السالف .

فهى تقول وأنف الحقيقة راغم : إن المهيجين الذين هدأ فورانهم أثر زيارة مسيو رينى قد عادوا فجأة إلى ميدان الإثارة ، ومـــن الممكن أن يقودوا الأمة إلى فاجعة كفاجعة قسنطينة المؤلمة .

فالدكتور ابن جلول يتهـــم فى جـــريدته (الانطانت) الإدارة الفرنسية بأنها تريد أن تغمر الجزائر فى ميدان النار والدماء .

ويؤيده فى هذا الطريق ابن باديس، والطيب العقبى، وهما على رأس جمعية العلماء التى لمت فى نادى الترقى شمل الذين اتفقوا على نسف نفوذ فرنسا باستعمال شتى الطرق . وفى كل مكان نجد نشاط دعاة المذهب الوهابى وأعوان الجامعة العربية الذين يدينون بفكرة شكيب أرسلان ، والذين يتلقون تعاليمه من لوزان عـــلى طريق القاهرة . ومن أهم مطالبهم حرية الوعظ فى المساجد،وحرية التعليم بدون مراقبة .

فمن ناحية يقع الحث على عدم دفع الضرائب . ومن ناحية أخرى تجمع الأموال الطائلة لشراء الديار، رغم أنها تستعمل مراكز دينية ، وأنها فى الحقيقة تستعمل مركزا لتهذيب الناشئة تهذيبا إصلاحيا متعصبا . ثم وقع استغلال موت الأمير خالد سليل الأمير عبد القادر ، وقد توفى بدمشق، فوقعت الدعوة لإقامة صلوات عمومية لاستنزال الرحمة على روحه .

وهنالك الشيوعية وهى لا تستدرج الناس باسم المذهب الشيوعى . إنما تستدرجهم باسم المصالح المختلفة، فتجذب إلى الحزب الشيوعى مستخدمى السكك الحديدية، ورجال المراسى والعملة . وجمعية كوكب شمال أفريقيا الشيوعية ترسل أفلاما سينمائية تظهر النظام الشيوعى فى أبدع صوره . فناحية قسنطينة وتبسة وهى القريبة لتونس، والتى يمكن للدعاة أن يتجولوا بسهولة بينها وبين البلاد التونسية ، وناحية تلمسان ، وهى مركز التعصب الدينى الحاد ، هما الناحيتان اللتان تحوم حولهما الريب بشدة، واللتان سيدلى مسيو لودو عنهما ببيان أمام اللجنة العليا) .

هذا كلام جريدة الطان .

ولقد كنا نمر كراما بهذا اللغو لو أنه صدر من صحيفة صغيرة، أو جريدة لا تمثل طبقة ممتازة من كبار الفرنسيين ، أما وقد صدرت هذه الأقوال المستهجنة من صحيفة الطان ، فالسكوت عنها يعد خورا (1) إن لم يعتبر جريمة .

فلنأخذ أقوال الطان من أولها ، ولنعمل بها معول الحقيقة ــ وللحقيقة معاول هدامة فى بعض الأحيان ــ ولنقل نحن أقوالنا التى تخالف أقوالها على خط مستقيم . ثُـمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللّٰهِ عَلَى الْكَاذِبِـينَ .

(1) خورا . ضعفا .

نقول نحن إن الهيجان الذى تريد الطان أن نجعله موجودا الآن بالجزائر ، لا وجود له إلا فى المخيلة المريضة المخروفة التى أملت ذلك الفصل . نعم،هنالك استياء عمومى فى طبقة الفلاحين الذين لم يجد أكثرهم من الإعانة الموعود بها إلا ما يجده الصادى (2) فى السراب (3) . وهنالك استياء فى الرأي العام من إبطاء الإصلاحات الموعود بها،والتى أجمعت الأمة على المطالبة بها . وهنالك تذمر عمومى من الحالة الحاضرة سواء من ناحيتها السياسية أو من ناحيتها الدينية والاقتصادية .

إنما الهيجان الذى تصوره الطان كأنه الغول المهاجم لابتلاع الأرواح ، إنما الهيجان التى (4) تقول بأنه سيكون من نوع حوادث قسنطينة المؤمة ، فذلك ما نفى (5) وقوعه بكل قوة وبكل شدة ، ولن يكون إلا إذا عملت يد المحرشين الأجانب الاوروبيين على إثارته وتهيئة أسبابه ، خدمة لأغراضهم الخاصة . والرأي العام الإسلامى لا يتبع كل ناعق ، ولا يقدم بسهولة مثل هذ، الأعمال إلا إذا استثير وأمعن فى استثارته ولم يبق فى قوس صبره منزع .

ثم لنتول الدفاع متطوعين عن النواب وهم الأغنياء عن دفاعنا ، فمتى كانوا مهيجين أو دعاة للفتنة والاضطراب ، وهم الذين بحت أصواتهم فى المناداة بوجوب التآخي والتضامن مع الفرنسيين لأجل الإحراز على نفس الحقوق الفرنسية ، بواسطة فرنسا وحدها . ولو بتضحية بعض الشخصية الإسلامية ــ وهذا ما لا نوافق عليه نحن ــ وأقوالهم أمام وزير الداخلية ، وكتاباتهم كلها على هذا المنوال .

---

(2) الصادى : العطشان .

(3) السراب : ما يشاهد نصف النهار من اشتداد الحر كأنه ماء .

(4) صوابه : الذى .

(5) صوابه : ننفى .

لكن هؤلاء السادة قد ألفوا منذ أمد طويل سياسة البنى وِي وِي (1) أولئك الذين لم يرتفع لهم صوت ولم تنبس لهم شفة بكلمة في مجال الدفاع عن الحقوق . فإن هم سمعوا كلمة المتذمر، وإن هم شاهدوا حركة المستاء ، نادوا بالويل والثبور، وقالوا إن هذه إلا حركات ضد فرنسا قد نضجت فى القلوب وانفجرت بها الصدور .

ثم ما شأن جمعية العلماء فى هذا الأمر ؟ — إن سمحت الطان لنفسها بحشر ابن جلول في ميدان التهييج السياسى — وهو برىء منه — فالرجل على كل حال رجل سياسة ، ويمكن مصادمته ، ويستطيع النضال عن نفسه فى هذا الميدان . أما جمعية العلماء المسلمين، وهى الدينية التهذيبية البحتة ، وهى البعيدة كل البعد عن السياسة والسياسيين ، وهى التى لا علاقة لها مع الشعب إلا فى ميدان الإصلاح الدينى، والتهذيب الاجتماعى، ورفع الأمية عن القوم ، فما أسخف الطان وما أسخف ذوى السخائم الذين أملوا على الطان تلك الأقوال فى شأنها !

هذه الجمعية جمعية العلماء صحفها منشورة ، وأقوالها مأثورة ، وأعمالها مشهورة ، فليأت هؤلاء الأفاكون (2) بكلمة أو قول أو فعل يمكن به اتهام الجمعية أو أفراد الجمعية أو القائمين بأمر الجمعية بانهم يعمدون إلى التهييج، أو يعينون على التهييج — هذا إن فرضنا جدلا أن الهيجان موجود .

وإن طالبت الجمعية بإلقاء الوعظ فى المساجد ، فقديما كانت المساجد مفتوحة فى وجه علمائها ودعاتها ، وقديما عقدت الجمعية مجالس الدعوة والإرشاد تحت رعاية ورئاسة رجال الحكومة والبلدية، فهل يستطيع أحد من رجال البوليس أو من رجال البلدية أو الحكومة

---

(1) عبارة جارية فى الجزائر تطلق على الذين يوافقون على كل شيء يصدر من الفرنسيين بكلمة نعم (وِى) .

(2) الافاكون : الكذابون .

الادعاء بأن الجمعية قد حادت ولــو مرة واحدة في كل حياتها عــن سلوك طريق الإرشاد العلمي الديني، سواء بالمساجد أو المجتمعات العامة، وأشارت على الناس ولو من طرف خفي بتأييد المهيجين، وإعانة الهيجان ؟

هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين !

ثم ما شأن الأمير شكيب ارسلان ، وما شأن الوهابية ، وما شأن الجامعة العربية في كل هذا ؟

إنهم يعلمون علم اليقين أنه ليس في الحركة الإصلاحية ولا في الحركة السياسية في القطر الجزائرى ، من أصبع خارجي كيفما كان أمره، ومهما كان مصدره ، ولقد قامت لديهم الأدلة والبراهين على ذلك . وتالله لو أنهم وجدوا برهانا ولو ضعيفا على خلاف ذلك ، ولو وجدوا حجة ولو واهية على وجود أى شيء من هذا القبيل ، لكانوا قد بطشوا بنا قبل اليوم بطشا ، ولكانوا قد محقوا هيأتنا من عالم الوجود ، بعد سحق أشخاصنا .

لكن ولاة الأمور قد علموا جلية الأمر ، وتميز لهم خبيث القول مــن الطيب ، وتأكدوا أن ليس في حركتنا الدينية ولا في الحركة السياسية من يد خارجية . وإننا لنتحداهم تحدى القوي المؤمن بحقه أن يأتونا ــ حكومة وأفرادا ــ بما يثبت للناس خلاف هذا . ونكون عندئذ محجوجين، ويكون لهم الحق في كل ما يفعلون .

فإن لم يفعلوا ، ولــن يفعلوا ، فمثل هذه الأقوال التى لا قيمة لهــا ، والتى لا يقصد بها إلا حشر أسماء مفزعة في ميدان البحث قصد التهويل والتهويش ، ليست لهــا من قيمة أى قيمة ، وأنهــا لتزيد الذى يأتي بها في حديثه سخفا عــلى سخافته ، وضعفا عــلى ضعفه .

وقالت الطان : إننا نريد حرية التعليم دون مراقبة . لقد غلطت الطان وغلط الموعزون لها غلطا فاحشا . فنحن نطلب حرية التعليم العربي حقا ، إنما نحن نقبل كل مراقبة ، فأعمالنا العلمية والتهذيبية تقع علنا في وضح النهار، وليس ما نخشاه ولا ما نكتمه. ولو تفضلت الطان وهيأتها الظاهرة والخفية بتعيين مراقب من قبلها للتعليم العربي الحر ، لرحبنا به ولحبذنا تعيينه ، ولاعتقدنا أنه سيكون مقنعا لجريدته بفساد النظرية التي تدافع عنها اليوم .

أما ما أشارت اليه الطان من أمر ابتياع الديار، فإنها تقصد به الدار التي ابتاعتها جمعية التربية والتعليم ، والتي قامت بفضل جهود الأمة وتضحياتها المثمرة . فتالله لو أن كاتب الطان شاهد الأمة وهي تجود بما لديها من مال قليل ، وشاهد تلك الدار وما تحتويه ، لخجل من نفسه، ولندم على قوله، ولكفانا مؤونة الرد عليه ... أسست فرنسا في بلادنا وأسست جمعياتها مآت الآلاف من المعاهد والديار التي من هذا القبيل، فقال قائلهم إن الفرنسيين لم يعملوا شيئا مذكورا في هذا الميدان ، وطالبوا بالمزيد . ولم يتجاوز ما أسسه الجزائريون أربعة أو خمسة من هذه الديار ، فأصبحت هذه الديار متهمة، وأصبحت خطرا على المجتمع ونفوذ فرنسا . نؤكد للطان أننا نريد أن نخرج من هذه المعاهد ناشئة مهذبة تعمل جهدها لكي تكون بعيدة عن مثل هذا التعصب الممقوت .

ومن أعجب العجب استشهاد الطان الرصينة ــ عادة ــ على صحة أقوالها بالدعوة التي انتشرت في البلاد الجزائرية لإقامة الصلوات العامة أو حفلات الذكرى للأمير خالد رحمه الله .

فتالله إن هذا لمؤلم ، ومؤلم جد الألم .

إذا سلمنا لصحيفة الطان المرتبطة برجال الدين ، أن تستهجن (1)

(1) تستهجن : تستقبح .

مسلكنا الديني ، وإذا سمحنا لكتاب الطان الذين أشبعوا روح الحرية أن يقاوموا مطالبنا في الحرية ، وإذا سمحنا للذين يدعون الموت في سبيل تحرير الشعوب أن يقاوموا إحراز هذا الشعب أي حق من حقوقه الضئيلة ، إذا سمحنا مكرهين بكل هذا ، فكيف نسمح لجريدة أمة أقامت في مختلف بلادها فوق الألف تمثال لتخليد ذكرى عظمائها في ميادين الحرب والسياسة والقلم والفن ، أن تقاوم أمتنا عندما رأت أن تقيم ـ لا التماثيل ـ إنما صلوات عامة وابتهال لله أن يتقبل خالد برحمته ورضوانه ؟

حتى الاعتراف بالجميل ، وحتى ذكر الموتى يجب أن ننساه لكي يرضى عنا هؤلاء السادة أصحاب المنطق المستقيم .

اسمعوا ! إننا لن نرضيكم أبدا،وإننا لن نعمل على إرضائكم . إننا لن نخشاكم أبدا، ولن نعمل عملا يوقعنا تحت طائلة أيديكم . نحن سائرون على منهاجنا،وفي طريقنا ، لا يضرنا صراخكم،ولا ينفعنا سكوتكم . فقولوا ما شئتم ، فلن تنالوا منا منالا،ولن نتزعزع عن عقيدتنا . إنما ننصحكم نصيحة خالصة أن لا تعودوا لمثل هذا العمل الممقوت ، فسياسة وخز الدبابيس تنتهي غالبا بفقد الشعب لصبره ، وإخراج الحليم عن حلمه . وإننا لنسد في أوجهكم هذا الباب إلا إن كسرتموه،والأمر بعدئذ لله (1) .

(1) ش : جزء 12 ، مجلد 11 ، غرة ذي الحجة 1354 هـ ـ مارس 1926 م .

خطـاب الـوالى العـام للقطـر الجزائـرى

بالنيابـــة الماليـــة

المسألـــة الأهليـــة

تعريب «الشهاب» ببعض تصرف

أيهـا الســادة ؛

حسن الالتفات والعدل ، لا أريد أن أزيد أن كل سر السياسة ـ على رأيِ ـ هو فى ذين الصفتين ، وقد مضى قولى لكم أن مـن المحتم على الرأي العام الإنصاف بلسطان الإنصاف .

ثم إنى أعتقد أنى أكون منتهكا للشرف حقا إن أنا استطعت نسيان أن لا حق لى فى التحكم لأي حزب ولا لحزبى أيضا . فباسم الجمهورية أنا لا أستطيع التحكم إلا لفرنسا ، لأن من واجبى السهر على منع محاككات الأحزاب المضرة بالوطن ، والعمل لإزالة أسباب الاصطدامات وسوء المفاهمة بين الأجناس ، إذ لا يخلو من مثـل هذا المودة الراسخة بل حتى الأخوية .

حقا إن المسألة الأهلية لفى غاية الإشكال ، أولا . رجال يعجب رقيهم ، ولا تعزب عن النباهة الفرنسوية معرفتهم ، صاغتهـم أنظمة فرنسا ، فلها الحق إذاً فى الافتخار بهم . أما من الطـرف الآخر فسواد من الرجال ـ فرنسيون هم كذلك ـ إلا أنهم لا يزالون متمسكين بالعوائد المحترمة ، ومحافظين ، بغيرة ، عليها ، راضين

في ذلك بالأفكار الغربية . وبين الجمعيتين رجال آخرون توسعوا في سن أنظمة لأنفسهم يسيرون عليها ، ونراهم ساعين أيضا في تليين العوائد القديمة كي تلاقي الحياة العصرية .

فهذا الاختلاف مع دقته لا يعظم أمام اعتبار فرنسا له بدرايتها وبتبصرها ؛ فرنسا التي تحترم ما احترم من العوائد وتمتنع من المفاجأة بالتغيير

تحتم الآن عن وطننا سلوك سياسة خاصة تفهم هؤلاء الذين صبغوا بالصبغة الحقة ، والقريبون منها والبعيدون ومن هم أبعد . فالتفكير في تمتع الآخرين مثلا بالحقوق المدنية قبل بلوغهم كليا درجة الرجل الاقتصادي أمر لا تدركه الأفهام ، ولا يقبله انتظام ، بل يكون مخيفا .

فإن النفوذ الغربي لا يقبل ـ بدون خطر ـ إلا من الأفكار المهيئة لأتباعه ، فلا يدركها ولا يحدث فيها دورانا كالذي يحصل لمن يبدل مناخا بآخر ، وأقول فيه ما قاله (رومان دولاند) في النفوذ الونيرياني : « خصب من غير شك ، غني بالحياة وبالتفكير غير أنه صعب النقل الى الأجناس الأخرى » .

طول الزمان موجب ولا شك لتولد النهوض ، لكن مع العمل والنظام ومشيئة القدر ، دبيب روح الحياة في الشعب كله ألزمه محاولة الخروج من الظلمة والبدء في الاستيقاظ ، وهذا دائما هو وقت الشدائد والمحن .

يكون الفوز حليفنا أن يثبت دائما أعمالنا على أسس التبصر والرزانة ، وكنا لا ننسى اتباع كلمة العظيم (بيطهوفان) : «السمو الحقيقي هو الإحسان» .

لا يفتح المريض عينيه إلا بالتدريج فيرى فرنسا ماثلة أمامه لا تتوارى عنه ، بل هي حاضرة أبدا بقواعد وتراتيب ، وبذلك

النظام الذى هو أساس الأمن والرقي ، وهى تعرف كيف تــوزع إحسانها وفكرتها الشريفة حين يلزم ذلك .

حيفا لمن لا يعرف من السياسة إلا الترهيب . فمثل ألمانيــــا امبراطورية 1914 قد بين لنا جليا أن الترهيب لا يوجب احتــرام القائم به ، ولئن تحب يلزم أن تحترم ، وأنت تحب أنت أيضــا بصدق وحرارة .

إنكم فهمتم هذا ، أيها السادة ، حيث وافقتمونى على إنشــاء « مساعدة الرضعاء » وعلى جلب إصلاحات تامة للإعانة الطبية ، هاته الأمور التى طالما قدمتم نفيس طلباتكم فى التحصيل عليها .

ثم إنى لا أحتاج إلى أن أقول لكم بأي اعتناء وبأي نشـــــاط سأسلك سبل العمل بالسنن التى وضعناها أخيرا ، ولنا الحـق فى انتظار نتيجة عظيمة ماديا،وأتمنى أن تكون أعظم أدبيا .

بالعمل وبالهناء وبالتعاون بين كل الأجناس التى تعمر وتسعد فــوق هذه الأرض الافريقية تحت رعاية السلام الفرنسى ، أطلب منكـم تقوية ثقتنا فى المستقبل وهجــر الفشـــل . ستضع لجنــة المستعمرات ــ بطلب منى ــ قانونا جديدا لملكية العقار ، وسيأتى هذا القانون الأمتين الباسلتين الاروبية والأهلية بأتم وسائل العمل والنجــاح .

إذا ، فما يخص هــذا الوطن ، أيهــا الســادة ، ليكون كصورة منعكسة لأم الوطن ؟

فلو اتفقت فلسفة الرجال وإرادتهم بالقضاء على أسباب الكسل والخمول ، وعملت بتدبــير مكتب لإخضــاع الطبيعة التى كثــيرا ما تبخل بمنافعها ، ولو دفعتنا الأيام للمنافسة السامية الخالية من سوء الظن ، والتى تشيد لنا سبل التعاون الصادق الذى لا أدع أيدى الجهلة أو المجرمين تصل بسوء إليه ما دمت واليا ، ولو عمل الكــل

أروبيين وأهليين بقلب واحد ناشدين غاياتهم الشخصية ومعتقدين أشرف اعتقاد نحـو الوطن . ولـو تكلفنا معرفة ما قاله (رنان) : « معرفة النفس هى أول كلمة مـن المعلومات البشرية وآخرها » ، ولو علمنا أن العمـل يبعث فى الشخص حماسة وشرفا يجعلانه حائزا على سر التعاضد الذى يسهل الاجتهاد والشرف والبذل وحتى التضحية ـ لكانت الجزائر أكثر وثوقا بغدها الزاهر .

والآن يستطيع وطننا الجميل أن يظهر بعجب ويفخر ما وصلت إلى تشييده أيدى وأفكار وقلوب شرذمة من الفرنسيين متجاسرين وثابتين ومولين وجوههم شطر اليـد الممدودة بإخلاص إليهم ، وشطر رجال يفقهونهم ويمدون يد المساعدة نحوهم (1) .

(1) الشهاب : ع 20 ـ 18 رمضان 1344 هـ ـ 1 أفريل 1926 م .

حول خطاب سمو الوالى العام

ـ 1 ـ

إن المواربة من رجال الحكومات التى تنزم سمو الوالى عنهـا ، والمداجاة من رجال الأمم التى برأنا الله منهما ـ هما السبب فى سوء التفاهم وضعف الثقة ـ إذا كانا ـ من الطرفين ، وبهذيـن تضيع مصالح الحكومات والأمم معا .

نحن قد رأينا من الوالى الحالى حرية فى الفكر وصراحة فى القول حتى عرفنا دخيلة نفســه نحونا معشر الجزائريين ، ونحن نحب ـ كما هو مبدؤنا ـ أن نعلق على خطاباته دائما بمثل تلك الحرية وتلك الصراحة حتى يعلم دخيلة أنفسنا .

ونؤكد لحضرته أننا نعرب عن فكر السواد الأعظم من الأمة ، ذلك أن السواد الذى لا يحسن أكثره الإعراب عن نفسه ، ولا يريد أقله ولا يمكنه ذلك الإعراب ...

ونرى أنفسنا فى مثل هذا الوقت كما خدمنا شعبنا بإعـلان مطالبه كذلك خدمنا الحكومة بتعريفها برغائب الشعب الذى هى مسؤولة عن حالته ، ونرجو من وراء ذلك أن تحصل الثقة والتفاهم والتعاون بين الطرفين ، تلك الأصول الثلاثة التى لا هناء لحكومة ولا سعادة لأمة إلا بها . « حسن الالتفات والعدل » .

كل ـ السياسة ـ كما قال ـ هو فى هذين الوصفين ، وكل ما تتمناه الأمة الجزائرية هو العمل بمقتضاهما .

نريد الالتفات قبل كل شيء إلى « الإنسان » الجزائرى،إلى حالته العقلية المنحطة ، إلى حالته الأخلاقية الفاسدة ، بسبب قلة مدارس التعليم والتهذيب الحقيقية والمجازية المفتحة لأبناء الجزائريين ، إلى حالته الصحية بسبب قلة أو عدم المستشفيات فى كثير من القرى والإسعافات الطبية ، فى حالته الاقتصادية بفقد المدارس الفلاحية وعدم الإعانة لصغار الفلاحين .

نريد العدل فى العلم حتى يوحد برنامج التعليم،فلا يبقى برنامج تعليم الجزائرى برنامج خاص كأنه مخلوق خاص !! نريد العدل فى الإسعافات الطبية حتى نرى المستشفيات مفتحة حيث يكثر الأوروبيون كما هى حيث يقلون.أو حيث لا يكونون ، ونرى اعتناء بما هو موجود منها اعتناء يصير لها قيمة ونفعا .

نريد عدلا فى عمارة الأرض حتى لا نرى الأرض تنزع من قوم وتعطى لآخرين ، وحتى لا نرى إيثارا فى منح الأرض لقوم على قوم،وحتى لا نرى القروض الفلاحية تتقتر على الفلاح الأهلى الضعيف وتوسع على غيره القوي كأنها تعمل فى ذلك بفلسفة : تسمين السمين وتهزيل الهزيل ! نريد عدلا لا نرى معه الأوروبى الأجنبى من الأمة الفرنسوية يجد فى الجزائر ما لا يجد فيها ابنها المعدود من العائلة الفرنسوية .

صرحنا ولا زلنا نصرح أننا رأينا منكم من يوم قدومكم فى جميع خطاباتكم ـ حسن التفات نحو الجزائريين ، ورأينا منكم سعيا فى شيء من التنفيذ ، ولم نر من نشطكم على أفكاركم التى التى صرحتم بها ولا ساعدكم حقيقة على السرعة والتوسع فى تنفيذها ، بل رأينا من ثقلت عليه كلماتكم ، وبعد لأى وافقكم على مشروع « مساعدة الحوامل والرضعاء » .

لا نجهل أن الروح « الديمقراطية » والنفس « الاشتراكى »

اللذين نفثتم بهما فى خطاباتكم السابقة ـ لا تتحملهما الـروح الاستعمارية المستولية على أكثرية الفرنسويين بالجزائر ، فطبعا وقعت مصادمة ، ثم لن يكون القوم على مباديهم الاستعمارية أشد منكم محافظة على مباديكم الاشتراكية الديمقراطية ، فإذا كنا نشك أن تزعزعوهم فإنا لا نخاف ـ بثقتنا فيكم ـ أن يحولوكم ، ولكم عليهم بعد قوة الحق وعصبة الشمال .

« أنا لا أستطيع التحكم إلا لفرنسا » .

نحن الجزائريين لما يمكن لنا حزب يدافع عن حقوقنا الحيويـة حتى يصطدم بالأحزاب الأخرى ويطمع فى مناصرة الوالى العام ، وإنما الأحزاب والمصادمات والاستنصارات في الأُحزاب الفرنسوية وهى التى كثيرا ما تعتمد على الحكومة والولاية والإدارات فى جلب مصالحها ولو أجحفت بحقوق الجزائريين ، وكثيرا كثيرا ما تجـد آذانا صاغية وقلوبا مستمعة ، فهذه الأحزاب هى التى إذا سمعت هذه الكلمة من الوالى العام ربما ساءتها وخففت شيئا من غلوائها وأوقفتها إلى وقت ما عند حد الاعتدال .

أما نحن فهذه الخطة هى بغيتنا ، فإننا نريـد الحكـم لفرنسا بالروح الفرنسوية وروح الأُخوة والعدالة والمساواة ، وننفر من كل ما يخالف هذه الروح ، ونمقت كل من يعمل عملا أو يحكـم حكما يدنس طلعتها ويشوه سمعتها كائنا من كان ، فلهذا نسجل هذه الكلمة بمداد الثناء والإعجاب لجناب الوالى العام (1) .

---

(1) الشهاب : ع 21 ـ 25 رمضان 1344 هـ ـ 8 أفريل 1926 م .

حول خطاب سمو الوالى العام

ـ 2 ـ

« حقا إن المسألة الأهلية لفى غاية الإشكال » .

هنا ذكر الخطاب أقسام الأمة الثلاثة : الذين « صاغتهم فرنسا ولها الحق ان تفخر بهم » وهؤلاء ـ كما تقتضيه المقابلة ـ هم الذين لم يبق لهم تمسك بالعوائد المحترمة ولا محافظة عليها ، والذين لا يزالون متمسكين بالعوائد المحترمة ومحافظين بغيرة عليها ، وهذان طرفان ، والذين كانوا بينهما وهم الذين سنوا أنظمة لأنفسهم للسير عليها مع سعيهم فى تليين العوائد القديمة كي تلاقى الحياة العصرية .

ليس من سياسة فرنسا ـ فيما نعلم ـ أن تخلع الأمة الجزائرية جميع تقاليدها ـ عامة ـ وتصبح فرنسوية محضة ، وليس من سياستها كذلك أن تبقى الأمة الجزائرية متمسكة بجميع عوائدها حتى الضارة منها الناشئة عن جهل بدينها ودنياها ، تلك التى تبقى بها منحطة فى أخريات الأمم ، بل سياسة فرنسا ـ فيما نحسب ـ هى ترقية الأمة الجزائرية ـ محافظة على مقوماتها القومية ، وتقاليدها النافعة الملائمة ـ مخلصة لفرنسا،عاملة معها كعضو منها .

فالفئة القليلة التى لم تبق لها محافظة ولا اعتبار لجميع تقاليد الأمة الجزائرية ـ لا يمكن أن تساعد فرنسا على تنفيذ سياستها

التى ذكرناها فى الأمة الجزائرية ، ولا يمكن للأمة بالطبع أن تتخذها قدوة أو تنصاع لإرشاداتها .

والسواد الأعظم من الأمة هو الفريق الذى لا يزال شديد التمسك بجميع تقاليده الضار والنافع منها ، الصحيح والفاسد فيها ، من جراء الجهل الفاشى فيه ، والزعامة الروحية « الآفريلية .. » المتسلطة عليه ، وعلى فرنسا من بقائه على حالته هاته مسؤولية كبرى .

والفريق المعتدل الذى يحافظ ــ من تقاليد الشعب ــ على ما هو صحيح ونافع ومعقول ، ويتلقى المدنية العصرية والثقافة الفرنسوية بالقبول ــ هو الذى يمكن حقيقة أن تثق به الأمة وتحتذيه ، وفى مقدرته أن يساعد فرنسا على إنهاض الشعب حسب سياستها التى ذكرنا . فهو الجدير بتأييد الحكومة له ، والإعراض عن كل عثرة يلقيها فى سبيله فريق الطفرة أو فريق الجمود .

أقسام ثلاثة فى الأمة ! ولا بدع فى وجودها فيها ، فلا تكاد تخلو من مثلها أمة من الأمم فى مثل هذا الموقف ؛ موقف التطور والانتقال .

وإن مما يلفت النظر ويستحق الإعجاب أن هذه الأقسام كلها ــ كما يستفاد من الخطاب ــ ولد فيها طول الزمن النهوض ، ودبت فيها روح الحياة ، وبدأت فى الاستيقاض محاولة الخروج من الظلمة ، واضعة ثقتها وأملها فى فرنسا .

فإذا سارت بهم فرنسا بسياسة « المحافظة على القديم النافع ، والمبادرة بالإصلاح المفيد » بلغت بالأمة الجزائرية مبلغا تكون به فرنسا قد زادت خمسة ملايين من الأشخاص الأحياء العاملين فى مجموعها ، وتكون حينئذ تفتخر بأمة كاملة لا بفئة قليلة ...

كل أمة لابد أن تكون فيها أحزاب ، وتوجد فيها طبقات وأقسام بضرورة اختلاف الأنظار والأفكار .

ثم لابد أن يوجد تفاوت ـ وقد يكون عظيما ـ بين الطبقات والأفراد فى درجة المدنية والتهذب ، بضرورة اختلاف القابلية والاستعدادات والمؤثرات .

غير أن هذا الاختلاف ـ وإن عظم ـ لا يبعد فردا أو طبقة عن الحق الطبيعى الذى تستحقه الأمة كلها ، ماديا كان ذلك الحق أو أدبيا ، كما لا يبعده عن عطف حكومته ورعايتها ، لأن الحكومة للشعب يجب أن تكون كالشمس للموجودات على ظهر البسيطة ، ترسل أضواءها وأشعتها للهداية والنفع ، لا تفرق بين حيوان راق وحيوان منحط بل بين حيوان وجماد .

نعم ، تستوى طبقات الأمة وأفرادها هكذا إذا كانت قد تساوت فى أداء واجبها نحو حكومتها .

والأمة الجزائرية أمة قامت بجميع واجباتها جميع طبقاتها وأفرادها نحو فرنسا فى جميع الظروف والأوقات .

الأمة الجزائرية لما نادت فرنسا : « إن المدنية فى خطر ، إن الحرية والإخاء يريد أعداء فرنسا القضاء عليهما » ، قامت الأمة الجزائرية تدافع عن هذه المبادىء السامية،لم يتخلف عن ذلك منحطها عن مترقيها ، فشاركت فى الحرب ، وشاركت فى النصر .

هذه الأمة تريد أن تعطى الحق الطبيعى من التهذيب والاقتصاد والسياسة ـ عاما كما كان قيامها بالواجب عاما ، وترى أن طلبها هذا من الحق الواضح الذى لا إشكال فيه (1) .

(1) الشهاب : ع 22 ـ 2 شوال 1344 هـ ـ 15 أفريل 1926 م .

حول خطاب سمو الوالى العام

— 3 —

« فالتفكير فى تمتع الأخيرين (البعيدين عن الصبغة الحقة) مثلا بالحقوق المدنية قبل بلوغهم كليا درجة الرجل الاقتصادى — أمر لا تدركه الأفهام ، ولا يقبله النظام ، بل يكون مخيفا » .

من المعروف فى تاريخ الأمم والأجيال أو الناس فى كل جيل وكل أمة يختلفون فى درجات المدنية والرقي، فتوجد فيهم الطبقات المنحطة ، وأكثر ما تكون فى دواخل البادية ، وتوجد فيهم الطبقة الراقية ، وأكثر ما تكون فى المدن والقرى .

والبادية — كما هى مصدر غذاء الحاضرة المادى كذلك هى مصدر غذائها الاجتماعى والفكري ، فلا تزال البادية تدفع بالأفراد والجموع منها الأقوياء الأبدان المتان الأخلاق السالمى الفطر ، إلى الحاضرة فيجددون فيها ما أضعفته المدنية من أبدان ، وما أفسدته من أخلاق ، وما شوهته من فطرة ، ولا تزال الحاضرة — فى مقابل ذلك — تبعث بأشعة علومها وتهذيبها إلى البادية فتنيرها وتستحث أهلها على اللحاق بطبقات الراقين المتمدنين . هكذا كان الحال ولا يزال بينهما دواليك .

ولما كانت الطبقات المنحطة ضرورية في الوجود ، ومادة صالحة للتكوين الراقى ، — كانت المدنيات الراقية وفى مقدمتها المدنية

الإسلامية ـ لا تفرق فى الحقوق المدنية بين طبقة وطبقة ، فتسوى فيها بين الأمير فى قصره ، والجبلى فى كوخه .

إن الأمة الفرنسوية يوم دكت صرح الاستبداد وشيدت بناء الحرية لم تخل من طبقات منحطة لا يد لها فى ذلك المجد ، ولكن انحطاطها لم يحرمها من التمتع بالحقوق التى وضعها إخوانها الآخرون ، لأن الأمة أمة واحدة براقيها ومنحطها .

إن أولئك الأبطال الأحرار الفرنسويين الذين أعلنوا « حقوق الرجل » لم يفرقوا بين المنحطين والراقين من أمتهم ، وأدركته أفهامهم بالضرورة أن الأمة لا يلحق أدناها بأعلاها إلا إذا تمتعت بحقوق مدنية واحدة ، وأدركت أفهامهم بالضرورة أن الحقوق المدنية يستحقها الإنسان من حيث أنه إنسان ، بقطع النظر عن رقيه وانحطاطه ، وأدركت أفهامهم بالضرورة أن حرمان الطبقات المنحطة من الحقوق المدنية هو العلة الكبرى فى بقائها فى انحطاطها، فكيف تحاول ترقيتها وتترك علة الانحطاط فيها ؟ ! أدركت أفهامهم هذا فأعلنوا تلك الحقوق عامة للأمم والطبقات ، غير خائفين ولا وجلين، فيا لها منقبة كبرى خلدوها للأمة الفرنسوية، وغاية سامية نصبوها لأنظار جميع الأمم ، وحجة واضحة أقاموها على كل أمة ساقت لأحضانها الأقدار أمة أخرى .

فى كل عام تدف إلينا دافة من بادية اسبانيا فنرى .. نرى الهمجية المتجسمة والانحطاط التام ، فكريا وأخلاقيا ، واجتماعيا، انحطاطا لا نرى مثله إلا فى أحط طبقاتنا ، ثم لم يمنعهم ذلك من التمتع بالحقوق المدنية التى يتمتع بها أرقى اسبنيولى متمدن . وكذلك كل أمة لم تخل من مثل هذا الصنف على تفاوت فى عدده وانحطاطه ، ولكنها كلها متفقة اتفاقا كليا على إعطائه جميع الحقوق المدنية التى يتمتع بها الآخرون ، دون أن يخل ذلك بنظمها ، ولا يثير عليها مخاوف فى شؤونها .

فالأمة الجزائرية المخلصة لفرنسا والملقاة عهدة تمدينها علـى كاهل فرنسا ـ مستحقة بجميع طبقاتها ـ لنيل الحقوق المدنية حتى الطبقات المنحطة ، كما هو الشأن فى جميـع الأمـم ، وفى ذلك المساواة التى هى عين النظام ، والعدل الذى هو أساس الأمـن والسـلام (1) .

(1) الشهاب : ع 23 ـ 9 شوال 1344 هـ ـ 22 أفريل 1926 م .

حول خطاب سمو الوالى العام

ـ 4 ـ

« النفوذ الغربى لا يقبل ـ بدون خطر ـ إلا من الأفكار المهيئة لاتباعــه » .

للغرب أخلاقه وعوائده وتقاليده الموروثة عن الأجيال السالفة المميزة له عن أمم الشرق ، وليست مدنيته الحاضرة مبنية عليها ، ولا سيادته على الشرق بسببها ، وليس من مصلحة الشرق أن يقلده فيها ، ولا بممكن له ـ والواقع شاهد ـ ذلك الحمل ، ولا سيما ما دام الغرب محتفظا بامتيازاته ناظرا إلى الشرق ذلك النظر الخاص .

وللغرب أيضا العلم المثمر ، والعمل المستمر ، والنظام الشامل، والتهذيب العام ، وحرية التفكير والقول والعمل

وهذه هى هى أسس مدنيته وأسباب سيادته ، وهى هى الــتى يجب على الشرق أن يحتذيه فيها ويسابقه إلى غاياتها ، وهى هى التى يجب على كل أمة غربية لها نظر على أمة شرقية تريد حقيقة حياتها لتكون عضودا لها ـ أن تفتح لها السبيل إليها وتمكنها منها .

فإذا كان « النفوذ الغربى » فى الخطاب بالمعنى الأول فقد قلنا كلمتنا فيه ، وإن كان بالمعنى الثانى ـ وهو الذى نرجحه ـ فإننا لا نشك طرفة عين أن الجزائر تقبله بغبطة وامتنان .

إن العلم والعمل والنظام والتهذيب أصول أربعــة محبوبــة ومحترمة لدى الشعب الجزائرى المسلم بفطرته الإسلامية ـ وإن

كان متقاعسا عنها بانحطاطه فى الرتبة المدنية . وها هى صحفه، وها هم نوابه ينادون فى كل فرصة بلزوم تعميم هذه الأصـول ، فكيف يمكن أن يظن بهم أنهم غير متهيئين لقبولنا ؟ ! أو يخشى خطر من تنفيذها ؟!

ها أنا ذكرت الأصول الاربعة . وأما الأصل الخامس وهـو الحرية المحبوبة ، الحرية التى هى أول حق طبيعى للإنسانيـة ، الحرية التى كتب أجداد سمو الوالى اسمها بحروف حمـراء عـلى صحيفة الكون ـ فإنى سكت عنها لأنها عزيزة عـلى من يطلبها ، عزيزة على من يعطيها ، يعشقها الأول ويرى فى نيلها السعـادة والأمن والمحبة ، ويقدسها الثانى ويرى فى منحها الضرر والخطر، فنحن نتساهل شيئا فيها ـ على محبتنا إياها ـ إذا كنا نجـاب إلى تعميم الأصول الأربعة ، ونحن نلح كل الإلحاح فى طلبها وخصوصا الأصل الأول الذى هو العلم ينبوع الحياة وأساس كل تقدم ، فلا تهدأ خواطرنا ولا تطمئن قلوبنا حتى نراه إجباريا على الجزائريين كما هو إجبارى على الأجناس الأخرى من سكان القطر .

« لا يفتح المريض عينيه إلا بالتدريج » ..

ما هذا المرض الذى لازم الجزائر أمام طبيبها النطاسى فرنسا نحو قرن ؟ ! قد ترقت أمم أحط منها من الحضيض إلى الأوج فى هذه المدة، فما الذى قعد بها هى ؟ أشذوذ فى خلقتها ؟ أم شيء آخر ؟ لا ، لا ، إن سياسة التدريج المتثاقلة المتباطئة المتريثة لمصلحـة أحزاب ـ لا لمصلحة فرنسا ـ هى السبب فى طول علة هذا المريض.

أمر عظيم ثقيل على النفوس قد تلقته الأمة الجزائرية مسرعـة غير متثاقلة . أمر عظيم نفذ فى الجزائر فى مدة أقل بكثير مـن المدة التى نفذ فيها بفرنسا ! ـ هو التجنيد الإجبـارى العـام ـ ما دعتها الحكومة إليه إلا أجابت فى أزمات شديدة وأوقات حرجة .

فهذه الأمة التى أجابت إلى داعى الموت فى سبيل فرنسا بكل سرعة لا شك أنها تجيب إلى داعى الحياة الحقة بكل سرعة وشكران .

« السمو الحقيقى هو الإحسان » .

حيفا لمن لا يعرف من السياسة إلا الترهيب . مثل هاته الكلمات الذهبية التى سمعناها كثيرا من سمو الوالى هى سياسته الشخصية وسياسة الأحرار المفكرين من الفرنسويين ، وهى السياسة التى نتحقق أنه عامل على تطبيقها وتذليل الصعاب فى سبيلها ، ولكن مع الأسف أن كثيرا من المباشرين للتنفيذ يسمعونها،ولكنهم قلما يعملون بها ، فعسى أن تلتفت حضرته إلى مراقبة المنفذين فى العمل بها والسير على مقتضاها .

« القانون الجديد لملكية العقار » .

ننتظر بفروغ صبر هذا القانون الذى نرجو أن تكون قواعده مبنية على التسوية بين الأجناس المتساكنين فى التملك ، ومعتبرا فيه جانب صغار الملاكين بالبادية الذين كثيرا ما خرجت من أيديهم أملاكهم بوجوه مجحفة وغير عادلة ، ولما كان هذا القانون سيوضع بطلب من حضرته فإن لنا مزيد الثقة والآمال فيه .

« لا أدع أيدى الجهلة والمجرمين تصل اليه بسوء ما دمت واليا » .

وقد برهنت الجزائر في أيام الحرب والسلم على حسن جوارها وصدق رغبتها فى التعاون مع جميع الأجناس المساكنين لها فى وطنها ، وإذا كانت بعض الاضطرابات السياسية الموضعية فليست هى المتسببة فيها بل جناها غيرها وجنت هى آلامها ووجد كثير من المسيطرين السبيل بها إلى اضطهاد كثير من أبنائها بالنفي والسجن الإداريين حتى أصبحت كما قال الشاعر العربى :

غـيري جنًى وأنا المعذَّب فيكـم   فكأننـي سبـابـة المتنـدم

وها هى الشهادة على ما قلنا من براءتها من فم حضرة الوالى نفسه قال : أتحقق بكل الأسف بمناسبة الدسائس الشيوعية بالجزائر ـ أن العاملين على نشرها بين الأهالى المسلمين هم فرنسيون » ـ نقلا عن جريدة الريبوبليكان القسنطينية فى عددها الصادر فى خامس أوت 1925 .

ونحن مع شكرنا لحضرته على سهره على أمن الجزائر وهنائها . نلفت نظره إلى ما يجرى من العسف فى كثير من الجهات بهذه المناسبة .

كلمة ختامية :

إن ثقتنا بأحقية مطالبنا ، وبإخلاصنا لحكومتنا ، وبعدالة سمو الوالى وأمثاله من الأحرار الفرنسويين ـ هى التى تدفعنا إلى المصارحة بآرائنا المعربة عن رغبة الأمة الجزائرية ، وقد بسطناها فى مقالاتنا هاته على وجه الإجمال ، ورجاؤنا من حضرته ومن أولى الأمر أن يعيروها جانب الاهتمام ، فإن القيام بها عمل عظيم يحبب فرنسا إلى القلوب ، القلوب التى لا يفتحها إلا المودة والإحسان ، وينشر لها من الذكر الجميل فى الشرق ما يكون أفعل من ملايين الجنود ، ويزرع فى الجزائر من المودة والثقة ما تنبنى عليه السعادة والهناء والتقدم لسكان القطر أجمعين (1) .

(1) الشهاب : ع 24 ـ 16 شوال 1344 هـ ـ 29 أفريل 1926 م .

مظاهر العداء ـ نحو المخلصين !!

ومؤتمرات الحيف فى القرن العشرين !!

كل يوم قطيعة وعتاب   ينقضى عهدُنا ونحن غضاب !!

كثيرا ما نرى مظالم من مستعمرين فنقول : وقائع فردية .
وكثيرا ما نراها فى الدوائر المختلطة فنقول : غطرسة إدارية .
وكثيرا ما نراها فى مجالس قضاء فنقول : أحكام استثنائية !

أما اليوم فإننا أمام مظالم منظمة ، يديرها رجال مدنيون منتخبون انتخابا عاما ثم مختارون اختيارا خاصا من بين المنتخبين، أولئك هم رؤساء البلديات « الاميار » فى مؤتمرهم المنعقد أخيرا بالجزائر .

فلنا الحق أن نعد عداءهم عداء عاما موجها نحونا ، ونحمل مسؤولية أعمالهم على جميع الجالية الفرنسوية ما دمنا لم نر منها إنكارا لها فى صحفها .

كل واحد من هؤلاء قد شارك الأعضاء الأهالى فى بلديته زملاءهم الفرنسويين فى التصويت له حتى كان رئيسا للجميع . فالشرف والمروءة والأمانة تقضى على كل واحد منهم أن لا يشارك بصفته ميرًا فيما هو ظلم وإهانة للأهالى منتخبيه ، ولكن أنّى يذكر هذا قوم قد سيط بدمهم ما سيط مما أنساهم وجود للأهالى ! بل وأنساهم أنفسهم أنهم فرنسيويون وأنهم باسم فرنسا يعملون .

قرروا في مطالبهم عدم إعطاء الأهالي حق التمثيل بالبرلمان الفرنسوي حتى لا تفضح أعمالهم أمام نواب الأمة الفرنسوية الحقيقيين هناك فيضطروهم إلى احترام حقوق الأهالي ـ وهذا أمر ليس في طبيعتهم الاستعمارية استعدادًا لقبوله بحال ! ـ .

قرروا في مطالبهم إبطال الحق الممنوح للأعضاء الأهالي بالبلديات في انتخاب رؤساء البلديات « الاميار » لأن نفوسهم الجبارة تأبى أن تتنازل للأعضاء الأهالي وتسألهم أصواتهم حتى كأنهم اضطروا إلى مراعاتها في أعمالهم .؟!

قرروا في مطالبهم غرامة خاصة بالأهالي، يطالب بها كل من بلغ 25 سنة من العمر !. إلى غير هذا من مطالبهم التي كانت سهاما مفوقة إلى مصلحة الجزائري وكرامته ، وتعاميا عن حقه ومزيته .

على رسلكم أيها القوم ، لقد ذهبت بكم شهواتكم إلى شر غاية ، وهوت بكم أغراضكم في مكان سحيق .

ما بالكم يا عقلاء ؟! العلم والعالم والأمم القوية والضعيفة تتقدم بسرعة إلى الأمام ، وأنتم ـ المختارون من المختارين ـ تتدهورون في سياستكم وأعمالكم ، وتزيدون أن تدهوروا فرنسا العظيمة معكم ، وتجرونا نحن في آخر الموكب ـ إلى الوراء ..!!

أنسيتم أنكم في القرن العشرين ..؟

أنسيتم أنكم بعد حرب هزت العالم والأمم هزة فتحت العيون إلا عيون أهل الأغراض والأهواء ..! ـ وفتحت الآذان ـ إلا آذان النفعيين الصماء ـ ونبهت كل حي إلى ما له من حق في الحياة . وذهبت بعروش الظالمين المستبدين العتاة ؟؟

أتجهلون أن الجزائر بما بذلت لفرنسا من نفس ونفيس ، وما أقامته من براهين الإخلاص ، ـ صارت لا يقنعها إلا مساواتها بأبنائها ، ونيلها جميع حقوقها ؟؟

أتجهلون أن ما أعطى لنا من حقوق قد استرجع كثير منها ــ ليس فى نظرنا ونظر الحق والعدالة كفاء ــ ألما سفك وبسفك من دمائنا إلى اليوم فى سبيل راية الحرية والعدالة والمساواة ؟؟

إذا كان ذلك الدم فى « عينكم » معشر الأميار رخيصا ، فهو ــ ومجد العروبة ــ فى نظر التاريخ والإنسانية شريف غال .

أحسبتم أن الجزائريين اليوم ــ وهم يعدون عضوا فى فرنسا ــ يسكتون لكم عن هذا العداء ، ويصبرون لكم على هذا الضيم ؟!

أخطأ ظنكم يا مغرورون ..! إن الجزائريين اليوم قد هبوا ، تحفزهم شهامة عربية ، وتهديهم إلى الغايات الحميدة ثقافة إسلامية وثقافة افرنسية ، وتكلؤهم ثقتهم بإخلاصهم وما بذلوه من الخدمة للدولة ، وسيكونون شجا فى حلوقكم الواسعة لالتهام المستضعفين ، وقدى فى عيونكم التى عميت عن حقوق الجزائريين وإحسانهم وإخلاصهم وهى كالشمس أمام العالمين .

أم حسبتم أن فرنسا ــ التى راعيتم مصلحتكم قبل مصلحتها وخدمتم غايتكم دون غايتها ــ ترضى منكم هذا العداء الظالم والحيف الممقوت ؟؟ خاب ظنكم فى مرغمة القياصرة ومحررة الشعوب .

أيها المؤتمرون ائتمار العداء والحيف ! نحن ــ كجزائريين ــ وإن كنا نرى عملكم هذا بعين المقت والسخط ــ فإننا نشكركم أولا على أن أُبديتم لنا عن دخائل أنفسكم ، فكنا منكم على اليقين ، وثانيا على أن أقمتم لنا العذر الواضح عند فرنسا العظيمة إذا كلنا لكم بكيلكم ورددنا عليكم بمثل سهامكم ، فلا يبقى شك أنكم أنتم بأعمالكم السيئة المبغوضون لا فرنسا التى تنطوى على محبتها القلوب ، وثالثا على أنكم ربما كنتم سببا فى تحريك نوابنا على الاجتماع بالحق وللخير لمقاومة اجتماعكم المعروف ...

ونحن ــ كقوم مرتبطين بفرنسا يحبون لها الخير ــ نصارحكم

بإنكار آخر وتقبيح لنياتكم الاستعمارية البحتة التى تؤذون بها سمعة فرنسا ، وتخلقون لها بها الأعداء فى العالم الشرقى والإسلامى، وتعرقلون مساعيها التمدينية فى العالم، وتجرون عليها وعلى الشعوب المرتبطة بها البلايا والمحن .

فها أنتم أولاء لا فرنسا خدمتم ، ولا جيرانكم راعيتم ، فما أحقكم بالبغض وتعجيل الجزاء من الجانبين .

يا أيها الرجل الحر الممثل لفرنسا الحرة ،

يا أيها الرجل الذى نعتقد ونصرح (والشهاب لا يتملق) أن الجزائر لم تر واليا مثله .

يا جناب الوالى العام مسيو فيوليط ؛

إننا نأسف على أن ينقضى علينا نحو القرن ونحن فى قطيعة متجددة من مثل هؤلاء المؤتمرين وعتاب من ناحيتنا .

إننا نعلم أن هؤلاء غير فرنسا التى خدمناها وأخلصنا لها ، إن فى الجزائر نفسها وفى رجال إدارتها ــ وأنتم أعظمهم ــ من لا يقل سخطه عليهم من سخطنا .

إننا نجتمع باسم فرنسا وباسم الجزائر وباسم الإنسانية على أعمال هؤلاء وأمثالهم التى تصدع القلوب وتفرقها ، وتبطل ما نسعى إليه من جمعها وتأليفها ، بين بنى الإنسان على العموم المتساكنين فى وطن واحد على الخصوص .

إننا عليكم وعلى أمثالكم من الأحرار الفرنسويين نعلق الآمال فى تطهير طريق الإخاء الفرنسوى الجزائرى من هذه الأشواك .

افعلوا تشكروا وتخدموا فرنسا وأبناءها المخلصين (1) .

---

(1) الشهاب : ع 29 ــ 21 ذو القعدة 1344 هـ ــ 3 جوان 1926 م .

المسألة الأهلية

فى خطابات سمو الوالى العام

خطابات رؤساء الحكومات هى مظهر أفكارهم السياسية ومجلى مقاصدهم بالأمم التى يسوسونها ، والأعمال التى ينوون إنجازها . وأهم مسألة فى نظرهم هى التى تجدها متكررة فى خطاباتهم فى جميع المناسبات .

وإذا نظرنا إلى خطابات والينا العام م. فيوليط ـ سواء فى المجلس المالى أم فى منافسات أخرى ـ رأيناها دائما لا تخلو من ذكر المسألة الأهلية بأساليب عديدة من أساليب الذكر ، فيدلنا هذا على أن لسموه بهذه المسألة كبير اعتناء ومزيد اهتمام .

نعم ـ والحق يقال ـ لم نر فى جميع الولاة من يضاهيه فى اعتنائه بالمسألة الأهلية بالنسبة لقصر مدته .

قد أصبح الأهالى اليوم بفضل جرائدهم لا يخفى عليهم ما يقال فيهم فى الخطابات الرسمية وغيرها ، فهم على علم بالعواطف الشريفة التى تتجسم فى كثير من خطابات سموه نحوهم ، وهم يقدرون دائما تلك العواطف ـ والمسلم العربى من طبعه معرفة الجميل ـ ولذا كان لسموه منزلة عالية فى قلوبهم ، وكان لخبر تجديد ولايته لستة أشهر أخرى رنة فرح وسرور عندهم ، راجين أن تنجز أمور كثيرة من مصالحهم ـ كالفصل فى مجلة الأحكام بما يرضيهم ـ فى أيام ولايته .

إن وجود مثل سموه على رأس إدارة عليا فرصة سعادة تخطر بها

الأمة الجزائرية بنت فرنسا خطوات إلى الأمام ، وربما كان بعد هذه الفرصة ما تقف به الأمة حيث هي برهة من الزمن . فإنه بوجود أفراد على رأس إدارة عليا في الحكومة تكون سعادة أو شقاوة وحياة أو موت .

هذا « كانْت » الفيلسوف الذى غيرت فلسفته أساليب التفكير فى القرن الثامن عشر ، هذا الفيلسوف الكبير عاش حرا مرتاحا أيام فردريك الأول ووزير معارفه المتسامح ، وعاش عيشة ضغط وتعب لما استقال ذلك الوزير وخلفه وزير متعصب أحمق ، ومات فردريك وخلفه ولده .

وسعادة الأمم بحكامها وشقاوتها بهم ، أمر عليه من شواهد التاريخ الماضى والجارى ما لا يفى بحصره عدد، فلذا كان للجزائريين أن يبتهجوا بتجديد ولايته ويتمنوا طولها والإسراع بإنجاز مصالحهم فيها .

أصلان عظيمان فى الحياة الاجتماعية يدور عليهما اهتمام سموه بالمسألة الأهلية فى خطاباته هما : الصحة والتعليم .

فأما الصحة فإن أبناء الجزائر اليوم يقفون كل موقف يقفه أبناء فرنسا الآخرون ، فصحتهم صحة عضو من الجسم الفرنسوى وقوتهم قوة فيه . والقيام بأمر الصحة محتاج إلى اهتمام كبير من الحكومة العليا وجميع الإدارات ، وحقيق بأن تخصص له فى الميزانية حصة وافرة للقيام بجميع فروعه . ولقد ابتدأ سموه من هذه الفروع بالعناية بالحوامل والرضعاء ، ولقى من أجل ذلك بالمجلس المالى معارضة شديدة من نواب المستعمرين ..! وبعد لأي نفذ طلبه بأغلبية نواب الأهالى ونواب عقلاء منصفين من إخواننا الفرنسيين، وفى المجلس المالى الأخير خصص لهذا المشروع قسطه فى الميزانية، وقد طلب توزيع إعانات مالية على الحوامل ، وكاد يفوز بطلبه لولا تأخر عضوان أهليان من سكان العاصمة عن جلسة التصويت ..!

وأما التعليم فإن الجزائريين لا يسعدون ولا تسعد بهم فرنسا إلا به ، فهو وحده الذى يعرفهم أنفسهم ومصالحهم وفضل فرنسا عليهم . ولقد عرفت فرنسا هذا ، ولذا شيدت معاهد العلوم وفتحتها لأبنائها من فرنسيين وجزائريين ، ونعرف أفرادا ممن وكلت إليهم أمور الأهالى يعلمون هذه الحقيقة ، فكثيرا ما ينشطون بمساعيهم الأهالى على التعليم ، فلا عجب إذن أن يكون من أول ما يهتم به م. فيوليط مسألة التعليم .

يرمى سموه فى خطاباته إلى لزوم تعليم الأهالى التعليم الفكرى والتعليم الصناعى ، ولا حياة للإنسان إلا بفكره ويده ، ولا نشك أن سموه ـ وهو يرى ما شيدته فرنسا من المدارس الثلاثة لتعليم العربية والفرنسوية ـ يرى أن من مصلحة الأهالى أن يتعلموا لغتهم العربية ولغتهم الفرنسوية، وأنهم ـ لكونهم عربا جنسا وفرنسويين سياسة ـ لا يطيرون فى سماء المدنية مع أبناء فرنسا ولأجل فرنسا إلا بهذين الجناحين .

وقد كان من باكر أعمال سموه فى هذا السبيل دار التعليم الصناعى التى شرع فيها بالعاصمة وينتظر أن يعقبها بأعمال أخرى فى التعليم الفكرى والصناعى .

إن « الشهاب » يعلن شكره لهذا الوالى الذى يهتم بالجزائريين حسب مبادى فرنسا الحقيقية رغم كل معارض ... ومعاكس ... وندعو نوابنا إلى تأييده فى مشارعه الخيرية ، والأمة إلى المسارعة إلى حياض العلوم والمعارف باللغتين ، وإلى الصنائع والفنون بجميع أنواعها ، حتى يبرهنوا على أنهم أمة تقدر العلم والعمل ، وتبادر إليهما اذا وجدت السبيل إليهما (1) .

(1) الشهاب : ع 37 ـ 2 محرم 1345 هـ ـ 12 جويلية 1926 م .

عيـد الحريـــة

14 جـوليـت

بالأمس احتفلت الأمة الفرنسوية فى مشارق الأرض ومغاربها بعيد الحرية وذكرى هدم الباستيل .

بالأمس نبض قلب كل فرنسوى بذكرى آبائـه الذين ماتـوا لحياته ، وسفكوا دماءهم لحفظ دمه .

بالأمس اهتزت أعصاب كل فرنسوى لذكرى تلك الثورة التى كانت صراعا هائلا بين الحرية والاستبداد ، ورجال العلم ورجال الكهنوت ، فحقت الغلبة على الظالمين .

بالأمس ذكر العالم المتمدين كله بالإجلال والاحترام ذلك اليوم الذى أشرقت فيه شمس الحرية فى عروس العواصم « باريس » وانبعثت كهرباؤها منها فى أسلاك القلوب والعقول تقوض عروش الملوك وتعلى صروح الأمم .

وإذا كان هذا العيد عيد الأمة الفرنسوية لأنه خط فى التاريخ بدماء أبنائها ، فإنه عيد الإنسانية جمعاء لأنه مبدأ عتقها ، عيد الأمم كلها لأنه ينبوع شعورها ويقظتها .

وإذا كان عيد الأمم كلها فأحقها به الأمة التى ربطتها بفرنسا روابط متينة،وامتزج دمها بدمها فى مواطن الموت والشرف ، تلك هى الأمة الجزائرية التى أخلصت لفرنسا إخلاصا شهد به العالم .

يا فرنسا أم الحرية ،

إن الجزائريين الذين يشعرون معك فى أفراحك وأحزانك ، يحتفلون معك بعيد حرية أبنائك ـ يريدون منك ما يجعلهم يشعرون بأنهم أحرار مساوون لإخوانهم الآخرين .

يريدون منك حرية العلم ، فتستوى برامج التعليم الابتدائى لأبناء فرنسا الجزائريين والفرنسويين ، ويلغى البرنامج الخاص بأبناء الأهالى الذى هو تلقين بلا تفكير ! وحفظ بلا قواعد ! ويسوى بين الجميع فى رواتب المتعلمين ، وينشط الجميع على دخول جميع فروع التعليم .

يريدون منك حرية العمل ـ السياسى ـ فيسوى بينهم وبين إخوانهم الفرنسويين فى عدد النواب فى جميع مجالس القطر ، فإنه إذا كان الجميع أبناء فرنسا فلا أقبح من هذا التمييز الذى ينوب فيه العدد الكثير عن العدد القليل والعدد القليل عن العدد الكثير !

يريدون منك حرية العمل ـ العمرانى ـ فيسوى بينهم وبين المعمرين فى القروض الفلاحية والتنشيطات الإدارية وتوزيع أراضى الاستعمار، أو على الأقل لا تنزع أرض من قوم وتعطى لقوم.

يريدون منك حرية الدين ، فتترك لهم محاكمهم الشرعية لأحكامهم الشخصية ، ويوكل إلى عدد معتبر منهم وضع المجلة الشرعية لما اقتضى الحال لزوم التنقيح والترتيب .

يريدون حرية حقيقية فى التفكير والنشر ، فينظر فى أقوالهم كما ينظر فى أقوال إخوانهم الفرنسويين بعين الثقة والنصفة لا بعين الريبة والحذر ، فإن الجزائريين ـ وخصوصا مفكريهم ـ يعتقدون أنهم لا يترقون إلا بفرنسا ومدنيتها ، ويرون أنهم بذلوا جميع ما عندهم لها ، وينظرون أن تبذل لهم جميع ما عندها، وفى سبيل تحصيل ما عندها يقف بينهم وبينها أقوام نفعيون لا

يبالون بفرنسا ولا بالجزائريين أمام مصالحهم ، وهؤلاء الذيـــن يمنعون كلمة الجزائريين الطيبة الخالصة أن تصل إلى فرنسا ، أو يقبلونها ويوصلونها مفيدة ضد المقصود ، كما يمنعون خير فرنسا أن يصل إلى الجزائر ، أو يتنقصونه ويقيدونه حتى لا يصل منه إلا القليـــل .

هؤلاء يا فرنسا يا أم الحرية أضر علينا وعليك من جميع الناس.

هذه أمانينا نعرضها عليك ـ يا فرنسا المحررة ـ وقد فرغنا من عيد الحرية اليوم ، وسننظر ما ننال منها فى مثله الآتى بعـد عام . وكل آت قريب (1)

(1) الشهاب : ع 38 ـ 5 محرم 1345 هـ ـ 15 جويلية 1926 م .

البحـر الأبيض المتوسـط

بحـيرة خطـرة

لم تزل شواطىء هذا البحر مجالا للتجارة والفاتحين في أزمنة التاريخ إلى اليوم ، ولم يزل كذلك معتركا بين قوى دول الأرض . فأنكلترا ترى مستقبلها متوقفا على حرية الملاحة فيه لتتوصل إلى مستعمراتها فى الهند ، ولهذا السبب تحافظ بكـل قواها عـلى سيادتها فى مصر وامتلاكها لقناة السويس ، وتعزيز مركزها فى مالطة ، واستلائها على جبل طارق ، وتأبى أن يقرب من جبـل طارق نفوذ لدولة قوية كالنفوذ الفرنسوى .

أما فرنسا فإنها لا ترى بعين الرضى هذا النفوذ البريطانى الذى يقف حائلا بينها وبين مستعمراتها فى الشمال الافريقى الـذى تستمد منه مؤنها وجنودها فى أى حرب يمكن نشوبها فى أوروبا .

وأما ايطاليا التى بها مياه هذا البحر من أكثر جهاتها ، فإنهـا ترى نفسها صاحبة الحق الأكبر ، ويصرح مسيطرها موسولونى بأن « البحر الأبيض بحيرة ايطالية » ، فهو لذلك يطمح دائما إلى الاستيلاء على تونس ، ويمانع من ازدياد امتداد النفوذ الفرنسى على شواطيه من جهة المغرب الأقصى .

☆ ☆ ☆

هذه الصورة المصغرة توريك تصادم هذه الدول الكبرى فى هذا البحر واصطدام مصالحها فيه . وقد مضى عراك شديد بـين

الأختين اللاتانيتين فى سياسة هذا البحر أثارته مسألة تونس، وهدأ بعض الشيء يوم سلمت إحداهما لأختها فى طرابلس والأخـرى فى المغرب الأقصى ، ثم عاد بعد انتهاء الحرب الكبرى ، فإن فرنسا لما رأت الخطر الاقتصادى يهدد رعاياها فى البلاد التونسية قامت تريد إكراه الإيطاليين على التخلى عن جنسيتهم بدلا من أن تجيبهم إلى المطالب التى كانت وعدت بها دولتهم قبل اشتراكها فى الحرب لتحملها على خوض غمراتها ، فأثار ذلك ثائرة الـرأي الإيطـالى العام ، ولا زالت صحفه إلى الآن توالي حملاتها الشديدة على فرنسا بما لا يخلو من تأثير سيء على العلاقات الوديـة بـين الأختـين ! والمسيطر الايطالى يقف اليوم وقفة المساوم ، والمعروض مسألـة تونس والحبشة وطنجة والمغرب الأقصى . وما دام التعويض ممكنا فإنه لا تعسر ترضيته (1) .

« الجزائـرى »

(1) الشهاب : ع 41 ـ 16 محرم 1945 هـ ـ 26 جويلية 1926 م .

الأزمـــة المـاليـــة

وسقـــوط الـــوزارة

لا تزداد حالتنا المالية اليوم إلا تحرجا ، ولا تأتى وزارة لتحـل عقدة منها إلا تزيد بسقوطها عقدة فيها ، ولقد صرحت لجنة الخبراء فى تقريرها الـذى وضعته لإصلاح الماليـة بخطورة الأزمة التى تعانيها البلاد ، وأنها لا تحل إلا بالتدابير التى وضعتها على ما فيها من شدة وما ينشأ عنها من نتائج مؤلمة كغلاء المعيشة وارتفاع نفقات الإنتاج ، وإنقاص الصادرات وزيـادة عـدد العاملين العاطلين ، وإفلاس بعض الشركات ، وما يصحب ذلك من الارتباك الاقتصادى والاجتماعى ، وصرحت بـأن العمـل سيكون شاقا ، وأن الغايـة المقصودة ليست قريبة المنال .

رغم شدة هذا التقرير ولزوم الارتباكات التى لا مندوحة مـن وقوعها عند تنفيذه كما اعترف بـه الخبراء أنفسهم ـ فإن اللجنة وكثيرين عـلى رأيها ـ يرون أن كـل إصلاح يتم عـلى غير أساس التقرير لا يأتى بالفائدة المنشودة ، ورغم هذا التأكيد فإن الوزارة لم يمكنها العمل به لعدم موافقة بعض أعضائها على كثير من الآراء الواردة فيه ، ولعدم وجود أكثرية معتبرة تعتمد عليها ، ولو عملت به لكانت تعرضت لسخط فريق كبير مـن نواب الميسرة والميمنة ، وعرضت البلاد لأخطار التقلبات والمناورات البرلمانية التى يحتمل وقوعها إذ ذاك .

تقلد م. كايو الوزارة وهـو مخالف لهذه اللجنة فى كثير مـن نصائحها ، وقدم برنامجه المـالى لمجلس الأمة ففاز باثنين وعشرين صوتا وهى أكثرية ضئيلة فى مثل هاته الأحوال الصعبة والمسائل الكبيرة المعقدة ، فكان ذلك نذير شؤم على وزارته، وعلامة سقوطها من قريب ، وتأكد القرب يوم خذل مجلس الشيوخ م. كايو برفضه الاعتمادات التى طلبها لسد بعض أبواب العجز ، ولذا لـم نعجب يوم جاءنا نبأ سقوط الوزارة عند أول صدمة لقيها م. كايو عندما أراد تنفيذ برنامجه . ونـرى أن مجلس النواب ما دام فى حالتـه الحاضرة لا يمكن أن يكون أكثرية قوية تعتمد عليها وزارة جريئة تقدم عـلى العمل بحـزم وصراحة ، وتحمل الأمـة على شىء مـن التضحية . (1)

(1) الشهاب : ع 40 ـ 12 محرم 1345 هـ ـ 22 جويلية 1926 م .

م. هيـريـو

كيف صعد ؟ وكيف نزل ؟

قضت تنافسات الأحزاب واضطراب المبادى في البرلمان الفرنسى أن تستمر الوزارات في صعود ونزول ، وأن تسقط كل وزارة عند أول مباشرة للعمل والتنفيذ ـ التنفيذ الذى لابد أن يكون شديدا ومؤلما .

جـاء م. كايو يحاول منع سبب إسقاطه عند شروعه فى تنفيذ برنامجه ، فأراد أن يسلخ البرلمان عن سلطته،ويغل أيدى المعارضين، ويتقى عاقبة المصادمات الحزبية بما طلب من تخويل سلطة واسعة لوزارته .

هال م. هريو وحزبه هذا الطلب وتوجسوا منه خيفة ، ودخلتهم منه ريبة كبيرة ، فتخلى عن رياسة المجلس وهبط بنفسه للميدان لينازل الوزارة كزعيم حزب ، وقد فاز فى هـذا النضـال وأسقط وزارة بريـان .

خاف م. هريو وحزبه ـ والفاشيستية تعقد مؤتمراتها ، وألسنة كثيرة تنادى بضرورة زعيم ذى صرامة ـ خافوا مع هذا أن يؤدى منح هذه السلطة إلى استبداد الوزارة ، وأن تلد الوزارة حينئـذ ديكتاتورا (زعيما مسيطرا) ويكون ذلك قضاء مبرما على عصبة الشمال وانتصارات ١١ ماى التى تولى قيادتها م. هيريو ، وبها كان رئيسا على البرلمان .

لِم. هيريو أن يخاف الديكتاتورية ، فهذه الفترة من الزمن تدعى بحق فى العالم السياسى بفتـرة المسيطريـن ، ففى ايطاليا وفى اسبانيا وفى البرتغال وفى بولونيا وفى اليونان وفى تركيآ وفى إيران مسيطرون قد عزلوا البرلمانات عن حقوقها وأصبحوا ولهم وحدهم الأمر والنهى فى طول البلاد وعرضها .

هل ذلك نافع أم ضار ؟ ذلك أمر آخر ، ولكنه على كل حال قد كان . كان فى بلاد ما كان فيها ، حتى بلغت ما بلغته فرنسا مـن الأزمة المالية ، والارتباكات الحزبية ، وعجز جميع الأحـزاب عن القيام بإنقاذ البلاد .

قد تكون وزارة بريان التى سقطت بعيدة عـن هذا ، بصفات أعضائها الديمقراطيـــة ، إلا أن قيـــام الماريشال بلسودسكى الديمقراطى الذى عضدته أحزاب الشمال فى بلونيا حتى قلـب الحكومة ـ قيامه مسيطرا مع هذا كله بقرب مسيطر فرنسى من بين أولئك الديموقراطيين .

فاز م. هيريو بغايته ، وألف وزارته بسرعة ، وجاء يدعـو إلى تضحية وطنية ... تغنى عن القرض الخارجى ، وهذه التضحيـة الوطنية التى لا يشك أحد أنه لابد منها هى التى ـ فى الحقيقة ـ أسرعت بسقوط وزارة م. هيريو بسرعة تضاهى سرعة تأليفها . تتجه الأنظار ـ ونحن نكتب هاته السطور ـ إلى وزارة اتحاد ملى تشترك فيها جميع الأحزاب ، فإذا وفق البرلمان إلى تأليف هـذه الوزارة كانت الأزمة فى طريق الحل بالغة ما بلغت التضحيـات اللازمـــة (1).

(1) الشهاب : ع 41 ـ 16 محرم 1345 هـ ـ 26 جويلية 1926 م.

الوفود في باريس

كنا رغبنا من السيد المولود بن باديس ـ الأفوكا ـ أن يكاتبنا عما يشاهده من ملاقات الفرنسويين للوفود وما يلاحظه من أمور، فتفضل وأرسل لنا كتابا هذا نصه مع بعض الديباجة :

أول ما يذكر هو القبول الذى شاهدناه من الحكومة ومن الأمة بالأخص ـ مراعاة ـ اعتبار ـ إظهار الوداد والفرح ـ والفرح الذى شاهدناه من الأمة شيء مؤثر جدا جدا ، وذلك فى المظاهرات الرسمية وفى الأزقة من جميع طبقات السكان ، وما توقف أحد منا فى مسالك الطرقات إلا أتاه بوليس وغير بوليس يهديه الطريق، ولا يخفى أن الجولان فى الأزقة هنا شيء صعب جدا جدا ، وأؤكد تأكيدا تاما أن ذلك القبول ليس مبعثه رغبة الاطلاع على أناس مجهول لباسهم ، بل مبعثه الإحساسات القلبية التى دل عليها تأثيرها فينا حتى صرنا نقول : إن من لم يتأثر لهذا ويتمغطس بمحبة فرنسا والأمة الفرنسوية ـ فلا إحساس له .

حضرنا أولا احتفالا بقصر البلدية،وحضره رئيس الجمهورية والوزراء والسلطان وكل الوفود المغربية والمشرقية ، وتليت فيه الخطب من رئيس البلدية وعامل باريس ورئيس الجمهورية والسلطان ، وكان موضوع الخطب الترحيب بالسلطان ومن معه ، والتعبير عن إخلاص فرنسا ومودتها نحو الإسلام .

فى طريق هذا الاحتفال كنا مررنا معشر الوفود داخل دار البلدية بين صفوف الأمة الباريسية التى كانت تصفق التصفيق

الهائـل ، وتهتف الهتاف العـالى بألفاظ : تعيشوا ــ تعيشوا وما بمعناها ، وكنـا نجيب بالمثل : تعيش فرنسا وباريس ، حتى كان فينا من تأثر حتى بكى مما شاهد من أمة باريس اللطيفة الشعور . ومن ذلك الـوقت فهمنا كيف يمكن لأجنبى أن يضحى نفسـه فى هذا الوطن .

ثـم استدعى م. فيوليط الـوالى العام الـوفد الجزائرى بمحل خصوصى وجعل لـه احتفالا مـن جيبه الخاص ، تناول الوفد فيـه الحلويات والمشروبات (دون الخمر) فكانت هذه ضيفة الوالى العام لأبناء الجزائر .

ثم ذهبنا مع حضرته إلى قبر العسكرى المجهول ووضعنا عليـه تذكارا : قطعة من المعدن فى صفة جريدة نخل مرقوم عليها « الوفد الجزائرى إلى العسكرى المجهول » .

ثم استدعانا ــ نحن الجزائريين ــ وزير الداخلية بدار وزارته فحضرنا مـع والينا م. فيوليط ، وقوبلنا بذلك القبول المؤثـر ، وألقى أحد النواب الجزائريين خطبة أمام الوزير أثنى فيها عـلى فرنسا والأمة الباريسية فى حسن قبولها لنـا ، وعبر عن إخلاصنا لجانب الوالى العام وحسن سياسته معنا . وخطب جزائرى من تبسة بغتة ــ اعنى مـن دون أن يخبر بها قبل كما هـو الواجب ــ خطبة بالعربية ، وخطب السيد بوعزيز بن ڨانه باسم التراب العسكرى ، ثم ألقى الوالى العام خطبة رنانة عبر فيها عن حالة مسلمي الجزائر وحقيقة إخلاصهم لفرنسا وتعلقهم بها وما يستحقونه من جانبها ، فكان تأثيرها علينا لا يعبر عنه ــ ثم أجاب الجميع وزير الداخلية وقال : « إن عرضتنا إلى وزارة الداخلية لها معنى مخصوص ، حيث أن تلك الوزارة تعتبر دار الفرنسويين وأنتم تعتبرون منهـم » ، ثم وزعت الوسامات .

ثم حضرنا مع السلطان حفلة في وزارة الخارجية من أرقـــى حفلات الرقص الباريسية .

وحضرنا احتفال 14 جوليت ، فكانت مظاهر الإحساس الـودى نحو السلطان وعساكره ونحونا كلنا، مما كان لـه أجمل أثـر في القلوب .

سأوافيكم بكتاب بعد هذا في الكلام على المسجد والاحتفال الذى وقع به . (1)

(1) الشهاب : ع 42 ـ19 محرم 1945 هـ ـ 29 جويلية 1926 م .

حول خطاب سمو رئيس الجمهورية
فى حفلة افتتاح مسجد باريس

موقف تاريخى عظيم فى علاقات فرنسا والإسلام ، هو ذلك الموقف الذى وقفه رئيس الجمهورية فى حفلة مسجد باريس ، الموقف الذى ألقى فيه خطابا جليلا ينم عن روح السماح والمودة والسلام ، وينطق بالإكبار والإعجاب والاحترام لمبادى الإسلام .

لا عجب ، فقد علمتنا التجربة أننا كلما دنونا من الروح الفرنسوية الصميمة ، والفكر العلمى الفرنسوى الخالص ـ رأينا مجسما ما نعلمه من تاريخ فرنسا الحافل ، وسمعنا جلية آيات الحرية والأخوة والمساواة التى كتبت بدماء أولئك الأبطال ، فكنا بقدر ما نزداد إعجابا بفرنسا العظيمة ، نزداد تعجبا من قوم يعيشون باسمها ولا تنطبق أقوالهم وأعمالهم ـ فى الغالب ـ على ما رأيناه وما سمعناه .

أولئك الذين تبعثهم بواعث خفية على مهاجمة الإسلام بالإفك والزور .

أولئك الذين تحملهم أغراضهم الشخصية على تشويه سمعة المسلمين وقلب حقيقتهم .

أولئك الذين يرمون كل مدافع عن حقه من المسلمين المخلصين لفرنسا بأنه متعصب تعصبا إسلاميا !

هؤلاء المخطئون كلهم الذين يضرون بأنفسهم وبفرنسا وبأبنائها المخلصين ـ نريد منهم أن يلقوا أسماعهم ويحضروا قلوبهم لهذا الدرس النفيس من هذا الرجل العظيم ، ونسألهم بشرف فرنسا أن يأخذوا هذه المبادىء الإسلامية الفرنسوية التي فاه بها هذا الخطيب الرسمي الكبير ـ قواعد أساسية للسير في حياتهم .

الإسلام دين الفطر الإنسانية ، فكل أمة مشبعة بمبادىء الإنسانية ـ كفرنسا الديمقراطية ـ فإنها تجد نفسها بأقل نظر في طريق الإسلام .

« احترام المروءة الشخصية والحرية الإنسانية والأخوة الواسعة تحت العدالة المتساوية ـ أصول صريحة في آيات كثيرة من آي القرآن دعا القرآن إليها ، وماتت الألوف من أبطال فرنسا بعد ذلك بقرون في سبيل تحقيقها ، فهي جديرة بأن تدعى مبادىء فرنسا ، فما على أبنائها وأبنائه اليوم ـ في سبيل توطيد المحبة وخدمة الإنسانية وجني ثمار الروابط التاريخية ـ إلا تنفيذ هذه الأصول تنفيذا دقيقا يكفل السعادة والهناء للجميع في الحال والمآل .

الإسلام دين التهذيب الإنساني : العقلي والنفسي والخلقي ، وما الحديث الشريف الذي أتى به سمو الرئيس وحمله هو على التصريح بتلك الحقيقة الناصعة والكلمة التاريخية الكبرى ... الإسلام لنا ولكم ، إلا نقطة من بحر آدابه .

هذا الإسلام ـ يا سمو الرئيس ـ الذي هو بتهذيبه لنا ولكم ـ هو الذي نريد من فرنسا أن تعيننا على نشر تعاليمه الصحيحة بين أبنائه وأبنائها الجزائريين ، نريد من فرنسا التي شيدت للإسلام معهدا عظيما في عاصمتها ، أن تلفت نظر حكومة الجزائر إلى مزيد

الاعتناء بمساجدنا : بترميمها ، بإقامة المدرسين الدينيين المهذبين فيها ، بتوفير عدد القائمين عليها بتحسين مرتباتهم ليتفرغوا لها ، فمنها تنتشر التعاليم العالية والتهذيب الراقى الذى راق لحضرتكم وأعلنتم بالثناء عليه .

فليكن هذا المعهد الجليل بداية اعتناء خاص بشوَون المسلمين الجزائريين الدينية التى لها المحل الأقدس من قلوبهم ، وليبق رمزا خالدا إلى الود والإخلاص المتبادلين بين فرنسا وأبنائها المسلمين (1)

(1) الشهاب : ع 42 ـ 19 محرم 1945 هـ ـ 29 جويلية 1926 م .

وزارة الاتحـاد المـالى

« المالية الفرنسوية فى طريق التحسين »

ـ فرنسا تقتدى ببلجيكا ـ

كان الفرنـك الفرنسوى والفرنـك البلجيكـى قرينـين فى التدهور ، وكانت حالة البرلمان البلجيكى كحالة البرلمان الفرنسوى وقد وفق البرلمان البلجيكى أولا إلى تأليف وزارة اتحاد مـالى وتفويض سلطة محدودة للملك ، فحصل ارتفاع فجئى للفرنـك البلجيكى بسبب ذلك . وقال م. إيميل فندفيلد وزير خاجيـة البلجيك وزعيم حزب الشغل فى حديث له ـ مفتخرا ومعرضا ـ « على أن حكومتنا ليست حكومة أحزاب بل حكومة الأمة جمعاء » .

رؤية هذا التحسن المجئى بسبب وزارة الاتحاد المالى وخيبة كل وزارة تعتمد على عصبة الشمال ـ مما دعا الأحزاب الفرنسوية إلى تأليف وزارة بوانكاري ـ .

لقد كان معلوما أن الأزمة لا تحـل إلا بإحدى طـرق ثلاثـة : ديكتاتور مسيطر ، أو تفويض لوزير مقتدر من وزارة تعتمد على أغلبية الشمال والوسط ، أو تأليف وزارة اتحاد . وما قام م. هيريو قومته المعلومة إلا خوفا مـن الطريقة الأولى . ولقد كـان م. كايو الوزير المقتدر الذى لا يختلف فى خبرته المالية الفائقة ، ولكنه له ماض معروف أكسبه أضدادا كثيرين لا يستهان بهم ، وخصوصا لما

انضم إلى م. هيريو المعروف بعزمه على الأخذ من رأس المال ، فلم تبق إلا الطريقة الثالثة وهى التى أنجزها البرلمان .

تألفت الوزارة تضم بين أعضائها زعماء غالب الأحزاب من مجلس الأمة ومجلس الشيوخ من رجال أدركوا خطورة الحالة ، وشعروا بلزوم الاشتراك للتعاون للدفاع عن الفرنك وإنقاذ الوطن من شفا هوة الهلاك .

تريد هذه الوزارة من البلاد أن تنقذ نفسها بنفسها ، وتريد أن تزيد فى كثير من الأدوات مع تعديل ضرائب شتى ، وهى عازمة فيما يخص الديون المشتركة بين الحلفاء على التصريح بأن فرنسا لابد أن تفى بوعدها مع عدم الموافقة على اتفاق واشنطون بصورته الحاضرة .

اليوم الثلاثاء ـ ونحن نكتب هذه السطور ـ تتقدم هذه الوزارة للبرلمان وينتظر تحصيلها على معاضدة حزب الوسط الشمالى وحزب الشمال الراديكالى وغالب الجمهوريين من الاشتراكيين ومعظم الراديكاليين مع أحزاب اليمين ، فتحصل بذلك على أغلبية قوية ، ويبقى فى صف المعارضة الشيوعيون والاشتراكيون والمتشددون عن الراديكاليين . وأما تحصيلها على أغلبية عظيمة فى مجلس الشيوخ فأمر محقق لمطابقة انتخاب م. بوانكارى رئيسا للوزارة لأمنية عموم أعضاء هذا المجلس العالى وابتهاجه بتخصيص أربع وزارات بأربعة من شيوخه .

إن المالية اليوم لا شك أنها فى طريق التحسين ، وأن تباشير ذلك قد لاحق فى أخذ الفرنك فى الصعود ـ ولو بالشىء اليسير ـ .

إن حقد الماليين على عصبة الشمال وقلة ثقتهم بها ، وتهريب رؤوس الأموال إلى الخارج ـ كل هذه كانت أسبابا قوية فى الأزمة المالية التى تجرعنا مرارتها .

أما اليوم فإن عصبة الشمال قد انحلت ، وجاء م. بونكارى محل ثقة الماليين ومحبتهم فلم يبق لهم إلا تأييده ومناصرته ، وذلك من أعظم ما يعتمد عليه فى الوصول إلى غايته . (1)

(1) الشهاب : ع 42 _ 19 محرم 1945 هـ _ 29 جويلية 1926 م .

حول كلمة من وزير الداخلية للوفد الجزائرى
« إن عرضتكم لوزارة الداخلية لها معنى مخصوص ، حيث إنها تعتبر دار الفرنسويين ، وأنتم تعتبرون منهم »

كان كتاب السيد المولود بن باديس الذى نشرناه فى العدد الماضى شاهد عيان لما لقيته الوفود الإسلامية من أمة باريس ، وتأييدا لما سبقه إلينا من الأنباء وكتبنا عليه مقالنا « ثم فرنسا .. وكفى .. ».

أفادنا ذلك الكتاب أن الوفد الجزائرى كانت له ميزة بين الوفود، وخصوصية خص بها ، دلت على منزلة الجزائريين الرسمية عند الأمة الفرنسوية وحكومتها . تلك الميزة هى دعوته إلى وزارة الداخلية دون سائر الوفود ، حتى ألقى عليه جناب وزير الداخلية خطبة رنانة قال فيها كلمته العظيمة التى حلينا بها طالعة هذا المقال معتبرين إياها كوثيقة رسمية لعضويتنا الصحيحة فى الجسم الفرنسوى العظيم .

قد كان الجزائريون يعتبرون فرنسويين قبل اليوم ، (Sénatus Consulte de 1865) (قانون ترسيم وتحديد الأراضى سنة 1865) ، ولكنهم لم تكن لهم حقوق الفرنسويين ، ولا عليهم واجباتهم. أما اليوم فإنهم قد أنيطت بهم جميع واجبات الفرنسيس ونهضوا بها ، وإن لم ينالوا جميع حقوقهم ، فلذا كان للجزائريين اليوم أن يتلقوا هذه الكلمة الوزارية بكامل السرور والابتهاج ، ويطالبوا فرنسا العظيمة بتحقيق مقتضى هذه الكلمة فى قسم الحقوق من جانبها ، كما حققوا هم مقتضاها فى قسم الواجبات من جانبهم .

بحق نعتبر فرنسويين ، لأننا أدينا ونؤدى واجبنا العسكرى ككل فرنسوى .

بحق نعتبر فرنسويين ، لأننا أدينا ونؤدى واجبنا المالى ـ ضريبة وقرضا ـ ككل فرنسوى .

والنفس والمال غاية كل ما يبذله مخلص لمن أخلص له .

فمن الحق أن تكون مدتنا فى العسكرية وراتبنا فيها وترقينا فى رتبها ككل فرنسوى .

ومن الحق أن نمثل بمجالس الجزائر والبرلمان تمثيلا صحيحا ككل فرنسوى .

ومن الحق أن نكون أمام القانون والعدالة ـ بدون « انديجنية ولا تحجير » ـ ككل فرنسوى .

لكلمة الوزير قيمتها الرسمية ، ومنزلتها الجدية ، فنحن نرجو أن تخرق ما يقيمه بعض ..؟ من الحواجز بين الجزائريين وحقوقهم على أم الوطن ، وتكون فصلا بين ماض رددنا فيه الشكوى ، ومستقبل لا نردد فيه إلا الشكر .

قال الوزير كلمته ـ وهو عالم بمقتضاها ـ للوفد الجزائرى الممثل للجزائر : بجزائريتها ولغتها وديانتها وتقاليدها و « قنانيرها » ، ولم يكن شيء من هذا مانعا لها فى نظره من أن تعتبر فرنسوية لها ما لجميع أجزاء فرنسا وعليها ما عليها .

فضل قوم ـ لهم احترامنا ـ حسبوا أن الجزائر لا تستحق حقوقها مع قيامها بجميع الواجبات حتى تنسلخ من جميع تلك الخصوصيات .

وضل آخرون ـ لهم احترامنا أيضا ـ حسبوا أن الجزائرى إذا

حافظ على لغته وديانته وتقاليده لا يكون سائرا فيما يرضى فرنسا ويوافق سياستها .

لا ، أيها السادة !

نحن جزائريون مسلمون نحافظ على جزائريتنا وإسلامنا ، ونحن فرنسويون نقوم نحو فرنسا بكل واجباتنا .

هذه هي فكرة كل جزائرى ، وها نحن نفصح بصدق وإخلاص عنها ، وقد جاءت كلمة هذا الوزير الخطير للوفد الجزائرى تأييدا وتقريرا لها .

فكل سياسة تخالفها فهى غير مرضية عند الجزائريين ، ولا موافقة لإرادة فرنسا .

فإذن ، خير ما يعمله العاملون ـ هنا وهناك ـ هو السير عليها ، لمجد فرنسا وسعادة الجزائر ، لأجل خمسة ملايين تحمى الراية المثلثة الألوان . (1)

(1) الشهاب : ع 43 ـ 23 محرم 1345 هـ ـ 2 أوت 1926 م .

ديون أميركا واتفاق واشنطون

(وجهة النظر اليوم فيها)

لا أحد يجهل أن الصدمة الأولى من الحرب الكبرى لقيتها فرنسا بمالها ورجالها وحدها حينما كانت انكلترا تستعد للحرب ، وكانت أميركا بعيدة جدا عنها ، فإذا كان تحصيل النصر مشتركا من الجميع فلفرنسا بهذا الاعتبار معظم الفضل فيه . وإذا كانت أميركا بذلت أموالا طائلة لتعجيل النصر فإن فرنسا بذلت نفوسا كثيرة إذا لم تكن أعظم من كل مال فهي مكافئة له ، فمن الحق أن تسقط أميركا ديونها الحربية أو على الأقل تخفف شروط اقتضائها وتظهر سماحا كليا مع الفرنسويين ، لكن أميركا الأمة المادية تأبى على فرنسا إلا أخذ جميع ديونها والتشديد في شروطها .

في 29 أفريل الماضي أمضى م. بيرانجي سفير فرنسا ومستر ميلون وزير أميركا اتفاقا في ديون أميركا قبل فرنسا وهو المعروف باتفاق واشنطون .

كان م. كايو في ذلك العهد يحاول هو ومعارفوه بكل قواهم أن يدخلوا في الاتفاق النص على توقيف الدفع في حالتين : إذا امتنعت ألمانيا من الدفع لسبب معقول أو غير معقول . وإذا أدى الاستمرار على الدفع إلى تدهور الفرنك وارتباك الحالة المالية والاقتصادية ، فلم ينجحوا ، وأمضى الاتفاق بعد بدون هذا النص .

ليس خلو الاتفاق من هذا النص وحده جاعلا إياه في غير

مصلحتنا ، بل قد تضمن الاتفاق أمرا خطرا حقيقة على فرنكنا فيما يحتمل وقوعه فى المستقبل ، فقد نصت على إمكان تحويل الديـون الفرنسوية إلى ديون تجارية تعرض أسهمها فى أسواق العالم بسعر القطع اليومى ، وبضمان الحكومة الأميركية ، وفى هذا إذا أقدمت على تنفيذه أميركا القضاء على فرنكنا بدون أن تصاب مصالحها هى بشيء .

كانت جمعية الخبراء أشارت بلزوم المبادرة إلى تنفيذ هذا الاتفاق على ما فيه ، ولكن الفكر الفرنسوى العام أظهر إباية ونفورا منه ، وقـام مشوهو الحرب ومنكوبوها بتظاهراتهم العظيمة المؤثرة فى « ١١ جوليت » ، فمشت منهم عشرات الألوف فى شوارع باريس ، ووقف موكبهم أمام تمثال واشنطون ، ووضعوا عليه إكليلا مـن الزهر يمثل الراية الفرنسوية والراية الاميركية ولوحة من المعدن نقش عليه : دعوة إلى الاميركيين بأن يفتحوا مسألة الديون مـرة أخرى . قاموا بهذه التظاهرة يناشدون ضمير الأمة الاميركية باسم الآلام المتحدة والنصر المشترك أن تعطف عـلى فـرنسا فى أزمتها المالية فتخفف من وطـأة الشروط الثقيلة التى فى ذلك الاتفاق ، ولكن أميركا المادية ـ كما قلنا ـ تأبى ، كما تصرح صحفها إلا أخذ ديونها أولا ، وأنها لا تقرض فلسا قبل التصديق على الاتفاق .

ووزارتنا اليوم ـ تجاه هذا كله ـ نظرا لشرف فرنسا تعلى بأنها تبـر بوعدها ، وتعمل لقضاء جميع ديونها ، ونظرا للفكر العـام الفرنسوى والمصلحة الفرنسوية تصرح بأنه لا يمكن إمضاء الاتفاق ما دام على صورته الحاضرة ، وحيث كانت تعتمد فى تحسين الحالـة المالية عـلى ما يبذله الفرنسويون أنفسهم ، فلا تبـالى كثيرا بمثل قرض أميركا الخارجى . (١)

---

(1) الشهاب : ع 43 ـ 23 محرم 1345 هـ ـ 2 أوت 1926 م .

فضيحة انكليزية

كان سقوط لوريد جورج من كرسى الوزارة بعد ما لعب الأدوار الكبرى في السياسة العالمية في أحرج وقت مر على بنى الإنسان ـ قد أبقى في صدره حرجا لم تزله الأيام .

لم يكن هذا الحرج ليحمله على مضادة أمته ـ هذا مرض لا توجد جراثيمه فى الدم السكونى ـ وإنما حمله على مضادة حكومته ، وكان من نتائج تلك المضادة أن تصدى لإبداء فضائحها وإظهار دسائسها التى تأتيها فى سبيل سياستها ، وإن كانت شرا على حلفائها وخطرا عظيما على السلم العالمى .

من هذه الفضائح المخجلة والدسائس المخطرة التى كشفت من طريق لوريد جورج ـ هذا النبأ الذى جاءتنا بـه الصحف فى هذا الأسبوع :

نشرت جريدة « الديلى كرونيكل » لسان م. لوريد جورج مقالا افتتاحيا ذكرت فيه أن حكومة بلدوين عرضت على الحكومة التركية سرا فى شهر مارس الماضى بواسطة إحدى محلات التجارة ببيرمنغام مائة ألف بندقية بريطانية بساكيها ومائة مليون من الخرطوش ، وإن عرض هذه الكمية كان بموافقة خاصة من وزير الخارجية البريطانية السير وستن شمبرلان ، ثم أكدت قطعيا صحة هذه التهمة حتى حمل ذلك عدة نواب فى مجلس العموم البريطانى على طرح المسألة على بساط البحث ، وإلقاء الأسئلة فيها على حكومة بلدوين .

لم يسع وزير الخارجية أمام هذا الاعتراف بوجود مفاتحة كلام مـن بعض الشركات الانكليزية لحكومة أنقـرة من غير أن تتدخل وزارة الخارجية فى شىء مـن ذلك ، وأخيرا أجاب بأن الالتزامات والعهود المتبادلة بين انكلترا والدول لا تمنع الشركات الانكليزية من بيع الأدوات الحربية لانقرة ، بعد أن تطلب رخصة مـن وزارة الخارجية ، التى لا ترى أقل مانع مـن إرسال أسلحة وعدد حربية لتـركيا !

فهل كان هذا السلاح يـراد إعطاؤه لتأييد الاتراك فى مسألـة الموصل ؟! هذا ما لا يكون ، لكن الذى لا يجهل عن سياسة انكلترا أنهـا لا تفتـأ تستعمل أضعف أعدائها فى أقواهم ، ولكنها تبـوء بالخيبة إذا وجـدت العقـل التركى الـذى يعسر عليها أن يغتـر بدسائسها . (1)

(1) الشهاب : ع 46 ـ 3 صفر 1345 هـ ـ 12 أوت 1926 م .

روسيا في اضطراب

ونظام السوفيات في دور انحلال

لقد أتقن زعماء البلشفة الهدم والتخريب ، ولكنهم عجزوا عن البنيان والتشييد ، وروسيا اليوم تحت إدارتهم يكتنفها الخطر من الخارج ، ويزعجها الاضطراب من الداخل ، زيادة عن ما تعانيه جميع الطبقات فيها من أنواع المتاعب المؤلمة .

المارشال بلسودسكى الزعيم البولونى زاد عدد جيشه زيادة كبرى ، ومنع ضباط جيشه الضارب على تخوم « ليتوانيا » من أن يغادروا مراكزهم ، ولم يمنحهم العطلة الصيفية ، والإشاعات متكررة ومؤكدة بمقاصد هذا المارشال ومراميه إلى اجتياح « ليتوانيا » البلد الصغير الواقع على البحر البلطيكى ، وهذا خطر مهدد لروسيا من غربها ، مثل ما يهددها اتصال الخطر اليابانى والصينى فى شمال « منشوريا » بشرقها .

أما فى داخلها فإن الخلاف متمكن بين زعمائها المعتدلين والمتطرفين مما أدى إلى إلقاء القبض على الزعيم زينوفياف وتأجيل اجتماع المجلس التنفيذى لحكومات السوفيات إلى ربيع عام 1927 لتعذر الشروع الآن فى الانتخابات . وهذا الخبر الرسمى ـ كما قالت الماتان ـ : يؤذن بقلق الحكومات السوفياتية ، ويبرهن على أن المجلس التنفيذى لم تبق له السلطة الكافية على الحالة العمومية بروسيا .

والذى يجعل الحكومة السوفياتية فى خطر حقيقى من ثـورة عسكرية هو الزعيم تروتسكى الذى بعد ما عاد من منفاه استرجع ما كان له من النفوذ ، وخصوصا عند الجيش حتى أصبح أعداؤه يخشون من إيقافه وقوع ثورة تعجل بالقضاء على النظام الموجود .

قد اندلع لهيب الثورة فعلا ، فقد جاءت الأنباء بصدور الأوامر بالتجهيز العام وبرجوع جميع الروس المطلوبين بالخدمة العسكرية إلى بلادهم ، ثم جاءت الأنباء بإعلان أسطول البحر الأسود الروسى الثورة ضد الحكومة واحتلاله لبعض المدن ، وبوقوع ثورات عسكرية فى عدة جهات .

إن القياصرة ساموا الأمة الروسية أنـواع الخسف والـذل باستبدادهم ، وأن لينين ورفقاءه رموا بها فى تجربة مؤلمة بفشلهم، ولعل ما شاهدته الأمة الروسية من البلايا والمحـن فى العهدين ـ يعرفها هى وغيرها ، أن النظام الصحيح هو النظام الديمقراطى المعتدل الذى لا إفراط فيه ولا تفريط (1) .

(1) الشهاب : ع 47 ـ 7 صفر 1945 هـ ـ 16 أوت 1926 م .

مسألة الحبشة ـ تجربة لاستقلال جمعية الأمم

مملكة الحبشة مملكة مستقلة ، ولكنها شرقية ومنحطة ، فكانت معرضة بطبيعة الحال للنفوذ الاوروبي ؛ لفرنسا وانكلترا وايطاليا ، فيها مصالحها ومنشآت وقع اتفاق فيها بين هاته الدول الثلاث الكبرى سنة 1906 على وجه يضمن لها مصالح بدون تصادم مع المحافظة على استقلال الحبشة .

دخلت الحبشة في جمعية الأمم كدولة مستقلة لها جميع الحقوق التي لسائر الأعضاء ، وعليها جميع الواجبات ، ولكن ذلك لم يمنع ايطاليا وانكلترا من الاتفاق على رأسها بدون علمها ، فظهر بعد اجتماع السراتسن تشامبرلان والسنيور موسوليني برابالو مذكرات بين الدولتين ، ثم وقع الاتفاق بينهما على أن يكون لإيطاليا وحدها حق النفوذ الاقتصادي في غربي الحبشة،وتنال انكلترا في مقابل ذلك تأييد ايطاليا لها في الحصول على إذن من الحبشة ببناء خزان « نسانا » والسيطرة على المنابع العليا للمياه التي تسقي السودان ومصر .

قد كان في هذا التصرف من الدولتين تعد على الحبشة من جهة ، وعلى معاهدة 1906 من جهة أخرى ، فبادرت الحبشة بتقديم احتجاج إلى كتابة جمعية الأمم وتلقته صحافتنا الفرنسوية بالتأييد . فقالت جريدة « كوتيديين » : إن احتجاج الحبشة كان متوقعا ، فقد رابها أمر الاتفاق وهي تسائل ألا يمس حقوقها كدولة ذات سيادة . وبالرغم من أن انكلترا وايطاليا محاولان حملها على

الاطمئنان ، ترى من المفيد أن تعرض قضيتها على عصبة الأمم كي تبحث هذه الهيئة المنزهة عن الغرض ، نصوص الاتفاق بحثا دقيقا . وقالت جريدة « لى ديبا » : إنه لا ينكر على الحبشة حقها في أن تعرض على العصبة مسألة تتعلق بمستقبلها واستقلالها مباشرة، ويحتمل أن الحكومتين الانجليزية والايطالية ستحاولان مقابلة عمل الحبشة باتهام الحكومة الحبشية بعدم القيام بعهودها فيما يتعلق بتجارة السلاح والرقيق . وقد سبق توجيه انتقاد إلى الحبشة فى جنيف فى هذا الصدد ، ولكن ليس من السهل التسليم بأن عدم قيام الحبشة بهذه العهود يبرز السيطرة الاقتصادية فى بلاد دولة هى عضو فى عصبة الأمم .

ستعرض هذه المسألة على جمعية الأمم فى اجتماعها القادم ، وسيكون حكمها فيها دليلا قطعيا لأنصار جمعية الأمم أو لخصومها(1)

(1) الشهاب : ع 48 ـ 11 صفر 1345 هـ ـ 20 أوت 1926 م .

المعاهدة الإيطالية الإسبانية

أهم الحوادث التى جاءتنا بها الأنباء عن السياسة العالمية هى المعاهدة الايطالية الاسبانية التى أمضتها الحكومتان بمدريد فى 7 أوت الحالى .

قلنا أهم الحوادث ، لأنها تتعلق فى الحقيقة بمسألة التوازن الدولى بالبحر الأبيض المتوسط ، وترمى إلى الغايات الاستعمارية والتحرشات العدائية التى يأتيها م. موسولينى بجميع أعماله السياسية اليوم .

قد كانت إيطاليا منذ مدة قريبة عقدت معاهدة مع تشيكوسلوفاكيا وأخرى مع يوجوسلافيا تشبهان إجمالا معاهدتها مع اسبانيا ، إلا أن هذه أوسع نطاقا وأبعد مرمى منهما ، ولذا أثارت ضجيجا فى عالم السياسة ، وعلقت عليها الصحف بشروح ضافية .

تقول الصحف الايطالية : أن نص المعاهدة سيبقى مكتوما إلى أن يسجل فى جمعية الأمم ، ولكنها ذكرت أنها تشتمل على إحدى عشرة مادة ، وأنها تقتضى تعاون ايطاليا واسبانيا فى أميركا الجنوبية وفى البحر الأبيض المتوسط ، وتتضمن فصلا يوجب الحياد على كلتا الدولتين إذا دخلت فى حرب لم تكن فيها معتدية . وهذه النقط الثلاثة لاشك أنها النقط الجوهرية فى المعاهدة وأهمها نقطة التعاون بين الدولتين فى البحر الأبيض المتوسط .

من المعلوم أن كل ما يتعلق بالتوازن الدولى بهذا البحر يهم السياسة البريطانية كثيرا ، ولهذا اهتمت بهذه المعاهدة الصحف

الانكليزية اهتماما زائدا . ولكن المكاتب السياسى بجريدة الدايلى تلغراف يقول : لا يشعر أحد فى لندن بأى قلق من التعاون الايطالى الاسبانى . وقالت جريدة « وستمنسر » : إن الإشارات الودية إلى المصالح البريطانية تدل على التعاون الوثيق بين لندن ورومه ، وقد جذبت اسبانيا الآن إلى هذا المحور على إثر زيارة الملك ألفونسو للندن . وهذه الاقوال ومثلها من الصحف الانكليزية تعرفنا بموقف بريطانيا إزاء هاته المعاهدة وضلعها مع موقعيها .

الواقع هو أن هذا التفاهم الايطالى الاسبانى يهمنا نحن الفرنسويين قبل كل أحد ، فإنه يجعل الطريق بين فرانسا وشمال افريقيا بين عدوين ، ويقوى مركز اسبانيا فى مراكش ، ويؤيد مطالب ايطاليا فى تونس ، وهى مثار هذه المناوآت الطليانية كلها .

ربما تتحد الأختان اللاتانيتان على الأخت الثالثة ، وربما يكون السينيور موسولينى على يقين من ترجيع مستعمرات رومه الافريقية إذ ذاك ، ولكن ليعلم من الآن أن مسلمى شمال افريقيا الذين دافعوا عن فرنسا خارج بلادهم سيدافعون عنها يوم ذاك ـ بالأحرى ـ فى بلادهم ، ويذيقون أبناء ايطاليا ما أذاقوه لأبناء المانيا فى المارن وفيردان ، لأنهم لا يبغون بفرنسا بديلا من جميع الدول . (1)

(1) الشهاب : ع 49 ـ 10 صفر 1345 هـ ـ 23 أوت 1926 م .

التقـرب الألمـــانى الافـرنسى

كل التنافس الاقتصادى والحقـد الموروث بـين هاتـين الأمتين العظيمتين أقوى الأسباب التى قسمت أوربا إلى معسكرين عظيمين متعاديين ، وأدى ذلك حتما إلى نشوب الحرب العظمى بقطع النظـر عن المسؤول عنها مباشرة .

إن خيبة المانيا فى الحرب أفهمتها أن غاياتها العالمية لا يمكن أن تنال بطريق السيف والنار ، والخراب والدمار ، فأخذت تسعى إليها من طريق التجارة والاقتصاد ، وهى تنتهز كل فرصة تسنح لهـــا لبلوغ غايتها من هذا الطريق .

إن هاتين الأمتين ،عـلى ما كان بينهما من اختلاف وتنافس،قـد جعلتهما طبيعة أرضهما فى حاجة أكيدة إلى بعضهما لا تستغنى معها إحداهما عــن الأخرى ، ففرنسا أغنى دول أوربا بمناجم الحديد ، وألمانيا من أغنى دول العالم بمناجم الفحم ، وفى مناجمهما صنف خاص منه لا تستغنى عنه مصاهر الحديد الفرنسوية ، ولا تجده فى بلد آخر .

هذه الحاجة الاقتصادية دعت رجال الصناعة ـ ولهم النفوذ العظيم فى السياسة ـ إلى التفاهم للتعاون على مصالحهم الخاصة ، ولإيجاد تضامن اقتصادى يعود على الأمتين بالنفع الجزيل ، وقـد يؤدى إلى تضامن سياسى عظيم .

إن المانيا هـى البادئة بالتقرب ، وكان مـوقف فرنسا مـوقف التروى والحـذر ، ولكـن المصلحة الاقتصادية المرتبطة والتفاهم

الواقع بين زعماء الصناعة بالأمتين ، دفع بالسياسة إلى الاتجاه نحو الاتفاق والتضامن،فوقع نواب الأمتين فى أوائل الشهـر الجارى بباريس اتفاقيتين اقتصاديتين بين الدولتين إحداهما معاهدة تجارية وقتية ، والأخرى تتعلق بنظام الجمارك بوادى السار ، يقصد منها تنشيط حركة التجارة .

لاشك أن الدول التى لا زالت تسعى لإيجاد الشقاق بـين ألمانيا وفرنسا لتحصيل مصالحها الخاصة ، تـرى هذا التقرب بعين ملؤها البغض والحذر ، ولكن الذين يحبون السلم حقيقة يغتبطون بـه ، ويتمنون أن يزداد توطدا ورسوخا بين هذين الشعبين العظيمين (1)

---

(1) الشهاب : ع 50 ـ 18 صفر 1345 هـ ـ 26 أوت 1926 م .

نحـن صرحـاء والصريـح لا يخـاف

سياستنا واحدة من يوم التأسيس

إن الذين يضمرون العداء،أو يحاولون إيقاع الشر،أو يرمون إلى إبطال حـق أو إحقاق باطل هـم الذيـن يحتاجون إلى التكتم ، ويضطرون إلى المداجاة ، ويكونون إلى ذلك في خـوف واضطراب وتوبيخ ضمير ــ ما دام لهم ضمير !

أما الذين لا يضمرون إلا ولاء،ولا يقصدون من أعمالهم إلا خيرا، ولايريدون إلا الحـق لهـم أو عليهم ، فإنهم في غنـاء عـن التكتم والمداجاة ، وبمنجاة من الخوف والوجل .

هذه الصحيفة ــ وأعدادها شاهدة ــ ما عرضت لطلب أو دفـاع أو رد أو تعليق إلا عرضت له في جلاء ووضوح ، وصدق وصراحة، بدون تحيز أو تحامل ، وبغير إذاية أو تضليل ، متنكبة سبيل التزلف والإطراء الذى تـأبى سلوكه نفوس الأحرار ، ويستوبل مغبتـه المفكرون المخلصون ، وإذا كانت قد ذكرت قوما بنقصهم أو خطئهم فقد ذكرت قوما بما لهم من كمال وصواب ، ولا يكون الإنصاف إلا بذكر كل فريق بما له أو عليه .

إن الخطة السياسية التى سلكتها هذه الصحيفة وتسلكها هى خطة واحدة من يوم تأسيسها إلى اليوم .

وللاستدلال على ذلك ننقل ما كنا قلناه فى كتاب لوزير الداخلية ونشرناه فى العدد الثانى من « الشهاب » وهو مطابق تمام المطابقة لما نشرناه فى العدد التاسع والأربعين :

« فنحن يـا فخامة الوزير بكل احترام للحكومة والقانون نرفع لكم احتجاجنا على هذا التوقيف ، مع عدم سؤالنا ولا سماع حجتنا واعتذارنا ، ولا تعريفنا على الأقل بسبب التوقيف ، لنكون منـه ومن مثله على حذر وبصيرة .

واننا بهذه المناسبة نقدم لحضرتكم بيانا تاما لخطتنا ومقاصدنا ليكون لنا كوثيقة رسمية في وزارتكم الجليلة فنصرح :

أولا : بأننا ما أسسنا مشروعنا إلا على مبادى فرانسا الديمقراطية التي برهنا كجميع الجزائريين على إخلاصنا لها وتعلقنا بها .

وثانيا : بأننا لما كنا نعتبر فرنسا دولتنا ونعتبر أنفسنا أبناءها ـ نرى أن من حقوقنا أن ننال منها جميع ما يناله جميع أبنائها .

وثالثا : أننا نـرى من واجبنا أن ندعو الامة الجزائرية للقيام بواجبها نحـو دولتها ـ كذلك نرى من واجبنا أن ننبه الدولة الى حقوق ومصالح الجزائريين .

ورابعا : أننا إذا دافعنا أشخاصا أو أحزابا عن مصالحنا ، فـإن ذلك لا يكون منا إلا خاصا بهم ما دمنا مختلفين في رأي أو مصلحة ، ولا يجوز بحال أن يفهم من ذلك أننا معارضون لفرنسا التي هـي للجميع ، فإن الحكومة يجب أن تكون في نظر كل أحد ، وأن تبقى هي في نفسها فوق الأشخاص والأحزاب .

هذه تصريحاتنا يا فخامة الوزير بكل صدق وصراحة ، ونرجو بعدها أن نـامل معاملة أبناء فرنسا العاملين المخلصين .

وتقبلوا منا لجنابكم مزيد الاحترام .

هذا ما نقوله دائما ونعمل على تحقيقه ، ونرجو من كل فرنسي حر تأييدنا فيه ، خدمة للصالح العام . (1)

---

(1) الشهاب : ع 52 ـ 25 صفر 1345 هـ ـ 2 سبتمبر 1926 م .

تعطيل « السنة » وإصدار « الشريعة »

روعت الأمــة بنبإ تعطيل جريدة « السنة » بقرار مــن وزارة الداخلية ، وتقاطرت على الإدارة رسائل الاستياء والتعجب ، ولم يكن تعجب الناس من تعطيل جريدة دينية بعيدة كل البعد عــن السياسة دون استيائهم من عرقلة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن عملها الديني التهذيبي الذى ذاقــت الأمة حلاوته ، وشاهدت جميل أثــره .

أما نحن فقد شاركنا الأمة فى الاستياء ولم نشاركها فى التعجب، فقد كنا توعدنا بأشياء هذا التعطيل أحدها،فجاء ونحن له متوقعون، غير أن الذى نعجب منه،نحن المباشرين لتسيير الجمعية،هو التبدل العظيم والانقلاب السريع الذى شاهدناه من بعض الإدارات نحو الجمعية .

لقد تجولت وفود الجمعية السنة الماضية فى جميع جهات الوطن، وألقى وعاظها خطبهم ودروسهم فى المحافل العامة ، وكثيرا ما كان يحضرها رجال مــن الحكام ، وكانوا يلقــون مــن شيوخ البلدان الاميار وحكام الدوائر كل تعضيد وتقدير ، وقابلنا بعذ تمام (1) الرجل إدارة الشؤون الوطنية بالعاصمة ، فلم نسمع على خطتنا أدنــى إنكار ، ولــم نتلمح أقــل إشــارة الى ارتياب فى الجمعية واستثقال لأعمالها ، فما الذى بدل العقول وحول النيات ، وحمل

(1) ولعل بعد تمام الرحلة أو الجولة .

بريفى العاصمة على ابتداء منازلة الجمعية بقراره المشهور ، وحمل تلك الإدارات على مناوءة الجمعية ومضايقة رجالها وعرقلة أعمالها حتى عطلوا جريدة « السنة » لغير ما سبب ، إلا أنها جريدة الجمعية ولسان حالها ؟

هذا محل سؤالنا ومناط تعجبنا !

وبعد ، فما ينقم علينا الناقمون ؟ أينقمون علينا تأسيس جمعية دينية إسلامية تهذيبية تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته،ورفع مستواه إلى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتها، وتربيتها للشعوب وتثقيفها ؟ فإذا كان هذا ما ينقمون علينا فقد أساءوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا ، وقد دلوا على رجعية فيهم وجمود لا يتناسبان مع المبادىء الجمهورية ، ولا مع حالة هذا العصر . أفتكون فى الهند جمعيات للعلماء تقوم بأعمالها بغاية الحرية والهناء عشرات من السنين تحت السلطة الانجليزية الغاشمة وتضيق صدوركم أنتم عن تكوين جمعية واحدة للعلماء المسلمين بالجزائر تحت المبادىء الجمهورية العادلة المشمة بعلومها على الأمم فتناهضوها وهى ما تزال فى المهد ؟ أفظننتم أن الأمة الجزائرية ذات التاريخ العظيم تقضى قرنا كاملا فى حجر فرنسا المتمدنة ، ثم لا تنهض بجنب فرنسا تحت كنفها يدها فى يدها ، فتاة لها من الجمال والحيوية ما لكل فتاة أنجبتها أو ربتها مثل (مثل) تلك الأم ؟ أخطأتم يا هؤلاء التقدير ، وأسأتم الظن بالمربي والمربى ، وبعدتم عن العلم بسنن الكون في نهضات الأمم بعضها ببعض عند الاختلاط أو التجاور أو الترابط بشىء من روابط الاجتماع .

انظروا شيئا إلى ما حواليكم من الأمم ، وتأملوا فيما تنادى به الشعوب وما تعلنه من مطالب ، فإنكم إذا نظرتم وتأملتم حمدتم لهذه الجزائر الفتية نهضتها الهادئة وتمسكها المتين بفرنسا ، وارتباطها القوي بمبادئها ، وعدها نفسها جزءا منها ، وقصرها

لطلبها منها على أن تعطى جميع حقوقها كما قامت بجميع واجباتها، وأن لا يتقدمها فى أيام السلم من قد لا يساويها فى أيام الحرب .

لا ، لا أخالكم ، تنظرون ولا تتأملون ، فإن الاثــرة المستولية على النفوس حجاب كثيف يحــول دون رؤيــة الحقائق كما هى ، ويحول حتى دون رؤيــة مصلحة فرنسا الحقيقية نفسها . وإنــى لأفهم من مناهضتكم العجيبة للجمعية،وهى جمعية دينية تهذيبية بعيدة عن كل سياسة ـ أنكم لا تريدون من الجزائر إلا أن تبقى جامدة ، وأن لا تتمتع بشىء من الحــق إلا ما لا غناء فيه ولا بقى معه . ولعمر الحق أن من يريد هذا بالجزائر اليوم لمخالف للشريعة والطبيعة ، إذ مــن الطبيعى أن تتحرك الجزائر ضمن الجمهورية الفرنسية فى زمان تحرك ما فيه حتى الحجر ، ومــن الشرعى أن تنال منها من الحقوق كفاء ما قامت به من الواجبات .

أستكثرتم على الجزائر أن تكون لها جمعية لها منزلتها العظيمــة فى قلبها ، وجريدة لها قيمتها الكبيرة فى نظرها ؟ فنبشركم أنــه سيكون للجزائر الفرنسية جمعيات وصحف ، وسيكون لها وسيكون .. حتى يقف المسلم الجزائرى مع أخيه من بقية أبناء فرنسا على قدم المساواة الحقة التى يكون مــن أول ثمراتها الاتحاد الصحيح المنشود للجميع .

أم هالكم أن يكون فى أبناء الجزائر الفرنسوية مــن لا يزحزه عن مبدئه وعد ولا وعيد ، ولا يستهويه رنين ولا زخرفة ؟ فنبشركم بأن الجزائر المقطورة عــلى مبادىء الإسلام ، والمتغذية بمبادىء فرنسا ، أنجبت وتنجب رجالا كما رأيتم وفوق ما تظنون ، رجالا تفتخر بهم فرنسا كما تفتخر بسائر أبنائها الأحرار .

كونوا كمــا تشاءون أيهــا الســادة ، فلكــم ـ وأنتم تمثلون ما تمثلون ـ كل احترامنا . وظنوا بنا ما تشاءون ، فإنا على بصيرة

من أمرنا ، ويقين من استقامة خطتنا ونبل غايتنا ، ومهما تبدلت اعتقاداتنا فى أناس بتبدل معاملاتهم لنا فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها .

وعلى خطتنا المستقيمة وهى نشر العلم والفضيلة ومقاومة الجهل والرذيلة .

وعلى غايتنا النبيلة وهى تثقيف الشعب الجزائرى المرتبط بفرنسا،ورفع مستواه العقلى والخلقى والعملى إلى ما يليق بسمعة فرنسا .

وعلى ثقتنا بعدالة فرنسا وحرية الأمة الفرنسية وديمقراطيتها.

ـ أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين،وأسست جريدة « السنة » المعطلة ، وأسسنا اليوم بدلها جريدة « الشريعة المطهرة » وستقوم ـ إن شاء الله ـ مقامها وتحل من القلوب محلها ، والله المستعان،وهو حسبنا ونعم الوكيل (1) .

---

(1) الشريعة ـ السنة الاولى ـ العدد الاول يوم الاثنين 24 ربيع الاول 1352 هـ ـ 17 جوان 1933 .

رد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
على خطاب ابن غراب

ـ I ـ

لو كان هذا الرجل وجه على الجمعية أضعاف ما وجه عليها من تهم،واعتدى عليها بأضعاف ما اعتدى به عليها من سب وإذاية من عند نفسه ، وفي مجلس من أى مجالس مثلـه ، لكان محققا مـن الجمعية أنها لا تسمعه ، ولو سمعته لكان حقا عليها أن لا تقول له إلا (سلاما) .. ولكن الرجل كان ـ عن رضى واختيار ـ آلة هدم وتخريب ، وبوق شر وفساد ، فى مجلس رسمى قد استدعى لـه الناس ليقولوا ويحتج بأقوالهم . فلهـذا تنازلت الجمعية لـرد افتراءات النائب واعتداءاته .

زعـم أن الفتنة والقلاقل والمشاغب منتشرة فى الوطن ، وأن سببها هو الجمعية،وكذب فى الاثنين .

فأما الزعم الأول : فإن المشاهد فى الوطن كله هو السير المعتاد فى الأعمال دون تظاهر ولا تجمهر،ولا مصادمة بين قوتين،ولا توقف عن أداء حكومى،ولا تصدى لأحد بسوء . وإنما الموجود فى الوطن حركة هادئة عامة نحو ما وعدت به فرنسا أبناءها الجزائريين من حقوق تِعطى لهم فى القريب . ولعمر الحـق أن تسمية هذا فتنة ومشاغب وقلاقل ، لمـن الكذب الحبريت والقلب للحَقائق اللذين لا يصدران إلا عن ذمة خربة،وقلب مريض،ونفس شريرة لا تبالى

ماذا تجنى ، أو جاهلة لا تدرى ماذا تقول . وإذا كنا نسمى توجه الجزائريين بمطالبهم فى هـدوء ونظـام إلى فرنسا فتنة ، فبماذا نسمى ما قام به أصحاب الأعتاب مـن التظاهر فى بلدان عديدة بعنف وشدة وتهديد،حتى عطلوا إحدى الجلسات فى النيابة المالية لإظهار استيائهم ؟ إن الأشياء ـ يا هذا ـ لا تخرج عن حقائقها بما يخلع عليها من الأسماء حسب الأغراض والأهواء .

وأما فى الزعم الثانى : فإن حركة الجزائريين نحو مطالبهم من دولتهم،إنما سببه ما علموه مـن عناية عظام رجال فرنسا بها،وما بلغهم من بروجى م قرنى وبروجى م فيوليت ، ثم ما شاهدوه من حزم بعض نوابهم وذهابهم إلى فرنسا ، أولا بصورة فردية ، وثانيا بصورة عمومية ، ثم كان ما كان منهم من استياء مـن أن نوابهم ردوا ولـم يقبلوا ، وفهموا مـن عـدم قبول نوابهم عـدم قبول مطالبهم ، ثم أحسوا بضغط من ناحية،وضعف من الناحية الأخرى، فرجعوا إلى سكوتهم كسابق عادتهم ، واعتصموا بالانتظار الذى تعودوه من أمد طويل ، فهم ساكتون منتظرون . هذه هى الأسباب المنطقية التى يؤيدها الحس ويجسمها الواقع،لما كان من حركة فى الأمة ، ولـن يستطيع تمويه غـراب ومـن لقنه أن يزيد عليها أو ينقص منها .

وزعم أن الحكومة ساعدت الجمعية أولا ورخصت لها . والحكومة ما عرفت منهـا الجمعية مساعدة خاصة،لا أولا ولا أخـيرا ، وأى مساعدة شاهدناها من الحكومة،وقـد أقرت قرار بريفى الجزائـر الذى يمنع رجال الجمعية من وعظ العامة وإرشادهم فى المساجد ، وأى مساعدة والحكومة قد أغلقت مكاتب وامتنعت من الترخيص فى مكاتب أخرى لمجرد انتماء المعلمين أو الطالبين للتعليم للجمعية، فمن الأولى مدرسة سيق،ومدرسة بلعباس،ومدرسة قمار ، ومـن الثانية مدرسة القنطرة . هذا هـو الواقع مـع الأسف الشديد .

ولكن من الحق الذى يجب أن نقوله وأن نتسلى بــه،أنه ليس كــل واحد من رجال الحكومة راضيا بهذه المعاكسة التى لا مبرر لهــا، والتى هى صد لجمعية إصلاحية تهذيبية عن الإصلاح والتهذيب ، وأما ترخيص الحكومة للجمعية فالفضل فى ذلك للقانون الفرنسى الحكيم ، ولولا ثقتنا بذلك القانون والرجال العظام الساهرين على تنفيذه،ما كان لنا أن نصدع بهذه الحقائق التى يريد النائب غراب وملقنوه تغطيتها (1) .

— 2 —

زعــم ان الجمعية تداخلت فى شؤون لا علاقــة لهــا بالتعليم، وانفجرت بتعاليم منافية للعلم،ومثيرة للأحقاد والتحزبات .

كأن الملقنين لهذا الغراب يفهمون من التعليم أنه هو أن يجلس الشيخ فى وسط حلقة ثم يلقى عليهم مسائل من النحو،ومسائل من كتاب الصلاة ، هذا فقط هو التعليم ، فأما مكتب ابتدائى يعلم فيه أبناء المسلمين وبناتهم مبادىء دينهم ولغتهم،ويحفظون فيه مــن مواطن الفساد ومهاوى الشقاء وبراثن المضللين ، ويهيئون للحياة تهيئة صحيحة تكون منهم رجــالا مسلمين،يخدمون أمتهم ووطنهم ودولتهم،ويشرفون سمعتها، وأما إلقاء دروس الوعظ والإرشاد عــلى طبقات العامــة التى تفقههم فى دينهــم،وتعرفهم بالفضائل الإنسانية،وتحذرهم من الرذائل الحيوانية،وتفتح بصائرهم لإدراك حقائق الحيــاة الدنيا،وما يفيدهم فى الحيــاة الأخرى ، وتصحيح عقائدهم،وتهذيب أخلاقهم،وتقويم أعمالهم ، حتى يعيشوا بذلك كله سعداء فى الدنيا مع أنفسهم،وجيرانهم،وحكومتهم ، ويكونوا

---

(1) الشريعة : السنة 1 ، العدد 7 ، جمادى الاولى 1352 هـ ــ 28 أوت 1933 م .

على أقوى الأسباب لنيل السعادة فى آخرتهم ـ فهذا كله شؤون لا علاقة لها بالتعليم ، ولهذا لما اشتغلت بها الجمعية ـ زيادة على دروس رجالها لطلبة العلم ـ قال هذا المتقول المقول : إن الجمعية تداخلت فى شؤون لا علاقة لها بالتعليم !

أما التعليم ، كما يفهمه كل أحد ، وكما جاء به الدين ، وكما كان عليه سلف المسلمين ، فهو نشر العلم لكل أحد ، للكبير والصغير، والمرأة والرجل : بحلق الدرس ومجالس الوعظ وخطب المنابر، وبكل طريق موصل ، وهذا ما اشتغلت به الجمعية،وتوسلت بالطرق الموصلة إليه ، ولن يستطيع الغراب ولا غيره أن يثبت عليها شيئا غير ذلك .

ولا نظنه يعنى التعاليم المنافية للعلم إلا ما قامت به الجمعية من بناء وعظها وإرشادها على آيات القرآن العظيم،وأحاديث النبى ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ،ووصايا أئمة السلف ، فإن هذا كله كان مهجورا فى هذه الديار ، بل وفى غير هذه الديار ، فإذا كانت هذه هى التعاليم المنافية للعلم عنده،فنحن نشهد الله وملائكته والناس أجمعين أن هذه هى التعاليم المنافية للجهل، المغيضة لأهل الجهل،الماحقة لكل جهل ودجل ، وأنها هى هى مصدر الدين والعلم، وكل خير وسعادة للبشر، وأرغم الله أنف كل أفاك أثيم .

ثم يقول الغراب : إن هذه التعاليم مثيرة للأحقاد والتحزبات ! ولقد صدق هنا وهو الكذوب ، فقد أثارت علينا هذه التعاليم الأحقاد ، وأي حقد أعظم من الحقد الذى أكل قلبه وقلب مثله حتى اعتدى علينا هذا الاعتداء العظيم ، وافترى علينا هذا الإفك المبين، وكيف لا يحقد علينا الجهال الذين يعيشون على الجهل ونحن نحارب الجهل والمتعيشين عليه ؟ وكيف لا يحقد علينا الذين يقولون للناس كونوا عبادا لنا بفنون من لسان المقال ولسان الحال ، ونحن نقول للناس لا تكونوا عبادا إلا لله ، وهم يقولون للناس ، اعبدونا

وارزقونا ، ونحن نقول لهم لا تعبدوا إلا الذى يرزقكم وهو الله وحده لا شريك لــه . وكيف لا يحقدون علينا مــن يريدون بقاء المسلمين عضوا أشلا أو مريضا فى الهيئة الاجتماعية الجزائرية ، ونحن نريده عضوا حيا عاملا كسائر الأعضاء فيها،يفيد ويستفيد، يعين ويستعين .

فهذه الأصناف كلها وغيرها من أمثالها امتلأت صدورها عــلى الجمعية حقدا،حتى انفجرت بالشر أقوالها وأعمالها ، وكانت حزبا واحدا فى الكيد للجمعية والمكر بها والسعاية عليها والوشاية بها ، وموقف هذا النائب الظالم المفترى مظهر من مظاهرها،ومشهد من مشاهدها . وهــذه الأصناف وغيرها مــن أمثالها هى هى الحاقدة المتحزبة دون عموم الأمة وسوادها ، التى ظهر للعيان التفافها حول الجمعية وسخطها على أضدادها ، وما تملك الجمعية لتلك الأصناف من حقدها وتحزبها إلا أن تسأل اللــه هدايتها،وتقاومها بالطرق المشروعة لترد كيدها وتخنق حقدها ، وتفدع شر تحزبها عند ما تدعوها الضرورة لمدافعتها ، مثلما دعتها الضرورة للرد على هذا النائب بالحجة والبرهان،لا بما سلكه هو ــ وسلكه أمثاله قبله ــ من الوشاية والإذاية والكذب والبهتان (1) .

— 3 —

ثــم يرمى الجمعية بــدس الدسائس،وقد علــم الناس صراحة الجمعية فى جميع مواقفها،والجمعية التى يلقى رئيسها باسمها تلك الخطبة المشهورة فى حفلة النادى بالجمعية،فى جمع حاشد من جميع الطبقات،لا يتصور عاقل أن يكون الدس من خلقها .

(1) الصراط : العدد الاول ، 28 جمادى الاولى 1352 هـ ــ 18 سبتمبر 1933 م .

ثـم يرميها بنصب الحيل لجلب الأموال،وقد علم الناس ضبط حساب الجمعية الدقيق بمـا يتلوه فى اجتماعاتها العمومية أمـين ماليتها وينشره على الناس .

ثـم يرميها بنشر الشحناء ، وكيف هذا وكلمات الجمعية التى كانت وفودها تلقيها عـلى النـاس وتلقنهم إياها هى : تعلموا ، تحابوا ، تسامحوا . وإذا كانت هذه الكلمات تثير الشحناء والعداوة فى القلوب المريضة التى لم تألف سماع هذه الكلمات ولـم تخلق للاتصاف بها،فماذا تملك الجمعية لها .

ثم يقول عن الجمعية : « خالطت الطوائف الانتخابية » ، وماذا يعنى هذا الجاهل بالطوائف الانتخابية ؟ ولو كانت فى الأمة طوائف انتخابية تسير على برامج منظمة،لما كان مثله نائبا يهذى هـــذا الهذيان ! لكن لعله يعنى شخصا أو شخصين من النواب العماليين الذين أنطقهم شرفهم وغيرتهم بما يعلمونه عن الجمعية من خدمة الحق والخير ، وهؤلاء لم يكن بينهم وبين بعض رجال الجمعيـة إلا معرفة شخصية ليست أكثر من المعرفة الشخصية التى بين هـــذا النائب المجهول وبين بعض رجال الجمعية الذين فى قسمه . والجمعية نفسها لا خلطة لها ، لا بهذا ولا بذاك ، ثم كان ماذا لو أن الجمعية اعتمدت على أهل الصدق والشرف والغيرة لترد بهم كيد مثلك يا مسكين ؟ فينكر على جمعية سلمية أن تتقوى بالأحرار الصادقـين ـ والنواحى القوية لا تتنزه عن التقوى عند الحاجــة بالعبيـد الكاذبين ؟ إلا أن الجمعية جمعية علم وتهذيب ، فهى تتأيد بأهـل العلم والتهذيب ، جزائريين وفرنسيين ، مسلمين وغير مسلمين ، وتمقت وتتبرأ من الجهل والوحشية من أى ملة وجنس .

ثم يرمى الجمعية بأنها تنشر المذهب الوهابى ، أفتعد الدعـوة إلى الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمـــة وطرح البـــدع والضلالات واجتناب المرديات والمهلكات نشرا للوهابية ، أم نشر

العلم والتهذيب وحرية الضمير وإجلال العقل واستعمال الفكر واستخدام الجوارح ـ نشر للوهابية ؟ ـ إذاً،فالعالم المتمدن كله وهابي ! فأئمة الإسلام كلهم وهابيون ؟ ما ضرنا إذا دعونا إلى ما دعا إليه جميع أئمة الإسلام،وقام عليه نظام التمدن في الأمم ان سمانا الجاهلون المتحاملون بما يشاءون،فنحن ـ إن شاء الله ـ فوق ما يظنون ، والله وراء ما يكيد الظالمون .

ثم يقول : « إننا مالكيون » ومن ينازع في هذا،وما يقرىء علماء الجمعية إلا فقه مالك ، ويا ليت الناس كانوا مالكية حقيقة إذا لطرحوا كل بدعة وضلالة ، فقد كان مالك ـ رحمه الله ـ كثيرا ما ينشد :

وخيرُ أمور الدِّين ما كان سنةً وشرُّ الأُمورِ المحدَثاتُ البدَائِعُ

ثم يقول : « إن الأمة الإسلامية منذ قرن وهي متمتعة بحريتها ودينها،وعاكفة على دروس علمائها » ، ونحن نريد في هذا القرن الثاني أن تزداد تمتعا بحريتها،وانتفاعا بفقه دينها،واتساعا في دائرة علمها على سنة التطور،والرقي،والتدريج ، فثارت ثائرة هذا الجاهل ومن وراءه،ومن كان في الجهل والشر مثله يحاولون إثارة الفتنة ، والله يطفئها ، ويكيدون للجمعية والله يحفظها ، ويكذبون على الجمعية والله يظهر نزاهتها ، حتى فضح الله أمرهم، وعرفت الأمة أمرهم،وعرفت الأمة دخيلتهم،وأصبحوا كلهم في غضب من الله وسخط من الناس ، والله لا يهدي كيد الخائنين ولا عدوان إلا على الظالمين والعاقبة للمتقين والحمد لله رب العالمين(1)

عن الجمعية : عبد الحميد بن باديس

(1) الصراط السوي : السنة الاولى ، العدد 3 ، 5 جمادى الثانية 1352 هـ ـ 25 سبتمبر 1933 م .

حـول تصريحات الوالى العـام

لمكاتب « البتي باريزيان »

نشرنا فى العدد الحادى عشر نص هـــذه التصريحات،ونشرنا احتجـاج مجلس إدارة جمعيــة العلمــاء المسلمــين الجزائريــين عليها . ثم رأينا من واجب جريدة الجمعية أن تقوم بواجبها فى التعليق على تلك التصريحات ومناقشتها ، فإن لتلك التصريحات من القيمة بقدر ما لجناب المصرح بها من المنزلة،ولا نكون قدرنا تلك القيمة وعرفنا تلك المنزلة إذا نحن سكتنا عنها .

قال جناب الوالى العام : « إن الحوادث الدينية التى حدثت أخيرا كان المتسبب فى وقوعها أو على الأقل المستغل لما نشأ عنها من منافع سياسية أناس ليست لهم عقيدة راسخة،ومنهم فريـــق لا دينـى، وأكثرهم غير عاملين بما أتى به الدين » .

فقد قرر الحقيقة لما جعل الحوادث دينية ، فمثار كل ما كان هو تدخل الإدارة فى شؤون الدين تدخلا شاذا،مخالفا للدين نفســه، ولقانون فصل الديانة عن الحكومة ، وأما المتسبب فى وقوع ذلك فهو عامل عمالة الجزائر بقراره المشؤوم المشهور، ثم تقرير الإدارة العليا لذلك القرار وإبايتها من سماع من قصد اتهامها من نــواب العاصمة بعد إبايتها من مقابلتهم إلا من وراء وراء . ولا شك أن شعور جنابه بهذه الحقيقة جعله يقول : « أو على الأقل المستغل لما نشأ عنها من منافع سياسية » وأية منافع جناها نواب العاصمة من

تلك الحوادث أكثر من أنهم قاموا بما تفرضه عليهم النيابة ، فإذا كان من يقوم بواجبه يرمى بأنه يستغل ذلك الواجب،فلا عار من هذا ولا مسبة فيه ، وحسبنا من كل من نيط بعهدته واجب أن يقوم به ، ولا حق لنا أن نقول له غير أحسنت لقيامك بواجبك .

وصف جنابه الذين قاموا بواجبهم بأنهم « أناس ليست لهم عقيدة راسخة ، ومنهم فريق لا دينى،وأكثرهم غير عاملين بما أتى به القرآن » أفنسي جنابه الآلاف المؤلفة من العامة الجزائرية المسلمة التى أظهرت استياءها بما قالت وبما فعلت وبما كتبت ، وهى أمة دينية مست فى أمر دينى بحت،فقامت محتجة مستنكرة ، فلو لم يقم هؤلاء الذين وصفهم جنابه بما وصفهم به،لكان قيام تلك الآلاف كافيا ، وأنا لا أحب أن أناقش جنابه فى منزلة أولئك النواب من الدين،وحسبى منهم أنهم مسلمون،يعيشون عيشة المسلمين،ويحملون شعارهم،ويألمون آلامهم،ويحملون عبء القوانين الاستثنائية مثلهم لا غير ، إننى أذكر جنابه فى الحقيقة النفسية وهى أن العقيدة الموروثة لابد أن تثور بصاحبها للدفاع عنها عند مسها ، خصوصا إذا كان وسط المشاركين له فيها،تؤثر العقيدة فى صاحبها هذا التأثير للدفاع عنها عند الشدة ، وإن لم تؤثر فيه ما تقتضيه من إعانة وقت الرخاء ، فأولئك النواب وإن لم يقوموا بجميع ما تقتضيه العقيدة ـ نزولا عند قول جنابه ـ فإنهم ما اندفعوا ـ زيادة على القيام بالواجب ـ للعمل إلا بها .

ثم تصدى جنابه لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين فقال : « وهؤلاء السياسيون تمكنوا من صد العلماء عن أعمالهم الطبيعية ومن إدخالهم فى ميدان عمل خارج عن دائرة التعليم والتهذيب القرآنى » لا،بل الذى صد العلماء عن أعمالهم الطبيعية وعن التعليم والتهذيب القرآنى هو السلطة التى أوصدت المساجد فى وجه وعظهم وإرشادهم،وحالت بينهم وبين عامة إخوانهم ، وأغلقت

كثيرا من المكاتب الابتدائية العربيـة التى تقـوم بالتعليم بها فى جهات عديدة أفراد منهم ، وأمسكت عن إعطـاء الرخص بفتح المكاتب ، هذا هو الذى صد العلماء عن القيام بواجبهم ، وأمـا السياسيون فإنهم ما حاولوا إدخال العلماء فى السياسة،وما كان العلماء ـ وقد نصبوا أنفسهم لشيء ـ أن يتدخلوا فى شيء آخر ، وقد أوقفوا وفودهم العلمية فى الصائفة الماضية عن التنقل فى جهات القطر تجنبا لكل رمي بالباطل،ومع ذلك لم يسلموا ـ مـع الأسف ـ من مثل هذا القيل .

وبعد،فإننا اخترنا الخطة الدينية على غيرها عن علم وبصـيرة، وتمسكا بما هو مناسب لفطرتنا وتربيتنا من النصح والإرشاد وبث الخير والثبات على وجه واحد ، والسير فى خط مستقيم . وما كنا لنجد هذا كله إلا فيما تفرغنا له من خدمـة العلـم والدين ، وفى خدمتهما أعظم خدمة وأنفعها للإنسانية عامة . ولو أردنا أن ندخل الميدان السياسى لدخلناه جهرا،ولضربنا فيه المثل بما عرف عنا من ثباتنا وتضحيتنا ، ولقدنا الأمة كلها للمطالبة بحقوقها،ولكان أسهل شيء علينا أن نسير بها على ما نرسمه لها،وأن نبلغ من نفوسنا إلى أقصى غايات التأثير عليها ، فإن مما نعلمه،ولا يخفى على غيرنا،أن القائد الذى يقول للأمة « إنك مظلومة فى حقوقك وإننى أريـد إيصالك إليها » يجد منها ما لا يجده من يقول لها : « إنك ضالة عن أصول دينك،وإننى أريـد هدايتك » فذلك تلبيه كلها ، وهـذا يقاومه معظمها أو شطرها ، وهـذا كلـه نعلمه ، ولكننا اخترنا ما اخترنا لما ذكرنا وبينا،وإننا فيما اخترناه ـ بإذن الله ـ لماضون وعليه متوكلون .

ثم ما هذا العيب الذى يعاب به العلماء المسلمون إذا شاركوا فى السياسة ؟ فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى مـن رجال الديانات الأخرى ؟ وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية

من آثار الوزير القسيس رشليو ؟ أفيجوز الشيء ويحسن إذا كان من هنالك،ويحرم ويقبح إذا كان من هنا ؟.. كلا،لا عيب ولا ملامة، وإنما لكل امرئ ما اختار،ويمدح ويـذم عـلى حسب سلوكه فى اختياره .

أما قول جنابه : « وإن غالب هؤلاء العلماء تعلموا فى مساجد القاهرة ، حيث الإسلام لا تدرس مبادئه وتعاليمه الدينية فقط » فهو مخالف للواقع،فإن العلماء الذين يعنيهم جنابه لم يتعلم واحد منهم فى مصر،والشخص الوحيد الذى تعلم فى القاهرة وكان معهم قد انقلب انقلابا قبيحا وهو مرضى عنه تمام الرضا .

فالمسألة مسألة جمود وتفكير،ونهوض مع الناهضين،وموت مـع الأموات،ليست مسألة القاهرة ولا غيرها ، وليس بصحيح أن مساجد القاهرة يدرس فيها ما ليس من الدين،وما دروسها ودروس جامع الزيتونة وجامع القرويين ودروسنا بقسنطينة إلا واحدة،كلهـا ترمى إلى المحافظة على علوم الإسلام والعربية ونشر العلم والتهذيب بين طبقات الناس،وما هذا إلا أصل المدنية التى تدعو إليها الأمم الراقية فى هذا العصر .

وكأن جنابه أراد أن يخفف من عبء مسؤولية منع العلماء من إلقاء الوعظ والإرشاد فى بيوت الله،التى ما أسست إلا لذكر الله، فقال : « وعلى كل حال فإننا لم نمنعهم من الكلام فى الأماكن المدنية أو الدينية غير الدولية » ونحن نحتفظ بهذا التصريح بعدم المنع مما ذكر ، ثم قال : إن الأماكن الدينية التى سماها جنابه دولية هى المساجد الإسلامية العامة التى يـأتيها النـاس المقصود تهذيبهم وإرشادهم،وهى التى تناسبها دروس العلماء الدينية ومواعظهم ، فأما الأماكن المدنية فليست مما يناسبهم،ولا مما أعـد لهم،وأما الأماكن الدينية غير الدولية ــ ويعنى المساجد الخاصة ــ فهذه على قلتها لا تكفى عموم الناس ، فالحـق أن منـع العلماء من المساجد

العامة منع لهم من القيام بمهمتهم الدينية على أتم وجوه المنع الذى لا يخففه وجه من وجوه الاعتذار .

هذا وإننا مع كل احترامنا لجنابه،ما نزال نكرر احتجاجنا على منعنا من المساجد،وكل ما نرمى به عن غير تبصر، غير آيسين من إتيان يوم تتجلى فيه العدالة لجمعية دينية علمية تهذيبية تعمل لخير الجميع (1) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الرئيس : عبد الحميد بن باديس

(1) الصراط السوى : السنة 1، العدد 15 ، 8 رمضان 1352 هـ ــ 25 ديسمبر 1933م

نحـن مسلمـون وكـفى

إن الإسلام الذى ندين به ، وهو دين الله الذى أرسل به جميع أنبيائه . وكمل هدايته وعمم الإصلاح البشرى به على لسان خاتم رسله ، هو ديـن جامع لكل ما يحتاج إليه البشر أفرادا وجماعات لصلاح حالهم ومآلهم ، فهو ديـن لتنوير العقول وتزكية النفوس وتصحيح العقائد وتقويم الأعمال . فيكمـل الإنسانية،وينظـم الإجماع،ويشيد العمران،ويقيم ميزان العدل،وينشر الإحسان . فلا يحتاج بعده إلى ما يتناحر عليه الاوروبيون من مبادىء أحزاب وجمعيات،ليس فى استطاعة شىء منهـا أن يصلـح حالهـم لا فى السياسة ولا فى الاجتماع،دع عنك الأخلاق والآداب . كما أنـه لا يسلم واحد منها من قواعد منافية للفطرة أو مجانبة للعدل أو ضعيفة فى العقل،فالمسلم بطبيعة إسلامه بعيد عن كل هذه الجمعيات والأحزاب . وهذه هى حال السواد الأعظم من المسلمين فى جميع الأقطـار .

يجهل بعض الكتاب الأوروبيين هذه الحقيقة أو يتجاهلونها ، فتراهم يرمون المسلمين فى كـل حركـة مـن حركاتهم بمبادىء الأحزاب الاوروبية ذات النفوذ والشهرة فى أوروبا .

وللقارىء (1) نموذجا من ذلك :

---

(1) كذا فى الاصل وصوابه : والى القارىء .

النمسا ــ الدعاية الهتلرية فى افريقيا الشمالية وفلسطين :

فيينا فى 2 : لمراسل البلاغ الخصوصى ــ يؤخذ من المعلومات التى أذاعتها صحيفة تلغراف عن نظام الدعاية الهتلرية فى افريقيا الشمالية وفلسطين أن مجموع ما أنفق على هذه الدعاية التى جعل مركزها الأساسى فى برلين بلغ 3،360،000 مارك فى الشهر. وقالت إن الغرض من هذه الدعاية هو إثارة العالم الإسلامى ضد اليهود وانجلترا وفرنسا،وإعداد العدة لفتنة تقوم فى افريقيا الشمالية الفرنسية فى حالة نشوب الحرب .

« البلاغ »

الدعاية الألمانية فى افريقيا الشمالية :

باريس : نشرت جريدة « الرجل الحر » التى تصدر فى باريس فصلا قالت فيه : هل من واجبنا أن لا نغفل هذه المسألة الحيوية بالنسبة لسيادتنا فى الشمال الافريقى . إن مذبحة مدينة قسنطينة والقلاقل الأخيرة التى أثارت الدستور فى جهات الساحل بالبلاد التونسية ليست إلا إنذارات يجب علينا ألا نهمل أمرها،وألا نغفل نتائجها . ولهذا يجب أن نظهر فى هذه الأراضى الإسلامية ، وإذا كانت قوانا لا تصل حتى ترتكب الشدة أو الإرهاق،فان عفونا وتسامحنا ليس منشؤهما الضعف . يجب أن يقع تتبع تأثيرات هذه الدعاية الهتلرية أو الوطنية أو الثورية بغاية اليقظة والنشاط ، تلك الدعاية التى إذا غفلنا عنها تسببت لنا فى متاعب جمة .

« الزهرة »

ومما يجب أن يلاحظ هنا أن الذى كنا نرمى بـه هو الدعاية البلشفية ، والذى صرنا نرمى به هو الهتلرية ، ومن المعروف أن

روسيا البلشفية قد دخلت في عصبة الأمـم،وأخذت كرسيا دائما فيها كسائر الدول العظام،وأصبحت معترفا بها كدولة كبرى،وكل ما كانت تأتيه « يبس وتحتت وطارت به الأرياح »،فلم يبق مـن وجه لرمينا بالبلشفية والدعاية البلشفية . ولكن هتلر اليوم هو لينين بالأمس ، فلتكن الهتلرية هي الكرة التي ترمى بها الأمـة المستضعفة . وهذا مما يـدل دلالـة واضحة على أن هـذا الرمي بالهتلرية بعد البلشفية لم يكن عن جهل،وإنما كان عن مكر وسوء قصد . وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (1) .

(1) ش : جزء 11 ، مجلد 10 ، غرة رجب 1353 هـ ـ أكتوبر 1934 م .

كلمـــة صريحـــة

حقا إننا نعيش في وسط سادت الفوضى فيـه من جميع جهاته ، فمن فوضى في الدين إلى فوضى في الأخلاق ، إلى فوضى في الاقتصاد. وزادتنا الأيام على كل ذلك فوضى جديدة ربما كانت أخطر الفوضات وأشدها تأثيرا على حياة الأمة،وهي فوضى التكلم باسم الأمة .

فما من متكلم في أى مناسبة من المناسبات إلا ورفع عقيرته مدعيا بأنه إنما يمثل الأمة الإسلامية قاطبة في هذه البلاد ، وأن الكلمات التي يقولها من عند نفسه إنما هي كلمة الحق وقولها الفصل . ولو أنهم اقتصدوا في القول ولم يلجوا باب الغلو والإسراف ، وقالوا إننا نتكلم باسم الفريق الذى انتخبنا ، أو باسم الهيئة التي ننتمي إليها ، أو باسم الجماعة التي نحن منها ، أو باسم الذين يشاركوننا في الرأي والتفكير ، لكان قولهم أصوب ، ورأيهم أصلح ، وكلامهم أقرب إلى نفوس السامعين من رجال الحكومة ومن رجال الشعب .

وإننا نتكلم اليوم حول هذا الموضوع إثر ما رأيناه مـن الحملة التي أجمعت الأمة عـلى مجابهة جريدة الطان بها ، وإثـر اجتماع اللجنة الوزارية الإسلامية بباريس .

قـال البعض مـن النواب المحليين ، ومـن الأعيان،ومن كبـار المتوظفين بهذه البلاد ، ان الأمة الإسلامية الجزائرية مجمعة عـلى اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة ، لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا ، ولا أمـل لها في تحقيق هذه الرغبة إلا بأن تمـد فرنسا يدها بكل سرعة ، فتلغي

جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام . بل لقد قال أحد النواب النابهين: إنه فتش عن القومية الجزائرية فى بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر ، وفتش عنها فى الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ، وأخيرا أشرقت عليه أنوار التجلى فإذا به يصيح : فرنسا هى أنا ! حقا إن كل شيء يرتقى فى هذا العالم ويتطور ، حتى التصوف، فبالأمس كان يقول أحد كبار المتصوفين :

فتشت عليك يا الله وجدت روحى أنا الله

واليوم يقول المتصوف فى السياسة :

فتشت عليك يا فرانسا وجدت روحى أنا فرانسا

فمن ذا الذى يستطيع بعد اليوم أن ينكر قدرة الجزائرى العصرى على التطور والاختراع ؟

إن هؤلاء المتكلمين باسم « المسلمين الجزائريين » والذين يصورون للرأى العام الإسلامى الجزائرى بهذه الصورة ، إنما هم مخطئون، يتصورون الأمور بغير صورتها، ويوشكون أن يوجدوا حفيرا عميقا بين الحقيقة وبين الذى يجب أن يعرفها . فهم فى واد والأمة فى واد، ويريدون أن يضعوا رجال الإدارة العليا فى واد ثالث .

لا يا سادتى ! نحن نتكلم باسم قسم عظيم من الأمة ، بل ندعى أننا نتكلم باسم أغلبية الأمة فنقول لكم ولكل من يريد أن يسمعنا ، ولكل من يجب عليه أن يسمعنا ، إن أراد أن يعرف الحقائق، ولا يختفى وراء أحكام الخيال : نقول لكم إنكم من هذه الناحية لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا ، ولا تعبرون عن شعورنا وإحساسنا. إننا نحن فتشنا فى صحف التاريخ وفتشنا فى الحالة الحاضرة ، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة موجودة، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا ، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة، وعوائدها، وأخلاقها، بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمة فى الدنيا .

ثم إن هذه الامة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصير فرنسا،ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت . بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها، وفي أخلاقها،وفي عنصرها ، وفي دينها ، لا تريد أن تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري بحدوده الحالية المعروفة، والذي يشرف على إدارته العليا السيد الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية .

ثم إن هذا الوطن الجزائري الإسلامي صديق لفرنسا مخلص ، وإخلاصه إخلاص قلبي لا إخلاص ظاهري ، يخلص لها إخلاص الصديق لصديقه،لا إخلاص التابع لمتبوعه . فهو في حالة السلام والأمن يطلب من فرنسا أن تحترم دينه ولغته ، وتمهد له السبيل ليرتقي ضمن دينه ولغته وأخلاقه ، وتسبغ عليه نعم الحرية والعدل والمساواة،حتى يصبح في رقيه وحريته وسعادته نموذجا للإدارة الفرنسية،والتعاون الاهلي الفرنسي ، وتستطيع فرنسا أن تفاخر به الذين يتباهون بما علموه في مستعمراتهم الحرة .

أما في حالة الأزمات العالمية ، وحين اشتداد الخطب،وإذا تكلم الرصاص،وارتقت السيوف فوق منابر الرقاب ، فالمسلم الجزائري يهب كالليث من عرينه ، للدفاع عن الأرض الفرنسية،كما يدافع عن أرضه الجزائرية،وعن حريمه،وأطفاله . ولو لم تجنده فرنسا لسار للدفاع عنها متطوعا . ولنا في مختلف الواجهات الحربية الفرنسية عشرات الآلاف من قبور المتطوعين تشهد بهذا .

فنحن الجزائريين المسلمين العائشين في وطننا الجزائري ، والمستظلين بالعلم الفرنسي المثلث الألوان، والمتحدين مع الفرنسيين اتحادا متينا،لا تؤثر عليه الحوادث الطفيفة أو الأزمات السطحية ،

نعيش مع الفرنسيين ، عيش الأصدقاء المخلصين ، نحترم حكومتهم وقوانينهم،ونطيع أوامرهم ونواهيهم ، ونريد منهـم أن يحترموا ديننـا ولغتنا ، ويحفظـوا كرامتنا ، ويأخذوا بأيدينا في طريـق النهضة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وهكذا نعيش وإياهم أصدقاء مخلصين ، وإذا جاءت ساعة المـوت في سبيل الدفاع عـن الوطن الفرنسي وعن الوطن الجزائري ، وجدونا في صفوفهم الأولى لنموت إلى جانبهم موت الأصدقاء المخلصين .

وعلى هذا الأساس ، توضع الأمور في مواضعها،ويحصل التفاهم، ويزول كل التباس .

اللجنة الوزارية :

هذه الفكرة جميلة هي نفسها ، فكرة تأليف لجنـة مـن مسلمي الجزائر ، يستشيرها رجال الوزارات الفرنسية المختلفة في المسائل التي تهـم البـلاد الجزائريـة ، حتى تسير الحكومة الفرنسية في سياستها الجزائرية على هـدى وعلى نـور الإرشادات الصادقة التي تستمدها من رجال تلك اللجنة .

بـل إن تشكيل تلك اللجنة يدلنا دلالة صادقة على رغبة حكومة فرنسا في درس المسائل الإسلامية الجزائرية دراسة عميقة ، حتى تتقى في المستقبل الأخطاء التي كانت ترتكب من قبل .

لكن الفكرة إن كانت جميلة في نفسها ، فإنها كانت غير موفقة في تنفيذها ، ذلك أن الإدارة العليا لم تلاحظ إلا الفكرة السياسية في انتخاب أعضاء هذه اللجنـة،وعمدت إلى ذلـك الانتخاب بصفة مستعجلة،فكـان أعضاء اللجنة مـن جـراء ذلك لا يستطيعون أن ينوضوا في مختلف المسائل المعروضة عليهم ، والتي يتطلب الكثير منها معرفة فنية عميقة .

لقد استلفت أنظارنا أخيرا خوض هذه اللجنة في مسألة « الترشيد »،كما كانت من قبل خاضت في شأنها أثناء جلساتها الأولى ، وهذه المسألة علمية فقهية بحتة ، يجب لحلها تضلع في الفقه، وتعمق في دراسة الكتب الدينية والقوانين الدينية المختلفة،مما وضع في استامبول والبلاد المصرية وغيرها .

فإلى جانب بعض المستشرقين الذين يحضرون اللجنة والذين لا ننكر عميق اطلاعهم وسعة معلوماتهم ، نجد بعض أعيان الباش اغاوات ، ولا نطعن فيهم إذا قلنا أنهم ليسوا بأصحاب معلومات فقهية ، ونجد بعض الدكاترة وليسوا من أصحاب الموطأ ولا من قراء سحنون ، ونجد غيرهم ممن توفرت فيهم بعض شروط سياسية أو اقتصادية ، إلا أنهم لا يستطيعون الخوض أى خوض فى أى مسألة دينية مهما قل أمرها وصغر شأنها . فهذه المسألة الدينية إذا استثنينا شخص الشيخ ابن الساسى قاضى قسنطينة لا نجد من يستطيع أن يقول فيها كلمة .

ونحن اليوم في ساعة بناء وترميم ، ولا نريد أن نترك مثل هذه المسائل مهملة،فتعتقد فرنسا أنها عملت ما يجب عمله ، ويقول لها بعض المتكلمين « باسم الأمة الإسلامية » أنها قد عملت حقا في هذا الباب ما يجب أن يعمل ، في الوقت الذى نعتقد نحن فيه أن ما عملته إنما هو عديم الفائدة وقليل الجدوى .

نرى نحن أن إصلاح هذه اللجنة أمر واجب وسريع ، ونرى أنه إصلاح سهل ميسور . فلكي تمثل هذه اللجنة كل طبقات الأمة ، ولكى تستطيع الخوض فى جميع المشاكل المعروضة على أنظارها ، وتقدم للحكومة إرشادات صائبة يمكن أن تكون أساسا لأعمال موفقة ، يجب أن تشمل :

أولا ـ ثلاثة من كبار العلماء الرسميين تنتخبهم الإدارة من بين رجال القضاء والافتاء بالقطر الجزائرى .

ثانيا ـ ثلاثة من كبار العلماء الغير المتوظفين .

ثالثا ـ ثلاثة من رجال مجلس النيابات المالية ينتخبهم رفقاؤهم.

رابعا ـ ثلاثة منتخبون من المجالس العمالية .

خامسا ـ ثلاثة من كبار المتوظفين الإداريين المسلمين تنتخبهم الحكومـــة .

سادسا ـ ثلاثة من الفلاحين والتجار والصناع .

فاللجنة التي تتألف من مثل هؤلاء الرجال ، يمكنها أن تتفاوض مع رجال فرنسا فى مختلف المسائل والمشاكل الجزائرية ، ويمكنها أن تؤلف لجانا فرعية مختصة : لجنة دينية ، ولجنة اقتصادية ، ولجنة سياسية ، ولجنة اجتماعية ، الخ ـ فهذه اللجان التى يباشر أعمالها رجال متخصصون،يمكنها أن تدرس المسائل المعروضة عليها دراسة مدققة ، ويمكنها أن تنير أفكار الحكومة والوزارات قبل إقدامها على تشريع قوانين تنفذ على الجزائر . وتكون اللجنة كلها أشبه شيء ببرلمان صغير جزائرى،يعمل إلى جانب حكومة باريس،ويكون لها مرشدا ومعينا .

فإصلاح اللجنة ، سواء فى طريقة عملها أو فى طريقة جمـــع أعضائها ، ليس من مصلحة الجزائريين فحسب،بل هو فى مصلحـة الإدارة العليا الفرنسية أكثر من ذلك .

أما بقاء اللجنة على حالها ، واستمرارها على خوض الكثير من المسائل دون استعداد وسابق دراسة ، فإننا لا نكتم الإدارة العليا أن هذا العمل الذى يستطيع أن يكون مثمرا ، قد يصبح موجبـا للازدراء،ولا تكون له من نتيجة إلا خيبة الآمال التى كانت معلقة من الطرفين عليه .

فعسانا نرى من الحكومة التفاتا إلى هذه اللجنة ، فتخرجها من دور التكوين إلى دور العمل الصحيح ، وتجعلها وسيلة من وسائل التفاهم والعمل المشترك والتعاون الصادق فى سبيل المصلحة العامة.

الإضراب التــونسى :

هاجت تونس وحق لها أن تهيج ، وأضرب طلبة الجامع الأعظم وحق لهم أن يضربوا ، وتظاهروا فى الطرق العامة ، وكان حقــا عليهم أن يتظاهروا ، فليست الصدمة التى صودم بها طلبة الجامع المعمور والمتخرجون منه بالصدمة الصغيرة ، وليس التهديد الذى جرد سيفه الماضى على رؤوسهم بالتهديد الخفيف . فإن النصــوص القانونية التى شملها الأمر العلى المتعلق بالوظائف العمومية ، يجعل سائر الطبقات الزيتونية إلى نحو الخمسة أعوام أخرى ، بعيدة عن الوظائف العمومية ومناصب الإدارة ، وكأنما ذلك الأمر العلى قد صدر خصيصا لإقصاء هذه الطبقة التى هى روح الأمة التونسية عن الوظائف العامة وعن الإدارة التونسية كلها .

ارادت هيأة التشريع التونسية المختفية وراء الأوامر العلية ، أن يزداد حسن التفاهم بين سائر المتوظفين من فرنسيين وتونسيين، ففرضت على كل راغب وظيفة من التونسيين أن يكون ملما بمبادىء اللغة الفرنسية ، وكل راغب وظيفة من الفرنسيين أن يكون ملما بمادىء اللغة العربية ، بحيث يستطيع كل منهما أن يقوم بمحادثة بسيطة باللغة الأخرى .

وقد جاء ما نصه فى الأمر المذكور : « لا يمكــن لأى متوظف تونسى ما عدا حكام المحاكم الشرعية أن يحرز على تسميته بصفة رسمية إلا اذا أثبت تحصيله على نفس درجة المعارف المذكورة فى اللغة الفرنسوية .

---

(1) هو جامع الزيتونة .

فمهوم هذا الفصل ومنطوقه يدلان على أن لن يستطيع التوظف من خريجي المعهد الزيتوني في أي إدارة تونسية إلا من كان محرزا على مبادىء اللغة الفرنسية ، وبما أن القانون المذكور لم يترك أجلا في وجه المتعلمين لتعاطى الدروس الفرنسية ، وبما أنه لا يوجد بين أساطين الجامع الأعظم شيوخ يلقنون إلى جانب شرح ميارة وحاشية التاودى مبادىء A.B.C.D. ، فإن طلبة الجامع الأعظم رأوا أن جهودهم كلها أصبحت عبثا ، وأن آمالهم جميعا قد انهارت،وأنه فيما عدا القضاة ورجال الإفتاء وهم رؤساء المحاكم الشرعية ، لا يستطيع أن يتطلب منهم التوظيف أحد .

أضرب الجامع عن تلقى الدروس ، ووقعت المظاهرات الهادئة الرصينة فقلبتها أعمال البوليس مظاهرة حادة دامية ، وأوصدت المدينة التونسية أبوابها احتجاجا وتضامنا مع طلبة الكلية الزيتونية ، فما كان لذلك من أثر عند الإدارة التونسية إلا أمرها بإبعاد فوج جديد من التونسيين إلى برج لوبوف،وتقديم جماعة كبيرة إلى المحاكم الفرنسية،فنالوا عقابا صارما من السجن والإبعاد. وهكذا استمر مسيو بيروطون على سياسة العنف الفاشيستى إلى آخر لحظة من مدة حكمه بتونس .

أصدرت الحكومة بلاغا تناقض فيه نفسها ، وتخفف وطأة قانونها الأخير ، فقالت في ذلك البلاغ إن الزيتونيين الذين لا يحسنون الفرنسية قد بقيت أمام وجوههم عدة وظائف يمكنهم التطلع إليها كأعضاء المحاكم الشرعية وأعوانها الإداريين كالعدول المحررين والكتبة والناسخين والعدول العموميين،وخطط قسم الأمور الشرعية بوزارة العدلية،وخطط القسم الأول من الوزارة الكبرى،وخطط العمال والكواهى،وكافة خطط الجامع الأعظم والشمائر الدينية والأوقاف .

فالأمر العلي يوصد باب التوظف إلا لحكـام المحاكم الشرعية ، وهذا البلاغ الحكومي يناقضه ويفتح الباب لهذه الخطـط ، إنما العمل الرسمي لا يقع إلا بناء على الأوامر ، ولا اعتبار للبلاغات فيه.

فحركة الإضراب في المسجد المعمور لا تزال جارية إلى أن يصدر أمر جديد يزيل عن الأنفس الحيرة والارتباك ، والهيجان لا يزال مستوليا على أنفس كل التونسيين من جراء هذه الضربة الصارمة ، والجيش العرمرم من رجال تونس وخير شبانها لا يزال يتضاعف عدده في المنفى ببرج لوبوف حيث الآلام والأسقام ، والصحافـة التونسية المغلولة اليد لا تتجاسر على قول كلمة أو إبداء إشـارة إلا تلميحا أو من طرف خفي ، وما تجاسر البعض منها على طلب إرجاع المبعدين إلا عندما تحققت نقلة بيروطون مـن تونس . والأفواه مكممة،بحيث لا يستطيع الإنسان أن يفتح فمه بانتقاد أو ملاحظة خشية أن ينتزع في منتصف الليل من بين أهله وذويـه، ويسار به إلى برج لوبوف. والاستياء العام سائد بين سائر الطبقات كالنار تحت الرماد . هذه هي حقيقة الحالة بتونس كما تركها مسيو بيروطون،عندما أمرت الحكومة بنقله إلى المغرب الاقصى ليمثلهـا هنالك،بدل بونسو الذى أخفق في إدارة السلطنة المغربية .

وإننا لنتمنى أن يسلك مسيو قيون،المقيم الجديد بتونس،سياسة اللين والتسامح،فيعيد إلى الأنفس اطمئنانها ، ويرتـق ما فتقـه سلفه ، معتمدا على المفاهمة والمشاركة الصادقة (1) .

(1) ش : جزء 1 ، مجلد 12 ، غرة محرم 1355 هـ ـ ابريل 1936 م .

حــول كلمتنــا الصريحــة

لقد أحدثت الكلمة الصريحة التى نشرناها بالعدد الأسبق من الشهاب أثرها المطلوب ، وكان لها الدوي العظيم الذى كنا نتوقعه لها . فتلك كانت أول مرة فيما نعلم ، جوبهت فيها الحكومة وجوبه فيها رجال السياسة بحقيقة ناصعة ، هى عين الحقيقة التى تعتقدها الأمة ، وفيها بيان لعواطف وإحساس وشعور الأغلبية المطلقة من سكان هذا الوطن الجزائرى .

فأما الذين ظهرت سريرتهم وخلصت نيتهم ، فقد حبذوا خطتنا وشكروا لنا صراحتنا ، وحمدوا لنا هذا الموقف الذى وقفناه ضد محاولات التجنيس الخائبة ، ومحاولات هدم القومية واللغة والدين المجرمة ، إذ بينا فى جلاء ووضوح أننا مـــع احترامنا للسلطــة الفرنسية ، وإطاعتنا لقوانين الجمهورية ، نريـــد ونستطيع أن نحافظ على ذاتيتنا الخاصة ، وما فيها من مميزات اللغة والديــن والإخلاص والثقافة،ولا نريد بأى حال من الأحوال،ولا نستطيع، أن ننسلخ طوعا واختيارا،أو كرها وجبرا،على تلك الذاتية ، وما فيها من مميزات ، وما لها من حقوق .

وأما الذين فى قلوبهم مرض ، والذِينَ نَسُوا اللّٰهَ فَأَنْسَاهُــــمْ أَنفُسَهُمْ ، وأنكروا ما لهذه الأمة من مجد ، وما لها من تاريــخ ، وما لها من روابط،تجعل منها أمة متحدة ومتجانسة،لها من الاتحاد والتجانس ما لأكثر الأمم تجانسا واتحادا،فى كل بـــلاد الأرض، فأولئك قوم فزعوا من مقالنا،كما تفزع الخفافيش عندما ينبثق

نور الفجر ، ومنهم من انتقد ومنهم من رد ، ومنهم من أفحش وأقذع ، وإن إلى الأمة التى أنكروها إيابَهم ، وإن عليها ـ مهما تجاهلوها ـ حسابَهم .

إن كلمتنا الصريحة قد وضعت الكثير من الرجال على المحك ، فمنهم من ظهرت نفسه من در مكنون ، ومنهم من انطوت جوانبه على حمأ مسنون .

وإنا لنشهد أن من أكمل الرجال الذين رأينا فيهم بهذه المناسبة، الهمة العالية ، وشرف النفس ، وطهارة الضمير ، الأستاذ فرحات عباس الصيدلى ، والعضو البلدى والعمالى بسطيف .

كان هذا الرجل الأبى من أهدافنا فى مقالنا (كلمة صريحة) وهو الذى آخذناه عن مقاله (فرنسا هى أنا) وقلنا له ولمن معه إنكم عندما تسمعون لسياسة الاندماج ، وتحبذون التجنيس ، وترضون ضياع حقوقنا الإسلامية مقابل حق الانتخاب ، وتريدون ـ خلافا للطبيعة ـ أن يصير جمهور المسلمين بهذه البلاد جمهورا فرنسيا بحتا ، لا يختلف عن الجماهير الفرنسية فى شىء ، إنكم عندما تسعون وتحبذون هذا لا تمثلوننا ولا تتكلمون باسمنا ، وإنكم فى واد والأمة فى واد آخر .

فالسيد فرحات عباس ، لم يتألم ولم يتكدر ، وسلك مسلك كبار رجال السياسة الذين يحبذون النقد،وينصاعون لكلمة الحق ، فزار إدارة الشهاب ، وأكد لها تقديره لجهودها ، وجرت له مع صاحب الشهاب محادثة دلت على سمو أدبه،وعلو كعبه،فى عالم السياسة والتفكير .

ثم نشر مقالا فى جريدة (لا ديفانس) (1) الصادقة الثابتة الجسورة ، يبين فيه نظريته ، ويشرح فيه فكرته الاجتماعية التى

(1) الدفاع : يصدرها الامين العمودى .

بني عليها سلوكه السياسى ، وسيجد قراؤنا تعريب هـذا المقـال إثـر فصلنـا هـذا .

ولقد تولت بعض الدوائر مهاجمتنا ، مستترة وراء جريـدة النجاح ، ووراء ورقة تدعى (صدى الصحافة الإسلامية) ، ولقد كنا ننتظر من تلك الدوائر التى هاجمتنا ، مناقشة هادئة، تتناسب مع وقارها ، وكنا ننتظر منها نضالا بأسلحة حادة ، لكن خاب أملنا فى الأمرين . فالمناقشة كانت صبيانية الشكل والموضوع ، والأسلحة كانت عتيقة مفلولة أبلتها كثرة الاستعمال .

فأما السلاح الذى استعمل ضدنا فى النجاح فهو أسئلة وضعها رجل كبير ، وأمضاها رجل صغير، وقد حسب الذين قدموا لنا هذه الأسئلة أنهم يحرجوننا بوضع البحث فوق ميدان الاستقلال ، كأننا قد رفعنا علم العصيان ، ونادينا بفصل الجزائر عن فرنسا من الآن .

فهو يسألنا أولا : متى كانت حدود الجزائر عـلى ما هى عليـه الآن ؟ وإننا نجيبه لنفرض أن حدود الجزائر لم ترسم على صفتها الحالية شرقا وغربا إلا منذ نحو مائة عام ، فهل لـه أن يجيبنا متى كانت حـدود فرنسا والمانيا وايطاليا والنمسا والمجـر ورومانيا ويوغوسلافيا واليونان وبلغاريا كما هى الآن ؟ وهل لم تتغير المرات العديدة خلال هذه المائة عام ؟

ثم يسألنا : متى كانت بلاد الجزائر مستقلة ؟ ونحن نقول لـه : إن ضربنا صفحا عن الدول الإسلامية المستقلة التى نشأت وازدهرت بالقطر الجزائرى ، وسلمنا بأن القطر الجزائرى بصفته الحالية لم يكن مستقلا فى وقت من الأوقات ، فهل لحضرة السائل أن يجيبنا : متى كانت دولـة تشيكوسلوفاكيا مستقلة ؟ وإلى أى عهـد يرجـع استقلالها ؟

ويسألنا أخيرا ، ما هى وحدة اللغة التى تكلمنا عنها فى كلمتنا

الصريحة ، فهل هي اللغة العربية ، والحال ليس كذلك ، كما يقول ، أم ماذا ؟

فهل نستطيع أن نجيبه بأن لغة هذا الوطن ليست عربية بدليل أن جريدة النجاح تنشر بلغة الصين ، وأن الجريدة الرسمية الحكومية تنشر إلى جانب نسختها الفرنسية نسخة بلغة النبط والكلدانيين ؟ أم نقول له إن الواقع يثبت بأنه لا يوجد في أرض الجزائر إلا واحد في المائة فقط من السكان المسلمين لا يتكلم العربية . ثم نسأله : هل لا توجد في فرنسا إلى جانب اللغة الرسمية الفرنسية لغات أخرى ذات آداب،ولها صحف سيارة،ويتكلمها الملايين من الناس ، وخاصة بالألزاس ، وبجهات الفلاندر ، وببلاد ابروتانيا التي يقوم أهلها بحملة تكاد تكون ثورية لإجبار الحكومة على تعليم لغتهم بالمدارس ، وببلاد البروفانس ، وضواحي مرسيليا ، وبجزيرة كورسيكا ؟

وهل توجد وحدة اللغة ، كما توجد بالقطر الجزائري ، في رومانيا ، ويوغوسلافيا ، وتشيكوسلوفاكيا،إن لم نتكلم إلا عن هذه البلاد ؟

وأما السلاح الذي استعمل ضدنا بصدى الصحافة الأهلية ، والذي خرج من معمل جريدة الهك القديمة وكتب بأقلام محرريها ، ونحن لا نشرفهم بذكر اسمهم ، احتقارا لا جهلا ، فهو ذلك الشتم البذيء الرقيع ، سلاح الأسافل العاجزين ، فصاحب الشهاب عند أولئك السادة : أحمق ، مجنون ، أخرق ، جاهل، غبي ، مجرم ، وهو بوحماره الخارجي الذي أثار افريقيا قصد تأسيس دولة فوق الخرائب ، ولم يتورع الكاتب،شلت يمينه،عن نبش قبر عبد المؤمن بن علي قدس الله روحه ، لتشبيع سياسته والحط بكرامته .

ثم يصف ذلك الكاتب الأمة الجزائرية بكل أوصاف الجهل والفوضى ،.والتهديم والتخريب ، حتى ليكاد الإنسان يعتقد أن ذلك

الرجل الذى استؤجر لينال منا ، إنما استؤجر لكى يقول للناس فى العالم أجمع : انظروا كيف أصبحت حالة المسلمين الجزائريين بعد أن حكمت فرنسا بلادهم نيفا ومائة من السنين !

لو كنا نستطيع أن ننحط إلى تلك الدركة السافلة ، ونجارى أولئك المحررين فى أسلوبهم،لقلنا لهم إنهم أنذال ، سفهاء،ليس لهم ضمير ، ولا يعرفون شهامة ولا كرامة . لكننا لا نقول لهم هذا ، ولا نوجه لهم أمثال هذا الكلام ، فلنا من آدابنا الإسلامية ، ولنا من شهامتنا العربية،ما يمنعنا عن الانغماس فى مستنقعهم النتن .

فدعهم هم والذين يملون عليهم تلك السخافات الرقيعة ، يقفون أمام الرأي العام بهذه البلاد ، ولننظر كيف يكون حكمه عليهم قاسيا أليما .

إننا أكدنا فى (الكلمة الصريحة) رغبتنا فى الاحتفاظ بكياننا العربى الإسلامى ، فوق أرض هى أرض آبائنا وأجدادنا ، مع احترامنا التام للسلطة وخضوعنا لقوانين البلاد .

لكن خصومنا ، كما قلنا آنفا ، أرادوا أن يفهموا من كلامنا أننا نريد الاستقلال،ورأوا أنهم يحرجوننا إذا وضعوا البحث على بساط الاستقلال . حتى إذا زل بنا القدم فوق هذا البساط الأملس استنزلوا علينا نقمة الحكومة،وطلبوا أن نعامل معاملة الثائرين المهيجين ، وأن نذهب ضحية قوانين رونى وما سبقها .

لكن خابت آمالهم ، فنحن قوم لا نتأخر عن الخوض فى مثل هذه الميادين ، وأنهم لا يزعجوننا إن جرونا للبحث فى مسألة الاستقلال.

إن الاستقلال حق طبيعى لكل أمة من أمم الدنيا . وقد استقلت أمم كانت دوننا فى القوة والعلم والمنعة والحضارة ، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله،ويقولون إن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد . فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ فمن الممكن أنها

تزداد تقلبا مع التاريخ . وليس من العسير بل إنه مـن الممكن أن يأتى يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادى والأدبى ، وتتغير فيه السياسة الاستعمارية عامة والفرنسية خاصة ، وتسلك فرنسا مع الجزائر مسلك انكلترا مع استراليا وكندا واتحاد جنوب افريقيا ، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالا واسعا ، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر .

هذا هو الاستقلال الذى نتصوره ـ لا الاستقلال الذى يتصوره خصومنا المجرمون ، استقلال النار والدماء ـ وهذا هو الاستقلال الذى نستطيع أن نحرز عليه مع الوقت ، وبإعانة فرنسا وبإرادتها. وإننا لا نخشاه ولا نخشى البحث فيه .

انتهاء الأزمة التونسية :

تمت الحوادث ببلاد الخضراء على النمط الذى توقعناه فى العدد السالف ، فان مسيو قيون المقيم العام الجديد قـد افتتح سياسته ، كما افتتحها من قبل لوسيان سان ومانصرون وبيروطون ، بالركون إلى جانب الاعتدال ، والوعد بسلوك طريـق المشاركة الصادقـة، وإجابة رغائب التونسيين المعقولة .

فأول عمل تم إجراؤه هو إرضاء طلبة الجامع الأعظم المعمور ، بأن أجيبت طلباتهم المتعلقة بمسألة تعلم اللغـة الفرنسية ، فوقع العفو عـلى الذين نالهـم العقاب الصارم منهـم،سواء بالسجن أو بالتغريب،ثم جمع المقيم العام لجنة قررت من جهة تأخير العمل بذلك الأمر إلى شهر مارس من سنة 1943 ، ثم قررت من جهة أخرى استثناء الكثير من الأعمال الإدارية والقضائية من ذلك الأمر القاضي بوجوب تعلم مبادىء اللغة الفرنسية لإجراء محادثات بسيطة عادية بها .

وهذه الوظائف المستثناة هى : الحكام الشرعيون،ورؤساء كتبة المحاكم الشرعية،وكتبة المحاكم الشرعية، ومستكتبو المحاكم الشرعية،

والكتبة والنساخون باللغة العربية بالمجالس المذكورة،والمنشئون والكتبة والمستكتبون والنساخون باللغة العربية بالقسم الأول من الوزارة الكبرى، وبالإدارة المركزية للعدلية التونسية،والمدرسون التونسيون بالمدرسة الصادقية،ومدرسو القسم الإسلامي من مدرسة ترشيح المعلمين،ومؤدبو المكاتب الابتدائية . كما يخرج من هذا القيد أيضا،رغم كونهم لا ينسحب عليهم هذا القانون،العمال والكواهى والخلفاء والمشائخ وكتبة الأعمال والمدرسون وسائر متوظفى الجامع الاعظم دام عمرانه،وأرباب الشعائر ومتوظفو جمعية الأوقاف والعدل،والمنشئون بالشرع العزيز . وبعد ذلك وقع الالتفات إلى الناحية السياسية ، فأمر مسيو قيون بحذف « جهنم الدنيا » برج لوبوف من قائمة الأماكن التى يمكن إبعاد التونسيين إليها،ثم أمر بإرجاع 62 من المبعدين السياسيين إلى أهلهم وذويهم ، بعد أن ذاقوا من العذاب الأليم،وتجرعوا من كؤوس البأساء والضراء ما لم نسمع بمثله إلا فى تاريخ محاكم التفتيش .

ولقد بقى الزعماء الثمانية أحرارا بمراقبتى قابس وجربة ، إلى أن يتفاوض معهم المقيم العام مفاوضة رجل لرجل : وهم السادة : الدكتور محمود الماطرى، والأساتذة محيى الدين القليبى، والطاهر صفر ، والبحرى قيقة ، وصالح بن يوسف ، والحبيب بورقيبة ، ومحمد بوزويته .

وأثناء رحلة المقيم إلى الجنوب ، تقابل مع الثمانية الزعماء ، ووقعت بينه وبينهم مفاوضة طويلة ، نشر بعدها المقيم بلاغا رسميا جاء فيه :

إن المقيم أكد لهم بأنه لا يريد أن يرى فى المستقبل سياسة هيجان ، إذ هو عازم على تنفيذ سياسة الحماية بحذافيرها ، باحترام حقوق الدولة الحامية وحقوق سمو الباى ، وانه يريد التعاون الصادق من الجميع حول هذه السياسة ، وأجابوه بلسان الدكتور

الماطرى أنهم لن يسلكوا أبدا سياسة الهيجان ، وأنهم لـم يهاجموا مبدأ الحماية، بل قصارى مطلبهم الإحراز عـلى الحقوق التى يطلبها التونسيون داخل منطقة النظام الحاضر . ثم أكدوا للمقيم أنــه يستطيع أن يثق بكلامهم، وأنه لن يندم على ثقته بهم .

هذه خلاصة بلاغ السفير، ونحن نعتقد وإن لم تأتنا الأنباء بعد ، بأن المبعدين الثمانية قـد رجعوا إلى بلادهم ، واسترجعوا حريتهم بعد طول البعاد ، وأن تونس ستفتح عصرا جديدا من العمل الهادىء المثمر ، خاصة وأن لهـا فى الواجهة الشعبية الفرنسية أصدقـاء سيبرهنون على صداقتهم لها ، فلعل الدستور والمجلس التشريعى وتحديد العلائق بـين الإدارتين تكون مـن نتائج هذا الدور الذى نرجو أن يكون موفقا سعيدا .(1)

(1) ش : جزء 3 ، مجلد 12 ، غرة ربيع الاول 1355 هـ ـ جوان 1936 .

نص المطالب التى قدمها لمكتب المؤتمر

رئيس جمعية العلماء خاصة بالدين واللغة العربية

اللغة العربية :

تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية،وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية . وتعامل صحافتها مثل الصحافة الفرنسية ، وتعطى الحرية فى تعليمها فى المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية .

الديـانة :

1 ــ المساجـد :

تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع أوقافها،وتتولى أمرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

2 ــ التعليم الدينى :

تؤسس كلية لعلوم الدين ولسانه العربى لتخريج موظفى المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم .

3 ــ القضاء :

ينظم القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية،على يــد هيئة إسلامية، يكون انتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية المشار اليها فى الفصل

السابق،وإدخال إصلاحات على المدارس التى يتخرج منها رجال المحاكم ـ منها تدريس تلك المجلة ـ والتحقق بالعلوم الشرعية الإسلامية،وطبع التعليم بطابعها،لتكوين رجال يكونون من أصدق الممثلين لها .[1]

عبد الحميد بن باديس

[1] البصائر : س 1 ، ع 24 ، الجمعة 29 ربيع الاول 1355 هـ ـ 19 جوان 1936 م .

حقــوق الأمــة الجزائرية (1)

التى تطلبها من الأمة الفرنسوية

مقــدمة :

إن الأمة الجزائرية قد شاركت الأمة الفرنسوية فى مواقف الموت، فمن الحق والعدل أن تساويها فى مواقف الحياة .

إن الحياة تشترى بالأرواح والأبدان،والأمة الجزائرية قد بذلت أرواحها وأبدانها مع الأمة الفرنسوية ومثلها ، ومن دفع الثمن فمن الحق والعدل أن يأخذ الثمن .

إن الأمة الجزائرية سمعت فى أيام الشدة ومواطن البأس مــن الأمة الفرنسية،إنهما يستويان فى السلم كما تساويا فى الحرب . فأما الذين ماتوا فى تلك الأيام فقد ماتوا وقلوبهم تنعم بذلك الأمل المعمول،وأما الذين بقوا فبقيت قلوبهم تتجرع الخيبة بعــد الخيبة، وتنطوى على الألم بعد الألم .

إن الأمة الفرنسوية لا تستغنى عن الأمة الجزائرية،كما لا تستغنى الأمة الجزائرية عنها،فمن الخير لهما معا أن لا تشعر واحدة منهما من ناحية الأخرى بنقص فى الود أو ظلم فى الحقوق .

وعلى هذا بنينا ما نقدم مــن الحقوق التالية،طالبين مــن الأمة الفرنسية،وخصوصا من الحكومة الشعبية الجديدة التى تمثل الشعب

(1) مطالب قدمها الشيخ عبد الحميد سنة 1936 لمكتب المؤتمر .

الفرنسوى والمبادىء الجمهورية،أصدق تمثيل باسم الحق والعدل تنجيزه .

لا تتحقق المساواة المطلوبة إلا برفع جميع الأوضاع الخاصة،مثل المتصرفيات ومجالس (الكريمينال) والمعاملات الخاصة ، بل الانديجينة واعطيات الجندية وزيادة مدة الخدمة العسكرية . والبرنامج الخاص بالتعليم فى المكاتب الابتدائية وغيرها،وحرمان عمال الجزائر من كثير مما يتمتع به العمال الفرنساويون .

النيابات :

لا يمكن للأمة الجزائرية أن تنال حقها من الحياة على الأرض الجزائرية،ما دامت لا تمثلها فى جميع المجالس الأقليمية،فأول مطلب فى النيابة هو تسوية نواب الجزائريين بنواب الفرنساويين فى جميع المجالس،ثم مطلب توحيد النيابة البرلمانية بكلا المجلسين، بحيث يشارك فى انتخاب النواب البرلمانيين مشاركة فعلية جميع سكان الجزائر على اختلاف أجناسهم وعقائدهم،مع بقاء المسلمين على جميع ذاتياتهم الإسلامية .

(هذا التصدير قدمه الأستاذ للمؤتمر باسمه الخصوصى،على أنه رأي من الآراء يضم إلى نظائره،وبعد هذا بين فى إيجاز بليغ مطالب جمعية العلماء وقدمها باسمها وهى) :

اللغة العربية :

تعتبر اللغة العربية رسمية مثل اللغة الفرنسية،وتكتب بها مع الفرنسية جميع المناشير الرسمية،وتعامل صحافتنا مثل الصحافة الفرنسية،وتعطى الحرية فى تعليمها فى المدارس الحرة مثل اللغة الفرنسية .

الــدين :

1 ـ المساجــد :

تسلم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من ميزانية الجزائر لها يتناسب مع أوقافها ، وتتولى أمرها جمعيات دينية مؤسسة على منوال القوانين المتعلقة بفصل الدين عن الحكومة .

2 ـ التعليم الديني :

تؤسس كليــة لتعليم الديــن ولسانه العربي لتخريج موظفي المساجد من أئمة وخطباء ومدرسين ومؤذنين وقيمين وغيرهم .

3 ـ القضاء :

لا ينظم (1) القضاء بوضع مجلة أحكام شرعية عــلى يـــد هيئة إسلامية يكون انتخابها تحت إشراف الجمعيات الدينية المشار إليها في الفصل السابق ، وإدخال إصلاحات عــلى المدارس التي يتخرج منها رجال القضاء ، منها تدريس تلك المجلــة ، والتحقق بالعلوم الشرعية الإسلامية ، وطبع التعليم بطابعها لتكوين رجال يكونون من أصدق الممثلين لها (2) .

(1) كذا في الاصل وصوابه فيما يبدو اسقاط (لا) .

(2) الشهاب ، ملحق ، ج 4 ، م 12 ، ربيع الثاني 1355 هـ ـ جوليت 1936 م .

المؤتمر الجزائرى الإسلامى العام

يحقق مبادىء (الشهاب)

يجد القراء على وجه كـل جزء من أجزاء (الشهاب) مبدأه فى الإصلاح السياسى هكذا : (الحق والعدل والمؤاخاة ، فى إعطاء جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات)،ونحن نعنى بذلك أن الأمة الجزائرية قد قامت لفرنسا بكل ما طلبته منها من نفس ونفيس ، فمن الحق الواجب على فرنسا ومن العدل الذى لا يقوم (1) أمة إلا بـه ، ومن مقتضى المؤاخاة الحقيقية التى لا تكون إلا عندما يشعر الإنسان بأنه غير مغموط الحق،ولا مهضوم الجانب من صاحبه ــ أن تعطى فرنسا للجزائريين جميع حقوقهم دون أى تنقيص لهـم عن غيرهم . ولا أدنى تمييز له عنهم ، وليس لها أن تطالبهم بالانخلاع عن أقل شىء من مميزاتهم فى قوميتهم ودينهم ولغتهم،فقد قاموا بما فرضته عليهم من الواجبات وهم على قوميتهم ودينهم ولغتهم،فلتعطهم جميع الحقوق وهم على قوميتهم ودينهم ولغتهم . وعلى هذا المبدأ كنا نقاوم بروجي الرجل العظيم الذى لا ننسى فضله م.فيوليت لما فيه من عدم التسوية في الحقوق،لا بين الجزائريين والفرنسيين،ولا بين طبقات الجزائريين أنفسهم،وما فيـه مـن تهيئة الطبقـة المثقفة للاندماج مـع السكوت التام عـن الدين واللغة ، قاومناه أيام كان النـاس كلهـم متمسكين بـه إلا مـن عارضوه لأغراض معلـومة

(1) كذا فى الاصل والصواب : تقوم .

وبإيمازات خاصة ، ولم نبال في معارضته ـ لما كان مخالفا لمبدئنا من المساواة في الحقوق والمحافظة على المقومات الذاتية بكل الذين كانوا يعترضون علينا،وقد يجاوزون الاعتراض إلى حد آخر ، نعم، ثبتنا على تلك المقاومة،لأننا نعرف أننا بمبدئنا نعبر عن عقيدة جمهور الأمة،ونعرب عن إحساسها ، وجاء المؤتمر،وطلبت مني لجنة قسنطينة أن أضع لها ما أراه من المطالب ، فوضعت المطالب المنشورة في المقال المتقدم،ومن تلك المطالب « المساواة في الحقوق السياسية مع المحافظة التامة على جميع الذاتية »،وهذا هو الذي أقره المؤتمر بالإجماع،ووجهته رئاسة المؤتمر إلى الحكومة،ونشرته الصحف في صدر قرارات المؤتمر ، وسقطت به جميع البروجيات ، فحققت الأمة بهذا من مؤتمرها العام المبدأ الذي دعا إليه الشهاب،لأنه يدرك حقا نفسيتها،وينطق صدقا بلسانها ، فنحمد الله الذي وفق الأمة إلى ما فيه خيرها وشرفها،ونسأله تعالى أن يحيينا ويميتنا في خدمتها، محافظين على قوميتها ودينها ولغتها ، ساعين بها ومعها في ترقية العمران وسعادة الإنسان (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 4 ، م 12 ، غرة ربيع الثاني 1355 هـ ـ جويلية 1936 م .

كلمــة قــالها ابن باديس

تلخيص مندوب جريدة الامة الغراء

بمناسبة اجتماع الوفد الجزائرى بالشعب

قال الشيخ الرئيس :

أيها الجزائرى التاريخى القديم ، المسلم الصميم ، كلمته مــن كلمة الله ، وإرادته من إرادة الله ، وقوته من قوة الله ، أولست منذ شهر كونت مؤتمرا كما ينبغى أن يكون جلالا وروعة ، فذلك مجــلى إرادتك،ومظهر قوتك ، وكونت هذا الوفد الكريم فحملته مطالبك فاضطلع بها،وأدى الأمانة فى ثمانية أيام ، وهى لا تؤدى إلا فى أضعاف ذلك من الأيام ، وفــد،لعمر اللــه،مثلك فى قوتك وإرادتك وحياتــك وكرمك ، وفــد متحــد متعــاون متساند،زار الوزارات والأحزاب وأرباب الصحف فعرفك إليها،ورفــع إليهــا صوتك . ولقد كدت تكون،أيها الشعب،مجهولا عندهم تمام الجهل ، لكن بأعمالك العظيمة،وبما قام بــه الوفد،صرت معلوما لدى مــن يعرف الحق،ويحترم الكريم،وينصف المظلوم .

أيها الشعب،إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعشق للحرية وهائم بها ، تلك الحرية التى ما فارقت قلوبنا منذ ركنا نحن الحاملين للوائها ، وسنعرف فى المستقبل كيف نعمل لها، وكيف نحيا ونموت لأجلها .

إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا . وفتحنا قلوبنا ، فـإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد ، وإن ضيعت فرنسا فرصتها هذه فاننا نقبض أيدينا، ونغلق قلوبنا،فلا نفتحها إلى الأبد.

أيها الشعب،لقد عملت وأنـت في أول عملك فاعمل ودم عـلى العمل،وحافظ على النظام ، واعلم أن عملك هذا على جلالته ما هو إلا خطوة ووثبة ووراءه خطوات ووثبات . وبعدها إما الحياة.وإما الممات (1) . اهـ

(1) ش : ج 6 ، م 12 ، غرة جمادى الثانية 1355 هـ - سبتمبر 1936 م .

ليست الزردة وحـدها

ولكن وراء الاكمة ما وراءها ...

تمهيـد :

حقـا إن الزردة التى أقامها الدكتور بقسنطينة وترأسها،ودعا إليها ، ونشر عنها المقالات الطويلة أيـامـا متـوالية في جريدة (لا ديبش) اليومية ، لمنكر طريف ، وحادث عجيب ، شغل الناس بما فيه مـن نكر،وما فيه مـن طرافة،حتى كاد ينسيهم كل ما أتى بـه الدكتور من أعمال ضارة،وما سلكه من سبل معوجة ، فلربما حسب قوم أن الزردة هى كل ما تنقمه الجمعية عليه ، ولربما استكثر قوم هذه النقمة على أمر حقير، إذ ليس بالخطير ، ولكن الحقيقة خلاف هذا الظن ووراء هذا الحسبان،وليس من النصح أن تبقى الحقيقة مكتومة عن الناس ، ففى بقائها مكتومة الحيرة والاضطراب والضلال ، وفى بيانها الهدوء والاطمئنان وإنارة السبيل للعاملين . وها نحن نبينها في الكلمات التالية مكشوفة دون أى تقبيح أو تحسين ، حتى يحكم القراء بأنفسهم حكما غير متأثرين فيه إلا بالحقيقة المجردة .

كيف كنا معا :

لقد كانت الجمعية مضطهدة من الحكومة ومعاكسة فى أعمالها من أول نشأتها،وكان مـا تنقمه الحكومـة عليها بعثها النهضة العلمية والدينية في الأمـة الجزائرية،بعد طول رقادها،ويـأس القانطين

(1) الزردة فى اللغة : الاكلة ، ثم صارت تطلق على الاكلة الجماعية .

والمقنطين من يقظتها . فلما جاءت الحركة السياسية وتقدم رجال أحرار للنيابة عن الأمـة ، وكان جميع المنتمين للجمعية ـ بطبيعة علمهم وبصرهم لا بوحي جمعيتهم ـ مع النواب الأحرار ، وفـاز النواب الأحرار فى أكثر الدوائر ، لمـا كان هذا كله زادت نقمـة الحكومة على الجمعية واعتقدت تأييد الجمعية للنواب الأحرار، ونسبت يقظة الأمة وحسن اختيارها وعدم امتثالها للإيعازات، وعدم خوفها من التهديدات ، إلى ما بثته فيها الجمعية من حياة . وأخذت من يوم ذاك هى والصحافة الفرنسية الباريسية والجزائرية تقرن النواب الأحرار والجمعية فى قرن، عندما تكيد أو تقذف أو تغرى أو تهاجم، مع تخصيص الجمعية بالقسط الأوفر من الأذى والتهويل والإثارة للفكر الفرنسى العام .

ومن العجيب أن الدكتور كان ، دون سائر النواب الأحرار ، ينفس على الجمعية هذا البلاء، ويحسدها على هذا العذاب ، ويكره أن تكون لها تلك السمعة فى الصحف ، وأن يكون للمنتمين إليها ذلك الأثر فى فوز النواب الأحرار ، وكان يظهر ذلك فى مجالسه وأمام من هم معه من الساسة ، ولكنهم لا يرون رأيه فى الجمعية . وكان كلام الدكتور يبلغنا ـ ولا محالة ـ وكنا لا نلقى له بالا حرصا على اتفاق الكلمة، وإبقاء على وحدة الأمة. وكنا ـ رجال الجمعية ـ لا يكون موقف عام إلا أيدناه ، ولا موطن يقتضى التقدم إلا قدمناه. حتى جاء المؤتمر الذى بذل كل جهده فى عرقلته وأبى الله إلا أن يتمه ، فقدمناه رئيسا عليه . ولما جاء تأسيس اللجنة التنفيذيـة للمؤتمر قدمه رئيس الجمعية لرئاستها فوقع الاتفاق على قوله . ولما رجع الوفد وقفل هو ورئيس الجمعية إلى قسنطينة وخرجـت البلدة كلها للقائهما فى يوم مشهود ، خطب رئيس الجمعية فى تلك الجموع وقال لهم : « ثقوا بالله ثم بأنفسكم ثم برئيس المؤتمر » وكنا ـ علم الله ـ إلى ذلك اليوم ، وبعد ذلك اليوم، عاقدى العزائم على العمل معه فى ظل المؤتمر إلى غاية ما نستطيع .

كيـف افترقنـا :

وقعت حادثة الاغتيال المشؤومة فاغتيل معها ـ والله ـ عقـل الرجل ، وقال وكتب ما سبق به كل أعداء الجمعية إلى توجيـه التهمة ـ تصريحا بالقول وتلويحا بالكتابة ـ إلى العلماء ورغـم ذلك أغضبنا وسكتنا . ووقعت حادثة الاعتقال الباغية فاهتبلهـا فرصة للإيقاع بالجمعية،فطار الرجل إلى باريس يحمـل معـه تصريحاته إلى جريدة (مارساي ماتان) لما نزل بمرسيليا ، تلك التصريحات التى لم يقل مثلها ـ مجتمعة ـ أحد من أعداء الجمعية والباغين لها الشر على كثرتهم فيها . ووقف على تلك التصريحات السيد طاهرات والسيد ابن الحاج العضوان فى الوفد ، وقد جاءا باريس مرة ثانية كما جئنا،فأظهرا استنكارهما لها،ودعـواه إلى تكذيبها،فوعد بتكذيبها . ووقفنا عليها ونحن بباريس فتريثنـا بقدر ما انزعجنا ، وانتظرنا التكذيب وانتظرنا ، ولكن مضـت الأيام والرجل لم يكذب،فطلبنا منه التكذيب على لسان جريـدة الجمعية،وانتظرنا ثم انتظرنا،وجاء الاجتماع العام للجمعية،وعرضت مسألة تصريحاته على الاجتماع فقرر بالإجماع ـ إلا الاستـاذ العقبى ـ القرار الذى نشر فى العدد 39 من « البصائر » مع تعليق تنفيذ القرار على مضى ثمانية أيام دون أن يكذب . وكاتبه أثـر تلك الجلسة الأستاذ العقبى بصفة خاصة يطلب منه كلمة تكذيب ينشرها فى البصائر وتنتهى بها المسألة،حسبما كان وعده،فلم يفعل، فنفذ قرار الاجتماع العام،واعتبر ضدا من أضداد الجمعية،ليكون لكلامه عنها عند الحكومة وعند الناس قيمة كلام الضد لا قيمـة كـلام الصديـق .

طعنة من الخلف فى أخطر الأوقات :

فى الوقت الذى أدخل فيه السجن الأستـاذ العقبـى،ونجمـت قرون الشر من كل جهة تنضنض بألسنة الباطل إلى الجمعيـة .

يصرح الدكتور ابن جلول تلك التصريحات التي نعـــرف نحــن وأمثالنا ممن تعودوا البهت الإداري أنه لا يحسن نسجها،ولا يتقن وضعها،ولا يحويها ذهنه . وإنما هي صنع معامل شيطانية تقدمها لمن يرضى لنفسه باستعمالها فيستعملها،فيكون عليـه غرمها،ولها هي غنمُهـا .

أخبرنا نائب عمالي ذو شخصية ، أن الدكتور عقد اجتماعـا لجمعية النواب قبيل الاعتقال،وأظهر من حنقه على الجمعية،وعزمه على البطش بها ما أفزع ذلك النائب وتركه ليالي مهتما بما سيكون من الدكتور ضد الجمعية . وسألنا غيره ممن حضر ذلك الاجتماع فحققه لنا . وأخبرني بعض الرفاق في الوفد من النواب لما قدمت باريس بعيد قدوم الدكتور أنه قدم ممتلئا غيظا على الجمعيـــة . وفي طريق قدمته تلك فعل فعلته في « مارساي ماتان » .

فالدكتور وجد من تلك التصريحات المحصلة لغرض غيره مـا يحصل غرض نفسه فطعن بها الجمعية في نكبتها،وأحرج أوقاتها طعنة حسبها هي القاضية عليها . فأنى له بعد هذا كله أن يكذب، وكيف ينتظر منه أن يكذب ؟؟ . ولو أن هذه الطعنة لم تكن لهـا هذه الملابسات من قيمة فاعلها المباشر ، ومدبرها المصاول ، ووقتها المتخير ، لما التفتنا إليها،ولما ألزمنا بتكذيبها مثل ما ألزمنا .

آلـة في يـد الظلـم :

لقد اتخذت لمحاربة هذه الجمعيـــة الآف ... فأسست لأجلهـا الجمعيات والصحف ، واستخدم نواب من ذلك الطراز المعلوم فدسوا الدسائس ، وخطبوا في المجالس ، وباء الجميع بالفشل والخسران المبين . ولقد قوومت هذه الجمعية بأنواع المقاومة،وسوومت للتحول عن خطتها أو التساهل فيها بوجوه المساومة حتى سوومت بنصرها وتأييدها وتقديم رجالها وإجابة مطالبها على أن تتخلى عن النواب

الأحرار وتنفض يدها منهم ، فكانت إزاء ذلك كله الجبل الأصم الذى لا يسمع،والطود الأشم الذى لا يتزعزع . وكان جواب رجالها على المساومة الأخيرة أن كونوا المؤتمر الإسلامى الجزائرى العام فأوقفوا الأمة كلها خلف النواب الأحرار ، ووضعوا على رأسه ابن جلول ، وأعلنوا ثقتهم بالحكومة الشعبية وأحزابها .

هال هذا الموقف الجدى وهذا المظهر الرائع من الأمة الإسلامية الجزائرية نواحي لا تعيش إلا على فقر هذه الأمة وجهلها وتفرقها، وعدته ذنبا جديداً من ذنوب الجمعية أتى على ما قبله،وأفزع بما بعده،فابتدأ من تلك النواحي موقفها الجديد وسلاحها الجديد ، وكان من آثار ذلك الموقف حادثة الاغتيال،والاعتقال،ورمي الشيخ الحبيباتني بالرصاص ، وكان من السلاح الجديد حضرة الدكتور الزعيم ... !

وافق شن طبقة :

فبينما تلك النواحى تحرق الأرم على الجمعية التى لم يكفها جمع الأمة على العلم والدين والتهذيب حتى عملت على جمعها على هذا المؤتمر العظيم ، وتسف للدنايا لتنسف الجمعية نسفا وتصم رجالها ــ كذبا وزورا ــ بكل إفك وشين ، إذا بها : تلك النواحى تسمع زمجرة الدكتور ووقيعته فى الجمعية وبغيه لها الكيد .

وبينما هو الآخر يتحرق من الغيظ على الجمعية التى عملت على تكوين مؤتمر يظهر فيه رجال،وتوزن فيه الأعمال ، ويسمع فيه الزعيم ما لم يعتد سماعه من انتقاد ، إذا به يشاهد أيديا من تلك النواحى تلوح له بالرضاء وما وراء الرضاء ، وتومىء إليه بالقضاء على أولئك العلماء المشوشين المتدخلين فى السياسية كل القضاء ، فأسرع إلى الأحضان،وأصبح الحبيب المقرب،والصديق الممدح ، الذى تفتح له الأبواب ، وتفسح له الرحاب ، ويدخل بلا استئذان ،

ويناديه متصرف « بريفى » قسنطينة من نافذة سيارته فى طريق سكيكدة « سالي دكتور ... » ويعطيه المالیون المعروفون قناطير الفارينة ورؤوس البقر ليقيم زردة لأموات وجه الأرض على أموات بطنها ، وإن كان الذين أوذوا واضطهدوا من جرائه أيام كان ـ وا أسفاه ـ ما زالوا من آثار ذلك في الذل والفقر يتخبطون.

كل هذا لحضرة الدكتور على أن يعمل على هدم الجمعية وهدم المؤتمر . وقد عمل لذلك بقوله وعمله وكتاباته ، وما زال يعمل ، ولكنه خائب إن شاء الله .

الأمة حكمت وأبرمت :

لم تزد الجمعية من يوم أيست من رجوعه عن طعنته لها ، على أن أعلنت أمره للأمة وخلت الحكم عليه لها ، ولقد شاء الله أن يكون حكم الأمة عليه سريعا فحكمت بإسقاطه من رئاسة مؤتمرها . ثم حاول منذ أيام بمكتوب نشره هو والسيد ابن الحاج أن يجمع لجان المؤتمر من العمالات الثلاث إلى سطيف لتعيد النظر فى أمر عزله،لأن عزله ـ زعم ـ لم يكن بالأكثرية ، فكان من تلك اللجان أن أمطرت للسيد ابن الحاج ببرقيات الاحتجاج على استبداده بالدعوة إلى سطيف،وظهوره بمظهر الموافق على ذلك الزعم . فما وسع السيد ابن الحاج إلا الرضوخ،وحاول أن يتدارك الأمر فأبرق إلى أعضاء تلك اللجان مساء الجمعة الماضية بتحويل الاجتماع إلى الجزائر، فأعرضت عنه اللجان،وأصبح يوم الأحد الماضى المعين للاجتماع ، وهو ينتظر الوافدين فى محل بإحدى المقاهى الافرنجية، فما وجد نفسه إلا فى سبعة شطرهم جاء للاعتراض،فكان هذا من الأمة الممثلة فى لجان مؤتمرها بالعمالات الثلاث ، إبراما لما كانت حكمت به من عزل الدكتور من رئاسة المؤتمر، وتلك عاقبة الظالمين،

وبعد : فهل أدرك الدكتور حقيقة أمره ، وشعر بغضب الأمة عليه فأخذ يتراجع عن غيه ، ويتدارك من خطئه ليعود إلى بعض مقامه عند قومه ؟ أم هو ما يزال جادا فى سيره حتى يصل من منحدره إلى النهاية .

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه　　يطيع العوالى ركبت كل لهذم[1]

[1] البصائر : السنة الاولى ، عدد 43 ، 28 شعبان 1355 هـ ـ 13 نوفمبر 1936 م .

الجنسية القومية والجنسية السياسية

تختلف الشعوب بمقوماتها ومميزاتها كما تختلف الأفـراد . ولا بقاء لشعب إلا ببقاء مقوماته ومميزاته كالشأن فى الأفراد . فالجنسية القومية هى مجموع تلك المقومات وتلك المميزات . وهذه المقومات والمميزات هى اللغة التى يعرب بها ويتأدب بآدابهـا ، والعقيدة التى يبنى حياته على أساسها ، والذكريات التاريخية التى يعيش عليها وينظر لمستقبله من خلالها،والشعور المشترك بينه وبين من يشاركه فى هذه المقومات والمميزات .

والجنسية السياسية أن يكون لشعب ما لشعب آخر من حقـوق مدنية واجتماعية وسياسية مثل ما كان عليه مثل ما على الآخر من واجبات اشتراكا فى القيام بها لظروف ومصالح ربطت ما بينهما .

ومن الممكن أن يدوم الاتحاد بين شعبين مختلفين فى الجنسيـة القومية إذا تناصفا وتخالصا فيما ارتبطا به من الجنسية السياسية التى قضت بها الظروف واقتضتها المصلحة المشتركة .

فإذا لم يرتبطا بالجنسية السياسية فلابد لهما ـ مهما طال الأمد ـ من أحد أمرين : إما أن يندمج أضعفهما فى أقواهما بانسلاخه من مقوماته ومميزاته فينعدم من الوجود . وإما ان يبقى الضعيـف محافظا على مقوماته ومميزاته فيؤول أمره ـ ولابد ـ إلى الانفصال.

وبعد فنحن الأمة الجزائرية لنا جميـــع المقومات والمميـزات لجنسيتنا القومية،وقد دلت تجارب الزمان والأحوال على أننا مـن

أشد الناس محافظة على هذه الجنسية القومية،وأننا ما زدنا على الزمان إلا قوة فيها،وتشبثا بأهدابها،وأنه من المستحيل إضعافنا فيها فضلا عن إدماجنا أو محونا . أما من الناحية السياسية فقد قضى قانون ـ 1865 ـ باعتبارنا فرنسيين،لكنه نفذ وينفذ تنفيذا جائرا،فيفرض علينا جميع الواجبات الفرنسية دون حقوقها،فكنا كما قال الشاعر :

وإذا تكون كريهة أُدعى لها وإذا يحاس الحيس يدعى جندب(1)

أو كما يقول مثلنا الدارج « وقت الدواء هاتوا بونافع ، وقت الشفا طيشوا الدرياس » ، صبرنا على هذا الحيف طويلا وعالجناه بما استطعنا مرات كثيرة من جهات عديدة،حتى جاء الوقت الذى نفد فيه الصبر،وأعيا العلاج،فقلنا البيت الثانى من قول الشاعر المتقدم:

هذا وجدكم الصغار بعينه لا أم لي إن دام ذاك ولا أب

فنهضت الأمة نهضتها بمؤتمرها الفخم الجليل،وقررت فيه بالاجماع « المحافظة التامة على المميزات الشخصية، والمطالبة بجميع الحقوق السياسية »،وأدرك أقطاب الواجهة الشعبية أحقية هذا المطلب،وأدركوا أن لا بقاء للأمة الجزائرية مرتبطة بفرنسا إلا إذا أعطيت حقوق الجنسية الفرنسية السياسية مع بقائها على جنسيتها القومية بجميع مميزاتها ومقوماتها،فتقدموا لمجلس الأمة الفرنسى بالقانون المعروف اليوم ببروجى بلوم ـ فيوليط،وتلقاه الذين يقدمون مصالحهم الفردية والاستعمارية على مصالح فرنسا الحقيقية بما هو معروف من معارضة بذية ظالمة منكرة،وتلقته الأمة الجزائرية التى ترضى بالارتباط بفرنسا فى حقوقها وواجباتها ـ وهى الجنسية السياسية ـ ما دامت محترمة فى جنسيتها القومية،وهى تلك المقومات والمميزات بشرط لابد منه : وهو أن يكون التساوى

(1) الحيس : طعام مركب من تمر وسمن وسويق .

تاما في جميع تلك الحقوق،دون تخصيص لحق دون حق،ولا تمييز لطبقـة عـن طبقـة .

ولهذا اعتبرت بروجي بلوم ـ فيوليط قليلا جدا بالنسبـة لحقوقها،وإنما تقبله اليوم كخطوة أولى فقط يجب بعد تنفيذها أن يقع الإسراع في بقية الخطوات إلى تحقيق التساوى التام العام الذى هو الشرط الطبيعى فى سنن الاجتماع في بقاء الارتباط بصفـاء وإخـلاص .

وإذا لم يكن فلا عتب على الزمان ، وما شاء الله كان .

إننا بكلامنا هذا نعرب عن فكر الأكثرية العظمى من الأمـة الإسلامية الجزائرية . ونعلن أن هنالك من لا يرضيهم هذا ومن لهم نظرات أخرى لها حظها من الاعتبار . وإننا نتحقق أن الموقف الذى يقفه البرلمان الفرنسوى يوم تعرض عليه المسألة هو الذى يوجـه الأمة الجزائرية إحدى الوجهتين،فالمستقبل بيده . والأمر لله من قَبْلُ ومِن بَعْدُ (1)

(1) ش : ج 12 ، م 12 ، غرة ذى الحجة 1355 هـ ـ فيفرى 1937 م .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أمام لجنة البحث البرلمانية

مساء الخميس 5 صفر الجارى 16 أفريـل قابلت لجنـة البحث البرلمانية بقصر الجمعيات بالعاصمة هيئة مـن جمعية العلمـاء المسلمين الجزائريين باسم الجمعية ، وكانت الهيئة متركبة مـن الشيخ : عبد الحميد بن باديس ، البشير الإبراهيمى ، مبارك الميلى ، العربى التبسى ، الأمين العمودى .

قدم الرئيس كراس المطالب للجنة،وتلاه عليها الشيخ العمودى وشرح لها بعض نقط فيه .

فصل الجزائر عن فرنسا :

بادرنا الرئيس بأن للجمعية خصوما كثيرين،وأنهم يقولون إن فى جريدة الجمعية دعوة إلى فصل الجزائر عن فرنسا . فأجبته بأن هذا الفصل لم يفكر فيه أحد من الجمعية فلا وجود له ــ قطعا ــ فى جريدة الجمعية .

نظرنا فى إصلاح الحالة :

سألنا عن نظرنا فى إصلاح الحالة،فأجبته بأننى أحقق لهم قبل كل شىء أمرين وهما :

1 ــ أن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسهم أو لغتهم

أو دينهم أو تاريخهم أو شيء من مقوماتهم،فهي محاولة فاشلة،مقضي عليها بالخيبة ، والواقع دل على هذا .

2 ـ وأن الحالة التعيسة التي بلغت إليها الأمة الجزائرية ـ وقد اطلعتم أنتم عليها أكثر من غيركم ـ لا يمكن أبدا أن يستمر صبر الأمة الجزائرية عليها أكثر مما صبرت .

فالواجب ـ إذا ـ هو إعطاء الأمة الجزائرية جميع الحقوق مع محافظتها على جميع مقوماتها .

هنا سألنا أحد أعضاء اللجنة من جماعة اليمين : إذا،فأنتم ترون أن فرنسا والجزائر شعبان اثنان ؟ فأجبته بأننا نراهما كذلك ، وهما في الواقع وبالطبع كذلك ، ولا يمنع هذا من تعاونهما كأخوين لا كسيِّد وعبد .

بروجي فيوليط والحالة الشخصية :

سألنا عن بروجي فيوليط،فأجبته بأن بروجي فيوليط ما حاز القبول الذي حازه إلا لما فيه من التصريح بالمحافظة على الحالة الشخصية ، مع أن ما فيه إنما هو نزر قليل جدا من الحقوق المطلوبة.

رأينا في إلزام الحكومة المسلمين برفض الأحكام الشرعية :

سألنا الرئيس عن رأينا لو أن فرنسا أصدرت أمرا بطرح المسلمين الأحكام الشرعية لتعطيهم الحقوق الفرنسية ، فإنهم فهموا من بعض الناس أن المسلمين يصبرون لذلك كما صبروا لقانون إلزامهم بالعسكرية . فأجبته بأن قياس أمر رفض الشريعة الإسلامية على أمر التجنيد الإلزامي غلط فاحش،وقياس مع الفارق، فإن المسلمين لما ألزموا بالجندية علموا أنهم مظلومون أفدح الظلم بتقديمهم للموت مع حرمانهم من حقوق الحياة ، ولكنهم صبروا على ذلك لأمرين : الأول أنهم يشعرون ببقاء ذاتيتهم ، والثاني

أنهم يعتقدون أنه يأتي يوم يدرك فيه رجال من فرنسا فداحة هذا الظلم فيزيلونه بإعطائهم حقوق الحياة التي يتمتع بها غيرهم . أما إذا ألزمت فرنسا المسلمين برفض شريعتهم والتخلي عن ذاتيتهم، فإنهم يشعرون بالضربة القاضية عليهم بالعدم التام . أنا أعتقد أنكم وأمثالكم تبحثون عن وجه في الإصلاح ينقل الجزائر من حالة اضطراب إلى حالة استقرار . وأنا أحقق لكم أنكم إذا ألزمتم الأمة الجزائرية المسلمة برفض شريعتها والتخلي عن ذاتيتها، فإنكم تكونون قد وضعتم أمرا يؤول بالجزائر إلى اضطراب أعظم لا تدرى عاقبته .

تجزئة الأحكام الشرعية :

سألنا ماذا تقولون لو صدر الأمر بمنع تعدد الزوجات خاصة ، فأجبته بأن الشريعة كل لا يجوز للمسلم تجزئته ، فتقبل كلها أو ترد كلها .

جبر البكر :

سألنا عن جبر البكر، فأجبته بأن هذه من الفروع الخلافية التي يسوغ للمسلمين أن يتوسموا فيها باتباع من شاءوا من أئمتهم .

مجلة (الشهاب) ومقاومة الاندماج :

جاء أحد الأعضاء بمقالات مترجمة من مجلة (الشهاب) فيها الإشادة بالعروبة والإسلام والمحافظة عليهما ، وعدم الاندماج في الأمة الفرنسية ، فسألنا الرئيس عما فيها ، فأجبته بأن مجلة (الشهاب) ليست مجلة الجمعية، وإنما هي مجلتي ، وأنا أجيبك عنها بصفتي الخاصة : أولا ـ أنا لا أثق بترجمة المترجمين في الإدارة لأنني جربت عليهم الخطأ والاقتصار على ما لا يفهم المراد

بل يفهم خلافه ، لأن الكلام يبين بعضه بعضا . وثانيا ـ أنا أقول لكم ـ كما أصرح دائما ـ : إننا عرب مائة فى المائة،ومسلمون مائة فى المائة،لا نتنازل عن شيء من ذلك ، ونحن مع فرنسا كأخ مع أخيه لا كسيد مع عبده . وأقر أعضاء هيئتنا ما قلته فكان رأي الجميع .

تقييد فى محله :

لما قلت إننا مع فرنسا قال الشيخ العمودى ما لم تنفرنا هى .

وعود نرجو ان تتحقق :

وختم المجلس بإعراب الرئيس عن اهتمام اللجنة بمعرفة الحقائق لتتوصل إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل ، وأن تعمل جهدها لتنال الجزائر رغائبها ، فأجبناه بالشكر له ولأعضاء اللجنة كلهم على ما بذلوا من جهد ، وأعربنا لهم عما للجزائر فيهم من ثقة،وما تعلقه عليهم من أمل . ثم ودعناهم راجين لهم رحلة سعيدة مثمرة يكون لها أثرها المحمود عند الجزائريين .(1)

(1)البصائر: السنة الثانية ، العدد 66 ، صفر 1356 هـ ـ 7 ماى 1937 م .

دعـــوة وبيـــان

إلى عموم الشعب المسلم الجزائرى الكريم

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعلم ما تجتازه الأمـــة اليوم في طريق نهضتها من وقت حرج ، ومصاعب جمة ، وما يحف بها من أخطار ، وما ينصب لها من عراقيل ، وما يتجاذبها مـــن عوامل التفريق من الخارج ومن الداخل ، وأن الجمعية التى بثت روح النهضة فى الأمة بما دعت إليه من الرجوع إلى الكتاب والسنة والمحافظة على الجنس واللغة ، والاعتزاز بالإسلام والعروبة،حتى عرفت الأمة نفسها ، ووجهت للحياة السعيدة رغبتها ، ووجـــد السبيل إلى مخاطبتها وتفهيمها من أراد ـ بحق أو بباطل ـ قيادتها. إن الجمعية التى بثت هذه النهضة هى حارستها فى جميع أطوارها، والمدافعة عنها بكل ما لديها ، والصابرة على البلاء من القريـــب والبعيد فى سبيلها .

ان أعداء الأمة الذين تمثلهم الجرائد الاستعمارية الكبرى هنا وهنالك ويصدع بأمرهم كراسى متنوعة ، ما فتئوا يوالون ضرباتهم، ويعيدون هجماتهم عـــلى الجمعية،لأنهـــم يـــرون فيها حياة الأمـــة، ويشاهدون فيها الســـد الحصين دون ما يرغبون من ذوبان الأمـــة وانحلالها لإفنائها وابتلائها وتنقصها من أطرافها ، فكل ما تجتازه الأمة اليوم وما تعانيه وما تلاقيه هو ما تجتازه الجمعية وما تعانيه وما تلاقيه على أبلغه وأشده ، لأن الجمعية هى الأمـــة ، والأمـــة هى الجمعية .

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ كالمسلمين الجزائريين ـ جبلت على النضال والمقاومة والصبر والمصابرة، وقد صبرت لغشم الحكومة وأذنابها،وكيد الاستعمار وجرائده ، ولن تزال ثم لن تزال.

ولقد ولدت الأيـام الجارية والظروف الحاضرة مقاومين جددا ينطحون صخرتها برؤوسهم الحـاسرة،وينحتون أثلتهـا بأظافرهم المتآكلة،ويضربون على نغمات من تقدمهم من أعداء الأمة والجمعية، ويخدمون عن علم أو عن غير علم ، مقاصد من يحاربون في الجمعية روح الإسلام والعروبة ، فهنالك في عمالة قسنطينة،وهنا بعمالة الجزائر،من يعملون لرفع أنفسهم بالحط من الجمعية،ويموهون على الأمة بما يقولونه عليها وعلى رجالها،فمرة يربطون الجمعية بحزب من الأحزاب الأجنبية ، والجمعية لا تنتمي لحزب ولا تعادي حزبا إلا من حارب الإسلام والعروبة فانها تكون عليه ـ كائنا من كان ـ بلاء وحربا ، ومرة يصمونها بالتدخل في السياسة،والجمعية ما تدخلت في سياسة الكراسي والنيابات والمكاتب والممرات .. وإنما وقفت الجمعية في مؤتمر الأمة تضع مطالب الدين واللغة وشروط المحافظة على الجنسية والشخصية . ومثلت ذلك كله بلسانها وهيئتها أصدق تمثيل .

يا هؤلاء !... إن الجمعية ليست عاجزة عـن مقاومتكم وإظهار خطئكم وكشف باطلكم ، ولكنها تعلم ما تحتاج إليه الأمة اليوم من اجتماع الكلمة وعدم الفرقة وتوحيد الصفوف ، فلهـذا تركتكم وتتركتكم،راجية لكم أن تدركوا حقيقة الموقف فتعملوا بما يقتضيه.

أيها الشعب الجزائري الكريم !...

قد بينت لك جمعيتك حقيقة الموقف وحرجه ، وكشفت لك شيئا مما تعانيه أنت وتعانيه هي من الأقرباء والبعداء،وهي تدعوك إلى التبصر والتثبت والاتحاد والتجمع والتنبه والتيقظ ، وتحثك على الاعتماد على الله وحده ، ثم على نفسك والصادقين من أبنائك ، وما

الصادقون إلا الذين يحافظون بأقـوالهم وأعمالهم ومواقفهم عـلى إسلامك،وعروبتك،وجميع مقوماتك ، يناضلون بالنفس والنفيس عن جميع حقوقك ، وهم فيك اليوم،إن شاء الله،كثيرون،وسيكونون أكثر،والله أكبر !.[1]

الجزائر 5 جمادى الثانية 1356 هـ

عن الجمعية الرئيس :

عبد الحميد بن باديس

[1] البصائر : السنة الثانية ، العدد 79 ، 12 جمادى الثانية 1356 هـ ـ 20 أوت 1937

نـــــــداء

الى رئيس المؤتمر الاسلامى الجزائرى
والى اللجنة التنفيذية

لقد علمتم ان الحكومة الفرنسية لم تجب أى مطلب من مطالب المؤتمر،رغم وعـد رئيس الوزارة يـوم زاره الوفدبتنجيز بعضها المستعجل،على رجاء أن تكون مطالب المؤتمر من أول ما ينظر فيه .

غير أنه قد حدث اليوم ما دل على أن مطالب المؤتمر غير ملتفت إليها ولا منظور فيها،وذلك بما قررته الحكومة مـن تكليف اللجنة البرلمانية التى يرأسها قرنيت ببحث جديد،لا ينتهى إلا بعد ثمانية عشر شهرا ...! وبعد ذلك تأتى الوفود للبحث والسؤال المدقق ..

فزيادة على ما فى هذا من التسويف والمماطلة،فإنـه دليل قطعى عـلى أن مطالب المؤتمر لا عبرة بها . وهـذا يوجب عـلى اللجنـة التنفيذية أن تجتمع لتقرر قرارها الصريح الحازم،وتقف موقفـا جديا إزاء هذا الحادث الجديد،ثم يكون من واجبها أن تدعو إلى عقد مؤتمر عام فوق العادة ليقرر قرارا إجماعيا مـن طلبات لا يخالف فيها أحـد،ويقرر قرارا اجتماعيا فى الموقف الـذى تقفه الأمـة الجزائرية إذا لم تجب إلى تلك المطالب فى أجل محدود .

وعليه فإنى (كمسلم جزائرى) أطلب من سيادة الرئيس أن يأمر اللجنة التنفيذية للمؤتمر بأن تجتمع فى الخامس عشر مـن أوت الجـارى .

هذا،وأنا الآن قد أديت أول واجب من واجباتي في الوقت الحاضر بهذا النداء . والله المستعان على إتمام الواجبات الأُخرى (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 13 ، غرة جمادى الثانية 1356 هـ ـ أوت 1937 م .

هل آن أوان اليأس من فرنسا ؟

إن الذين كانوا معنا يـوم قابلنا رئيس الوزارة م.بلـوم باسم المؤتمر في جوليت مـن السنة المـاضية ، يعلمـون تصريحه بأننا لا نرجع بأيدينا فارغة،وأنه سيشرع في الحين القريب في تحضير مطالبنا المستعجلة ، ويعلمون قول م.فيوليط وهو بجنبة : ستحضر قبل يوم الأحد ، ورجال ذلك الوفد يعلمون أنهـم رجعوا بأيديهم فارغة . ولـم يصدق لا الرئيس ولا الوزير . وقـراء (الشهاب) لا ينسون ما كتبه (الشهاب) عن هذا الإخلاف،وعن الوفد،في عـدد رجب وأكتوبر من السنة الماضية ، والذين حضروا المؤتمر الثاني هذه السنة يعلمون ما نبهتهم عليه من أن فرنسا لم تجب أي مطلب من مطالب المؤتمر ، والناس كلهم اليوم يعلمون ما نشرته الصحافة الفرنسية ــ رسميا ــ عـن لجنـة الثمانية عشر شهرا التي يرأسها م.قرنوت و م.ستيق،وأنها بعد الثمانية عشر شهرا توفد وفودا تسأل أسئلة مدققة ؟! .. فماذا فهم الناس من هذا كله ؟

أما الذين ينظرون إلينا من الخارج نظر الحاكم على الأمم بما يبدو من أعمالها وسيرها،فإنهم يقولون : إن فرنسا تعد وتخلف،لأنها رأت مصلحتها في الإخلاف ، ولا يرجى منها إقلاع عنه ما دامت تعتقد مصلحتها فيـه . والجزائر تنخـدع وتطمـع ، ويمكن أن يطـول انخداعها ويستمر طمعها،ويمكن أن ينجلي لها سراب الغرور فتقلع عن الانخداع،وتقطع حبل الطمع،وتنصل باليأس وما يثمره اليأس ويقتضيه .

وأما نحن ـ الجزائريين ـ فإننا نعلم من أنفسنا أننا أدركنا هذا الإخلاف العرقوبي،وأدركنا مغزاه،وأخذ اليأس بتلابيب كثير منا وهو يكاد يعم ، ولا نتردد في أنه قد آن أوانه ودقت ساعته ...

ماذا تريد فرنسا من مماطلتنا ؟

لقد أعلن شاعرنا القومي جواب هذا السؤال في قصيدته التي نشرناها في الجزء الماضي حيث قال :

ولعلّ من نظم السيا ... سة أن نغش وأن نغر

ولعل منها أن يبس ... لنا ونجذب للحفر

ولعل منها أن يبس ... لنا لنحلب كالبقر

ولعل منها ان نما ... طل كي يساورنا الضجر

كذب رأي السياسة وساء فألها ، كلا والله لا تسلمنا المماطلة إلى الضجر الذي يقعدنا عن العمل ، وإنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتضحية .

أيها الشعب الجزائري ! أيها الشعب المسلم ! أيها الشعب العربي الأبي ! حذار من الذين يمنونك ويخدعونك ، حذار من الذين ينومونك ويخدرونك ، حذار من الذين يأتونك بوحي من غير نفسك وضميرك ، ومن غير تاريخك وقوميتك ، ومن غير دينك وملتك وأبطال دينك وملتك .

استوح الإسلام،ثم استوح تاريخك،ثم استوح قلبك .

اعتمد على الله ثم على نفسك ، وسلام الله عليك .[1]

---

(1) ش : ج 6 ، م 13 ، غرة جمادى الثانية 1356 هـ ـ أوت 1937 م .

الوطــن والوطنيــة

الحق فوق كل أحد،والوطن قبل كل شيء

بهاتين الجملتين منذ نيف وعشر سنين تــوجنا جريدة (المنتقد) الشهيدة ، وجعلناهما شعارا لها تحمله في رأس كل عدد منها . هذا أيام كانت كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية لا يستطيع أحد أن ينطق بها ، وقليل جــدا من يشعر بمعناها وإن كان ذلك المعنى دفينا في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها ، لا سيما في أمة تنسب إلى العروبة وتدين بالإسلام مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد . أما اليوم وقد صارت كلمة الوطن والوطنية سهلة على كل لسان،وقد يقولها قــوم ولا يفقهون معناها ، وقــد يقولها آخرون بألسنتهم ولا يستطيعون أن ينتسبوا لها في المكتوب من رسمياتهم ، ويفزع منها من يتخيلون فيها ما يعرفون في وطنياتهم ، وينكرها آخرون زعما منهم أنها ضد إنسانيتهم وعمومياتهم ـ فكان حقــا لقراء (الشهاب) علينا أن نقول لهم كلمة مختصرة نبين بها حقيقة هذه الكلمة وأقسامها وأقسام الناس إزاءها ، ومن أي قسم نحن من تلك الأقسام .

من نواميس الخلقة حب الذات للمحافظة على البقاء،وفي البقاء عمارة الكون ، فكل ما تشعر النفس بالحاجة إليه في بقائها فهــو حبيب إليها ، فالإنسان من طفولته يحب بيته وأهل بيته لما يرى من حاجته إليهم واستمداد بقائه منهم، وما البيت إلا الوطن الصغير . فإذا تقدم شيئا في سنــه اتسع أفق حبه،وأخذت تتسع بقدر ذلــك

دائرة وطنـــه ، فإذا دخـــل ميدان الحياة وعرف الذين يماثلونه فى ماضيه وحاضره وما ينظر إليه نن مستقبله ، ووجد فيهم صورته بلسانه ووجدانه وأخلاقه ونوازعه ومنازعه ـ شعر نحوهم من الحب بمثل ما كان يشعر به لأهل بيته فى طفولته،ولما فيه ـ كما تقدم ـ من غريزة حب الذات وطلب البقاء ، وهؤلاء هم أهل وطنه الكبير ، ومحبته لهم فى العرف العام هى الوطنية .

فإذا غذي بالعلم الصحيح ، شعر بالحب لكل من يجد فيهم صورته الإنسانية،وكانت الأرض كلها وطنا له،وهذا هو وطنه الأكبر . هذا ترتيب طبيعى لا طفرة فيه ولا معدل عنه ، فلا يعرف ولا يحب الوطن الأكبر إلا من عرف واجب الوطن الكبير ، ولا يعـرف ولا يحب الوطن الكبير إلا مـن عرف وأحب الوطن الصغير . والناس إزاء هذه الحقيقة أربعة أقسام :

1 ـ قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة ، وهؤلاء هم الأنانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها مـن الحيوان ، وهـم فى الغالب لا يكون منهـم خير حتى لأقاربهم وأهل بيتهـــم .

2 ـ وقسم يعرفون وطنهم الكبير فيعملون فى سبيله كـل مـا يرون فيه خيره ونفعه ولو بإدخال الضرر والشر على الأوطـــان الأخرى،بل يعملون دائما على امتصاص دماء الأمـم،والتوسع فى الملك،لا تردهم إلا القوة . وهؤلاء شر وبلاء على غير أممهم بل وعلى أممهم،فهم مصيبة البشرية جمعاء .

3 ـ وقسم زعموا أنهم لا يعرفون إلا الوطن الأكبر،وأنكـروا وطنيات الأمم ـ كما أنكروا أديانها ـ وعدوها مفرقة بين البشر . وهؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة،وما عرفته البشرية منذ آلاف السنين، ودلائل الفشل على تجربتهم حيث أجروا تجربتهم لا تكاد تخفى .

4 ـ وقسم اعترف بهذه الوطنيات كلها ونزلها منازلها غير عادية ولا معدو عليها ، ورتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها ، كل واحدة منها مبينة على ما قبلها،ودعامة لما بعدها . وآمن ـ هذا القسم ـ بأن الإنسان يجد صورته وخيره وسعادته في بيته ووطنه الصغير،وكذلك يجدها في أمته ووطنه الكبير، ويجدها في الإنسانية كلها وطنه الأكبر . وهذا الرابع هو الوطنية الإسلامية العادلة . إذ هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكنوناتها،وعلى الأمة بجميع مقوماتها، وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها .

فهي تخاطب البشرية كلها في جميع أجناسها بقوله تعالى : « وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً » . وتخاطبها في جميع أديانها بقوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » . وتخاطب جميع الأمم والأوطان بقوله تعالى : « وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ » . وبقوله تعالى : « فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ » . وهذه هي وطنيتنا معشر المسلمين الجزائريين الأفارقة،ووطنية كل مسلم صادق في إسلامه ووطنيته .

وقد أعلناها يوم قلنا على رأس جريدة (المنتقد) :

(الحق فوق كل أحد،والوطن قبل كل شيء) وسرنا على مقتضاها إلى اليوم في كل ما قلنا وكتبنا،وسنبقى عليها ـ ككل مسلم جزائري ـ حتى نلقى الله إن شاء الله .

أَشعبَ الجزائر روحِي الفدا لما فيك من عزَّة عربية
بنيتَ على الدين أركانها فكانتْ سلاماً على البشرية (1)

---

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

اليـاس بعـد الرجـاء

أحدث المنشور الأول الذى أذاعه صاحب هـذه المجلة الأثـر الكبير الفعال فى النفوس ، ذلك لأنه صادف هوى فى قلوب الأمة، وعبر عن إحساسها وشعورها ، وترجم عـن عاطفتها التى طلقت الأمل فى عدالة فرنسا السريعة ، وركنت إلى جانب الياس من ذلك.

ولقد لبت اللجنة التنفيذية للمؤتمر ذلك النداء ، وقررت عقد اجتماعها يـوم 29 أوت 1937 م ، للنظر فى الحالة الجديدة التى هى وليدة جمود حكومة باريس عن مباشرة إصلاح أو قبول أى مطلب، ووليدة العبث الجديد الذى رفعنا عقيرتنا بالاحتجاج العنيف عنه ، ألا وهو تشكيل لجنة « فرنوت »،وجعل القضية الجزائرية وأبحاث لجنة « لافروزيلبار » من جملة أعمالها ، وتحدد مدة أشغالها بعام ونصف عام،ثم امتداد وطأة الحيف والجور على أهل القطر الجزائرى، واشتداد الأزمة بصفة خانقة .

ولقد كان صاحب هذه المجلة ــ ولا يزال ــ يرى أنه لا يحـق للأمة ان تستمر على السياسة القديمة،سياسة المطالبة والانتظار ، إذ قد ظهرت النوايا جلية واضحة ، وتحقق الناس أجمعون أن وعود هذه الحكومة كوعود الحكومة السالفة ، إنما هى من فصيلة الوعود التى أمطرت القطر الجزائرى منذ أيام الامبراطوريـة إلى الآن : وعود هى السراب بعينه .

ومن أجل ذلك ، ورغبة فى تنوير الأذهان،وتوجيه آراء اللجنة التنفيذية نحو السياسة الوحيدة التى نرى أنها ربما أحدثت الأثر

المطلوب بعد حين ـ حرر صاحب هذه المجلة ونشر فوق أغلب اعمدة الصحف الجزائرية والتونسية هذا النداء (1) !

نداء إلى الأمة الجزائرية ونوابها

أيتها الأمة الكريمة . أيها النواب الكرام !

اليوم وقد آيسنا من غيرنا،يجب أن نثق بأنفسنا .

اليوم وقد تجوهلت قيمتنا،يجب أن نعرف نحن قيمتنا .

اليوم وقد خرست الأفواه عن إجابة مطالبنا،يجب أن نقول نحن كلمتنا .

اليوم وقد اتحد ماضى الاستعمار وحاضره ، علينا ، يجب أن تتحد صفوفنا .

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

بمحضر الوفد كله فى وزارة الحربية من السنة الماضية ـ قال لنا دالاديه وزير الحربية ، رئيس الحزب الجمهورى الراديكالى والراديكالى سوسياليست : أقول لكل بكل صراحة « إنى أعارض كل المعارضة فى إعطائكم النيابة البرلمانية،ما دمتم على حالتكم الشخصية الإسلامية » . من ذلك الحين تحققت أن هذه النيابة البرلمانية ميئوس منها ، وقد أشرت إلى هذا فيما كتبته عن الوفد بعد رجوعنا،فى مجلة « الشهاب »،وها هى الأيام جاءت محققة ذلك اليأس . وها هى الجزائر اليوم تنشد بلسان حالها قول الشاعر العربى :

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

أَزْمَعْتُ يَأْساً مُبِيناً مِنْ نَوَالِكُمُ   وَلَنْ تَرَى طَارِداً لِلْحُرِّ كَالْيَأْسِ

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

حرام على عزتنا القومية وشرفنا الإسلامى أن نبقى نترامى على أبواب برلمان أمة ترى أو ترى أكثريتها ذلك كثيرا عليها ... ! ويسمعنا كثير منها فى شخصيتنا الإسلامية ما يمس كرامتنا،ويجرح أعز شىء لدينا. لندع الأمة الفرنسية ترى رأيها فى برلمانها،ولنتمسك ــ عن إيمان وأمل ــ بشخصيتنا،ولنطالب بالمساواة التامة فى جميع الحقوق فى وطننا،وأولها المساواة فى المجالس النيابية .

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

قرروا يوم 29 أوت وبعد قرار المؤتمر وجمعيات النواب عدم التعاون فى النيابة بجميع أنواعها . قرروا أن لا تعودوا بدون مساواة إليها . قرروا أنه يجب أن يكون كل مسلم جزائرى بلغ سن الانتخاب منتخبا،وأن يكون عدد نواب المسلمين الجزائريين فى كل مجلس مثل عدد الفرنسيين . كونوا جبهة متحدة لا تكون المفاهمة إلا معها على هذا الأصل .

أيتها الأمة الكريمة ، أيها النواب الكرام !

تناسوا الحزازات ، امحقوا الشخصيات ، برهنوا للعالم أنكم أمة تستحق الحياة ، برهنوا لفرنسا أنكم كما وقفتم معها فى الحرب صفا واحدا تدافعون عنها،تقفون فى السلم صفا واحدا تدافعون الأنانيين منها،الذين هم مثل أعدائها .

هذا وأنا كمسلم جزائرى قد أديت الواجب الثانى من واجباتى فى الوقت الحاضر،والله المستعان على القيام ببقيتها،وعليكم السلام ورحمة الله من أخيكم (1) .

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ــ سبتمبر 1937 م .

صدى منشورنا على الأمة والنواب
في صحف الاستعمار

دعى إلى تسليم النواب ووقع ذلك بالفعل فى كثير منهم فى عمالة قسنطينة ، ولم تهتز لذلك صحف الاستعمار ودوائره . فلما نشر صاحب هذه المجلة منشوره على الأمة ونوابها فى الدعوة إلى التسليم والاتحاد والوقوف الموقف الهائل المشرف ، قامت القيامة فى الدوائر ، وظهر ذلك فى جريدة « لابريس » التى تصدر بالعاصمة ، وجريدة « الريبوبليكان » التي تصدر بقسنطينة .

ولما كانت الثانية أصرح بالعداء من الأولى، خصصناها بالكتاب التالى :

قسنطينة فى 8 رجب 1356 هـ — 14 سبتمبر 1937 م .

جناب السيد محرر جريدة (الريبوبليكان) المحترم .

قرأت فى عدد 2 سبتمبر الجارى من جريدتكم منشورى على الأمة ونوابها ، فشكرت لكم نقله في جريدتكم ليطلع عليه قسم كبير من الرأي العام الفرنسى، خصوصا القسم الذى تمثله جريدتكم .

ولم يسؤنى ما علقتم به عليه من عبارات الحقد والتحريش ، لأن ذلك دليل حصول ما قصدته من تأثير الحق والصدق ممن لم يتعودوا سماعه من المسلمين الجزائريين أمثالكم .

ولا ألومكم على ذلك ما دمتم ترونه إخلاصا لأمتكم ووطنكم، كما كنت أنا مخلصا فى منشورى لأمتي ووطنى .

وإنما أريد أن أحقق لكم أن تحريشكم لا يخيف صغارا من من تلامذتنا ، فمن باب أحرى وأولى أن لا يكون له أدنى تأثير على كبارنا في السير على خطتنا إلى غايتنا .

ومما يؤسف له من أمثالكم أنكم لا تدركون تطورات الأمم وتقلبات الأيام ، وتفكرون فينا ـ في القرن ـ العشرين ـ بأفكار القرون الوسطى .

إن الزمان ـ يا زميلي ـ يسير ولا يقف ، وسنن الكون نافذة لا تتخلف،والويل لمن قعد أو تعامى .(1)

تقبلوا ـ سيدي ـ احترام زميلكم صاحب مجلة الشهاب .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

إجـــرام الاستعمـــار

سجــن واضطهــاد

نريد هنا قبل كل شيء أن نسجل ثقتنا في نزاهة وحرية القضاء الفرنسي،فما زالت حياة القضاة غير متأثرة بالمؤثرات الخارجيـــة ، وغير خادمة لركاب السياسية والأحزاب .

فإن كنا هنا نحتج بأقصى ما لدينا من قوة وشدة على المسلـــك الأهوج الذى تسلكه الإدارة مع رجال حزب الشعب الجزائـــرى ، وإلقائها القبض على زعيم الحزب السيد مصالى الحاج محمـــــد ، وعمدته السيد الشاعر الكبير مفدى زكرياء ، وأعوانهما فى العمل السادة بوغرافة،والأحول الحسين،ومسطول ، وهم إنما يعملـــون أعمالهم جهارا وفى وضح النهار ، فما ذلك انتقادا منا لسلـــوك العدالة التى ستقول كلمتها الفاصلة فى الموضوع قريبا ، إنما هو انتقاد مرير لسلوك السياسة التى أوجبت هذه الأعمال القاسيـــة الشديدة ، مندفعة وراء أغراض حزبية ، إنما هى دور من أدوار النزاع والنضال بين أحزاب اليمين وأحزاب اليسار . ولا ندرى ما المبرر لسجن مصالى ورجال حزبه بدعوى إعادة تشكيل هيـــأة منحلة إذا كانت الإدارة لم تسجن الكولونيل لاروك،وقد أعـــاد تشكيل صلبان النار فى هيئة « الحـــزب الاجتماعى » ، والحـــزب الاجتماعى أكثر شبها بهيئة صلبان النار من حزب الشعب الجزائرى بهيئة « نجم شمال افريقيا » . إن دلنا هذا العمـــل على شىء فهـــو إنما يدلنا على أن الحكومة عازمة على سياسة الشدة والإرهاق،واليوم

دور مصـــالى، وغـــدا دور آخرين، (لكنهـــا سياســـة ـ واللـــه ـ لن تنجح ولن تثمر ، فإذا لـــم تعمد الحكومة لسلوك سياسة امتلاك القلوب ، بإجابة الرغائب وقبـــول المطالب ، والمفاهمة مـــع رجال الأحزاب ومديرى حركات الشعب بالتى هى أحسن ، فإنها لن تسلك إلا السياسة التى تزيد الخرق اتساعا، فيصعب على أى راقع رتقه(1)

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

الاستعمار يحاول قطع الصلة بين الإخوان

لما مات الإمام المصلح ، العلامة الحافظ الوزير الكبير ، مولانا أبو شعيب الدكالي، فخر الأفارقة والمغرب الأقصى ـ كان من أقل حقوقه علينا أن قامت جماعة من إخواننا المغاربة بإقامة حفلة تأبين في أربعين وفاته ، ودعت صاحب هذه المجلة لحضور هذه الحفلة باسم رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، فلبى الدعوة، ووجه للحكومة طلب رخصة السفر، فسكت عنه مدة مع قرب أجل الحفلة ، فجدد الطلب ثانية، فجاءه الجواب بالمنع البات، لأن حكومة المغرب لا تأذن في دخوله للمملكة المغربية .

إزاء هذا ما وسعنا إلا التخلف والاعتذار لإخواننا المغاربة ، ثم الاحتجاج على هذه الحكومات الاستعمارية التي تحاول بمثل هذا العمل أن تقطع الصلة بين الذين ساقتهم الأقدار إلى يدها، وهي ـ في الحقيقة ـ ما تزيده بهذا إلا ارتباطا وشدة .

ليت شعري ماذا تخشى الحكومات الاستعمارية من أمثالنا ؟ أتخشى أن نقول ؟ إن أعمالها المشاهدة المتكررة أغنت ـ والله ـ عن كل قول ، حتى لم تدع لقائل ما يقول . (1)

(1) ش : ج 7 ، م 13 ، رجب 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

كلمـات صريحـة :

الشمـال الافـريقى
كيف يجب أن يعالج

يقلق بال السياسة الفرنسية اهتزاز الشمال الافريقى واضطرابه وتذمره واحتجاجه ، ويقلق بال السياسة ذلك من القطر الجزائرى على الخصوص .

لقد أدى هذا القلق السياسى إلى التفكير الجدى فى هذا الشمال وفى الجزائر « الفرنسية » ، كما يقولون ! وانتهى هذا التفكير إلى آراء فى الداء ـ حسب تسميتهم ـ وآراء فى العلاج وأخطأت كلها فى معرفة الداء على وضوحه،وفى معرفة العلاج على قربه .

فأما الداء ـ كما يسمون ـ فقال قوم : هو اليد الأجنبية ، وقال آخرون : هـو الشيوعية الافرنسية ، وقـال غيرهم : هـو الاتحاد الإسلامى والوحدة العربية . وماذا نقول نحن فى هذه الآراء ؟

نقول بكل صدق وصراحة تعرفهما الدوائر الحكومية منا ـ أولا : إن اليد الأجنبية التى يعنون هى يـد موسولينى وهيتلر ، وبعدما كانوا يعنون بها قبل التحالف الفرنسى الروسى يد موسكو . وأنا على يقين تام من أن الأوطان الافريقية الثلاث التى تهم فرانسا لم تتصل يوما بيد أجنبية،لا من موسكو،ولا من روما،ولا من برلين . وأعرف عن نفسى وعن رجال هذا الشمال الافريقى إخوانى ، أننا نأبى أن نكون آلة فى يد أى كان من الأمم التى تكيد لفرنسا إبـاء وترفعا يمليهما علينا عزة الإسلام وشمم العروبة .

وثانيا ـ إن الشيوعية الفرنسية ، وإن فسحت لهـــا الواجهة الشعبية المجال ، فإنها لم تستطع ولن تستطيع أن تتمكن من أوساط شعبنا،أو تحوز أكثر مما حازته من النزر اليسير جدا من أطرافه ، ما دام الشعب يعتقد أن مبادئها الأساسية لا يتفق كثير منها مـــع الإسلام . هذا رغم ما يبديه رجالها مما يستحقون عليه الشكر من العطف على ضعفنا،ومقاومة الظالمين لنـــا ، لكن الشكر والاعتراف بالجميل شيء والتأثر بالمبادىء والانقياد للحزب شيء آخر .

وثالثا ـ إن الاتحاد الإسلامى والوحدة العربية بالمعنى الروحى والمعنى الأدبى والمعنى الأخوى هما موجودان ، تـــزول الجبال ولا يزولان ، بل هما فى ازدياد دائم بقدر ما يشاهد الناس من عمل فى الغرب ضد العروبة والإسلام . وأما بالمعنى السياسى والمعنى العملى فلا وجود إلى اليوم لهما .

وأما العلاج فقد كادت كلمة القـــوم تتفق عـــلى أنـــه الضغط والإرهاق واستعمال القوة والشدة .

وماذا نقول نحن فى هذا العلاج ؟

نقـــول ـ بالصدق والصراحة اللذين تعرفهما منـــا الدوائر الحكومية ـ إنه علاج قد يسكن الشعب شيئا ما ، حينا ما ، ولكنـــه يزرع فى القلوب بغضا وحقدا،ويملأ الصدور ثورة وحماسا ، وما مآل ذلك ـ بطبيعة الامتلاء وطول الزمان ـ إلا الانفجار ، ولا يدرى إلا الله على من تكون عواقب ذلك الانفجار .

هذا ما يفكره الساسة فى الداء والعلاج وقد زيفناه .

أما نحن ـ ونحن أعرف بأنفسنا ـ فإننا نتيقن أن هذه الأمـــم الإسلامية العربية استيقظت من سباتها،وهبت للنهوض من كبوتها ، وشعرت لكرامتها ، وأخذت تذكر ماضيها أيام حريتها واستقلالها ، وهو غير بعيد فى الماضى عنها ، فانبعثت تعمل لفك قيودها،ونيـــل

حريتها وتبوء منزلتها اللائقة بها كسائر الأمم التى ليست هى ــ فى قوميتها وتاريخها ــ دونها . غير أنها تريد أن تكون مع فرنسا، وتكون فرنسا معها كأستاذ نصوح وتلميذ بار، يتبادلان الصداقة والاحترام،ويتعاونان فى الرخاء والشدة .

هذا ــ لعمر الله ــ هو حقيقة نفسية هذه الشعوب ، وهذا هو سبب ثورتها على الظلم وإبايتها من استمرار الحال على ما كان .

وما من علاج بعد هذا ــ والله ــ إلا تبديل السياسة العتيقة الرثة البالية بسياسة جديدة تعترف لهذه الشعوب بكيانها القومى ، وتفسح أمامها مجال العمل للتقدم والرقي ، وتنيلها أعظم قسط من التحرير ، وتشعرها بأنها تساندها لتبلغ رشدها ، فتكون بدورها يوم رشدها التام عضدا ــ وأي عضد ــ لها .

فهل يستطيع الساسة هذا العلاج ؟

نحن الجزائر :

فإذا أرادت فرنسا أن تحافظ عليها فلتحافظ على قلوبنا

يكتنف الجزائر اليوم ــ وأختيها كذلك ــ خطران عظيمان : موسولينى من شرقها وفرانكو من غربها . يحيط بها هذان الخطران، وتضطرب أمواج البحر الأبيض المتوسط بغواصاتهما ، وتدوى جوانب أجوائه بأزيز طياراتهما ، وتحتل قواتهما مراكز الحياة من أحشائه ، حتى أصبح الذى يريد أن يمتطى متنه فى باخرة ، أو يتبطن جوه فى طيارة ، يشعر بالخوف من مبارحته ساحل الجزائر إلى حلوله بساحل مرسيليا .

وقد صرح نواب فرانسوى الجزائر الراديكاليين فى المؤتمر الراديكالى المنعقد أخيرا، بأنهم ما قطعوا البحر الأبيض المتوسط

لحضور المؤتمر إلا تحت رحمة الغواصات والطيارات،وأنهم وجلون هلعون من مستقبل اتصال شمال افريقيا بفرنسا،وخائفون أشـد الخوف من انفصاله عنها .

وقد ابتدأ هذا الانفصال بانقطاع البريد الجوي بينهما .

هذا كله بعدما أنفقت فرنسا وانكلترا ـ سيدة البحار ! ـ على حماية طرق المواصلات ، وجمعتا مجلسا حربيا لذلك ، وباشرتا تلك الحماية بالفعل ، وخابتا فيها خيبة ظاهرة لا تخفى على أحد . فقد غرقت بعد تلك الحماية بزاخر،وانتقلت قرصنة المدنية الاوروبية من البحر إلى الجو،وجمعت على البشرية البلاء من السماء والأرض . وكان فى القرصنة الجوية الجديدة الجواب الخشن والتحذير الحازم من جبروت الفاشيزم إلى الدولتين الديمقراطيتين المتعاونتين .

حقيقة أن هذا شيء اضطربت له فرائص فرنسا عـلى اختلاف أحزابها،وحسبت له ألف حساب ، خصوصا وكل أحد يعلم أن الحرب آتية من دون ريب،وأن ميدانها هو البحر الأبيض المتوسط،وأن أول ما يعمله أعداء فرنسا هو فصل الشمال الافريقى عنها .

والذين يعرفون مقدار ما انتفعت به فرنسا من الشمال الافريقى فى الحرب الماضية ، يعلمون ما يلحقها من أضرار بانفصاله عنها فى الحرب الآتية .

كيف تقـاوم فرنسا محاولـة العـدو للفصل ؟ وكيف تستطيع المحافظة عـلى الجزائر ـ وعلى الشمال الافريقى ـ إذا تـم ذلك الفصل ؟

أمـا فرانسويو الاستعمار بالجزائر،والذين يستخدمون فرنسا لتفوقهم ودوام عتوهم وتسلطهم ، ولا تهمهم فرنسا بقدر ما تهمهم مصالحهم ، فهؤلاء قد شغلهم التفكير فى وسائل الضغط والشدة ضد

الجزائريين ـ وإخوانهم ـ عن كل تفكير آخر،رغم مشاهدتهم لهذا الخطر واضطرابهم له .

وأمـا الرجال المسؤولون فلا شك أنهم مهتمون الاهتمام كلـه بمقاومة ذلك الفصل وبالمحافظة على الجزائر ـ وأختيها ـ إذا وقع . غير أننا ـ والعجب ملء أنفسنا ـ لا نسمع فى الخارج إلا ما يوافق ـ فى الأكثر ـ نظرية أولئك الرجعيين الاستعماريين الذين أعمتهم مصالحهم الخاصة عن كـل شىء،حتى كأن السياسة الفرنسية كلهـا انصبغت بصبغتهم،وأصبحت تحت تأثيرهم !

فهم يذكرون لزوم المحافظة على الجزائر،ووسائل المحافظة عـلى الجزائر ، ولا يذكرون ـ أبـدا ـ المحافظة عـلى الجزائر ووسائل المحافظة على الجزائريين،بل لا يفتئون يذكرون الشدة على الجزائريين، ووسائل الشدة على الجزائريين .

أين أنتم أيها السادة ؟

نحن الجزائر ، وما الجزائر إلا الجزائريون ، فإذا كنتم تريدون المحافظة على الجزائر فحافظوا على قلوبنا .

تاللـه إذا ضيعتم قلوبنا فقـد ضيعتم الجزائر ولا محالة ، ولا ينفعكم فى ذلك اليوم العصيب شىء مما تقدرون اليوم .

ما يزال فى الوقت متسع لتدارك الحـال،وجبر القلوب،والعمل لمصلحة فرنسا العليا،إن كنتم حقيقة لها تعملون (1) .

---

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م .

كلمـــة مـــرة

لانها صريح الحق ولباب الواقع

إن تربيتنا العلمية الدراسية المبنية عـلى بيان الحقيقة وإجلائها على ما هى عليه،صيرتنا لا نستطيع شيئا من المواربة والتلبيس .

نعرف كثيرا من أبنائنا الذين تعلموا فى غير أحضاننا ينكرون ــ وربما عن غير سوء قصد ــ تاريخنا ومقوماتنا،ويودون لو خلعنا ذلك كلــه واندمجنا فى غيرنا . وكنا نــرد عليهم بالقول فى كــل مناسبة تبدو منهم فيه مثل هذه البوادر السامة الخاطئة . ووقع مرة أن كتب بعضهم ــ وهو ممن له قيمة معتبرة عندنا ــ ما هو صريح أو كالصريح فى ذلك الضلال المهلك ، فرأينا من الواجب علينا أن نــرد عليه بكلمة صريحة،نعرب بهــا فى يقيننا عــن الحقيقة التى يعتقدها الشعب الجزائرى ــ إلا الشاذ ــ فى صميم نفسه،فقلنا فى كلمتنا تلك : الأمــة الجزائرية أمــة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا . ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولهــا وحدتها الدينية واللغوية،ولهــا ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح ، شأن كل أمم الدنيا .

ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هى فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت . بل هى أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد فى لغتها وفى أخلاقها وفى عنصرها وفى دينها ، لا تريد أن تندمج . ولها وطن محدود معين هو الوطن

الجزائرى بحدوده الحالية المعروفة،والذى يشرف على إدارته العليا السيد الوالى العام المعين من قبل الدولة الفرنسوية .

فجلينا بكلمتنا هذه الحقيقة مكشوفة فى وضح النهار ، وقطعنا الطريق على كل متقول بالباطل،وأرحنا كل باحث ومتردد من بحثه وتردده .

وإلى ذلك،فإننا لم نكن خياليين ننكر الواقع ونكابر فى المحسوس، فقد ختمنا كلمتنا بإشراف الوالى العام،وتعيينه من الدولة الفرنسوية .

حقا لقد أثرت كلمتنا الصريحة أثرها،وبلغت حيث أردنا أن تبلغ، فمن يوم قلناها إلى اليوم ما زال يتردد صداها فى الصحافة الفرنسية، وفى المجالس،وفى المؤتمرات ، ومن أظهر مظاهر ذلك قيام م. فرسينانق بها فى مجلس الشيوخ فى السنة الماضية ، وإعادتها فى المؤتمر الراديكالى المنعقد أخيرا . كل ذلك يحاولون به الاحتجاج بها ــ وهم يعلمون أنها عبرت حقا عن حقيقة الأمة الجزائرية وعقليتها ــ على منع الأمة الجزائرية من نيل حقوقها .

لقد أخطأتم خطأ بعيدا أيها السادة !

إن الأمة الجزائرية تطالب فرنسا بحقوقها لما دفعته من ثمن من دم أبنائها،ولمواقفها الصادقة مع فرنسا فى أيام شدتها،ولما هى قائمة به لفرنسا من كل ما حمل عليها . وهذا حق لا يستطيع أن ينكره أحد يحترم نفسه ويقدر عواقب التاريخ قدرها .

فأما أن تبذل الأمة الجزائرية فى نيل تلك الحقوق شيئا من كيانها، فهذا ما لا يخطر ببالها،ولا يستطيع أحد ممن يتولى شيئا من أمورها من أبنائها أن يعرضه عليها،ولو حاول أحد ذلك لنبذته نبذ النواة والحذاء المرقع كما نبذت من نبذت .

ونحن بهذا نتحدى كل من يكون على خلاف رأينا .

فهل من أحد يستطيع أن يكذبنا ؟

نحن والواجهة الشعبية :

أدركنا من يوم تأسست الواجهة الشعبية الفرنسية أن روح السياسة الفرنسية نحو الشعوب المتصلة بفرنسا لابد أن تتبدل ــ الى العدل والتسامح ــ شيئا ما . وعلمنا أن المبادىء التى انبنت عليها تلك الواجهة أكثر إنسانية ، فكنا أول من أعلن ثقته بها، ولزوم انتظار شىء منها ، وقلنا يوم ذلك : إن فرنسا ــ بإجماع العالم ــ فى وضعية جديدة،فلننظر إليها نظرة جديدة . وشاهدنا بالفعل طغاة الاستعمار عندنا بالجزائر يناوئون تلك الواجهة ويناصبونها العداء ، فازددنا يقينا بما اعتقدنا . ولا يشك من له أدنى مسحة من عقل أن أولئك الطغاة ما أبغضوها ذلك البغض ولا عادوها ذلك العداء إلا لما اعتقدوه فيها من شىء من تخفيف وطأة الظلم والإرهاق عن المستضعفين ، وشىء من كف يد العتاة الظالمين .

ونحن نعترف أن الواجهة الشعبية سارت شطرا من ماضى أيامها بالروح التى تأسست غليها وتنفس الخناق عن المستضعفين شيئا ما وانتعشت الآمال فى المستقبل بعض الانتعاش .

ولكن ما لبث الطغيان الاستعمارى والجبروت المالى الاستغلالى أن أخذ يتقلب ، وأخذت حكومة الواجهة تبعا لذلك تتقلب ، حتى انتهت إلى ما انتهت إليه الحكومات قبلها . وحوادث اليوم بالمغرب والجزائر أكبر شاهد .

وقد اعترف رجال هذه الواجهة فى صحفهم بحقيقة الانقلاب فى حكومتهم،والغلب الواقعة عليهم . ففى عدد أخير من جريدة

« البو بيلير » لسان الحزب الاشتراكى الافرنسى مقال عن المغرب بقلم مادلين بار قال فيه :

« إنه يمكننا الإفصاح بكلمات وجيزة ، ذلك أن كامل الساسة الفرنسوية قد توجهت لحد الآن للاهتمام بحالة المعمرين ، وصرفت أموالا باهظة بصورة تنم عن تكوين جنة ـ وهذا هو النعت المناسب للمقام ـ لفائدة ثلاثة آلاف من الرجال . أى المعمرين خاصة لا يحسنون من الفلاحة إلا وسيلة واحدة وهى الاستثمار ، ولا غاية لهم إلا تربية الثروة . هذا ما كان ، وأما ما يجب القيام به فهو المبادرة بصدق إلى توجيه السياسة الفرنسية نحو سواد الأهالى » .

نحن نعرف المبادىء قبل كل شيء ، ورأينا فى مبادىء الواجهة الشعبية هو رأينا ، ولكن رجال تلك المبادىء الحقيقيين ـ رغم ما كان عندهم فى أيامهم الأولى من قوة ـ كانوا ضعفاء ، كانوا صغارا فى السياسة أو ـ على الأقل ـ كانوا جددا فى كراسى الحكومة .

فهاهم اليوم ، الحكومة حكومتهم ، ولكن روحها غير روح مبادئهم، اسمها لهم ومسماها فى يد غيرهم،ولم يبق لهم إلا النصح والقول تقدمه ـ باحتراس كثير ـ صحفهم أو بعض صحفهم !

فإزاء هذا،رأينا أن الواجب علينا أن نعلن لشعبنا أن « لا نعتمد إلا على أنفسنا ونتكل على الله » .

ثم نحن من بعد ذلك سنحتفظ للمحسن بإحسانه ، وللمسىء بإساءته .

«و» الخير أبقى وإن طال الزمان به
والشر أخبث ما أوعيت من زاد

وَسَيَعْلَمُ الذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ (1) .

---

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م .

على هامش (السانطونير)

منشور المقاطعة

نداء إلى سكان قسنطينة المسلمين

إخوانى القسنطينيين !

فى مثل هذه الأيام،منذ قرن،مات أجدادكم المجاهدون المدافعون، والفرنسيون المهاجمون فى ميدان البطولة والشرف ، وطويت صفحة من التاريخ على شهادته بالشجاعة والتضحية للغالب والمغلوب.

ومضت مائة سنة كانت كافية لنسيان تلك المأساة ، وضمد تلك الجروح،وتقريب السكان المتجاورين بعضهم من بعض .

لكن قوما من الأنانيين الذين يأبون إلا أن يكونوا سادة متفوقين، وإلا أن يشعروا المسلمين بسلطة الغالبين على المغلوبين ، هؤلاء القوم ـ وليسوا كل الفرنسيين ـ أرادوا فى هذه الأيام أن يقيموا احتفالات عسكرية بدخلة قسنطينة ، تثير العواطف ، وتمس كرامة الأحياء منا والأموات،وتنافى مبادىء الأخوة والرحمة التى ندعو إليها .

يحتفلون احتفالاتهم ومطالب الشعب الجزائرى بعرقلتهم معطلة، وحقوقه بسعيهم مهملة،وسوط القوانين الاستثنائية نازل بيدهم على ظهره فى كل يوم .

لهذا،فقد اجتمعت 14 جمعية إسلامية من جمعيات قسنطينة يوم السبت 18 سبتمبر الماضى فى نادى الاتحاد،وكانت كلهـا مستنكرة لهذه الاحتفالات عازمة على مقاطعتها،فقررت ـ بالإجماع ـ ما يلى :

نحـن ـ الممثلين لجمعياتنا ـ نـرى احتراما لأنفسنا،واحتراما لأجدادنا،واحتراما للإنسانية :

أولا : أن لا نشارك فى هذه الاحتفالات ولا نحضرها .

ثانيا : أن نكون فى هدوء تام عام .

إخوانى القسنطينيين !

قـد فعـل المؤتمر الإسلامى الجزائرى واجبه فاحتج عـلى هذه الاحتفالات فى اجتماعه العام الأخير،وقدم مكتبه ذلك الاحتجاج إلى الوألى العام،وقدمه مكتب لجنة القسنطينية إلى مير قسنطينة ، وفعلت الجمعيات الإسلامية القسنطينية واجبها بمـا قررتـه فى قرارها المتقدم . وأخوكم هـذا ـ كقسنطينى ـ فعـل واجبه بنشر هـذا المنشور عليكم ، فما بقى إلا أن تقوموا أنتم بواجبكم .

فقاطعوا هذه الاحتفالات ولا تشاركوا فيها .

كونوا فى هدوء وسلام .

والسلام عليكم من أخيكم عبد الحميد بن باديس . (1)

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م .

مسالمة عظيمة

بين رجلين عظيمين

أما المسألة العظيمة فهى الوحدة السياسة للأمة العربية من المحيط الهندى إلى المحيط الاطلنطيقى .

وأما العظيمان فهما الأمير شكيب أرسلان وسعادة سليمان باشا البارونى .

ولا تحسبن الكلام دار بينهما فى بيان حقيقتها وإمكان تحقيقها وأسباب تحقيقها مما يحتاج رجال النهضة العربية إلى دراسته، والعلم به،ليكونوا فى سيرهم على بصيرة فلا يتقهقروا،ولا يتهوروا. بل كان خطاب من شكيب فى شأنها،فكان رد من البارونى عليه بإعلان البراءة منه ، جزاء إعلانه البراءة من مسلمى المستعمرات، دعا أهل العلم إلى إبداء رأيهم فقال : « ولعل علماء الإسلام الغيورين على دينهم يبدون رأيهم فيمن يعلن البراءة من مسلمى المستعمرات المعذبين لإرضاء أعدائهم ومعذبيهم من المستعمرين، لينسد هذا الباب،فلا يدخل منه غيره بعد اليوم » . الرابطة العربية عدد 77 .

لم ينقل الباشا نص كلام الأمير ، ونصه كما نقلته « الجريدة » الدمشقية فى عددها الصادر فى 24 رجب الماضى : « أما طرابلس الغرب وتونس والجزائر ومراكش،فهذه بلاد عربية،وإن كان فيها بربر أكثر من العرب ، فإن ثقافة هؤلاء البربر،وهم على كل

الاحوال مسلمون ، فهذه الأمة هي منا ومعنا،كما أن قلوبنا متحدة بيننا وبينهم ، ولكن هناك أسباب جغرافية تمنع اتحادنا معهم اتحادا فعليا ، وهم ليسوا من برنامجنا،ولا تتكلم على الوحدة معهم لأننا نجعل لنا أعداء أقوياء ونحن في غنى عن ذلك الآن .

نحن نريد تحقيق وحدتنا العربية في آسيا ، ولكن وجود وحدة سياسية من إخواننا مسلمي شمالي افريقية (يعني : تكون منهم فيما بينهم) لا يمنع أن يكون بيننا وبينهم وحدة لغوية،ثقافية، دينية،اجتماعية،وأن تكون قلوبنا مرتبطة بقلوبهم في السراء والضراء » .

فأين هي براءة الأمير من مسلمي المستعمرات التي زعمها الباشا؟

أم كيف يكون متبرئا من يقول « فهذه الأمم هي منا،ولنا،ومعنا، كما أن قلوبنا متحدة بيننا وبينهم » ويقول : « بيننا وبينهم وحدة لغوية ثقافية دينية اجتماعية و ... قلوبنا مرتبطة بقلوبهم في السراء والضراء » .

فما بقي إلا أنه لا يرى إدخالهم في برنامج الوحدة السياسية العربية بين الشعوب العربية غير المستعمرة،حتى لا يثير ثائرة الأعداء الأقوياء الذين لا حاجة بإثارة عداواتهم الآن،ويرى إلى هذا وجود وحدة سياسية من مسلمي شمالي افريقيا .

وهذه نظرية سياسية محضة قابلة للأخذ والرد،وكل وجوه المناقشة ، غير أنها لا تعد عند أحد براءة من مسلمي المستعمرات كما زعم الباشا .

وقد زار الأستاذ محمد تيسير ظبيان الكيلاني صاحب «الجزيرة» الأمير،وأخذ منه تصريحا برأيه في الوحدة العربية،نشره في العدد الصادر في ١ شعبان من «الجزيرة» وهو كلام ـ كما قال الأستاذ ـ واضح صريح لا يحتاج إلى تفسير أو توضيح . وهذا نصه :

« فيما يتعلق بالأمصار الواقعة فى شمالى افريقيا يرى أن يكتفى فى الوقت الحاضر بإيجاد صلات معنوية وروابط روحية بينها وبين هذه الأقطار (يعنى : غير المستعمرة) التى خطت خطوات موفقة فى سبيل الوحدة العربية،حتى أصبحت فكرة اتحادها وتضامنها ليست من الأمور الصعبة والمسائل الخيالية،كما كان يتوهم الكثيرون.

ولكن عطوفته يرى أن إثارة الوحدة السياسية بين هذه المجموعة الآسيوية والمجموعة الافريقية فى هذه الظروف العصيبة ، مما يثير علينا مشاكل جمة ومتاعب عديدة لا قبل لنا باحتمالها ودرئها،ونحن ما زلنا على عتبة الاستقلال والسلطان القومى » .

وهذا التصريح جلي فى أن الأمير لا يعارض إلا فى إثارة الوحدة السياسية فى هذه الظروف،لما يخشى من مشاكل ومتاعب، فأين هذه البراءة التى زعمها الباشا وهول بها ؟

نرى واجبا علينا،بعد ما نقلنا كلام الأمير واطلع عليه القراء ، أن ننقل من مقال الباشا المنشور بعدد « الرابطة العربية » المتقدم ما فيه رمى الأمير بالبراءة من مسلمى المستعمرات،ليرى القراء بأنفسهم مقدار مطابقته للواقع،ومسافة ما بينه وبين الحقيقة .

قال سعادة الباشا :

1 ـ « وأما شكيب فيعلن (بدون داع وبدون أن يسأله أحد عن رأيه فى الاتفاق مع المسلمين المصابين بالاستعمار) براءته من المسلمين كافة من المغرب الأقصى إلى نهاية الهند،ومن التركستان إلى البلقان إلا عرب الجزيرة ومصر (الغنية بذهبها الوهاج) » .

2 ـ « اذ دفع فيها (الخطبة) شكيب بإحدى يديه طرابلس برقة معلنا البراءة منها طلبا لرضاء ايطاليا ودوام ابتسامة موسولينى الذى يتفانى فى حبه (وهو لاهٍ عنه) لأدنى مناسبة » .

3 ـ « ويدفع شكيب باليد الأخرى تونس والجزائر ومراكش والسودان توددا لفرنسا المسيطرة على بلاده،معلنا بذلك براءته من الجميع » .

4 ـ « فما معنى براءة شكيب اليوم من مسلمي طرابلس برقة وافريقيا كلها (إلا مصر الغنية بالذهب)،وما هي النعمة التي ستزول عنهم،والنقمة التي ستحل بهم وتجعلهم يحزنون من إعلان هذه البراءة الجوفاء من طرف شكيب أرسلان . وعلى هذا القياس القول في رجال المغرب والمشرق كله،الذي أعلن شكيب براءته منهم إرضاء للمستعمرين » .

5 ـ « وأما افريقيا ففقيرة لا تستحق بعد أن نضب ضرعها الذي كان يدر على كثيرين من دعاة الإسلام لبنا خالصا إلا أن يقال لها اليوم بعدا وسحقا لك،فإن رضاء المستعمرين أنفع لنا من رضائك».

6 ـ « وأن يعاتبوه (السوريون) على تعليله براءته من مسلمي المستعمرات بأنه لا يتحمل عداوة المستعمرين في سبيل أولئك المسلمين،ناسيا أو متناسيا ما كان يتظاهر به من الانتصار للإسلام ومعتنقيه في كتاباته وخطبه القديمة،أيام كان المسلمون أعزة وكرماء » .

7 ـ « واضطر فيه (وقت كهذا) إلى إعلان البراءة من صديق قديم » .

8 ـ « أما وقد تظاهر اليوم بإعلان براءته من المسلمين المستعمرة بلادهم فلم يكن بد من الكلام ، إذ قد علل ذلك بأنه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها، ونسي الأخوة الإسلامية التي لا يغفل عن ذكرها » .

9 ـ « ومما يؤسف له أن يعلن شكيب أرسلان براءته على رؤوس الأشهاد في سوريا من المغرب كله تزلفا لفرنسا » .

10 ـ « ... الإهانة التى صوبها إلى اخوانهم رجال شمال افريقيا الأخ الأرسلانى طلبا لرضا ايطاليا وفرنسا » .

ماذا يقول القراء بعد وقوفهم على الكلامين ؟ أما نحن فقد قضينا ـ والله ـ عجبا من هذا البهت والتحامل اللذين لا مبرر لهما،ولقد وقفنا قبل أن نكتب لفظتى البهت والتحامل،وحاولنا أن نجد غيرهما يقوم مقامهما فلم نجد إلا إذا خالفنا الحقيقة،وسمينا الأشياء بغير أسمائها . ولكننا ـ مع هذا ـ نلتمس لسعادة الباشا العذر من مرضه الذى هو فى حالة نقه والحمد لله .

بقي فى كلمات سعادته ملاحظات ينبغى التعليق بها،وها هى مرتبة على حسب الأرقام :

1) نظن أن الذى دعا الأمير إلى ما قاله عن الوحدة السياسية أنه كان بصدد تقرير الوحدة العربية،فأراد أن يبين ما يريد من التفريق بين الوحدة السياسية وغيرها حسب نظريته ، وأما مصر فإنما أدخلها فى الوحدة السياسية،وهى افريقية،لأنها مستقلة إلى حد بعيد . وأما ذهبها الوهاج فنظن أنه لا يقدم ولا يؤخر،لو لم يكن ذلك القدر العظيم من الاستقلال .

2) نظن أن الأمير لو كان ممن تستبيه الابتسامات لاستبته ابتسامات انكلترا التى لا نشك أنها ابتسمت له كما ابتسمت لغيره ممن يعيشون فى مناطق نفوذها ... فأعرض عنها،فحرمت عليه حتى النزول فى مصر رغم دستورها واستقلالها .

3) وأما فرنسا فلو كان الأمير يتودد إليها لتودد إليها أيام كانت بلاده تحت نير انتدابها التام،وهو مقضى عليه بالإبعاد منها . وكيف يمكن أن يتودد إليها وهو يعلم أن جرائدها إلى يوم الناس هذا تصفه بالعدو،وتنسب إليه ـ زورا ـ كثيرا مما هو واقع فى مستعمراتها.ومن خطاب م. سارو أمام لجنة الجزائر والمستعمرات :

(شكيب أرسلان ذلك العدو القديم لفرنسا والـذى لا تـزول عداوته)،وكيف يتودد أدنى العقلاء إلى مـن يصارحه بالعداوة، وينسب إليه المناوءة التامة ، فكيف بمثل الأمير ؟

4) قضى الأمير شكيب أيام غربته فى سويسرا محاربا للاستعمار كله فى خطبه وكتبه ومقالاته الكثيرة جدا فى صحف الشرق والغرب بالعربية والفرنسية،وفى مجلته « لا ناسيون آراب » المشهـورة فى أنحاء المعمور،وهو فى ذلك كله يغضب المستعمرين ويكربهم ويحز فى حلاقمهم هذا وهو طريدهم،وبلده فى استعبادهم،فكيف صـار اليوم وقد شاب فوداه وتحررت ـ إلى حد ـ بلاده،ورجع كما رجع سائر المبعدين إليها يطلب رضا المستعمرين .؟ هذا نظن أنه غـير معقـول .

5) من هم هؤلاء الكثيرون من دعاة الإسلام الذين كانت افريقيا تدر عليهم لبنا خالصا ؟ أجمال الدين ؟ أم محمد عبده ؟ أم رشيد رضـا ؟ أم شكيب أرسلان ؟ فإن كان هـو شكيب،كما قـد يـزعم الباشا،فهو واحد فأين الكثير ! إن مثل هذه الكلمة الغالية المتجاوزة تدلنا على أن سعادة الباشا لم يكن يضبط ما يقول .

6) لقد كان شكيب منقطعا لنصرة المسلمين المستعبدين أينمـا كانوا،كما تشهد بذلك آثاره الـتى ذكرنا،والمسلمون المستعبدون أذلة لمستعبديهم،فقيرهم قعد به العجز،وغنيهم غل يديه البخل،وهم ـ إلا قليلا ـ قد فرطوا فى واجبهم نحو مشارعهم التى بين أيديهم وأمام أعينهم،فضلا عما هو بعيد عنهم،كمجلة شكيب الوحيدة فى بابها ! فمتى كان المسلمون الذين دافع عنهم شكيب طول أيام غربته أعزة كرماء ؟ حتى يزعم الباشا أن شكيبا دافع عنهم أيام عزهـم وكرمهم،يعنى وتبرأ منهم اليوم يوم ذلهم وفقرهم . كلا الأمريـن بالعكس،يا صاحب السعادة،فإن المسلمين كانوا أذلة واليوم تنسموا

شيئا من العز،وكانوا أشحة واليوم نشطت فيهم روح البذل . فما خدمهم شكيب ـ إذا أنصفنا ـ إلا أيام ذلهم وشحهم .

7) من المعلوم أن من الواجب فى المذهب الإباضى البراءة من المخالفين كما قال صاحب (النيل) فى باب فرزدين الله « ويصل لفرزه باسمه وصفته ومن ينسب إليه من أئمته وولايتهم، وبراءة من خالفهم وتخطئته » فلا عجب أن يتبرأ سعادة الباشا من الأمير كسائر المخالفين،وإنما نظن أن سعادته يقصد البراءة الخاصة التى توجب الهجران والمقاطعة لارتكاب جريرة ، ولكنها براءة فى غير محلها لأنه قد تبين أن الأمير لم يقل شيئا مما رماه به الباشا .

8) لم يقل شكيب أنه لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمى مستعمراتها،ولا ينسى الأخوة الإسلامية، بل قد صرح بالصلات المعنوية والروابط الروحية واتحاد القلوب وارتباطها فى السراء والضراء،والوحدة اللغوية والثقافية والدينية والاجتماعية،وأننا منهم ولهم ومعهم.أفبعد هذا كله يقال عنه ـ زورا ـ أنه : لا يتحمل عداوة دول الاستعمار لأجل صداقة مسلمي مستعمراتها ؟ هذا ـ والله ـ عظيم .

9) يصمم الباشا على أن الأمير يتزلف لفرنسا بهذه البراءة المزعومة ، ولماذا يتزلف لها ولا سلطان لها عليه،ولا طمع له فى سلطانها، ولم يتزلف لها وهى تذيقه علقم البعد عن الأهل والوطن، كيف يتزلف لها اليوم وهو فى أهله ووطنه بفضل أمته وحكومتها، لا بفضل فرنسا عليه .

10) ليس فيما نقلناه من كلام الأمير شىء تشم منه رائحة الإهانة، وكيف يكون من يصرح بتلك الروابط ويشير بالوحدة السياسية لعرب شمالى افريقيا مهينا لإخوانه . كلا ، وإنما هو خبير مجرب، وسياسى محنك،يفرق بين ما يمكن وما لا يمكن إلا بعد زمان .

ها نحن لبينا دعوة الباشا فأبدينا رأينا فى كلام الأمير وكلام سعادته،بعد نقلهما بنصهما.ولو وجدنا ـ علم الله ـ شيئا مما زعمه الباشا فى كلام الأمير لوقفنا معه الموقف الذى يوجبه الحق والشرف وأخوة الإسلام دون أدنى هوادة أو لين .

وقد اقتصرنا من كلام سعادة الباشا على ما يتعلق بالبـــراءة المزعومة دون بقية المقال،وإن كنا منكرين لكثير مما فيه ، لأننا لم نقف موقف المدافع عن الأمير، إذ له من قلمه ما يغنيه عن دفاع مثلنا .

غير أن هناك ملاحظة لابد من إبدائها،وهى أن روح المقال ـ فى نظرنا ـ روح هدم لماضى شكيب أرسلان برمته،وتصويره بصـــورة الرجل المادى الذى ما كان يحركه إلا حـــب المال . وعزيز علينـا ـ والله ـ مثل هذا النكران من رجل عظيم لرجل عظيم ، ومحزن لنا ـ والله ـ ومفتت لأكبادنا أن نسرع هذه السرعة فى هـــدم عظمائنا،سواء أكان الهادم البارونى لأخيــه شكيب أو العكس أو غيرهما وإننا لنعرف هذه الروح الهدامة فينا معشر الشرقيـين، ولكننا ما كنا نظنها تبلغ المستوى الذى رقيه البارونى ومثله .

فيا ليت قومنا يذكرون ـ دائما ـ قول أبى الحسن ابن الرومى :

لا تضع من عظيم قدرى وإن كنـ ـــت مشـــارا إليـــه بالتعظيـم

فالشريف العظيم ينقص قدرا بالتعدى على الشريف العظيـم

ولع الخمر بالعقول رمى الخمـ ـــر بتنجيسهـــا وبالتحريـــم

بل ليتهم يتأدبون بأدب الله فى قوله جل جلاله : « وَيُؤْتِ كُـلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ » فلا ينكرون الإحسان الكثير لأجل السوء القليل ، إن كان هذا السوء القليل .

هذا رأينا فيما بين الأمير والباشا.أما رأينا فى الوحدة السياسية وفى عروبة شمال افريقيا فسنبديه فى العدد الآتى إن شاء الله .

هذا وكأنني بـ : م. سارو وغيره يضمون كتابتي هـــذه إلى حججهم على ما يرمون به الأمير وما يرموننا به . ونحن ما أنكرنا يوما بيننا وبين عظماء أمتنا الإسلامية والعربية من روابط متينة وعلائق قوية،وإن لم تكن بيننا معرفة شخصية ولا كتابية .

ونحن نكلف بالعظمة وندافع بالحق ، ولو لم تكن منا ، فكيف بها إذا كانت منا ـ وقديما قال شاعرنا أبو عبادة البحتري :

وأراني من بعد اكلف بالاشـ ـراف طرا من كل سنخ وجنس (1)

(1) ش : ج 10 ، م 13 ، 9 شوال 1356 هـ ـ 12 ديسمبر 1937 م .

الوحـــدة العربيـــة

هـل بـين العـرب وحـدة سياسيـة

إذا قلنا العرب فإننا نعنى الأمة الممتدة من المحيط الهندوى شرقا إلى المحيط الاطلانطيقى غربا ، والتى فاتت سبعين مليونا عداً،تنطق بالعربية وتفكر بها،وتتغذى من تاريخها،وتحمل مقدارا عظيما من دمها،وقد صهرتها القرون فى بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة .

هذه الأمة العربية تربط بينها ــ زيادة على رابطة اللغة ــ رابطة الجنس ، ورابطة التاريخ ، ورابطة الألم ، ورابطة الأمل ، فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها ولا محالة . ولكن هل بينها وحدة سياسية ؟ هذا هو الموضوع الذى طرقه الأمير شكيب أرسلان وقال فيه كلمة السياسى العملى والخبير المحنك،فتعرض له سليمان باشا البارونى بمقال نقضناه عليه فى الجزء الماضى،وفضحنا ما فيه من خطأ وتحامل .

الوحدة السياسية لا تكون إلا بين شعوب تسوس نفسها،فتضع خطة واحدة تسير عليها فى علاقاتها مع غيرها من الأمم ، وتتعاقد على تنفيذها ، وتكون كلها فى تنفيذها والدفاع عنها يدا واحدة ، فهى مقتدرة على الدفاع عنها كما كانت حرة فى وضعها ، وأما الأمم المغلوبة على أمرها فهذه لا تستطيع أن تضع أمرا لنفسها،فكيف تستطيع أن تضعه لغيرها ، ولا تستطيع أن تدافع عن نفسها فكيف تستطيع ان تدافع عما تقرره مع غيرها ، وهى لم تستطع أن تعتمد

على نفسها فى داخليتها فكيف يعتمد عليها فى خارجيتها ؟ فالوحدة السياسية بين هذه الأمم غير ممكن ولا معقول ولا مقبول .

وإذا نظرنا إلى الأمة العربية على ضوء هذه الحقيقة،فإنا نجد منها شعوبا مستقلة استقلالا حقيقيا،فهذه تمكن بينها الوحدة السياسية وتجب . وقد وقعت فى هذه الأيام ـ والحمد لله ـ فعلا بين المملكة السعودية والعراق واليمن،ومن المنتظر انضمام مصر والشام إليهم يـوم يتم استقلالهما . ثـم نجد شعوبا أخرى وهى شعوب الشمال الافريقى المصابة بالاستعمار، فهذه لا وحدة سياسية بينها ولا بـين غيرها،ولا يتصور أن تكون . ومن الخير لها أن تعمل كل واحدة منها فى دائرة وضعيتها الخاصة على ما يناسبها من الخطط السياسية التى تستطيع تنفيذها بالطرق المعقولة الموصلة ، مـع الشعور التـام بالوحدة القومية والأدبية العامة،والمحافظة عليها،والمجاهرة بهـا ، ونحن نعلم أن الواقع اليوم فى شمالنا الافريقى العربى هـو هذا بعينه ، فنقول ـ بكل صدق وصراحة ـ إن كل شعب من شعوب هذا الشمال مستقل تمام الاستقلال بخططه فى سياسته ، لا نعرف هيئة منهم تتصل بهيئة،مـع عمل الجميـع عـلى تغذية الشعور بالوحدة القومية والأدبية العامة .

والأمير شكيب الذى تعده الدول المستعمرة ألد أعدائها،وتنسب اليه ـ ظلما وزورا ـ كل حركة تقع فى الأمم المصابة باستعمارها ، يصرح فى خطابه بعدم الوحدة السياسية بين شعوب العرب المغلوبة على أمرها وشعوبهم المستقلة ، لأنه ـ وهو أكبر مدافع عن العرب والإسلام فى الغرب والشرق ـ رجـل عملى ليس بخيالى ، وسياسى مجرب خبير،يعرف ما يقول،ويفرق بين العمل المثمر والقول الفارغ الذى يثـير الضجيج لينسب صاحبه إلى الغيرة والحماس ، وإن كان يثير الغبار ويكدر الجـو فى نواح أخرى . هـذا رأينا فى الوحدة

السياسية بين شعوب العرب . ونحن نعتقد أنــه هــو رأي جميع إخواننا العاملين فى هذا الشمال (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 13 ، غرة ذى القعدة 1356 هـ ـ جانفى 1938 م .

أصول الولاية فى الإسلام

من خطبة الصدِّيق رضي الله تعالى عنه

لما بويع لأبى بكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ بالخلافة رقى المنبر فخطب فى الناس خطبة اشتملت على أصول الولاية العامة فى الإسلام مما لم تحققه بعض الأمم إلا من عهد قريب على اضطراب منها فيه . وهذا نص الخطبة :

« أيها الناس،قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمونى على حق فأعينونى ، وإن رأيتمونى على باطل فسدِّدونى .

أطيعونى ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم .

ألاَ إِن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوي حتى آخذ الحق منه .

أقول قولى هذا واستغفر الله لي ولكم » .

الأصل الأول :

لا حـق لأحد فى ولاية أمـر من أمور الأمة إلا بتولية الأمـة ، فالأمة هى صاحبة الحق والسلطة فى الولاية والعزل،فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها،فلا يورث شىء من الولايات،ولا يستحق الاعتبار الشخصى . وهذا الأصل مأخوذ من قوله : « وُليتُ عليْكم » أى قـد ولاني غيرى وهو أنتم .

الأصل الثاني :

الذى يتولى أمرا من أمور الأمة هـو أكفؤها فيـه لا خيرها فى سلوكه. فإذا كان شخصان اشتركا في الخيرية والكفاءة وكان أحدهما أرجح فى الخيرية والآخر أرجح فى الكفاءة لذلك الأمر قدم الأرجح فى الكفاءة على الأرجح فى الخيريـة.ولا شك أن الكفـاءة تختلف باختلاف الأمور والمواطن،فقد يكون الشخص أكفأ فى أمـر وفى موطن لاتصافه بما يناسب ذلك الأمر ويفيد فى ذلك الموطن ، وإن لم يكن كذلك فى غيره فيستحق التقديم فيهُ دون سواه . وعلى هذا الأصل ولى النبى صلى الله عليه وآله وسلم عمرو بن العاص غزاة ذات السلاسل،وأمده بأبى بكر وعمر وأبى عبيدة بن الجراح،فكانوا تحت ولايته وكلهم خير منه . وعليه عقد لواء أسامة بن زيد عـلى جيش فيه أبو بكر وعمر . وهذا الأصل مأخوذ من قوله : « ولسْتُ بخيركم » .

الأصل الثالث :

لا يكون أحد بمجرد ولايته أمرا من أمور الأمة خيرا من الأمة ، وإنما تنال الخيرية بالسلوك والأعمال ، فأبو بكـر إذا كـان خيرهم فليس ذلك لمجرد ولايته عليهم، بـل ذلك لأعماله ومواقفه ، وهذا الأصل مأخوذ أيضا من قوله : ولسْتُ بخيركم ، حيث نفى الخير عند ثبوت الولاية .

الأصل الرابع :

حـق الأمة فى مراقبة أولى الأمر،لأنها مصدر سلطتهم،وصاحبة النظر فى ولايتهم وعزلهم .

الأصل الخامس :

حق الوالى على الأمة فيما تبذله لـه من عون إذا رأت استقامته

فيجب عليها أن تتضامن معه وتؤيده،إذ هي شريكة معه في المسؤولية. وهذا ــ كالذى قبله ــ مأخوذ من قولــه : « إذا رأيتمونى على حَــق فأعينونى » .

الأصل السادس :

حق الوالى على الأمة فى نصحه وإرشاده ودلالته على الحق إذا ضل عنه ، وتقويمه على الطريق إذا زاغ في سلوكه . وهذا مأخوذ من قوله : « وإذا رأيتمونى على باطلٍ فسدِّدونى » .

الأصل السابع :

حق الأمة فى مناقشة أولى الأمر ومحاسبتهم على أعمالهم،وحملهم على ما تراه هى لا ما يرونه هم ، فالكلمة الأخيرة لها لا لهم.وهذا كله من مقتضى تسديدهم وتقويمهم عندما تقتنع بأنهم على باطل،ولــم يستطيعوا أن يقنعوها أنهم علي حــق . وهذا مأخوذ ــ أيضا ــ من قوله : « وإن رأيتمونى على باطل فسددونى » .

الأصل الثامن :

على من تولى أمرا من أمور الأمة أن يبين لها الخطة التى يسير عليها، ليكونوا على بصيرة،ويكون سائرا فى تلك الخطة عن رضى الأمة . إذ ليس له أن يسير بهــم على ما يرضيه،وانما عليه أن يسير بهم فيما يرضيهم.وهذا مأخوذ من قوله : « أطيعونى ما أطعتُ اللّه فيكم » فخطته هى طاعة الله،وقد عرفوا ما هو طاعة الله فى الإسلام .

الأصل التاسع :

لا تحكم الأمة إلا بالقانون الذى رضيته لنفسها،وعرفت فيــه فائدتها،ومــا الولاة إلا منفذون لإرادتها،فهى تطيع القانون لأنــه قانونها،لا لأن سلطة أخرى لفرد أو لجماعة فرضته عليها،كائنا من كان ذلك الفرد،وكائنة من كانت تلك الجماعة،فتشعر بأنها حرة فى

تصرفاتها،وأنها تسير نفسها بنفسها،وأنها ليست ملكا لغيرها من الناس لا الأفراد ولا الجماعة ولا الأمم . ويشعر هذا الشعور كل فرد من أفرادها إذ هذه الحرية والسيادة حق طبيعي وشرعي لها ولكل فرد من أفرادها . وهذا الأصل مأخوذ من قوله : « أطيعوني ما أطعت الله فيكم،فإذا عصيتُه فلا طاعةَ لِي عليكم » . فهم لا يطيعونه هو لذاته،وانما يطيعون الله باتباع الشرع الذى وضعه لهم ورضوا به لأنفسهم،وانما هو مكلف منهم بتنفيذه عليه وعليهم،فلهذا إذا عصى وخالف لم تبق له طاعة عليهم .

الأصل العاشر :

الناس كلهم أمام القانون سواء،لا فرق بين قويهم وضعيفهم، فيطبق على القوي دون رهبة لقوته ، وعلى الضعيف دون رقة لضعفه.

الأصل الحادى عشر :

صون الحقوق؛حقوق الأفراد وحقوق الجماعات،فلا يضيع حق ضعيف لضعفه،ولا يذهب قوي بحق أحد لقوته عليه .

الأصل الثاني عشر :

حفظ التوازن بين طبقات الأمة عند صون الحقوق . فيؤخذ الحق من القوي دون أن يقسى عليه لقوته فيتعدى عليه حتى يضعف وينكسر ، ويعطى الضعيف حقه دون أن يدلل لضعفه فيطغى عليه وينقلب معتديا على غيره . وهذا الأصل واللذان قبله مأخوذة من قوله : « ألا إن أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه » .

الأصل الثالث عشر :

شعور الراعى والرعية بالمسؤولية المشتركة بينهما فى صلاح المجتمع ، وشعورهما ـ دائما ـ بالتقصير فى القيام بها ليستمرا على

العمل بجد واجتهاد ، فيتوجهان بطلب المغفرة من اللـه القريب عليهما وهذا مأخوذ مـن قوله : « أقول قولى هذا،واستغفر اللـه لى ولكم » .

هذا ما قاله ونفذه أول خليفة فى الإسلام منذ أربعة عشر قرنا ، فأين منه الأمم المتمدنة اليوم ؟ فهل كان أبو بكر ينطق بهذا مـن تفكيره الخاص وفيض نفسه الشخصى ؟ كلا ! بل كان يستمد ذلك من الإسلام،ويخاطب المسلمين يوم ذاك بما علموه،وما لا يخضعون إلا له، ولا ينقادون إلا بـه . وهل كانت هذه الأصول معروفة عند الأمم فضلا عن العمل بها ؟ كلا ! بل كانت الأمم غارقة فى ظلمات مـن الجهل والانحطاط،ترسف في قيود الذل والاستعباد تحت نـير الملك ونير الكهنوت،فما كانت هذه الأصول ـ والله إذن ـ من وضع البشر، وإنما كانت من أمر اللـه الحكيم الخبير . نسأله ـ جـل جلاله ـ أن يتداركنا ويتدارك البشرية كلها بالتوفيق للرجوع إلى هذه الأصول، التى لا نجاة من تعاسة العالم اليوم إلا بها (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 13 ، غرة ذى القعدة 1356 هـ ـ جانفى 1938 م .

تــوضيـــح

إننا نفرق جيدا بين الروح الإنسانية والروح الاستعمارية فى كل أمة،فنحن بقدر ما نكره هذه ونقاومها ، نوالى تلك ونؤيدها .

لأننا نتيقن كل اليقين أن كل بلاء العالم هو من هذه ، وكل خير يرجى للبشرية إنما يكون يوم تسود تلك .

فلتسقط الروح الاستعمارية ولتندحر .

ولترتفع الروح الإنسانية ولتنتشر (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 13 ، غرة ذى القعدة 1356 هـ ــ جانفى 1938 م .

الجزائـر المسلمـة
تبرهن في أحرج مواقفها
على تماسكها بشخصيتها : بإسلامها وعربيتها

كبـر على الرجعيين وأشباه الرجعيين بفرنسا أن يعطوا الحقوق الانتخابية البرلمانية لعدد لا يتجاوز خمسة وعشرين ألفا من الأمة الجزائرية ، ما داموا محافظين على شخصيتهم وقوميتهم ، كما يقتضيه « بروجي فيوليت » ، ورأوا أنهـم لا يمكن أن ينعموا على الأمـة الجزائرية بهذه النعمة ! إلا إذا رضيت بمحو شخصيتها والانسلاخ عن دينها . ثم منهم من صدر في رأيه هذا عن كيد للأمة الجزائرية لصدها عن نيل الحق الطفيف،لأنه يعلم أنها لا تتنازل عن شخصيتها فيجد المبرر لحرمانها ، وهذا هو الأكثر . ومنهم من صدر عن حسن قصد مغترا بكلمات طائشة من أفراد قالوها عن غضب أو قلة تبصر، فحسب أن الأمـة الجزائرية تخضع للأمـر الواقع إذا ألزمت بمحو شخصيتها والانسلاخ عن دينها،فأراد أن يحسن إليها،ويرغم عتـاة الاستعـمار خصومها . فأصبحت الجزائر من هذين القسمين بـين حرمانها من كل حـق لها ، وسلبها مـن أعـز عزيز عليها ، موقف ـ والله ـ من أحرج مواقفها .

لقد كانت عبارة « بروجي فيوليط » قبـل « المؤتمر الإسلامى الجزائرى » غير صريحة فى المحافظة على الشخصية الإسلامية ، وكان قسم عظيم من الأمة ذاهبا مـع تياره،رغم ذلك الإبهام،فلما انعقد المؤتمر فى 17 جوان 1936 ، كان عمل العلماء فيه المحافظة على تلك

الشخصية حتى أعلن المؤتمر بالإجماع لـزوم المحافظة عليها،فلما عرض م فيوليت بروجيه على وزارة الجبهة الشعبية الأولى التى كان وزيرا فيها ، حور بروجيه ـ نزولا ـ عند كلمة الأمة،فصرح فيـه بلزوم المحافظة على الشخصية الإسلامية .

فلما قامت سـوق الكلام عـلى هذا « البروجى » فى هذه المـدة الأخيرة،صرح بعض النواب الفرنسيين من الجزائر أن المحافظة على الشخصية الإسلامية إنمـا هـى وضـع العلماء،وتطرفت صحيفة استعمارية كبيرة فجعلته من تعصب ابن باديس . لكنه ما كادت الأمة تسمع بالمساومة على شخصيتها حتى قامت من جميع نواحى الوطن بالاعتراض والاستنكار . فنشر العلمـاء بيانا وتحذيرا للأمـة والحكومة فى جريدة «البصائر»،وأوفدت جمعيـة النواب لعمالـة قسنطينة وفـدا،وجمعية النواب لعمالة الجزائر وفـدا ، وجمعية النواب لعمالة وهران وفـدا ، والنواب الماليون والعماليون غـير الداخلين فى الجمعيات وفدا ، وذهبت تلك الوفود كلها إلى باريس ، ومعها وفد من رجال الواجهة الشعبية للمطالبة ببروجى فيوليت،مع المحافظة التامة على الشخصية الإسلامية،ولـو أدى ذلك إلى الحرمان من كل حق .

فكانت هذه كلمة الأمـة الحازمة الحاسمة ، وكانت هى الدليـل القاطع على أن العلماء فى كل ما يقومون بـه مـن خدمة الإسلام والعربية لبقاء الذاتية الإسلامية والشخصية القومية هـم باسـم الأمة يعملون،وبلسانها ينطقون،وأن كل من خذلهم فى خدمتهم فقد خذل الأمة،وكل من أيدهم فى خدمتهم فقد أيد الأمة .

فنحن نهيب بفرنسا-التى لا نرى من مصلحة الجزائر فى الوقت الحاضر قطعا أن تتراخى علاقاتها بها-أن تحترم الأمة الجزائرية فى إسلامها وعربيتها،وتنيلها حقوقها . ونلفت نظر كل نائب إلى مـا

عليه من واجب فى حماية الإسلام والعربية اللذين هما أعـز كل عزيز على الأمة التى هو نائب عنها . وكفى بكلمتها الاجتماعية التى قالتها فى مؤتمرها ، وفى هذا الموقف الحرج من مواقفها ـ دليلا على منزلتهما عندها (1) .

(1) ش : ج 12 ، م 13 ، غرة ذى الحجة 1356 هـ ـ فيفرى 1938 م .

الخلافة أم جماعة المسلمين

إن الخلافة هى المنصب الإسلامى الأعلى الذى يقوم على تنفيذ الشرع الإسلامى وحياطته بواسطة الشورى من أهل الحل والعقد، من ذوى العلم والخبرة والنظر ، وبالقوة من الجنود والقواد وسائر وسائل الدفاع .

ولقد أمكن أن يتولى هذا المنصب شخص واحد صدر الإسلام وزمنا بعده ــ على فرقة واضطراب ــ ثم قضت الضرورة بتعدده فى الشرق والغرب ، ثم انسلخ عن معناه الأصلى وبقى رمزا ظاهريا تقديسيا ليس من أوضاع الإسلام فى شىء .

فيوم ألغى الاتراك الخلافة ــ ولسنا نبرر كل أعمالهم ــ لم يلغوا الخلافة الإسلامية بمعناها الإسلامى،وانما ألغوا نظاما حكوميا خاصا بهم،وأزالوا رمزا خياليا فتن به المسلمون لغير جدوى . وحاربتهم من أجله الدول الغربية المتعصبة والمتخوفة من شبح الإسلام .

علمت الدول الغربية المستعمرة فتنة المسلمين «خليفة»،فأرادت أن تستغل ذلك مرات عديدة أصيبت فيها كلها بالفشل . ليس عجيبا من تلك الدول أن تحاول ما حاولت،وغاياتها معروفة ومقاصدها بينة . وإنما العجب أن يندفع فى تيارها المسلمون،وعلى رأسهم أمراء وعلماء منهم ، ومن هذا الاندفاع ما يتحدث به فى مصر فتردد صداه الصحف فى الشرق والغرب،وتهتم له صحافة الانكليز على الخصوص، يتحدثون فى مصر وفى الأزهر عن الخلافة

كأنهم لا يرون المعاقل الانكليزية الضاربة فى ديارهم،ولا يشاهدون دور الخمور والفجور المعترف بها فى قانونها .

كفى غرورا وانخداعا،إن الأمم الإسلامية اليوم ـ حتى المستعبدة منها ـ أصبحت لا تخدعها هذه التهاويل ولو جاءتها من تحت الجبب والعمائـم .

للمسلمين ـ مثلما لغيرهم من الأمم ـ ناحيتان : ناحية سياسية دولية،وناحية أدبية اجتماعية . فأما الناحية السياسية الدولية فهذه من شأن أممهم المستقلة،ولا حديث لنا عليها اليوم . وأما الناحية الأدبية الاجتماعية فهى التى يجب أن تهتم بها كل الأمم الإسلاميـة المستقلة وغيرها،لأنها ناحية تتعلق بالمسلم من جهة عقيدته وأُخلاقه وسلوكه فى الحياة،فى أى بقعة من الأرض كان ، ومع أى أمة عاش، وتحت أى سلطة وجد ، وليست هذه الناحية الإنسانية المحضـة دون الناحية الأولى فى مظهر الإسلام،ولا دونها فى الحاجة إلى الحفظ والنظام لأجل خير المسلمين على الخصوص،وخير البشرية العام ..

إن الأمم الكاثوليكية ـ مثلا ـ على اختلاف أوضاعها السياسية وتباين مشاربها وأنظارها فيها ، ترجع فى ناحيتها الأدبية الدينية إلى مركز أعـلى هو بابا روما،المقدس الشخص والقـول فى نظـر جميعهـم .

نعم ليس لنا ـ والحمد لله ـ فى الإسلام بعد محمـد صلى الله عليه وآله وسلم شخص مقدس الذات والقول،تدعى له العصمـة ، ويعتبر قوله تنزيلا من حكيم حميد ، ولكن لنا جماعة المسلمين وهم أهل العلم والخبرة الذين ينظرون فى مصالح المسلمين من الناحية الدينية والأدبية،ويصدرون عن تشاور ما فيه خير وصلاح . فعلى الأمم الإسلامية جمعاء أن تسعى لتكون هذه الجماعة من أنفسهـا، بعيدة كل البعد عن السياسة وتدخـل الحكومـات،لا الحكومـات الإسلامية ولا غيرها .

لقد كنت كاتبت صاحب الفضيلة شيخ الأزهر الشريف بهـذا المعنى،ولكنني لم أتلق منه جوابا،وعـــرفت السبب يــوم بلغنا أن إخواننا الأزهريين هتفوا ـ يوما ـ بالخلافة لملك مصر فاروق الأول.

وسيرى صاحب الفضيلة الأستاذ الاكبر ، أن خيال الخلافـة لن يتحقق ، وأن المسلمين سينتهون يوما ما ـ إن شاء الله ـ إلى هـذا الــرأي (1) .

(1) ش : ج 11 ، م 13 ، غرة ذى القعدة 1356 هـ ـ جانفي 1938 م .

بعـد الاعتقـــال

الضغـط والاضطهـاد

كنا على علم بالمكائد التى كان يدبرها أعداء الشيخ عبد العزيز القدماء،وبالوشايات التى كان يحركها ضده قوم من المتسلطين باسم الدين وقوم من المتسلطين باسم الدنيا . وكنا نحسب أن ذهاب مدير الشؤون الأهلية إلى سوف ــ وهــو الرجل العالم الخبير ــ كافيا فى إحباطها . ولكنه ما كـاد يطمئن فى مكتبه من سفرته حتى ألقــى القبض على الشيخ ورفيقيه وجىء بهـم مكبلين بالحديد . وليست المرة الأولى التى خاب فيها الظن .

لم يكن القبض على الشيخ ورفيقيه بالأمر الهين المأمون الأثر . ولقد كان متوقعا منا أن نمـلأ الجـو استنكارا ، ونمطر الوزارات شكوى واحتجاجا . ولكننا علمنا أن القضية آيلة ليد العدالة فآثرنا السكوت وأشرنا بالهدو . لأننا قــوم على ثقة من براءتنا من كل ما يضر بالناس أو يمس الأمن العام أو يخالف القانون،فتجدنا نثــق بالعدالة مهما كانت الأحوال .

أعقب إلقاء القبض على الشيخ ورفيقيه ضرب نطاق الحصار على سوف ، واستدعاء أفواج الناس مــن مختلف الجهــات وإلقاؤهم فى السجن،ثم سؤالهم عما كان يلقيه عليهم الشيخ عبد العزيز فى خطبه، فاتفقت كلمتهم ــ على اختلاف لسانهم ــ على أنهم ما سمعوا منه إلا المواعظ الدينية دون أدنى تعرض للسلطة الفرنسية بكلمة سوء ،

بل كان كثيرا ما يحثهم على القيام باللوازم الدولية ، وليس لهم إذا ظلمهم أحد القياد إلا رفع الشكوى لحاكم الدائرة .

مضت أيام والناس بين السجن والبحث،ثم رفع الحصار عن الوادى ولم تأت نتيجة البحث بحجة تدين المتهمين . وكأن ذلك لم يرق الباحثين فعادوا لاضطهاد شعب جمعية العلماء والتضييق عليهم وإكراههم على التخلي عن الجمعية . بالسجن والأعمال الشاقة .

إننا لا ننكر التدقيق فى البحث ولا نعترض من هذه الناحية ؛ ولكننا نستنكر هذا الضغط والإرهاق الذى تنكره العدالة وتمقته الإنسانية ؛ وترده القوانين . ثم هو لا يزرع فى القلوب إلا الشوك والحنظل،ولا يزيد رجال الجمعية إلا تمسكا بمبادئهم التى هى حقائق الإسلام،وكلها حق وعدل وخير وإحسان .

فهنيئا لكم يا أهل سوف الأكارم ما أنتم فيه من فتنة وابتلاء، فإننا بقدر ما نرثى لكم مما تلقون من ظلم وعنت ، نغبطكم على ما تظهرون من صبر ويقين .

وما دمتم متمسكين بالحق فى دائرة القانون فاثبتوا واصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . وما أنتم فيه ما هو إلا غمة ، وستنكشف ــ إن شاء الله ــ من بعد تمحيصكم عن براءتكم وصدقكم ونزاهتكم فتزدادون رفعة وسموا أمام الحق والقانون ولدى الأحرار من رجال العدالة والإنصاف . وَمَا عِنْدَ اللّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى (1) .

(1) البصائر : س 3 ، عدد 112 ــ 6 مارس 1357 هـ ــ 6 ماى 1938 م .

مــاذا فى الجنــوب ؟

أنديجينــا جديـــدة !
بعد مائة سنة وثمان سنوات

منشــور
من سمو الوالى العام
إلى رؤساء الأوطان الجنوبية

وجه سمو الوالى العام الرئيس الأعلى للأوطان الجنوبية يأمرهم بإلقاء القبض وسجن كل طالب منسوب إلى جمعية العلماء حــال جولانه بمناطقهم،وقيامه بدعاية هذه الجمعية .

دعاية الجمعية ! يحسب من يسمع هذه الكلمة مــن الذين لا يعرفون الجمعية من الشعوب الأخرى أن للجمعية دعاية سياسيــة ضد الحكومة المحلية وضد أوضاعها وتصرفاتها ، فلهــذا أصدرت الحكومة هذا المنشور لمقاومتها وإسكـــات كلمتها . ولكن الذيــن يعرفون الجمعية ـ ومن ذا الذى لا يعرفها ؟ ـ وفي مقدمتهم الحكومة المحلية ـ يعلمون أن الجمعية لم تتعرض قط لسياسة الحكومــة ولا لتصرفاتها ، وما كانت فى جميـــع مواقفها إلا داعية إلى تطهــير القلوب ، وتزكية النفوس ، وتنوير العقول ، وتقويم الأعمــال، وحاثة على تعلم القرآن والإسلام ، ولغة القرآن والإسلام ، ولــم ينس رجالها فى جميع أو أكثر مواقفهم أن يوصوا بالتزام الهدو والنظام ، والتمسك بالمظاهر الإسلامية الحقيقيــة الراقيــة فى معاملتهم لمساكنيهم من جميع الناس ، ووقوفهم فى دائرة القوانين الموضوعة لحفظ الأمن والنظام فى البلاد .

ولو أن الحكومة المحلية وجدت منهم ما تؤاخذهم عليه لما أبقت عليهم إلى اليـوم

إذا ! فما بال هذا المنشور الذى لا يصدر إلا من سلطة عسكرية فى زمان الحصار ضد أعظم الأخطار ؟

حقا،إنه ما فهم الناس من هذا المنشور إلا ما فهموه مـن قرار 8 مارس وغيره من وضع العراقيل فى طريـــق انتشار العربيـــة والإســـلام .

كان من المسلم به أن يؤمر بالقبض والسجن على كل مـن يثبت عليه عند رؤساء الجنوب أنه تكلم ضد السلطة،أو تدخل فى شؤون الإدارة،لأننا نتحقق أن كل من يتكلم باسم الجمعية لا يتعدى خطتها، ولأنا نرى أن أكثر الحكام لا يثبتون غير الثابت .

أما أن يؤمر بالقبض والسجن على كل طالب منسوب للجمعية، فهذا سلاح حاد غاشم،وضع فى يد أعوان الحكـــام وأطرافهـــم يستعملونه ضد من يشاءون .

فنحن ــ باسم الحق والعدل والإنسانية ــ نحتج ضد هذا المنشور، مستنكرين لما فيه من شدة قاسية وتفويض خطر .

وإلى هذا فنحن نعتقد أن مثل هذه المضايقة والاضطهاد لا تزيد المؤمنين إلا إيمانا ، ولا تزيد ما تدعو إليه الجمعية من حق وعدل وخير وإحسان ــ إلا انتشارا ، ولا تزيد من يزرعون الباطل والجور والشر والإساءة من الوشاة والكائدين ــ إلا اندحارا وانكسارا (1)

(1) البصائر : 13 ماى 1938 .

عمــل النــواب والجمعيــات
فى سبيل تعليم الاسلام ولغة الاسلام

جاءتنا البرقيات العديدة والكتب الكثيرة مـن النـواب المسلمين والجمعيات الإسلامية من جميع جهات القطر . كلها تعلمنا بما قامت بـه من رفع الشكوى والاحتجاج لـدى المراجع المسؤولة فيما يلقاه تعليم الإسلام ولغة الإسلام من المعاكسة والتحجير،وما يلقاه القائمون عليه من المضايقة والتنكيل . وما كان هذا العدد من أوله إلى آخره بالذى يكفى لنشر جميع ما ورد علينا مـن تلـك الكتب والبرقيات، فاضطررنا إلى الاكتفاء بذكر هذه الإشارة إليها . وحسبنا أنها بلغت إلى الحكومة وعرفت منها ـ قطعا ـ أن مسألة تعليم الإسـلام ولغـة الإسلام هى مسألة المسلمين كلهم،وأنهم لا يسكتون عن المطالبة بحرية تعلمهم دينهم ولغـة دينهم . ونـريد أن نكتفى هنـا بثلاثة كتـب كنموذج لغيرها .

الأول ـ بعد الديباجة ـ : « قدمت تقريري إلى لجنة النيابـة العمالية المكلفة بالنظر في عرض الحالات السياسية . ورئيس هذه اللجنة قدم هذا التقرير إلى المجلس العام والعمالى من غير أن ينظر فيه . ولما عرض على عامل العمالة قام وطلب من المجلس رفضه ، فان لم يرفضه المجلس خرج فورا،فوافق المجلس عـلى الرفض وسكتنا ... وأردرف العامل قائلا يخاطبنا : إن مكتبى مفتـح أمامكم ، وأنا مستعد للمفاوضة معكم فى هذه النازلة كغيرها بكل سرور . فأخذنا منه وعدا بالملاقاة صباح الجمعة و 29 أفريل توجهنا

إليه في جماعة : « ابن جلول ، ابن خلاف . الأخضرى . الحاج ابن عبود ابن ليلى . فاستغرقت المقابلة ساعتين .

والملخص أننا بينا له أن قراءة القرآن فى الكتاتيب المنبثة فى الجبال والقرى لا ينبغى أن يلزم المعلمون فيها بطلب الرخص ، ولا بالشروط المتعلقة بحفظ الصحة . وأكدنا له أنه لا مضرة تلحق الدولة من ذلك . لا سيما والتعليم فى تلك الكتاتيب مقصور على تحفيظ القرآن والتمرين على كتابة الحروف . أما الشروط المتعلقة بحفظ الصحة فإنها مفقودة فى أكواخهم ، فكيف تشترط فى كتاتيبهم . ثم تكلمنا على المدارس الحرة بينا له بوضوح أن التعليم فيها محدود لا يتجاوز اللغة والدين،وهذا بعيد عن المخاوف التى تتصورونها. فلا سياسة ولا مضرة تلحق أحدا.واذن فالقرار الصادر 8 مارس لا موجب له ولا سبب . ومتى تفتح مدرسة بقصد تعليم السياسة فللدولة الحق فى غلقها أو المنع من الترخيص لها .

والذى يبدو لنا أنه استحسن كلامنا وربط عليه.وبعد الخروج أزمعنا المفاوضة فى النازلة مع الوالى العام ، وعامل العمالة وعد من جهته بأن يكلمه فى هذا الشأن .

والسلام من أخيكم المخلص : خلاف حسن .

والثانى ــ بعد الديباجة ــ : « .. وأخبر حضرتكم بأنا كنا جعلنا الواجب من قبل قراءة العربية لغة أجدادنا ولغة كتابنا العزيز القرآن العظيم ، وأننا كررنا الواجب هاته الأيام فى « الكونصاى جنرال » بوهران ونحن بالانتظار » والسلام من أخيكم : طالب عبد السلام ، النائب العمالى والمالى .

والثالث ــ بعد الديباجة ــ : « أفيدكم أنى مستعد للقيام بالواجب فى مسألة التعليم التى لفتم نظرى إليها،وانا لكم من الشاكرين ، وإنى عازم على تقديم مقال للحكومة فى أثناء الجلسة

الآتية للنيابة المالية ، ولكم منا أتم السلام ، محمد الشريف سيسبان،

وقدم السيد إبراهيم بن قلعية،النائب البلدى ورئيس جمعية لقدماء المحاربين،اقتراحا لوحدة قدماء المحاربين الجمهوريين،فقبلته وجاز بهذه الصورة : « المؤتمر الوطنى الخامس عشر لقدماء المحاربين الجمهوريين يطلب تسهيل فتح محلات التعليم بالجزائر ، وإعطاء الحرية للغة العربية مع بقاء المراقبة التامة » .

وفى يوم الاثنين 6 جوان زارنا الأخ الدكتور ابن جلول فى جماعة من النواب،وعرفنا بما قام به هو وجماعة فى المجلس العمالى بقسنطينة وما قاموا به لدى الوالى العام من الأعمال الواجبة المشكورة .

فبعد هذا كله نكاد لا نشك فى أن جناب الوالى العام سيعطى المسألة ما تستحقه من الاهتمام ، ويرفع عن المسلمين هذا البلاء الذى أقلق منهم البال ، وكدر منهم الخاطر ... وإنا لمنتظرون . (1)

(1) البصائر : س 3 ـ ع 118 ـ 1357/4/18 هـ ـ 1938/6/17 م .

المسألة مسألة الأمة كلها
لا مسألة جمعية العلماء وحدها

(1) إعطاء رخص التعليم الإسلامى الحر يكون أمرا مسموحا به للجميع .

(2) يبادر بأحداث مراقبة على هذه المدارس .

(من التقرير الذى قدمه نوابنا الماليون فى جلسة 15 جوان)

ينص القانون الأساسى لجمعية العلماء (1) على أنها تهذيبية إرشادية، (2) وأنها تحارب الآفات الاجتماعية وكل ما يحرمه صريح الشرع، (3) وانها تتذرع لغايتها بكل ما تراه صالحا نافعا غير مخالف للقوانين المعمول بها . فلهذا كانت الجمعية حريصة على حفظ الإسلام والعربية،جادة فى الدفاع عن حرية تعليمهما وتعلمهما . فإن أقرب الوسائل وأنفعها لتهذيب الأمة وإرشادها هو دينها الذى اطمأنت له قلوبها،وانقادت له نفوسها،وذلك هو الإسلام الذى بني على تحرير العقول وإنارتها ، وتزكية النفوس وترقيتها ، وتقويم الأعمال وتنظيمها ، لتبنى الحياة الإنسانية على العلم ، والفضيلة ، والعدل والإحسان . والعربية هى لغة هذا الدين، ولغة هذه الأمة التى لا تفهمه إلا بها . فالإسلام ولغة الإسلام ضروريان للجمعية للقيام بعملها حسب قانونها .

ثم هذا الذى تشعر به الجمعية كجمعية هو ما تشعر به الأمة كلها كأمة تدين بالإسلام وتنطق بلغة الإسلام . فكانت الجمعية

ـ لهذا ـ ، في كل ما تقوم به في سبيل حفظ الإسلام والعربية والدفاع عن حرية تعليمهما وتعلمهما ـ إنما تنطق بلسان الأمة كلها ، وتعرب عن نفسيتها ، وتمىل بيدها . وقد تجلى هذا من يوم صدور قانون 8 مارس الذى فهمت منه الأمة ما فهمت،ودلت سوابقه ولواحقه على صدق فهمها . فاشتركت الهيئات والجمعيات والأفراد في الشكوى والاحتجاج،حتى أن بعض الجمعيات التى لم يسمح لها قانونها الأساسى بالاحتجاج الرسمى أبلغت صوتها بطريق آخر. فقد التقيت أنا والأستاذ الإبراهيمى بالسيد الباش آغا محمد السماتي رئيس جمعية القياد في العاصمة في الحديقة العمومية فذكر لى أنه ـ وإن كانت جمعيتهم لا تستطيع الاحتجاج ـ فإنه هو سيخاطب المراجع المسؤولة،لأن المسألة مسألة كل مسلم .

وفي جلسة 15 جوان الماضي قالت الأمة كلها كلمتها بلسان نوابها في النيابة المالية،وقد نقلنا في صدر المقال المقصود من تقرير السادة النواب ، وسننشر على الأمة تعريب محضر الجلسة كله بجميع ما دار فيها من جميعهم .

فها هي الإدارة اليوم قد وقفت أمام الأمة كلها وجها لوجه ، فلم يبق ـ وهذا ما يظن في كل إدارة رشيدة موفقة ـ إلا احترام هذه الرغبة الصادقة العادلة ، واحترام هذا الشعور الوجداني الديني المقدس .

قد بلغت المسألة اليوم إلى غايتها تفهيما من الأمة ، وتفهما من الإدارة ، فلنقف مديدة للانتظار ، على أمل أن تجاب الأمة لرغبتها، بحسن تبصر الإدارة وإنصافها ، فنعود للكتابة في الموضوع شاكرين مغتبطين .

الخير أبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد(1)

(1) البصائر : س 3 ـ ع 120 ـ 1357/5/3 هـ ـ 1938/7/1 م .

ثـــم .. سكـــوت ..

عج وادى سوف يوم 18 أفريل بالجنود والعتاد،ورصعت ربـاه بالمدافع والرشاشة ، وأرعدت أجواءه بـأزيز الطائرات ، فأوشك أهله ونساؤه وأطفاله وبيوته ونخيله أن تنسفهم قنابل الأرض أو تمحقهم صواعق السماء ، فذهلت المراضـــع ووضعت نحـو الثلاثين امرأة حملها .

أصبح الوادى على حين بغتة،وقد عطلت أسواقه ، وسدت طرقاته، ومنع عنه الداخل والخارج،وضرب عليه نطاق شديد محكم مـــن الحصـــار .

ألقى القبض عـلى الشيخ عبد العزيز الهاشمى والشيخ عـلى ابن سعد والشيخ عبد القادر الياجورى والسيد عبد الكامـــل ابن الحاج عبد الله ، وسيقوا إلى السجـن بقسنطينـــة،وحشرت جماعات من الناس إلى المركز الإدارى وزج بهم فى السجن لإيقاف هنالك،ثم حكم على عدد وفير منهم بالنفي والسخرة،كل هذا والناس معتصمون بالصبر ومنتظرون للفرج .

ثلاثة أسابيع ذاق فيها أهل الوادى ما ذاقوا،وطافت فيها الجنود شرقا وغربا وشمالا وجنوبا فلم تلق فى طريقها من يحرك ساكنا ولا يبدى اعتراضا،ولو كان من الناس من كانت منه أقل حركة : حركة رعب وفزع،لانقلبت بهم الأرض فأمسوا أثرا بعد عين .

جاءت لجنة البحث للكشف عن أصل الحوادث والاطلاع عـــلى

حقيقة الواقع،وسبق إليها انقياد الناس ليشهدوا،وقــد جـدوا واجتهدوا فى جمع الشهود تحت مظاهر الرهبة والخوف..

قامت لجنة البحث بواجبها بنزاهة وإنصاف،وتحققت أن لا ثورة ولا هيجان ، وأن لا شيء دبر ضد الحكومة أو الامن العام ، ففــك الحصار عن البلد وسرح الموقوفون،وقفلت الجنود راجعة،ورفــع ذلك الكابوس الثقيل عن الوادى الهادى المطمئن إلا ما بقى مــن مظالم بعض القياد واغتنامهم فرصة الانتقام ، ورغم ما نعرفه فى رئيس الملحقة القبطان من الخبرة والرصانة والنزاهة فقد استطاعوا أن يذيقوا الناس شديد العذاب .

هكذا روع ذلك الوادى الهادىء المسالم ، وهكذا صــب عليــه العذاب على غير ذنب ولا تفكير فى ذنب ، وهكــذا مرت عليه تلك الأيام السوداء الحالكة السواد ، المؤلمة المتنوعة الآلام الشــداد ، التى ساء أثرها فى الأموال والأنفس والثمرات . ثم يعقب هــذه الويلات كلها سكوت ...

سكوت عمن ؟ سكوت عن المجرمين الحقيقيين . ومن هم المجرمون الحقيقيون ؟ المجرمون الحقيقيون ــ كائنين من كانوا ــ هم الذين صوروا الوادى الهادىء المطمئن بصورة الهائج الثائر فتسببــــوا للحكومة وجندها فى الأتعاب والخسائر ، وللأبرياء فى الهــلاك والفظائع ، وعكروا الأمن،وزعزعوا الثقة ، وكادوا يوقعونها فى فتنة عمياء فى زمان ومكان لا أشد منهما حاجة للهدوء والتساند لمواجهة الأخطار .

لــو كان هنالك أقل هيجان لوقع القمع واشتد العقاب ، ولوجد المعاقب ما يبرر به علله لأجــل الأمن والنظام . أفليس من الحــق والعدل أن يقع العقاب أيضا على من هيج الدولة عــلى رعاياها الآمنين المسالمين ؟ بلى والله ثم بلى . فإن الثانية ليست دون الأولى ،

بل هى أفظع منها وأظلم وأشد . ولن يقوم قسطاس العدل ، ويثبت رواق الأمن حتى يتناول العقاب من يرمى بالشر بطلا ، كما يصيب من يرتكبه فعلا . (1)

(1) البصائر : س 3 ـ ع 121 ـ 1357/5/10 هـ ـ 1938/7/8 م .

الشيـخ عبد العـزيز بن الهـاشمى والإصـلاح

كـان الشيخ الهاشمى شيخ الطريقة القادرية ـ رحمه اللـه ـ رجلا قويا ذكيا واسع الحيلة بعيد النظر ، فأدرك بثاقب رأيـه أن ما عليه الطرقية مـن الجهل والجمود لا يمكن أن يستمر طويلا فى عصر العلم والنهوض ، وأن المستقبل للعلم ولا محالة . فولى وجهه شطر العلم،وقدم أبناءه لجامع الزيتونة المعمور، وحبس أملاكه كلها على العلم،واشترط فى حبسه أن تعمر زواياه بأهل العلم من أيمة ومدرسين ومتعلمين . واشترط فى أبنائـه أن لاحظ لأحدهم فى الحبس إلا إذا حصل على شهادة العالمية (التطويع) من جامع الزيتونة، وجعل الإشراف على الحبس لنظارة جامع الزيتونة . وبنى عمله هذا على أن أملاكه هى أموال المسلمين فلتعد بالنفع على المسلمين . فكان عمله هذا عملا فريدا لم يسبقه إليه أحد مـن أمثاله . ولقد كانت محاولات كثيرة من بعده لحل الحبس،ولكنه صحح فى المحاكم العليا بالجزائر على ما وضعه عليه صاحبه .

انتهى أمـر الحبس إلى الشيخ عبد العزيز بـن الشيخ الهاشمى بمقتضى شرط المحبس بعد وفـاة أخيه الأكبر ، وتـولى مشيخة الطريقة القادرية،ودخل معه فى الحبس أخوه الشيخ محمد الصالح لتحصيله عـلى شهادة العالمية،فكان الرجلان بمـا لهما مـن العالمية بعيدين عـن كـل تلك المواقف العدائية التى وقفها شيوخ الطرق الأخرى أو أوقفوا فيها ضد جمعية العلماء .

في السنة الماضية قبل الاجتماع العام كاتبني الشيخ عبد العزيز يرغب مني الانخراط في جمعية العلماء فأجبته بأن الجمعية مفتحة الأبواب لجميع المسلمين ، وخصوصا لأمثاله من العلماء . وأحسب إني ذكرت له أن الجمعية تأسست وفي المؤسسين لها جمع كثير من شيوخ الطرق،وأن القانون الأساسي الذي وضع باتفاق من الجميع ما زال معتمدا هو بنفسه . فلما كان الاجتماع العام الماضي رشح للمجلس الإداري بصفته عالما وشيخ الطريقة القادرية فانتخب بما يقرب من الإجماع .

لم يكن الشيخ عبد العزيز منفذا لجميع شروط المحبس في عمارة زواياه بالتعلم والتعليم قبل دخوله لجمعية العلماء . فلما دخل الجمعية رأى أن يقوم كسائر رجالها بنشر العلم والتهذيب في المسلمين ، وشعر بما عليه هو من الواجب أكثر من غيره لما لديه من الأحباس الموقوفة على التعليم والمسؤول هو عند الله تعالى على تنفيذها ، فأخذ يعمل لذلك ويتهيأ له،وأخذ يكرر الاجتماعات في نواحي سوف بأتباع زواياه يحثهم على العلم ويرغبهم في التعلم ويبين لهم أن الانتساب إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني ــ وهو من أيمة العلماء في مذهب أحمد بن حنبل ــ لا يمنع من العلم والأخذ بأسباب العلم .

شرع الشيخ عبد العزيز بعمارة زواياه بالعلم،وعين رجلين للتعليم من أبناء سوف المتخرجين من جامع الزيتونة المعمور هما الشيخ علي بن سعد والشيخ عبد القادر الياجوري السجينان معه اليوم،وجمع عددا من الطلاب وحضر لهم مؤونتهم،وأخذت حركة العلم تدب بين الناس والرغبة فيه تنمو في الطلاب .

دعا الحاكم الشيخ عبد العزيز في شأن التعليم وطلب الرخصة ورد الشيخ بأن الزوايا من قديم الزمان تعلم بدون رخصة،وتكررت

الدعوة وتكرر الأخذ والرد في الأمر، وفهم أن الإدارة مستثقلة لتلك الحركة العلمية ، وتخوف النــاس عليها حتى كانــت كارثة سوف الأليمة،وسبق الشيخ عبد العزيــز والشيخان المعلمان وغيرهما إلى السجون . ولله عاقبة الأمور . (1)

(1) البصائر : س 3 ـ ع 123 ـ 1357/6/24 هـ ـ 1938/7/22 م .

فلسطـــين الشهيـــدة

رحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة ، وقد قال الله في المسجد الأقصى في سورة الإسراء : « الذِى بَارَكْنَا حَوْلَهُ » ليعرفنا بفضل تلك الرحاب . فكل ما هو واقع بها كأنه واقع برحاب المسجد الحرام ومسجد طيبة .

حمى الإسلام تلك الرحاب من أيامه الأولى ، وحمى جميـــع مقدسات جميع الملل،وكف عادية بعضهم عن بعض ، وعاش اليهود تلك القرون الطويلة ينعمون برخاء العيش،وحرية المعتقد،واحترام المعاهـــد .

تزاوج الاستعمار الانكليزى الغاشم بالصهيونية الشرهة فأنتجا لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى الذى أنساهم كل ذلك الجميل، وقذف بهم على فلسطين الآمنة والرحاب المقدسة فأحالوها جحيما لا يطاق،وجرحوا قلب الإسلام والعرب جرحا لا يندمل .

نقول : لقسم كبير من اليهود ، لأن هنالك من اليهود عددا كثيرا يستنكر هذا المأتى الجنونى الظلوم ، ويعترف بجميل الإســـلام، والسعادة التى نعم بها اليهود ويهود القدس في ظله الوارف الأمين. فقد قدم رئيس الطائفة السامرية إلى حاكم نابلس عريضة احتج فيها باسم الطائفة على الاعتداءات الأثيمة التى وقعت على العرب فى القدس وحيفا ويافا وهذا نصها :

« نحن أفراد الطائفة السامرية رجالا ونساء نستنكر بشـــدة أعمال الاعتداءات العظيمة التى يقوم بها بعض أشخاص مـــن

اليهود ضد قوم أبرياء فى حيفا ويافا والقدس ، ونطلب بشدة الحيلولة دون تكرار هذه الحوادث المروعة ، ونصرح بأننا ـ على أقليتنا ـ نعيش منذ ألوف السنين مع مواطنينا العرب فى سلام ، ولم يحدث أن اعتدى منهم أحد علينا،أو حاول اضطهادنا » .

هذه هى الحالة العامة التى كانت عليها فلسطين ألوف السنين، حتى جاء الزوجان المشؤومان الصهيونية والاستعمار، فكان البلاء على فلسطين كلها عربها ويهودها ، فليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها ، ولا بين كل مسلم ويهودى على وجه الأرض ، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الانكليزى من جهة والإسلام والعرب من جهة ، والضحية فلسطين ، والشهداء حماة القدس الشريف ، والميدان رحاب المسجد الأقصى،وكل مسلم مسؤول أعظم المسؤولية عند الله تعالى على كل ما يجرى هنالك ، من أرواح تزهق،وصغار تيتم،ونساء ترمل،وأموال تهلك، وديار تخرب، وحرمات تنتهك،كما لو كان ذلك كله واقعا بمكة أو بالمدينة . إن لم يعمل لرفع ذلك الظلم الفظيع بما استطاع .

يريد الاستعمار الانكليزى الغاشم أن يستعمل الصهيونية الشرهة لقسم جسم العربى،وحط قدس الإسلام،فيملأ فلسطين بالصهيونيين المنبوذين من أمم العالم، ولأجل هذه الغاية الظالمة تجند جنود الانكليز، وتجمع أموال الصهيون،وتسفك الدماء البريئة، وتلطخ بها الرحاب المقدسة .

يجرى كل هذا وترتفع له أصوات العالم الإسلامى والعالم العربى بالاحتجاج والاستنكار،ويخاطب ملوك العرب والإسلام حكومة الانكليز،فلا تزيد آذانها إلا صمما،ولا قلبها إلا تحجرا .

نقول العالم الإسلامى والعالم العربى ، لأننا لم نر ولم نسمع من غيرهما احتجاجا جديا واستنكارا صارخا حتى الذين رأيناهم

يقيمون الدنيا ويقعدونها بصراخهم،ويبذلون ما يبذلون من مساعداتهم فى أوطان أخرى،لم نرهم إزاء فلسطين الشهيدة إلا سكوتا أو شبه سكوت،وشتان ما بين من يريد المقاومة ومن يريد رفع الملام .

نحن ـ المسلمين ـ أعداء الظلم بطبيعتنا الإسلامية،ونرحم المظلوم ولو كان هو ظالما لنا . منذ أيام كنت فى حانوت تاجر مسلم وقد قرأ علي أخبارا عن اضطهادات ألمانية جديدة على اليهود،فلما فرغ من القراءة قال لى : « هذا يا الشيخ حرام عندنا فى الإسلام، احنا نخليو الناس كلهم يعيشوا بأموالهم » فقلت له نعم ، وأخذت أبين له كيف عاش اليهود فى ظل الإسلام . هذا عامى من أوساط الناس متمسك بدينه ومتألم من حالة القدس الشريف ، ويعرف أن بلاءها من مهاجرة يهود ألمانيا وغيرهم،ومع ذلك يستنكر ما يلحقهم من الظلم . وها هم اليهود اليوم قد شردتهم ألمانيا،ومن قوانينها الجديدة عليهم بيع أملاكهم ببرلين بالمزاد العام،ومنعهم فى المستقبل من الامتلاك ، ومنعهم من صناعة الطب بتاتا.والحكومة اليونانية منعتهم من دخول أرضها ولو على سبيل السياحة ، وايطاليا أخذت فى اضطهادهم بأساليب علمية دقيقة وسياسة قاتلة ، وفرنسا أيضا قد هبت عليها هبات من هذه السموم ستصيب اليهود أو قد أصابهم شىء من لفحها . هذا حالهم بين الأمم المسيحية وقد عادوا ـ أو كادوا ـ كما كانوا فى القرون الوسطى لا يطمئنون على أرواحهم وأموالهم وثقافتهم إلا فى بلاد الاسلام . وها هم مع ذلك يستمرون على ظلم الإسلام فى قدس الإسلام،ولا ناهى لهم،ولا ناصح،ممن يسمعون لنهيه ونصحه . وما يدريهم أن هذا البلاء الذى ابتدى بصبه عليهم هو جزاء ظلمهم لفلسطين ظلم الفعل وظلم الرضا وظلم السكوت على الاستنكار . وأن الله لينتقم من الظالم بالظالم ، ثم ينتقم من الجميع .

إن الدفاع عن القدس من واجب كل مسلم . وقد هب رجالات الإسلام فى الشرق للقيام بهذا الواجب،فهناك من ناحية الحكومات ما يقوم به وزير مصر ووزير العراق باسم ملوك العرب فى لندن، وهنالك اللجنة البرلمانية المصرية للدفاع عن فلسطين تضم فريقا كبيرا من حضرات الشيوخ والنواب المصريين ، وقد اعتزموا على عقد مؤتمر برلمانى عام للبحث فى قضية فلسطين،على أن يشترك فى المؤتمر أيضا زعماء العرب والمسلمين فى الأقطار العربية والإسلامية التى لا توجد فيها برلمانات،وصح عزم اللجنة على أن يعقد المؤتمر فى مدينة القاهرة إن شاء الله يوم الجمعة الموافق 12 شعبان 1357 هـ و 17 أكتوبر 1938 م .

سيكون هذا المؤتمر الأول من نوعه فى الشرق العربى، وستعرف به الصهيونية والاستعمار البريطانى أنهما أمام العالم الإسلامى والعربى،لا أمام فلسطين وحدها ، فعلى المسلمين كلهم أن يؤيدوا هذا المؤتمر برفع أصواتهم إليه ، وعلى اليهود الذين ينكرون ظلم الصهيونية وشرها أن يغتنموا هذه الفرصة الفريدة لإعلان استنكارهم .

« وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَ تُصِيبَنَّ الذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ » (1) .

(1) ش : ج 6 ، م 14 ، جمادى الثانية 1357 هـ ـ أوت 1938 م .

محاربـة القـرآن ، وتعذيـب السكـان

نحن نميل بطبعنا وتربيتنا الإسلامية إلى ذكر الخير وإعـــلان الجميل ما وجدنا إلى ذلك سبيلا ، ولكن نضطر أمام الأمر الواقع والظلم المشاهد أن نبين الحقائق ونفضح المعتدين .

بينما نحن ننتظر ما كان وعد به الوالى العام نوابنا من عـدم التعرض للقرآن والنظر فى مسألة التعليم،إذا بنا نفاجأ بهـــذا الكتاب الذى نشرناه فى هذه الصفحة ، وفيه من الظلم والجـــور ما يفتت الأكباد ويسيل الدماء من العيون . لو سمعنا بهذا سماعا عاديا لما صدقناه،إذ ما كان يخطر لنا بالبال أن مثل هذا الإرهــاق يقع بهذه الصورة على قوم آمنين مسالمين خاضعين . ولكن كاتبنا به من لا نشك فى صدقه وتحريه . وجاءنا يوم جاءنا كتابه كتاب آخر من عند غيره فيه ما فى هذا الكتاب وأكثر،فعلمنا أن أوراس فى عذاب أليم،وان القرآن العظيم مجتهد فى محاربته خصوصا فى الأماكن النائية مثل جبل أوراس .

وها هو الكتاب بنصه :

« أما حالتنا العامة مع الإدارة فى هذه البلاد فهى إن كانت فى سائر القطر الجزائرى سيئة فهى عندنا أسوأ ، لأننا فى الوقـت الذى كان الناس يتمتعون فيه بشىء من الحرية والحقوق كانت إدارة حوزنا تعاملنا بالشدة والقساوة.أما فى هذا الوقت فلا تسألـوا عما أصابنا منها ولا يزال يصيبنا من أنـــواع الظلم والباطـل

والإرهاق ، وما تقوم به فينا من الضرب والتهويل والترويع . فقد كانت جهزت علينا منـذ ثلاثة أشهر جيشا من المرتزقة يتألف من تسعين فارسا مستجلبين من الأحواز، وجعلت عملهم الجولان في القرى والمداشر، وقد قام هؤلاء العساكر أثناء جولانهم بأعمال وحشية يستنكرها كل ذي عقل وتخجل منها الإنسانية؛ فمن تفتيش المحال وترويع النساء والأولاد، إلى انتهاك حرمات الناس ونهب أموالهم، إلى سوق العشرات منهم إلى السجون بدعوى عصيانهم لأوامر الحكومة بل وبأدنى مناسبة كعدم رفع اليد ابتداء بالتحية العسكرية. أما ذكر فظائعهم بالتفصيل فلكثرتها لا أستطيع إحصاءها، إنما الذي حضرني منها هو ما يأتي :

1 ـ انتهاكهم لمسجد سيدي بلعباس في قرية (منعة) بإقامتهم عرسا فيه بالطبل والمزمار، وربطهم لخيلهم بجنبه .

2 ـ عزمهم على انتهاك حرمة امرأة بقرية «وثلاث» لولا وجود كثرة السكان، فكادت تقع بذلك فتنة عامة .

3 ـ سوقهم لتلميذ من قريتنا وربطهم إياه بذنب حمار سبع كيلوميترات .

4 ـ قد بلغني أنهم فتكوا فتكا فظيعا بسكان قرية «غوفي»

5 ـ كل من توسموا فيه الإصلاح ولم يكن عندهم من سبب يؤاخذونه به أرسلوا إليه مراسلة فإذا وصل إلى الحوز أقاموه في السجن مدة لا تقل عن ستة أيام . فنحن بعد ذكر ما تقدم ، نرجو منكم أن ترفعوا أصواتكم بالاحتجاج في شأننا إن أمكنكم، وإلا فلتطلبوا ممن ترون من النواب يقبل طلبكم بالاحتجاج في أمرنا . فأما نحن فقد أعلمنا نواب قسمنا مرارا بقضيتنا فلم يلفتوا نظرهم إلينا . كما كنا أعلمنا الشيخ خير الدين فلم نسمع كلمة علينا إلى الآن .

بعد كتابتي ما تقدم ورجوعي إليه بالتصحيح وجدت نفسي قد نسيت أن أذكر لكم أهم مسألة يجب الاعتناء بها،وهي مسألة التعليم الديني عندنا،فقد أمر متصرف الحوز بإغـــلاق جميع الكتاتيب القرآنية ، ونفذ ذلك حراس الدواوير ، فأصبح أوراس الذي يضم ما يزيد على الستين ألفا من السكان لا يوجد فيه مكتب مفتـــوح للتعليـــم » .

فإليك يا الله يا منصف المظلومين من الظالمين نرفع شكوانا . وإليكم يا من أنتم المسؤولون عن هذه المظالم من أولكم إلى آخركم نرفع احتجاجنا،وَحَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ . (1)

(1) البصائر : س 3 ـ ع 128 ـ 1357/6/29 هـ ـ 1938/8/26 م .

حـول مساجين العلمـاء

هل فى سجن « الكدية » ما يذكرنا بـ (الباستيل) ؟...

الباستيل وما أدراك ما الباستيل ! وما أحوج الشعوب المستضعفة أن تعرف تاريخ الباستيل ونهاية الباستيل !

هو حصن منيع اتخذه ملوك فرنسا المستبدون سجنا يلقون فيه الأحرار المفكرين ، فيقضون أيامهم فى ظلمات أقبائه حتى يـأتى عليهم الموت ، يلقونهم فى غيابات هذا السجن الرهيب دون محاكمة ولا جرم معلوم .

وفى 14 جوليت سنـة 1789 هاجم الشعب الفرنسى الثائر هـذا الحصن،وضربه بالمدافع،واستولى عليه،ومثـل بحراسه شر تمثيل ، وأطلق سراح من فيه .

كان سقوط هذا السجن رمزا لسلطة الشعب وفـوز الأحرار ، كما كان قيامه رمزا لاستبداد الملوك وخنق الحرية .

لذلك اتخذ يوم سقوطه عيدا للحرية،تجدد فرنسا ذكراه فى كل عـام . وكانت ذكراه فى هذه السنة لمـرور السنة 150 بالغة أقصى الفخامة والأبهة ، اشترك فيها المستعبدون ، والمستعبدون ...

ما هى ميزة هذا السجن بين السجون ؟

ميزته إلقاء الأحرار فيه دون محاكمة ولا جرم معلوم .

وهذه الميزة لم يبق لها ــ فيما نعرف ــ من نظير فى البلدان التى تملك أمر نفسها،وتسيطر الشعوب فيها على حكومتها .

أما فى الأمم المملوكة أو الشعوب التى لا سلطان لها على حكوماتها، فما تزال ميزة الباستيل باقية فيها إلى اليوم .

وها نحن في الجزائرى نـرى ذلك ونتجرع آلامــه . ففى سجن «الكدية» بقسنطينة قـد ألـقى أربعة مـن أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دون جرم معلوم،ودون أن يقدموا للمحاكمة ، أربعة من العلماء : الشيخ عبد العزيــز بن الهاشمى،والشيخ عبد القادر الباجورى،والشيخ علي بن سعد،والسيد محمد الكامل ، مضت عليهم فى السجن سنة وأربعة أشهر مع المجرمين !

ومــن عجب المقارنات أن يحتفل بمرور 150 سنة عــلى سقوط الباستيل،وهم ينيؤون تحت ما من مثله أسقط الباستيل .

لــم يثــر هؤلاء العلماء ضد السلطة،ولا تداخلوا فى أوضاعها الإدارية،ولا أسســوا لتقويمها منظمات سياسية . وإنما قامــوا بواجبهم الدينى فى بلادهم سوف وقراها ، ينشرون الإسلام ولغـة الإسلام،وينهضون بإخوانهم فى دائرة دينهم،وكان أهل تلك البلاد أرق أفئدة،وأصفى عقولا،وأمتن دينا،وأسرع إجابة للحق والخــير، فانثالوا عليهم يجيبون داعى اللــه،ويقبلون على تعلم الدين ولغة الدين . هذا ما كان والله .

لكــن الذين لا يرضيهم مثل هذا ــ وهم أصناف ــ بيتوا أمرهم، وتعاقدوا عــلى قتل هذه الحيــاة الدينية العلمية مــن تلك الديار، فصوروها صورتها،وأوقعوا بتلك البلاد الآمنة ما أوقعوا،مما سجله عليهم التاريخ ، وكتب على صفحات القلوب بأقلام الضلوع وحبر الدموع ، وسيق الناس إلى السجون والأعمال الشاقة،وسيق هؤلاء الشيوخ على الخصوص بتهمة التآمر على أمن الدولة أو الثورة على

النظام،أو الاتصال بالأعداء،أو ما شئت من مثل هذه التهم التي يتسع لها الخيال ، ولم يثبت شيء منها ـ ولن يثبت ـ إلى الآن وبعد الآن .

إننا لا نطلب العفو والإفراج عنهم ، وإنما نطلب تقديمهم للمحاكمة ونشر قضيتهم أمام العدالة والرأي العام . وإننا على ثقة من براءة أصحابنا ، وعلى ثقة من فضيحة هذه المعاملات الاستثنائية التي لا يرتضيها الحق ، ولا تقتضيها ـ خصوصا في هذه الأوقات ـ مصلحة .

وإذا كان من تقديم إخواننا للمحاكمة رفع ما للظلم عنا ، فإن فيه محوا ما لكلفة شوهت وجه عيد الحرية .

فإلى المحاكمة إن كنتم تريدون نصرة العدل وجمال الحرية (1) .

---

(1) البصائر : عدد 178 : يوم الجمعة 24 جمادى الثانية 1358 هـ ـ 11 أوت 1938

مظاهـرنـا الرسميـــة

أيهـا (المذيـاع !) ..

عندما تكون حكومة أمة منها تكون ما تظهر به الحكومة أمتها هى مظاهر تلك الأمة . وعندما تكون حكومة أمة من غيرها لا تكون ما تظهر به تلك الحكومة الأمة هى المظاهر الحقيقية لتلك الأمـــة . فما تظهر به الإدارة الأمة الجزائرية هو ما ندعـــوه « مظاهرنا الرسمية » فهل تلك هى مظاهر الأمة الجزائرية الحقيقية ؟

من مظاهر الأمم اليوم ما تنشره مذاييعها على موجات الأثـير، فيطلع العالم على ما عندها من علم وأدب وفن،ويعرف درجة مـا بلغت إليه من رقي ، وللجزائر مذياع .. قد أسسته الإدارة منذ سنوات،وجعلت فيه سويعات للعربية ــ ويا ليتها لم تجعل ــ فكانت تلك السويعات مقصورة على صحون الحاكى وحفلات طرب وأخبار معينة ، ومواضيع أخرى ليست بذات قيمة علمية ولا أدبية ولا فنية ، إلى سوء الأداء ، ونكرة الصوت ، وعامية ثقيلة كأنها رطانة فى كثير من المرات ، فكان هذا المذياع الكذوب يظهرنا للعالم أمة ماتت فيها العربية واندثر منها العلم والأدب والفن،وأصبحت فى أحط دركات الجهل والتقهقر. فهل هذه هى حقيقة الأمة الجزائرية ؟ لا والله .

لقد كنا نألم من هذا المذياع،وكنا نعده نكبة من نكبات الجزائر. ولكننا كنا نسلى أنفسنا بأنه مذياع معروف النسبة ... فلا يتخذ

حجة علينا حتى أنشىء فى هذه السنة مذياع قوي في تونس الشقيقة وأخذنا نسمع منه المحاضرات القيمة فى العلم والأدب والفـــن والتاريخ والصحة وتدبير المنزل والاقتصاد والفلاحة ، والوعظ والإرشاد ، فصور تونس العزيزة كما هى فى رقيها وحضارتها . هذا والإدارة التى أسست المذياع هنالك أخت التى أسست المذياع هنا،فإذا لا يبقى عند من يسمع المذياعين من الشعوب إلا الاعتقاد بأن الجزائر مصابة من نفسها بالعقـــم والقحط . فتجدد ألمنـا وتضاعف ، وفهم من لم يكن يفهم منا ما يراد بنا على الخصوص .

وفى هذه الأيام حلت بتونس جمعية الحرمين (أو « جمعية إنشاء أوقاف فى الحرمين » كما فسر اسمها رئيسها) فوقف العلامة الأستاذ الحجوى مندوب وزارة المعارف المغربية أمام المذياع ، فألقى محاضرة قيمة عامرة،بحث فيها فيما جاء فى أقصى أمد الحمل مـن الوجهة الفقهية ومن الوجهة الطبية،وبين عدم معارضة الطب للفقه،فوفى الموضوع حقه وأبان عن علم واطلاع وتحقيق . ووقف أمام المذياع الشيخ المولود بن الميهوب مفتي قسنطينة فألقى محاضرة موضوعها ــ إن كان هذا يعد موضوعا ــ (منافع جمعية الحرمين الشريفين) وابتدأها لتنبيه السامعين إلى ما فيها .. بقوله : « أيها المذياع !) تنبهنا وسمعنا،فلم نسمع من منافع هذه الجمعية غير ما سمعناه من غيره إلا ما امتاز به خطابه من براعة فى الشكر والثناء .. ونحن لا يهمنا ما يقوله الشيخ المولود ولا منافع تلك الجمعية،وإنما يهمنا أن تكون حضرته مظهرا للجزائر فى ذلك المذياع ، لا سيما وقد قرن بالأستاذ الحجوى كما يقرن الجون بالجون .

وليلة أخرى وقف م. بيرشي المستشرق الفرنسى فألقى محاضرة فى مقامات الحريرى بلغة فصيحة وكلام بليغ وأداء متقن،مما دل على أنه يحترم نفسه ويحترم اللغة التى يتكلم بها والموضوع الذى يتكلم فيه ، وقام على إثره السيد قدور بن غبريـــط الجزائرى

التلمساني المتخرج من إحدى المدارس الرسمية والوزير اليوم ـ بلا وزارة ـ عن المملكة المغربية ، فألقى خطابا كأنما أراد مدير المذياع أن يرينا به بعد خطاب م. بيرشى التمايز بين الضدين المتعاقبين،فكان مظهرا آخر من مظاهرنا التعيسة .

وعلى ذكر السيد ابن غبريط فإنني لا أنسى له ذلك الامام الذى اختاره ـ بموافقة الإدارة ـ من إحدى مدن الجزائر الساحلية ونصبه إماما بجامع باريس،فكان فضيحة للجزائر وسبة معلنة فى كل جمعة من فوق المنبر أمام أصناف الأمم الإسلامية .

هذه هى مظاهرنا الرسمية التى تظهرنا بها الإدارة الجزائرية ، وكانها لا تدرى أن الناس إن أصدقوها فيما تصورنا به من تلك المظاهر كان للوم والعار على الحكومة التى تولت أمرنا أكثر من مائة سنة ، إذ لم يكن ذلك خلقة فينا فنحن أبناء بجارية وتلمسان مائة سنة ، اذ لم يكن ذلك خلقة فينا ، فنحن أبناء بجاية وتلمسان ذلك فما أقبح ما يلحقها من مذمة فى سوء الإدارة حتى انحطت فيها عن شقيقتها بتونس ، أما نحن فإننا نتحقق أن الشعوب ـ وخصوصا العربية الافريقية ـ لا تصدق تلك المظاهر ، فقد عرفت للجزائر علماءها وأدباءها وشعراءها وخطباءها وساستها ومساجينها أيضا ، فلا تجنى الإدارة إلا على نفسها ، ولا تشوه إلا سمعة حكومتها ، وهذا هو الداء العياء فيها : تنسى ما يلحق مصالحها العليا من الضرر عند ما تريد شيئا بنا ، فليتها تذكر تلك المصالح ، ففى ذكرها لها خير لها وللحكومة ولنا . ولسنا نتداخل فى سياسة الإدارة وأساليبها ، ولكن هذه المظاهر مست العلم والدين واللسان ، وتلك نواح لا نطيق السكوت عليها ، فكتبنا ما كتبنا نقدا نزيها للماضى ، ونصحا خالصا للمستقبل . (1)

---

(1) البصائر : س 4 ـ ع 144 ـ 1357/10/24 هـ ـ 1938/12/16 م .

اضطهـــاد جـديـــد

يلقى أعضاء جمعية العلماء العاملون ـ وهـم الطائفة القائمة على نشر تعليم الإسلام ولغـة الإسلام للصغار والكبار ـ ما يلقون من أنواع المعاكسة والاضطهاد ، وأكثرهم فى ذلك ـ والحمد لله ـ صابرون محتسبون ، وأقلهم بالتقية معتصمون . فإذا طلبوا رخص التعليم أو غيرها من مصالحهم حسب القانون فوجئوا بالسؤال عـن عقيدتهم وما تنطوى عليه صدورهم ، وعـن آرائهم وأفكارهم ، وهل هم مـن جمعية العلماء ؟ وهل قرأوا عـلى ابن باديس ؟ وهل قرأوا على بعض تلاميذه ؟ وهل عرفوه ؟ وهـل هم مشتركون فى « الشهاب » ؟ وهل هم مشتركون فى البصائر ؟ فإذا عرفوا منه أو عنـه شيئا مـن هذا تجهموا لـه ورفضوا طلبـه وعرقلوا أعماله وعاكسوه فى مصالحه الخاصة وكان عندهم من المبغوضين .

كل هذا قد عرفناه وألفناه وصمد له من صمد ، فثبت وصبر ، وضعف عنه من ضعف فاتقى واستتر . ولكننا اليوم قد علمنا أنه اخترع نوع جديد من الاضطهاد لم يكن يخطر لنا ـ ولا نظنه يخطر لأحد ـ عـلى بال . لأنه نوع مـن أنواع ما كـان يرتكبه ديـوان التفتيش الاكليروسى فى القرون الوسطى مما لا يتصوره أبناء هذا العصر عصر المدنية والنور ...

ففريضة الحج التى هى ركن من أركان الإسلام الخمس قد أصبح أعضاء الجمعية معرضين للمنع منهـا والصد دونها،فقـد علمنا أن بعض الناس طلب إذنا فى السفر لأداء فريضة الحج فى غير باخرة

الحجاج الرسمية طلبا للراحة وسعة الوقت،فكان مما ألقى عليه من الأسئلة هل أنت مؤيد لجمعية العلماء؟وآل أمره إلى منعه من الإذن بالسفر على الوجه الذى طلب،وكاد يمنع من السفر مع الحجاج فى الباخرة الرسمية . وقع هذا فى السنة الماضية وتكرر فى هذه السنة، وهنالك فى هذه السنة من منع بالفعل من السفر إلى الحج جملة . رغم ما بذل من جهود ووساطة .

إننا باسم الحق والعدالة ، باسم الإسلام والإنسانية ـ نحتج ضد هذا الاضطهاد الدينى الفظيع،وضد الوقوف فى طريق آداء هـذه الشعيرة الإسلامية الكبرى ، وضد كل اضطهاد فى الفكر والاعتقاد من أي كان لأي كان .

نحن نعرف أن هنالك قوانين نحترمها . كما نعرف أن على من بيده تنفيذها أن يراعى الحـق والعدل فى تطبيقها ، وذلك هـو احترامه لها ؛ وليس من الحـق ولا من العدل فى شىء أن يحاسب الناس على أفكارهم ومعتقداتهم فيعاملوا بحسبها،ويضطهدوا مـن أجلها . وأى احترام يبقى للقوانين إذا عدل بها عن محاسبة الأعمال إلى محاسبة الضمائر والعقول ؟

ثم ماذا يزرع هذا الاضطهاد في النفوس ؟ وما يبقى فيها من أثر ؟

ثم ما هى قيمة هذا الاضطهاد فى مقاومة الأفكار والعقائد ؟ وما يستطيع أن يؤثر فيها أو يحول منها ؟

راجعوا تاريخ الأديان وانظروا ماذا لقى أهلها من اضطهاد . فهل قضى ذلك شىء من تلك الاضطهادات المتتابعة فى الأزمنة أو فى القرون المتتالية على واحد من تلك الأديان ؟ وهل كانت الاضطهادات ـ والتاريخ يشهد ـ إلا ريحا لا تزداد بها شعاعة الفكر والعقيدة المقدسة إلا شبوبا واستنارة ؟

إن المسلمين الجزائريين اليوم كلهم قد علموا وتحققوا أن ما تلقاه جمعية العلماء من اضطهاد هو فى سبيل تعليم الإسلام ولغة الإسلام للصغار والكبار،فمن لم يكن من أعضائها العاملين أو المؤيدين أو المساعدين فهو يعطف عليها أو يألم لها،وهل هذا العطف العام إلا ثغرة لذلك الاضطهاد ؟

ولا يغرنكم أولئك المطبلون والمزمرون،فوالله إن كثيرا من أتباعهم ليلعنونهم عند ما يسمعون منهم ما يسمعون ، أو يرون منهم ما يرون ، مما يعلمون أنه تملق وتزلف وتضليل ، وضد لمن بيدهم مقاليد الأمور عن المبادرة إلى تدارك الحالة بسلوك سياسة عدل وحرية وتعاون صادق ، على وجه يسوى فيه بين المسلم وغير المسلم ، والإسلام وغير الإسلام ، والعربية وغير العربية ، تسوية هى لا سواها تجلب الخير والهناء للجميع . وذلك ما دعونا إليه نحن وما زلنا ندعو إليه ولو قطع منه حبل الوتين .

إن جمعية العلماء تعمل لنشر العلم والفضيلة وتحرير العقول والقلوب ، والتسوية بين الناس فى العدل والإحسان . وتعمل لهذا فى صدق وصراحة ، وتتحمل فى سبيله كل بلية ، وقد أصبحت دعوتها ــ والحمد لله ــ جلية عند الأمة ، فكل اضطهاد لا يزيدها إلا ثباتا ويقينا ، ولا يزيد الأمة إلا إيمانا ، ومن عرف الحق هان عليه ما يبذل فى سبيله « وَلَقَدْ فَتَنَّا الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللّٰهُ الذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ » (1) .

---

(1) البصائر : س 4 ــ ع 150 ــ 1357/12/6 هـ ــ 1939/1/27 م .

أيهـا النفعيـون ! أيهـا الأنانيـون !

اسمعوا ما يقال عنكم في غش دولتكم ...

فهـل تنتهـــون ؟

نحن في كل ما نقول ونكتب ونعمل نرمى إلى مصلحة شعبنـا المنكوب قبل كل شيء . ونعتقد ـ بحق ـ في الوقت نفسه أننا لا نظلم بذلك أحدا ولا نعمل لمضرته . ونرى أن فيما نطالب به من احترام ديننا يمنحنا حرية تعلمه وتعلم لغته في المدارس والمساجد هو في مصلحة الدولة نفسها . ولكن سياسة الانتفاع والتفـــوق والأنانية التي تقبض عليها أيد عانية قويـة،أصلها هنـا وفرعها هنالك ـ هى التي تقلب حقيقة قصدنا ، وتشوه صورة مطالبنا ، وتظهرنا في صور من الخيال الماكر المحتال . وتقف حجر عثرة في تفهم الدوائر العليا لنا ، وتقديرها لوجاهة مطالبنا ، وإدراكهـا لارتباط مصلحتها بمصلحتنا .

ولقد قلنا مرارا ، وكتبنا تكرارا ، أننا طلاب حق باسم العدل والإنسانية ، في نطاق القوانين المعمول بها والتي يتمتع الأجانب في ظلها بما يشتهون ، فلا تزيد تلك السياسة إلا تصاما عنا وإرهاقا لنا ودفعا لنا مـن سيء الى أسـوأ ، غـير حاسبة لمصلحة دولتها ولا لسمعتها حسابا ، رغم ما حذرنا وأنذرنا . وها نحن اليوم نسمعها كلمة رجل عظيم وزعيم كبير في العالم الاسلامى والعربى في أمرها لتذوق طعم ما جنت على نفسها وعلى دولتها .

فقد نشرت جريدة الدستور نص الكتاب الذى بعث به الدكتور

عبد الحميد سعيد النائب البرلماني المصرى والرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين إلى رئيس الجمهورية الفرنسية يذكره فيه بسوء السياسة التي سلكتها فرنسا في هاته السنين، ومما جاء فيه ما نصه:

« إن المتتبعين لسياسة فرنسا الإسلامية في مدة العشر سنين الأخيرة يجزمون أن الجمهورية الفرنسوية لو كانت واضعة سياستها الإسلامية في أيدى أعدائها وأشدهم بغضا لها وحنقا عليها لما أمكن أن يزيد سوء تأثيرها في شعور المسلمين على ما صار إليه منذ أصدرت الظهير البربرى إلى أن أصدرت نظام الطوائف في الشام، مما دل على أن السالكين لها لم يفهموا ولم يعلموا شيئا عن حقيقة الروح الإسلامي وتطوير المسلمين، وما يمكن أن يؤدى إليه هذا الكيد لدينهم في الأقطار التي عليها موظفون فرنسيون . وقد حذر فرنسا من تجاهل يقظة المسلمين في جميع أقطار الأرض الذين لها علاقة بهم، وأن لا تجنى من سياستها التي عمدت إليها أخيرا والعدوان للمسلمين إلا فضائح سياستها وازدياد السخط عليها.

إن المسلمين في موقفهم الحاضر يراقبون كل حركة وسكنة من كل دولة من الدول، ولا فرق عندهم بين أي إسلامي وآخر فيما يرجى إليه من إحسان واساءة ، لأن كل إحسان أو عمل يصدر إلى أى جماعة من جماعات المسلمين يعتبره المسلمون موجها إليهم، وهم يعرفون كيف يقابل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته .

وأما من يحسب للغد القريب حسابه ويربأ بأمته أن يجعل أربعمائة مليون من المسلمين أعداء لها مبغضين لظلمها، فليكف يده عن أذى المسلمين ، ونحن نعتقد أنه لا يزال في الوقت متسع أمام الحكومة الفرنسوية لتصلح موقفها مع المسلمين بالعدول عن سياسة العدوان في الشام وشمال افريقيا على السواء، وأنها إن فعلت ذلك فستعلم أنها أحسنت صنعا إلى نفسها وإلى سمعتها بين الأمم

أمام التاريخ الذى يدون غلطات الاستعماريين من رجالها . والشجاعة كل الشجاعة فى الرجوع عن الخطإ إلى الصواب .

إن المسلمين جميعا لما تعمله الحكومة الفرنسوية فى هذا الموضوع الخطير لمترقبون .

الرئيس العام لجمعيات الشبان المسلمين

عبد الحميد سعيد

لقد بان واتضح أن مصلحة فرنسا الحقيقية هى فى إجابة مطالبنا وكف يد العدوان عنا . وأن مضرتها الحقيقية هى فى مجاراة أولئك الذين عرف القريب والبعيد سوء أثرهم عليها ، ونظرهم لمصلحتهم دون مصلحتها . ومثلهم أذنابهم التى يستعيرونها منا ، وأبواقهم التى يصنعونهم من بيننا،فيكونون بلاء عليهم وعلى دولتهم وعلينا .

فهل فى الشخصيات الكبيرة والقابعة على الأزمة العليا هنا وهنالك ، من نظرة صادقة تدرك الحقيقة الواضحة وتتدارك المصلحة المشتركة فتحسن للجميع ؟ (1)

---

(1) البصائر : س 4 ـ ع 158 ـ 1358/2/2 هـ ـ 1939/3/24 م .

اهتمـــام النـــواب واستعـــدادهـم

كان اجتماع شعب الجمعية الذى انعقد بالعاصمة منذ ثلاثة أسابيع فى شأن هذا القانون المشؤوم مظهرا عظيما من مظاهر الألم والسخط والخوف : الألم من الضغط الواقع على تعليم الدين ولغة الدين . والسخط على الجور الذى يساعد مؤسسات التنصير ، ولا يعترض مدارس الإيطاليين وغير الإيطاليين ، ثم يغلق مدارس التعليم الإسلامى المؤسسة بأموال المسلمين فى وجوه أبنائنا المتشردين . والخوف على مستقبل الإسلام فى هذه البلاد إن دام الحال ولم يتدارك بالسعي الجاد والعمل السريع .

رجع الوافدون على الاجتماع إلى بلدانهم يحملون قرار الاجتماع إلى نوابهم ، ويبلغونهم ما دار فيه ، ويشرحون لهم العواقب الوخيمة لقانون 8 مارس على الإسلام ولغة الاسلام في هذه الديار ، وما كان له على التعليم اليوم والمعلمين من سيء الآثار ، ويبلغونهم ما حملهم الاجتماع من المسؤولية العظيمة فى ذلك كله ، لأنهم نواب أمة ترى ــ كما يرون ــ أن دينها ولغة دينها أساس حياتها .

لقد وجدوا من نوابهم ــ المنخرطين فى الوحدات النيابية الثلاث وغيرهم ــ آذانا صاغية وقلوبا متأثرة واهتماما بالمصيبة واستعدادا للعمل .

وإلى كتابة هذا ما زالت الرسائل تتوارد علينا من شعب الجمعية وكلها متفقة عن نوابها فيما ذكرنا . ومنها رسالة شعبة وهران

بعد اتصالها بالسيد المكى رئيس وحدة النواب بالعمالة الوهرانية، ورسالة الأستاذ فرحات بن الدراجى معتمد الجمعية بالعاصمة بعد اتصاله بالدكتور البشير رئيس وحدة النواب بالعمالة الجزائرية .

وقد ذهبت إلى الدكتور ابن جلول فى مكتبه مساء قدومه من باريس، وقد كان سافر إليها ليذكر الحكومة الغليا فى وعودها ويعرفها بالحالة النفسية الحقيقية للأمة نحو مطالبها، وما يخامرها من قلق من جراء تأخيرها والسكوت عنها ، وما لها من سخط وانزعاج مما ترى وتسمع من أناس لا يمثلونها ، يقولون عنها عنها خلاف ما يعلمون .

عرفته بالاجتماع وقراره وأبلغته سلام المجتمعين . وهنأته بسلامة القدوم، وذكرت له ما يلقاه التعليم والمعلمين من المحن والبلاء، وما تتطلبه منه الأمة من القيام المشروع فى ذلك، وما يفرضه عليه دينه فيه .

فأطلعنى على قائمة المطالب التى قدمها فإذا فى طليعتها قانون رينى وضحاياه ، وحرية التعليم الإسلامى ، وقانون النوادى ، وذكر لى أن الدوائر العليا مسرورة جدا بموقف الأمة الجزائرية مع فرنسا فى الساعات الصعبة، وأن رجل الوزارة الداخلية وعدوا بالنظر الجدى فى القضية الجزائرية التى هى موضع اهتمامهم . وطلبوا منه الانتظار بالعمل إلى شهر ماى، مثلما كانوا طلبوا منه فى السنة الماضية انتظار سنة وقد انتظر . فهو لهذا يؤخر اجتماع النواب للمفاوضة فى تجديد المطالب، وإيفاد وفد منهم إلى باريس ــ إلى شهر ماى . وستكون حرية التعليم الإسلامى ــ كما كانت ــ فى طليعة المطالب . فشكرته على عنايته واهتمامه، وتواعدنا على العمل فى شهر ماى إن شاء الله .

فأرجو من جميع شعب الجمعية أن يبلغوا هذا إلى نوابهـــم ليكونوا على علم واستعداد للقيام بالوسائل المشروعة فى الدفاع عن دينهم ولغة دينهم .

ثم عسى أن يدرك من بيدهم الأمر أهمية القضية وأثرهـا فى المصالح العامة المشتركة ، فيتداركوها من أنفسهم بما فيه خـير مضمد لجروح القلوب . وأقوى جامع لها فى ساعات الخطر ، وأحد سلاح فى نحر العدو الأثيم (1) .

(1) البصائر : س 4 ـ ع 162 ـ 1358/3/1 هـ ـ 1939/4/21 م .

أولـو الامــر

هذه كلمة قرآنية ، فمن هم المرادون بها ؟ فقــد أوجب اللــه طاعتهم على المؤمنين،فمن اللازم شرعا أن يعرفوا ليمتثل أمر الله تعالى فيهم ، فمن هم ؟ قد اختلف فيهم،فقيل هم العلماء ، وقيــل هم الأمراء من المسلمين ، والصحيح أنهم العلماء والأمراء معــا ، وإليك البيــان :

لله الخلق والأمر ، والأمر أمران : الأمر التكويني ، والأمــر التشريعي والثاني هو المراد هنا ، وما أمر بطاعة أولى الأمــر إلا لأنهم يأمرون بأمر الله ، فكانت طاعتهم طاعة الله . وأمر اللــه نحتاج الى تعيينه وإلى تنفيذه ، فبالعلم يعين ، وبالسلطان ينفــذ ، فالعلماء يصدق عليهم أولو الأمر لأنهم الذين يعينون أمر اللــه بطرائق العلم المقررة ، والأمراء يصدق عليهم أولو الأمر لأنهــم ينفذونه بحمل الناس عليه بما جعل الله لهم من سلطان . فإذا وجد العلماء دون الأمراء تعطلت الشريعة ، وإذا وجد الأمــراء دون العلماء ضلوا وأضلوا عن السبيل ، ولا يستقيم الحال إلا بوجــود الطائفتين وتعاونهما بطريق الشورى التى هى أساس الامــر فى الإسلام . وقد بين لنا السلف الصالح رضى الله عنهم هذا بطريقة عملية،فكان عمر ــ رضى الله عنه ــ وقد جمع بين العلم والسلطان، يجمع الصحابة فى النوازل الهامة،ويستشيرهم،ويجعلهم فى الشورى على طبقاتهم،كما فعل عندما خرج إلى الشام وسمع بالطاعــون والقصة ثابتة فى الموطأ وغيره .

دعانى إلى كتابة هذا مقال جليل نفيس نشرته مجلة الهداية الإسلامية بقلم أستاذنا العلامة الجليل الشيخ الخضر بن الحسين الطولقى الجزائرى التونسى ثم المصرى، تحت عنوان (العلماء وأولو الأمر) فأحببت أن أنقله إلى قراء (الشهاب)، وخشيت أن يفهم من عطف أولى الأمر على العلماء في العنوان المذكور ، أن العلماء لا يصدق عليهم اللفظ القرآني، فأحببت أن أبين القول الحق في صدقه على الطائفتين، وأحببت أيضا أن تكون مقدمتى هذه الصغيرة أمام ذلك المقال الكبير تذكرة لجلوسى لتلقى تهذيب المنطق بين يدى الأستاذ بجامع الزيتونة ـ عمره الله ـ ولسماع دروس من صدر تفسير البيضاوى بدار الأستاذ بشارع باب منارة من تونس الخضراء العزيزة حرسها الله .

ولا يخفى أن الأستاذ أبقاه الله ابن أخت العلامة الجليل الشيخ المكى بن عزوز رحمه الله ، وكلاهما من أبناء الطرقية ، ولكن العلم سما بهما إلى بقاع التفكير والهداية والإصلاح، ولكليهما ـ أحسن الله جزاءهما ـ كتابات فى التحذير مما عليه الطرقية اليوم تارة بالتصريح وتارة بالتلميح . وإلى القراء الكرام نص مقال الأستاذ أبقاه الله وهو من ذلك الطراز (1) .

(1) ش : ج 8 ، م 15 ، شعبان 1358 هـ ـ سبتمبر 1939 م .



القسم الثالث

الاجتماعيات



الاجتماعيات

إننا نتحد لننفع أنفسنا، وننفع ـ إذا استطعنا ـ غيرنا ، ومعاذ الله والإسلام أن نتحد على أحد ، أو نتفق على باطل ، أو نتعاون على إثم أو عدوان (1).

عبد الحميد بن باديس

(1) الشهاب : ج 1 ـ شوال 1354 هـ ـ فيفرى 1936 م .



بمخالطة المتمدنين ـ نترقى في المدنية

لقد كانت أوروبا في القرون الوسطى تتسكع في ظلمات الهمجية والجهالة ، حتى قامت بمشروعها العمومي العظيم وهو الحروب الصليبية ، فرمت بمئات الألوف من أبنائها بعاصفة التعصب الديني نحو الشرق المزهر إذ ذاك بالعلم والعمران فأقاموا يحتكون بالأمم الشرقية الإسلامية أكثر من قرنين ، فكان لذلك أثره العظيم في أخلاقهم وعقولهم وآدابهم ، فرجعوا ـ وقد جاءوا ليفتحوا الشرق ـ قد فتحوا بدلا منه بصائرهم لحقائق في الحياة ونظم في العمران ، كانوا بها جاهلين وعنها بعيدين ، وكان ذلك مبدأ سلوكهم في سبيل المدنية وترقيهم في درجاتها ، الذي جنوه من ثمرة اختلاطهم بالأمم الشرقية الإسلامية العالمية المتمدنة إذ ذاك .

فإذا أردنا اليوم أن نقتبس منهم كما اقتبسوا منا ونأخذ عنهم كما أخذوا عنا ـ فعلينا أن نخالطهم ، ونخالطهم في ديارهم حيث مظاهر مدنيتهم الفخمة في مؤسساتهم العلمية والصناعية والتجارية في أحزابهم على اختلاف مباديها ، في جمعياتهم على اختلاف غاياتها ، في عظمائهم أصحاب الأدمغة الكبيرة التي تمسك بدفة السياسة ، وتدير لولب التجارة،وتسير سفينة العلم ، فالذين يخالطونهم هذه المخالطة بتمام تبصر وحسن استفادة ـ يخدمون أنفسهم وأمتهم خدمة لا تقدر،خدمة تكون أساسا للتقدم والرقي

فلهذا نرى ما عزم عليه أفراد متنورون من شبابنا الناهض من إيفاد وفد إلى الديار الفرنسوية ـ من أهم المشاريع التي يجب تأييدها وشكر القائمين بها .

إيفاد الوفود إلى مختلف البلدان للاستفادة والإطلاع ـ أمر لازم عند الأمم المتمدنة اليوم وإن تكن أجنبية من بعضها فضروري لنا نحن الجزائريين بالأحرى ذهاب وفود متعددة متنوعة إلى الديار الفرنسوية التي تربطنا بها الروابط الجمة من سياسية وعلمية واقتصادية .

إننا لا نزال ـ رغم القرن ـ مجهولين عند الأمة الفرنسوية مجهولة مقاصدنا الشريفة السلمية المتركزة على روح الحق والإخاء والإخلاص،فنريد ان تعرفنا وجها لوجه،وتفهمنا فهما يقطع لسان كل أفاك أثيم .

إننا لا نزال ـ رغم القرن ـ محرومين من معاهد العلم الكبرى بفرنسا وفروعه المادية الحيوية التي تكرع من معينها الطلاب من أمم كثيرة،فنريد أن نلجها ونتزود من خيراتها،فنحن الجزائريين رعايا فرنسا أحق الناس بها .

إننا لا نزال ـ رغم القرن ـ أمواتا موتا اقتصاديا جاهلين بطرق التجارة التي هي أساس الحياة،لا تعرفنا ديار فرنسا ومصانعها إلا بالوسطاء ... ! فنريد أن نباشر المعاملة معها بأنفسنا ونكسبها الثقة فينا،ونبني هيكلنا الاقتصادي على أساس متين .

وفدنا المزموع عليه في الربيع القادم ـ وفد اقتصادى محض، ولكنه سيكون بالطبع عنوانا علينا بتمثيله لأخلاقنا وآدابنا ونفسيتنا هنالك ، وأفراده المتنورون بلا شك يعلمون هذه التبعة ويقومون بها أحسن قيام . كما أنه سيكون عندنا بعد قفوله دليلا على مقدار شعور الأمة الفرنسوية نحونا وتكريمها لشبابنا .

وفد كهذا يحق على كل من وجد سبيلا إليه أن ينخـــرط في سلكه،وينبغي للحكومة أن تعمل لتنشيطه وإعانته،فإنه وصلــة حب وتعارف ومنفعة بين فرنسا والجزائر ، وهذا ما يوده كـل عاقل خبير (1) .

(1) الشهاب : ع 16 ـ 12 شعبان 1344 هـ ـ 1926/2/25 م .

ماذا خير من المال ؟

كل الناس يسعى لتحصيل ماله في هذه الحياة من شهوات ورغبات ، لتحصيل الراحة والهناء والسعادة .

ولما كانت المنافع الموزعة بين البشر لا تنال في الغالب إلا بطريق التبادل ، وكان التبادل مبنيا على التعاوض ، وكان العوض المحبوب عند كل أحد والمحصل لكل عوض هو المال ـ كان المال عند كل إنسان محبوبا لديه بطبعه وخيرا من كل شيء لتحصيله كل شيء ، وكان أصحاب الأموال في نظر العموم بمظاهرهم الخلابة هم أهل الراحة والهناء والسعادة .

الغني سعيد ، والفقير شقي ، هذا حكم ضروري عند عامة الناس ، يصدرونه بسرعة ويتلقونه بالتسليم ، فمقياس الهناء هو الغناء ومقياس الشقاء هو الفقر .

لا يا صاح ! بل إننا كثيرا جدا ما وجدنا من نسميه غنيا لوفرة ماله في غناء وشقاوة ، ذلك لأن ثَم أشياء غير المال تغني عنه في تحصيل السعادة وتوصل حتما إليه ، ولا يغني عنها هو في ذلك ولا يوصل إليها . فهي إذاً قطعا خير منه .

هذه الأشياء هي الصحة والرجاء والأمل والعمل والوقت .

1 ـ لا يستطيع أحد أن ينهض بعمل جليل أو يقوم بأمر خطير أو يتلذذ بأطايب الحياة أو ينعم بخيراتها إلا إذا كان ممتعا بنعمة

الصحة البدنية،فما قيمة أموال العالم بأسره عند من كان ممعودا أو مصدوعا ؟

2 ــ في الحياة خير وشر ونعيم وبؤس،فالذين ينظرون للدنيا من ناحيتها البيضاء ويعتقدون في أنفسهم التغلب بما زودوا به في هذا العالم من أسباب الجهاد على ما يعترضهم من عقبات الوجود ومنغصاته ــ يكون لهم من الرجاء ما يبعث فيهم الحزم والنشاط على العمل ، ويكسبهم البهجة والسرور . ومن حرم من نعمة الرجاء ونظر إلى الدنيا من ناحيتها السوداء وقع في سجن البؤس مقيدا بقيود الكآبة ليس له غبطة ولا فرح ولا نعيم بشيء ولو كان يملك كنوز العالم .

3 ــ الأمل الذي يصبو إليه العامل من وراء عمله هو الذي يجعل له ذلك العمل مهما كان شاقا عملا لذيذا فيكون في راحة وهو في نصب ، وفي نعيم وهو في ألم ، ينبعث إلى أمله المحبوب انبعاث السهم في خفة وسرعة إلى غايته ، ومن لم يكن له أمل في هذه الحياة قعد عن العمل أو عمل ببرود وتثاقل ليس وراءهما إلا التعب والفشل المحقق كانت حياته عبئا ثقيلا عليه لا تخففه عنه قناطير الأموال .

4 ــ إذا نظرنا في سير الناجحين في هذه الحياة وجدناهم كلهم كانوا يثابرون على العمل طول أعمارهم ، وجدناهم يستعملون أدمغتهم وأيديهم إلى أقصى ما تستطيعه القوى الفكرية والجسدية، فارتقوا من وهدة الشقاء والخمول إلى قمة الشهرة والسعادة،فكان لهم من رؤيتهم نتائج أعمالهم وما اكتسبوه من خبرة بالحياة أعظم لذة وأهنأ حالة ، لا يوازيها عندهم ما يكونون قد حصلوه بأعمالهم من ثروة ، وقد نجد أفرادا يعدون على الأصابع قد ساقت لهم الصدف الأموال على غير جد منهم أو عناء ، ولكنهم ــ مع تعرض

تلك الثروة للتلف بالتبذير والسرف ـ هيهات أن تكون لهم تلك اللذة العظيمة ، والحالة الهنية .

5 ـ كل شيء في هذه الدنيا يمكن أن يخلف إلا الوقت، فإن لحظة منه إذا فاتت لا تخلف بأموال الدنيا ، ولحظاته المتتابعة إذا حوفظ عليها وملئت بالأعمال أفضت طال الزمن أو قصر إلى الأموال والآمال ، فالوقت لنا كنز لا يماثله كنز وثروة لا تقدر بثروة ، وهو ـ إلى هذا ـ لذة وبركة للذين يقطعونه بأنواع الأعمال ، وعناء وألم على الذين يقطعونه بالبطالة ويحاولون قتله بطرائق اللهو والباطل ، فيعيشون في ملل وضجر وضيق لا توسعه أكداس الذهب والفضة .

هذه هي الأشياء الثمينة المساعدة على جعل الحياة حياة سعيدة وذات قيمة في نظر العقل . وبها توزن السعادة والشقاوة في هذا الوجود .

من أوتيها فقد أوتى السعادة ومفاتيح الثروة ولو كان فى الحال معدما ، ومن حرمها فقد حرم السعادة ولو كان من أعظم المثرين .

فيأيها الشاب الداخل في معترك الحياة ، حافظ على هذه الأصول الخمسة تظفر في حياتك بالسعادة والهناء والمستقبل العظيم .[1]

(1) الشهاب : ع 15 ـ 22 صفر 1345 هـ ـ 30 أوت 1926 م .

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ

حياك الله وأيدك يا سيف السنة وعلم الموحدين ، وجازاك الله أحسن الجزاء عن نفسك وعن دينك وعن إخوانك السلفيين المصلحين ، ها نحن كلنا معك في موقفك صفا واحدا ندعو دعوتك ونباهل مباهلتك ، ونؤازرك لله ، وبالله . فليتقدم إلينا الحلوليون وشيخهم ومن لف لفهم وكثر سوادهم في اليوم الموعود والمكان المعين لهم ، وليبادروا بإعلان ذلك في جريدتهم إن كانوا صادقين ، فإن لم يفعلوا ــ وأحسب أن لن يفعلوا ــ فقد حقت عليهم كلمة العذاب وكانوا من الظالمين،والحمد لله رب العالمين (1) .

---

(1) الشهاب : عدد 97 ــ 17 ذى القعدة 1345 هـ ــ 20 ماى 1927 م .

كتب الشيخ عبد الحميد هذه الكلمة يشكر الشيخ الطيب العقبى على المقال الذى كتبه بنفس العدد من الشهاب يرد فيه على طائفة العلوية ، الطرقية (الصوفية) يدعوها للمباهلة التى قد بدأت هى بالدعوة اليها وبالقول بان السلفيين لا يستجيبون لها .

الرجـل المسلـم الجزائـري

ألقيت محاضرة في هذا الموضوع بنادي الترقي بالعاصمة في شهر ربيع الأول . وفيما يلي أكتبها على ما بقي في ذهني منها لأنني كنت ألقيتها ارتجالا،وإذا شذ شيء فلا يكون إلا قليلا .

سبب اختياري للموضوع :

كنت ـ وأنا قادم للعاصمة من مصيف « حصن الماء » أحوم على موضوع أختاره للمحاضرة التي اقترحها علي أعضاء النـــادي المحترمون . فوقع فكري على المرأة وحالتها وواجباتها وحقوقهـا . وبينما أنا أفكر فيها وأجمع أطراف الحديث في شأنها إذا أنا برجل مسلم جزائري ببرنوسه وقنوره وقف أمام خيالي ـ وأخـذ ذلك الرجل يخاطبني بشدة وعنجهية ويقول :

« أنتم تفكرون في تعليم المرأة فلمن تعلمونها ؟ لي أنا الرجل الجاهل ! ليقعن لها ما يقع للعالم الضعيف المغلوب من الجاهل القوي الغالب ، ومن يعلمها ؟ أنا الجاهل ! كيف أترك نفسي وأعلمها ؟

أنتم تفكرون في نزع حجابها وخلطها بالمجتمعات ! ألا تخافون عليها إغارتي ؟ فلأضايقهن ولترين منـي كـل أنـواع التعـدي والأذى .

إذا أردتم التفكير الصحيح والإصلاح المنتج ففكروا في قبلها فأنا أبوها ، وزوجها ، ووليها ومصدر خيرها وشرها .

وإذا أردتم إصلاحها الحقيقي فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها ، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها ، وأما حجاب الستر فإنه ما ضرها في زمان تقدمها فقد بلغت بنات بغداد وبنات قرطبة وبنات بجاية مكانا عليا في العلم وهن متحجبات .

فليت شعري ما الذي يدعوكم اليوم إلى الكلام في كشف الوجوه قبل كل شيء ..! » .

فأمام هذا الرجل الخيالي المرعب وحججه الدامغة ما وسعني إلا العدول عن التفكير في المرأة إلى التفكير في الرجل فاخترت موضوع المقالة « الرجل المسلم الجزائري » .

المراد من الموضوع :

هذا موضوع مجمل،فالرجل المسلم الجزائري موضوع بحوث طويلة من نواح عديدة،لكنني أتكلم عليه من نواح ثلاث : رجولته، إسلاميته، جزائريته .

الرجل :

خلق الرجل قويا ، متهيئا بما منح من القوة للقيام بما يقتضيها من عظائم الأمور وجلائل الأعمال ، للإنسانية التي هو فرد منها ، للوطن الذى هو من نباته ، للبلد الذي هو من سكانه ، للبيت الذي هو رئيسه .

هو رئيس البيت ، و « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ » فعليه واجب الرعاية : بالسعي والتكسب ، بالتهذيب والتعليم ، للزوجة ، للأبناء ، للبنات « يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ » . وله حق الولاية « وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ

دَرَجَةٌ » درجة الولاية بالنظر والتدبير والتنظيم والتسيير ، فهو السيد في بيته ليكون سيدا في قومه . والسيادة الحقيقية إنما هي بالنفع والعمل المنتج . فسيد البيت هو الأكثر عملا والأجلب نفعا له ، وسيد الوطن هو الأعمل والأنفع في سبيله . فالسيادة حظ العاملين على درجاتهم في الأعمال .

المسلـــم :

هو المتدين بالإسلام ، والإسلام عقائد وأعمال وأخـــلاق بها السعادة في الدارين .

أما تحصيلها لسعادة الأخرى فما بها على أحد من خفاء .

وأما تحصيلها لسعادة الدنيا فقد صار في هذه العصور المتأخرة عند كثير من الناس مما يخفى . مع أن دعوته إلى تحصيل السعادة والسيادة في الدنيا في آيات القرآن العظيم كثيرة جدا .

فدعا إلى العلم بمثل قوله تعـالى : « وَقُـلْ رَبِّ زِدْنِـي عِلْماً » وللفلاحة بمثل قوله تعالى : « هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا » وإلى الصناعة وإتقانها بمثل قوله تعالى « أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ » وإلى التجارة بمثل قوله تعالى : « فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللّـهِ » كما سمى العبادة ابتغاء من فضل الله ، فقال تعالى : « وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْوَاناً » .

وهو إلى هذا دين السلامة و « المسلمُ مَن سَلم الناسُ مـن لِسانِه ويدِه » ودين المحبة و « لاَ يؤْمنُ أحدُكم حتى يُحـبَّ لأخيه ما يُحب لنفسه » . ودين الترقي بالعلم . « قُـلْ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ » ودين السيادة بالعدل ، والسعادة بالإحسان . « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ » .

الجزائــرى :

إنما ينسب للوطــن أفراده الذيــن ربطتهم ذكريات المــاضي ، ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل . فالذين يعمرون هذا القطــر وتربطهم هذه الروابط هم الجزائريون .

والنسبة للوطن توجب علم تاريخه ، والقيام بواجباته . مــن نهضة علمية واقتصادية وعمرانية ، والمحافظة على شرف اسمه ، وسمعة بنيه ، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه .

طريق العلم بهذا والعمل به :

هذه الحقائق التى ذكرناها بها يكون الرجــل رجــلا ، والمسلم مسلما ، والجزائري جزائريا ، فتهذيب الرجــل وتعليمه لا يكون إلا بالعلم والعمل بها . وما ذلك إلا ببثها : بالمحاضرات في النوادي بالدروس العامة في المساجد ، بالخطب الجمعية على المنابر .

وإذا كانت هذه طريقا للتعليم العام فعلينا أن نجعلها في أول ما نهتم به من شؤون إصلاحنا .

إذ لو كانت هي كما يجب أن تكون وقامت بواجبها كما يجب أن تقوم لكنا على حال غير ما نحن عليه اليوم .

وفى كثير من الرجال المتصلين بها لنا أعظم الآمال .

شقيقة الرجل وشريكته :

إن العناية بالرجل تستلزم العنايــة بالمرأة شقيقته في الخلقة والتكليف ، وشريكته في البيت والحيــاة . هما زوجان متلازمان لا تكمل الوحــدة البشرية إلا بكمالهما . وما الوحــدة البشرية فى ضرورية الزوجين لتكوينها إلا كسائــر المخلوقات الساري عليهما

قانون الزوجية العام . ويبتدىء ذلك في أصغر جزء وأول مــادة للتكوين وهو الجوهر الفرد في اللسان العلمي القديم ، والكهرب في اللسان العلمى الحديث . فإنه مركب من قوتين زوجين موجبة وسالبة . مصداق قوله تعالى : « وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ »،ويعم هذا القانون جميع المخلوقات ومنها الإنسان كما قال تعالى : « وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجاً » .

هذا دليل الخلقة على ما بين الرجل والمرأة من لحمة اتصال ، وما لكل واحد منهما على الآخر من توقف لبلوغ الكمال .

أما أدلة ذلك من الشرع فآيات عدة . منها قوله تعالى : « هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا »،« وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً »،« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ »،« هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ » .

هو الأول ، وهى الثانية :

هما ــ على ما بينهما من هذا التشارك والتلازم والاتصال ــ فإنه هو المقدم عليها ، والقيوم على شأنها ، والمسؤول على إنهاضها .

تشهد بهذا الفطرة الظاهرة في ضعف خلقها ، والتاريخ البشري بما فيه من مدنيات قديمة وحديثة . كلها قامت على كواهل الرجال ويشهد به الدين فى قوله تعالى : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ » .

المرأة المسلمة الجزائرية :

نــرى حقا علينا بعدما تكلمنا عــلى الرجل المسلم الجزائري أن نتكلم شيئا عن المرأة المسلمة الجزائرية من نواحيها الثلاث أيضا .

المــــرأة :

خلقت لحفـظ النسـل ، وتربية الإنسان في أضعف أطـواره (وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً) فهي ربة البيت وراعيته والمضطرة بمقتضى هذه الخلقة للقيام به . فعلينا أن نعلمها كل ما تحتاج إليه للقيام بوظيفتها ، ونربيها على الأخلاق النسوية التي تكون بهـا المرأة امرأة لا نصف رجل ونصف امرأة . فالتي تلد لنا رجلا يطير خير من التي تطير بنفسها .

المسلمـة :

« لَهُنَّ مِثْلُ الذِى عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ » فعلينا أن نعلمها ما تكون به مسلمة ، ونعرفها من طريق الدين ما لها وما عليها،ونفقهها في مثل قوله تعالى : « إِنَّ المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَاتِ وَالمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ وَالقَانِتِينَ وَالقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالخَاشِعِينَ وَالخَاشِعَاتِ وَالمُتَصَدِّقِـينَ وَالمُتَصَدِّقَـاتِ وَالصَّائِمِـينَ وَالصَّائِمَـاتِ وَالحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللّـهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً » .

الجزائـرية :

بدينها ولغتها وقوميتها فعلينا أن نعرفها حقائق ذلك لتلد أولادا منا ولنا ، يحفظون أمانـة الأجيال الماضية للأجيال الآتيـة . ولا ينكرون أصلهم وإن أنكرهم العالم بأسره . ولا يتنكرون لأمتهم ولو تنكر لهم الناس أجمعون .

الطريق الموصل إلى هذا :

هــو التعليم : تعليم البنات تعليما ينـاسب خلقتهن ودينهـن وقوميتهن . فالجاهلة التي تلد أبناء للأمـة يعرفونها مثل أمهاتنا

ـ عليهن الرحمة ـ خير من العالمة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها، تعليم كل واحد لأهله بما عنده من علم .

ويوم نسلك هذا الطريق في تعليم المرأة ، والطريق السابق في تعليم الرجل سلوكا جديا نكون ـ بإذن الله ـ قد نهضنا بهما نهضة صحيحة نرجو من ورائها كل خير وكمال (1) .

---

(1) ش : ج 10 ، م 5 ـ غرة جمادى الثانية 1348 هـ ـ نوفمبر 1929 م .

لا فضل بالمال

لمن كان ذا فضل فيه

الفضل هو الزيادة ، والفاضل هو الذي زاد على غيره ، والمفضول هو الذي زاد عليه سواه ، والتفضيل هو الزيادة لغيرك أو اعتقادك الزيادة فيه .

والله تعالى قد فضل بين عباده ـ بحكمته ـ في العطاء : في الجسم ، في العلم ، في العمل ، في المال ، فزاد بعضهم على بعض في ذلك ، وفضل بينهم ـ بعدله ـ في القدر والمنزلة دنيا وأخرى كذلك .

ومما يكون فيه التفضيل من أنواع العطاء ما جعله الله سببا للتفضيل في القدر والمنزلة ، ومنه ما لم يجعله سببا .

فالفضل في الجسم والفضل في العلم سببان في فضل القدر والمنزلة وبهما فضل طالوت على بني إسرائيل واختير عليهم ملكا. قال تعالى : « إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ، وَٱللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ » . وليس المراد هنا من الجسم كبره وضخامته، بل المراد صحته وقوته بقوة فؤاده ، فإن ضخامة الجسم مع السقم أو ضعف القلب بلاء على صاحبها .

وفضل القدر والمنزلة المتسبب عن فضل الجسم والعلم هو فضل يستحق به التقديم في هذه الدنيا ، وأما نيل الفضل بهما في منازل الأخرى فمتوقف على العمل بهما .

والرجل فضل على المرأة فى قوة العقل وقوة البدن،وكانت قوتاه هاتان سببين في فضله في القدر والمنزلة والتقديم عليها في هذه الدنيا.قال تعالى : « الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ » وظاهر التسبب هنا من حرف الباء .

وأما الفضل في العمل فإنه سبب في فضل القدر والمنزلة دنيا وأخرى. قال تعالى : « فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْراً عَظِيماً »،وتعليق الحكم هو التفضيل بالمشتق؛ وهو (المجاهدين) مؤذن بعلية ما منه الاشتقاق وهو الجهاد،فيستفاد من سببيته في الفضل والتقديم في القدر والمنزلة .

وأما المال فلم يكن ــ أبدا ــ سببا في فضل القدر والمنزلة،ولذا قال تعالى : « وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ » فجعل التفضيل فيه فيزيد فيه حظ بعض الناس على بعض ولم يقل «بالرزق» لأن الرزق ليس سببا لتفاضل الناس في الأقدار والمنازل لا دنيا ولا أخرى ، لأن منازل الآخرة يتفاضلون فيها بما قدموا من صالح الأعمال،ومنازل الدنيا يتفاضلون فيها ــ على الحق والعدل ــ بالكفاءات والأخلاق والأعمال .

وقدر الله تعالى على بني إسرائيل لما قالوا في طالوت « وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ » منكرين استحقاقه للملك بأنه ليس من بيت الملك ولا بذي مال لاعتقادهم أن الفضل بمنزلة الملك إنما يتسبب عن النسب والمال . رد الله تعالى عليهم بقوله تعالى : « وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ » ليبين لهم أن منازل الفضل في هذه الدنيا بالكفاءات الشخصية لا بما هو خارج عنها من النسب والمال .

فالفضل فى منازل الدنيا والآخرة إنما هو بما هو منك ، من جسمك وأخلاقك وعلمك وعملك لا بما هو باين عنك ومباين لك من هذا الحطام

حتى إذا حصلته من حله ، وأنفقته في محله ، كان لك الفضل العظيم بما كان لك فيه من أعمال .[1]

(1) ش : ج 11 ، م 5 ـ غرة رجب 1348 هـ ـ ديسمبر 1929 م .

كتـاب : « امرأتنا »

للشيـخ الطاهـر الحـداد

كان صاحب هذا الكتاب حدثنا عنه أيام إقامتنا بتونس بالصيف الماضي،ففهمنا من حديثه أنه يتكلم فيه عن النهوض بالمرأة نهوضا صحيحا وتعليمها تعليما مفيدا فى حدود إسلامها التى هي بنظر كل عاقل منصف حدود الإنسانية الكاملة . وما توقعنا منه أنـه يكون ممن يدعون إلى الذهاب بها في تيار المدنية الغربية إلى مـا يخرجها عن حدود دينها ووظيفة أنوثتها . فإذا بنا لما أهدى إلينا كتابه وطالعناه وجدنا ما هو أدهى من ذلك وأمر ، وجدناه يدعو إلى إبطال أحكام عديدة من أحكام القرآن الصريحـة القطعيـة الاجتماعية ، وتعطيل آيات عديدة من آياته بدعوى أنها غير لائقة بالنساء في هذا العصر . وهذا هو الجحود نفسه لبعض القـرآن ، وجحود بعضه كجحود كله في مفارقة الإسلام .

أفيجهل هذا الأصل الشيخ الحداد أم رضي لنفسـه بانطباقـه عليه ؟ ؟ نحن لا نخشى على المسلمين من دعوته شيئا،لأنه من المعلوم الضروري عندهم أن جحود شيء من القرآن كفر به ، وإنما نخشى عليه هو أن يستمر على عقيدته فيكون من الهالكين .

وربما عدنا إلى الكتاب في فرصة أخرى (1) .

---

(1) ش : ج 11 ، م 6 ـ غرة رجب 1349 هـ ـ ديسمبر 1930 م .

نصيحـــة وإرشـــاد

من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى وفد الله من إخواننا المسلمين الجزائريين ومن بلغه كلامنا من إخواننا المسلمين

قد جرت عادة الناس من قديم عند قدومهم من الحج أن يمكثوا فى بيوتهم أياما ثلاثة أو سبعة يقتبلـــون الزائرين والمهنئـــين، وينفقون في ذلك ما قد يبلغ شطر ما أنفقوا في الحج أو يقاربـه أو يجاوزه بحسب حالهم وعدد معارفهم ، ويحسبون أنهم بذلـك يعظمون الحج والحجاج،ويتقربون إلى الله بذلك التعظيم .

وفي هذا مفسدتان عظيمتان ، أحداهما : بالقعود عن مساجد الجماعات،وذلك من شأن المنافقين الذين هم النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أن يحرق عليهم بيوتهم ، وقبيح ـ والله ـ بمن جاء من بيت الله وحرم الله أن يتخلف عن بيوت الله،ويكون في حال أهل هذا الوعيد . الثانية بارتكاب الإسراف والتبذير في غـير طاعة ، مما يعقب اللوم والحسرة ، وبغض الله الـــذي لا يحـب المسرفـين .

ونحن ننصح لإخواننا المسلمين أن يقلعـوا عن هـذه العـادة الذميمة والبدعة الضالة التى يزداد قبحها ويعظم إثمها بصدورها من وفد الله وضيوفه،الذين رجعوا ـ إن شاء الله تعالى ـ برحمته ومغفرته وإكرامه .

ونرشدهم إلى ما يحصل لهم ولأحيائهم بركة الاجتماع فى غير رياء ولا إثم ولا تبذير . ذلك بأن يصبح الحاج في مسجد قريته

أو حومته من بلدته يؤدي تحية المسجد أو يؤدي فريضته، ويتلقى أحبابه فيه ، وقد كان النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إذا قدم من سفر ابتدأ بالمسجد ، وما أسست المساجد إلا لذكر الله وجمع المسلمين على صلواتهم ودروسهم ومصالحهم .

ففى هذا ـ إن شاء الله تعالى ـ الأجر الكثير ، والنفع الغزير في الدنيا والدين .

* * *

قد تواترت الأخبار المشرقية بما يقاسيه سكان المدينة المنورة من جهد ومشقة واحتياج . فنحن ندعو إخواننا وفد الله إلى اغتنام هذه الفرصة العظيمة والمبرة الكريمة بالإحسان إلى سكان طيبة الطيبة، وجيران سيد المرسلين ـ صلى الله وسلم عليه وعليهم وآله كلهم أجمعين ـ وعمار حرمه الامين ومسجده الكريم ، واذا وفقوا ـ وهم موفقون إن شاء الله ـ إلى استبدال هذا الإنفاق المشكور المبرور بذلك التبذير المذموم الموزور ، استجمعوا الخير من طرفيه، وحصلوا الأجر بسببيه ، فعل ما أمروا به وترك ما نهوا عنه، ورضى الله عنهم ـ إن شاء الله ـ ورضوا عنه .

* * *

هذه نصيحتنا إليكم ـ إخواننا ـ جعلها الله سبب الأجر والمثوبة لكم ولنا . وأن الجمعية عازمة ـ بإذن الله ـ في الأعوام القابلة على إيفاد عضو من رجالها يذكر الحجاج ويفقههم ويكون مرجعا لهم فى أمر دينهم وأعمال حجهم .

والله نسأل التوفيق إلى الخير والعون عليه والاخلاص فيه لوجهه آمين، والحمد لله رب العالمين .

عن الجمعية الرئيس : عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : السنة الاولى، العدد 7 ـ 21 ذى القعدة1354 هـ ـ 14 فيفرى 1936

غــردايـــــة

« وادي ميــــزاب »

هذا العاجز ـ كما يعلم الناس كلهم ـ كان ولا زال من دعــاة التوحيد والاتحاد . وكنت ولا زلت أقول في مجالسي ودروسي إن المذاهب الفقهية غير الأربعة المشهورة هي كالأربعة تتفق وتختلف عن نظر واجتهاد . وكان لكلامي هذا ـ بحمد الله ـ أثره الطيب المقصود . فلما قرأ الناس في الصحف الدورية خبر منع إخواننا الإباضية إخوانهم المالكية بغرداية من شعيرة الأذان كثر منهم من سألني : ماذا تقول ؟ وأين ما كنت تقول ؟ كأن من يدعو إلى الاتحاد مسؤول عما يأتيه من يدعو ويفعل ما يدعو إلى التفريق !

لا ، أنا لست مسؤولا عن هذا ـ وإن كنت أعظم متألم منه ـ بل المسؤول عنه هم أولئك الإخوان المتنورون الذين أعرفهم هنا وهنالك من أهل وادي ميزاب .

فإليهم يتوجه الرجاء في حسم هاته المسألة بالحق والنصفة بين أولئك الإخوان المتنازعين ـ ذاكرين قوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » (1) .

---

(1) ش : ج 5 ، م 6 ـ محرم 1349 هـ ـ جوان 1930 م .

بين المسلمين في غرداية (1)

جاء كتاب من جماعة من المالكية بغرداية يقولون فيه ما ملخصه :
إن لنا مسجدين بداخل بلدة غرداية تقام فيهما الصلوات الخمس، وتصلى فيهما الجمعة،أحدهما بحارة عرش المذابيح،وثانيهما بحارة بني مرزوق،وكلاهما أسس للمالكية وادي ميزاب من منذ برهة زمانية . وقد كان إخواننا الإباضية منعونا من الأذان بهما فوق سطحيهما فسلمنا الأمر بسبب ضعفنا ، وصارت عادتنا في يوم الجمعة نؤذن بداخل المساجد وقت جلوس الإمام على المنبر . والآن قام بعض طلبتهم وأهل المخزن منهم واستنصروا بحاكم الإدارة علينا في إبطال الأذان حتى بداخل المساجد . وفعلا استدعانا بالحضور وأمرنا في الحال بإبطال الأذان من مساجدنا وتعويضه بكلمة الصلاة لا غير،وبشرط أن لا يبعد المنادي بهاته الكلمة من المحراب أكثر من ميترة واحدة.وعندنا نسخة من رسالة الحاكم الموجهة إلى قائد غرداية في هذا الشأن (2) .

---

(1) قد تقدمت كلمتنا على هذا الخبر فى باب المجتمع الجزائرى .
(2) ش : ج 5 ، م 6 ـ محرم 1349 هـ ـ جوان 1930 م .

للحق والنصفة

حول منع الإباضية إخوانهم المالكية من الأذان بغرداية

كنا من أول من كتب في هذه المسألة بأسف وحسرة ، وأحلنا بإصلاح ذات البين فيها على الأدباء والفضلاء من إخواننا الإباضيين الذين نعرفهم بقسنطينة وبالعاصمة وبميزاب ، ثم رأينا الأمر لا يزداد إلا تفاقما،والفتنة لا تزداد إلا اتقادا،رغم سعي بعض الفضلاء بالعاصمة فى إصلاح ذات البين،ورغم كتابة كاتب الشرق والإسلام التى تؤثر في الصم الصلاب . فلما رأينا ذلك لزمنا السكوت لعلمنا أن الكلام بعدئذ لا يرتق الفتق بل يزيده وسعا . فسكتنا منتظرين لطف الله في إلهام الفئتين رشدهما،وتنزيل أسباب الرحمة والأخوة بينهما ، غير أن هذا السكوت لم يرض واحدة من الفئتين .

فأما إخواننا الإباضية فإننا التقينا بالشيخ إبراهيم اطفيش بقالمة،فوجدناه يحمل حنقا شديدا على « الشهاب » وصاحبه،لأنه علم أن المالكية جعلوا « مؤتمرات في الأغواط » وأن صاحب « الشهاب » حضرها،ولأن الشهاب لم ينشر ما يبين به الحق في المسألة ، فاقنعناه أن مسألة المؤتمرات وحضورنا لها اختلاق محض كان على حضرته أن يتثبت في نقله قبل أن يسيء مقابلتنا به ، وأن « الشهاب » لا يتوخى فيما ينشر إلا إصلاح ذات البين،ووعدناه بأن نقول كلمة خير للجميع إذا وجدنا لها مناسبة .

وأما إخواننا المالكية فقد جاءنا كتاب منهم من العاصمة من جماعة كثيرة يعتبون ويلومون على « الشهاب » في سكوته ، وبلغ بهم الحمق « وشيء آخر » أن عرضوا بأن « الشهاب » يراعي الإباضيين لأجل اشتراكاتهم. فأجبتهم بأننا دعاة إصلاح واتحاد بين المسلمين على اختلاف مذاهبهم، وأننا ندين ـ قولا وعملا واعتقادا ـ بقوله تعالى : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » حسب جهدنا وطاقتنا ، ونستغفر الله تعالى مما يكون منا في ذلك من تقصير . وأما اشتراكات الإباضيين التي عرضوا بها فإنها لا تتجاوز الثلاثين ، وأن « الشهاب » لو كان يراعي الخواطر في سبيل المال لكان له وفر، ولكنه ـ علم الله والناس ـ أنه ليس كذلك، واننا لو كنا نريد المال لكان لنا ـ بحمد الله ـ فيما قسمه الله لنا من فضله لأسرتنا فوق الكفاية، أو لكان لنا في أبواب التجارة والفلاحة المعرضة لنا ـ بإذن الله ـ أسباب إليه متينة، ونعوذ بالله من تعريض سيء يؤدينا إلى مثل هذا الكلام .

واليوم ـ وقد اتفق الجانبان على إنكار سكوتنا، وحمل الحنق علينا، وسوء الظن فينا ـ فإننا نقول كلمتنا للحق والنصفة غير منحازين بها إلى إحدى الفئتين، بالغة ما بلغت، في إرضاء من رضى واسخاط من سخط، حيث كنا نعتقد أننا أرضينا بها الحق والوجدان فنقول :

قد ثبت عندنا أن بعض الإباضية بغرداية منذ زمان بعيد بنى مسجدا، وجعل له مأذنة، وأحدث فيه أذانا ثانيا، فاتفقت كلمة جماعة الإباضيين على منعه وهدم مأذنته . فعلمنا بهذا أن الإباضية لم يمنعوا مالكية غرداية من الأذان تعصبا عليهم لأنهم مالكية، ـ كيف وقد منعوا قبل ذلك الإباضية مثلهم وهدموا الصومعة ـ وإنما منعوهم لأنهم يرون الاكتفاء في البلد بأذان واحد .

فنحن بهذا قد برأنا الإباضية من تعصبهم على المالكية لانهم مالكية . ولكننا من ناحية أخرى نرى أنه حق عليهم أن يرجعوا في هذه المسألة عن رأيهم،ويسمحوا لإخوانهم المالكية بالأذان .

أولا ـ إصلاحا لذات البين بين المسلمين ، وهي في الإسلام من أول ما تجب وتتأكد المحافظة عليه والقيام به .

ثانيا ـ حفظا للوحدة الإسلامية بحفظ القلوب غير متصدعة بداء الفرقة القتال المعدود في الإسلام من أكبر المحرمات المهلكات .

ثالثا ـ مجاملة لبقية إخوانهم المالكية بالقطر الذين تربطهم بهم رابطة الدين والوطن والمصلحة .

هذه كلمتنا نقولها بعهد الله،لا نقصد بها إلا القيام بواجب الصدع بالحق والدعوة إليه والاصلاح بين المسلمين،فإن كانت صوابا فمن الله الكريم الرحيم،وإن كانت خطأ فمنا والينا،وليست بالأولى من خطئنا (1) .

(1) ش : ج 12 ، م 6 ـ غرة شعبان 1349 هـ ـ جانفى 1931 م .

عيد الحرية

حق كل انسان فى الحرية كحقه فى الحياة ، ومقدار ما عنده من حياة هو مقدار ما عنده من حرية ، المتعدى عليه في شيء من حريته كالمعتدى عليه في شيء من حياته ، وكما جعل الله للحياة أسبابها وآفاتها جعل للحرية أسبابها وآفاتها ، ومن سنة الله الماضية أنه لا ينعم بواحدة منهما إلا من تمسك بما لها من أسباب،وتجنب وقاوم ما لها من آفات . وما أرسل الله الرسل عليهم الصلاة والسلام، وما أنزل عليهم الكتب،وما شرع لهم الشرع،إلا ليعرف بني آدم كيف يحيون أحرارا،وكيف يأخذون بأسباب الحياة والحرية،وكيف يعالجون آفاتها،وكيف ينظمون تلك الحياة وتلك الحرية حتى لا يعدو بعضهم على بعض،وحتى يستثمروا تلك الحياة وتلك الحرية إلى أقصى حدود الاستثمار النافع المحمود،المفضى بهم إلى سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، فرسل الله وكتب الله وشرائع الله كلها ضد لمن يقف فى طريق بني آدم دون هذه الغاية العظيمة بالتعدي على شيء من حياتهم،أو شيء من حريتهم.ولقد كانت هذه الشريعة المحمدية بما سنت من أصول،وما وضعت من نظم،وما فرضت من أحكام ـ أعظم الشرائع وأكمل الشرائع فى المحافظة على حياة الناس وحريتهم ، وما كان انتشارهم ذلك الانتشار العظيم في الزمان القليل على يد رجالها الأولين ـ إلا لما شاهدت فيها الأمم من تعظيم للحياة والحرية،ومحافظة عليهما، وتسوية بين الناس فيهما،مما لم تعرفه تلك الأمم من قبل،لا من ملوكها ولا من أحبارها ورهبانها . والحياة والحرية محبوبتان للناس بالطبع،ومرغوبتان لهم بالفطرة، فأسرعوا لتلبية الدعوة بالدخول في

الإسلام أو الاستظلال بظله . فما أحق أبناء هذا الدين ، وورات رجاله الأكرمين ، أن يكونوا أعرف الناس بقدر هذه الحياة وهذه الحرية ، وأكثر النــاس احتراما لهما ، وأشدهم رعاية لحقوقهما وواجباتهما،لا لأنفسهم فقط بل للبشرية جمعاء ...

الحياة حياتان حياة الروح وحياة البدن والحرية كذلك . وحياة الروح وحريتها هما أصل حياة البدن وحريته ، وشرائع الإســلام منتظمة لذلك كله . ومما شرعه اللــه لتحصيل حرية الروح صوم هذا الشهر المبارك؛شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن . يترك فيه المؤمن طعامه وشرابه وشهوات بدنه ويقبل على التهليل والتحميد والتسبيح،فيحرر روحه من سلطة الشهوة وسلطان المادة،ويسمو بنا إلى عالم علوي ملكي من الطهر والكمال ، ثم يقبل على تلاوة القرآن ــبتدبر ــ فينير قلبــه وروحه،ويحرر عقله من ربقة الجهل وقيود الأوهام والخرافات ، فما يأتي عليه الشهر إلا وقد ذاق طعم الحرية الروحية العقلية،وخرج بحيوية قوية وحرية نيرة . فحق عليه أن يحمد الله على نعمته،ويظهر آثار تلك النعمة عليه،ويفرح بفضل الله ورحمته . وذلك كله باحتفاله بهذا العيد الفطري بما يقوم به في يومه من صلاة وصدقة وصلة رحم وتسامح وتزاور،وما يتجمل به من الزينة الحلال،وما يأتيه مــن أسباب السرور واللهو البرىء ومظاهر البهجة بالحرية والحياة .

فهذا العيد ــ إخواني المسلمين ــ عيد حريتنا : حرية أرواحنا وعقولنا ، وإذا حررنا أرواحنا وعقولنا فقــد حررنا كــل شيء . فالحمد للــه على هذه النعمة،ولنحافظ عليها،ولنعمل عــلى تكميلها والازدياد منها،ذاكرين قــول الله : « لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » .

نسأل اللـه لإخواننا المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في هذا العيد السعيد حياة السعداء ، وحرية الرشداء ، وعاقبة المتقين، والأمن والسلامة والهداية للناس أجمعين (1) .

(1) ش : ج 10 ، م 11 ـ شوال 1354 هـ ـ جانفي 1936 م .

جمعيــة العلمــاء المسلمــين الجزائريــين

إلى السادة الأعضاء العاملين والأعضاء المؤيدين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد،فبناء على انتهاء السنة الأولى للجمعية ، وبناء على الفصل التاسع بالقسم الخامس من قانون الجمعية الأساسي الذي يقول : « ينعقد الاجتماع العام لسائر الأعضاء العاملين مرة في السنة،وينعقد هذا الاجتماع بمدينة الجزائر باستدعاء من الرئيس » ، ويقول أيضا : « وبعد أن يتفاوض أعضاء الجمعية في أثناء الاجتماع العمومي العادي في برنامج الجمعية وتعرض عليهم أعمال الجمعية وما قررته في السنة السابقة ـ تنعقد جلسة ثانية يحضرها الأعضاء العاملون والأعضاء المؤيدون،ويعلم هؤلاء الآخرون بحالة الجمعية الأدبية والمالية،ثم يباشر الأعضاء العاملون فقط انتخاب الهيئة الإدارية ولجنة العمل الدائمة ». بناء على ما تقدم فإن رئيس الجمعية يدعو جميع الأعضاء العاملين والمؤيدين للحضور بمركز الجمعية الاجتماعي بنادي الترقي الكائن ببطحاء الحكومة عدد 9 بمدينة الجزائر، الساعة التاسعة من صبيحة يوم الاثنين السابع عشر من محرم عام 1351 ـ الموافق للثالث والعشرين من ماي سنة 1932 م .

إن الجمعية لتبدي شدة رغبتها لأعضائها العاملين والمؤيدين أن يلبوا دعوتها،ويكونوا حاضرين في الوقت المذكور .

وإنها لترجو ممن يكون لهم عذر في التخلــف أن يكتبــوا باعتذارهم إلى رئيس لجنة العمل الدائمة السيد عمر إسماعيــل بنادي الترقي،حيث يكون عنده قبل تاريخ الاجتمــاع لتتــلى الاعتذارات عــلى المجتمعــين .

وبحضور من حضر واعتذار من يعتذر تعرف الجمعية المعتنين بها،والمخلصين لها،وتظهر بمظهرها اللائق بها من الشعب الجزائري الكريــم (1) .

رئيس الجمعية : **عبد الحميد بن باديس**

الكاتب العــام : **الأمين العمودى**

(1) ش : ج 5 ، م 8 ـ غرة محرم 1351 هـ ـ ماى 1932 م .

ما جمَعته يدُ اللهِ لا تفرِّقه يدُ الشيطان

هذه هي الكلمة التي ختمنا بها الخطاب الذي ألقيناه إثر ما خطب الشيخ يحيي حمودي باللغة القبائلية ليلة مأدبة النادي لجمعية العلماء،فاهتز لها الحفل ودوت القاعة بالهتاف والتصفيق ، وددت لو ذكرت الخطاب فنشرته كله ، ولكنني سأكتفي بالكلمة التالية فقد تكون أوفى منه في المعنى وأجمل في التنسيق .

إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء ، وتؤلف بينهم في العسر واليسر ، وتوحدهم في السراء والضراء ، حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا ، أمُّه الجزائر وأبوه الإسلام . وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم .

فأي قوة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرقهم ؟ لولا الظنون الكواذب والأماني الخوادع يا عجبا ! لم يفترقوا وهم الأقوياء ، فكيف يفترقون وغيرهم القوي ، كلا والله ، بل لا تزيد كل محاولة للتفريق بينهم إلا شدة في اتحادهم وقوة لرابطتهم (ذمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم)،والإسلام له حارس ، والله عليه وكيل . نعم إننا نتحد لننفع أنفسنا ، وننفع إذا استطعنا غيرنا ، ومعاذ الله

والإسلام أن نتحد على أحد ، أو نتفق على باطل ، أو نتعاون على إثـم أو عـدوان .

« يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ لاَ تَعْدِلُوا اُعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْـوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ » (1) .

عبد الحميد بن باديس الصنهاجي

(1) ش : ج 11 ـ غرة ذى القعدة ـ فيفرى 1936 م .

نظر المسلمين إلى غير المسلمين
ونظر غيرهم إليهم

يقرر الإسلام بطلان سائر الملل،وأن لا دين عند الله إلا الإسلام. ويعرض لذلك في بيان من الاحتجاج والاستدلال على ما انبنى عليه الاسلام من الحق،وما جاء به للبشرية من الخير ، وعلى ما انبنت عليه الملل الأخرى من الباطل أو ما أدخل عليها منه وما أصيبت به كتبها من الضياع والتحريف،حتى يكون المسلم على بينة ويقين فيما أخذ من حق وما رد من باطل ، وحتى يمتلىء قلبه بمحبة الإسلام والاطمئنان إليه ، وبالكره لغيره والنفرة منه ، فهو يكره أن يعود إلى الكفر بعد الإسلام كما يكره أن يقذف في النار .

ومن شأن البشر أنهم إذا كرهوا الشيء كرهوا أهله والمنتمين اليه ، ودفعهم ذلك الكره إلى مد يد العدوان إلى ذلك الشيء المكروه وأهله ، فأوقعوا به وبهم أنواع الأذى والظلم ، وإذا لم يستطيعوا مد أيديهم لذلك بقيت صدورهم تتأجج بنيران الحقد والبغضاء، وصارت أفواههم فوهات لتلك البراكين تقذف بالحمم والنيران ، بالشتيمة والاستنقاص ، وما يؤجج تلك الضغائن والأحقاد .

هذا هو حال البشر إذا تركوا سجيتهم الحيوانية دون أن يبصروا بسنن الله في الخلق،وحكمته فى أخلاقهم،وحكمه العادل بما لكل منهم من الحق في الحياة على ما اختار لنفسه من دين .

وهكذا مضت الأحقاب على البشرية ورؤساء كل ملة يذكون تلك

السجية الحيوانية في الإنسان ويوقعون بين أفراده وأممه بسبب ذلك الحقد الديني والتعصب على المخالف أنواعا من الشرور والبلايا والفتن تشيب من هولها الولدان،حتى جاء الإسلام ينشر راية التسامح التام،ويقلع جذور الحقد الديني من قلوب متبعيه،ويكفهم عن التعصب على المخالف لهم في الدين .

قرر الإسلام محبة الإسلام في قلوب المسلمين وكره ما سواه، ولكنه بين لهم أنه كره يحملهم على مجانبة عقائد غير الإسلام وأعماله التي أبطلها الإسلام،دون أن يحملوا حقدا على مخالفيهم أو يمسوهم بأذى من سب أو تحقير لهم أو لمعتقداتهم ، أو يكرهوهم على شيء من الدين .

لأجل أن يقتلع الإسلام جذور الحقد الديني والتعصب على المخالف من قلوب أتباعه ويزرع فيها التسامح ـ عرفهم أن اختلاف الأمم وتباينهم في نحلهم هو بمشيئة الله،وما كانت مشيئته إلا حكمة وصوابا،فقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » . « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً » . « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً » . « وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ »،وعرفهم بوجه الحكمة في هذا الاختلاف وهي أن تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقدم الإنسان وظهور حقائق الأفراد والأمم بالابتلاء والاختبار فيما أوتيت من عقول وإرادات وقوى وأعمال . فقال تعالى : « وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ »،ثم أقر المخالفين على ما ينتحلون ويعتبرونه دينا وسماه دينا وحكم بأن يترك لهم فقال : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ »،وأقر معابدهم وذكرها بما يقتضي وجوب احترامها بما يذكر فيها من اسم الله وقرنها بالمساجد تأكيدا لذلك الاحترام فقال : « وَلَوْلاَ دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ

يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا » وأقر كتبهم لهم وسماهم أهل الكتاب، وأقر ما يعملونه من دينهم وسماه عملا فقال : « لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ » وأقر أحكامهم فيما بينهم،ومنع من التعرض لهم إلا إذا جاءوا بطوعهم واختيارهم متحاكمين إلى الإسلام فقال : « فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ » .

فأنت ترى كيف أبقى لهم الإسلام كل كيانهم الديني وجميع مقوماته،وأحاط دينهم بسياج من الاحترام بعد ما عرف المسلمين ان ما هم عليه من تلك الأديان هو من مقتضى مشيئة الله وحكمته وفي صالح البشرية والعمران،وأن الجزاء على ذلك إنما هو لله وحده يوم يرجع إليه العباد فقال : « كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »،ثم أمر بعد ذلك كله بالعفو والصفح عنهم مع العلم بحقيقة قصدهم فقال : « وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » .

ببيان هذه الحقائق من سنن الله وحكمته ، وتقرير هذه الأحكام من شريعته ، ربى الإسلام المسلمين على التسامح،وكون نظرهم لغيرهم من أهل الملل،فهم لا يرون في اختلاف تلك الملل إلا شيئا قد قضاه الله واقتضته حكمته لعمارة هذه الدار وتلك الدار، وظهروا آثار عدله وفضله وإحسانه ورحمته ، فسلمت قلوبهم من الحقد الديني الممقوت والتعصب المذموم،وجرت معاملتهم لهم في أيام قوة المسلمين وأيام ضعفهم على سنن التسامح والاحترام ، اللهم إلا وقائع نادرة جدا كانت أيام ضعف المسلمين وطغيان غيرهم عليهم،فانتقموا اكتقام المظلوم المهان لا انتقام الحقود المتعصب . ولا يسعني من هذه المقالة أن أعدد أيادي المسلمين على غيرهم من

أهل الملل،فقد ملأ ذلك سجلات التاريخ مما كتبه غير المسلمين فضلا عما كتبه المسلمون .

ومن مظاهر التسامح الإسلامي عند المسلمين وخلو قلوبهم من الحقد الديني الذى طهرها منه الإسلام بما حكم وبما علم ، أنك لا تجد في صحافتهم ومجلاتهم الفصول العريضة والمقالات الطويلة في البحث في النصرانية،ومقدار انتشارها،وأسباب انتشارها، ومقاومة انتشارها،وما تكون به تلك المقاومة،مثل ما تجد ذلك على أتمه وأبلغه ، وتارات على أفظعه ، في صحف الغرب ومجلاته . وفي العالم الإسلامى كثير من المجلات التي يصدرها رجال من أهل العلم الديني وفى مقدمتها « مجلة الأزهر » لا تجدها تعرض للبحث في النصرانية إلا إذا اضطرت للدفاع عن المطاعن التي يوجهها من حين إلى آخر أعداء الإسلام . أما الهيئات الدينية النصرانية فإن لكل هيئة منها مجلتها ، ويكاد لا يخلو عدد منها من الكلام على الإسلام ، وتصويره بالصورة المنفرة البغيضة المثيرة للأحقاد والحاملة على التعصب ، حتى أنهم قد يجعلون لأتباعهم دعوات تكرر في أوقات مخصوصة ضد الإسلام والمسلمين . ولأجل التحقق مما نقول ننشر فيما يلي نص صلاة من الصلوات اليومية .

عن الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة

الأحد 9 فبراير 1936 م

الصلاة اليومية :

يا قلب يسوع الإلهى أتقدم إليك بقلب مريم الدامي ، بصلواتي وأعمالي وآلامي في هذا النهار ، وأقدم إليك صلواتي من أجل الغاية التي أنت ساع في سبيلها كل يوم على المذبح ، وأقدم إليك صلواتي بصفة أخص ، من أجل اتخاذ كل الكاثوليك ومن أجل محاربة الإسلام .

غاية التبشير ـ النضال ضد الإسلام :

L'ECHO DU DIOCESE DE CONSTANTINE ET D'HIPONE

6° Année N° 3 - Dimanche 9 Février 1936

OFFRANDE QUOTIDIENNE :

Divin cœur de Jésus, je vous offre, par le cœur immaculé de Marie, les prières, les œuvres et les souffrances de cette journée, en réparation de nos offences et à toutes les intensions (1) pour lesquelles vous vous immolez continuellement sur l'autel. Je vous les offre, en particulier, pour l'union entre les Catholiques et pour la lutte contre l'Islam.

Résolution apostolique ; Prier avec le Christ pour que nous soyons vraiement un.

Adhère à tout mouvement de prière et d'action qui tend à l'union. Intension (1) missionnaire. (LA LUTTE CONTRE L'ISLAM).

N.B. : (1) conforme à l'original.

فكيف تكون نظرات من يغذون هذه التغذية السامة ، نحــو الإسلام ؟ وقد نعود إلى هذا الموضوع في الجزء الآتي إن شاء الله(1)

(1) ش : ج 2 ، م 12 ـ غرة صفر 1355 هـ ـ ماي 1936 م .

صـــلاة وصـــلاة

إن الإسلام الذي قرر التسامح مع أهل الملل أصلا مـن أصوله يجـد فيما يتلوه المسلمون مـن آياتـه ودعواته وأذكاره ما يقوي تمسكهم بذلك الأصل ويرسخه فيهم . ونحن نذكر هنـا على سبيل المثال دعاء القنوت الذى يدعو به قسم عظيم من المسلمين في صلاة الصبح وهو : « اللهم إنا نستعينُك ونستغفرُك ونؤمنُ بك ونتوكلُ عليك ونخنَع لك ونخلَع ، ونترُك من يكفرُك . اللهم إياك نعبـُـد ولك نصلي ونسجُد وإليك نسعى ونحفد ، نَـرجُو رحمتَك ونخافُ عذابَك الجدَّ ، إن عذابَك بالكافرين مُلحَق » ويزيد قسم عظيم منهم قوله : « اللهمَّ اهدِنا فيمن هدَيت ، وعافِنا فيمَن عافَيت وتولَّنا فيمن تولَّيت ، وبارِك لنا فيما أَعطيت ، وقِنَا شرَّ ما قضيت ، فإنك تقضي ولا يُقضَى عليك ، إنه لا يَذل مـن والَيت ، ولا يَعزُّ مـن عاديت ، تباركْتَ ربَّنـا وتعالَيت ، فلكَ الحمـدُ على ما أُعطيت ، نستغفرك ونتوب إليك » .

أرأيت هذا التوحيد للـّـه والاخبات والتعظيم لـه والاعتزاز والاعتماد عليه ؟ فلما تعرض الدعاء للكافرين لم يزد على تركهم فى قوله : « ونترك من يكفرك » فالمسلم يتمسك بدينه ويترك غير أهل دينه ودينهم،وهذا من باب قوله تعالى : « لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ » ولما ذكـر عذابهم فى قوله : « إن عـذابك بالكافرين ملحـق » . جعله لله فهـو الـذي يعذب من كفر به من عباده فلم يرج رحمته

ولم يخف عذابه . وهذا من باب قوله تعـالى : « لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ » .

فالمسلم بهذه التغذية الشريفة الطيبة لا يكون إلا نقي القلب من الحقد الديني،واسع الصدر، عظيم التسامح . وإذا رأيت ما يدعو به المسلم ربه في صلاته وعلمت ما يتركه ذلك الدعاء في نفس المسلم وما يربيه عليه،فانظر إلى ما ينشره رجال الكنيسة بين أتباعهم من الصلوات اليومية،وما تشتمل عليه من إثارة للحقد الديني وتقوية له ودعوة صريحة إليه ، ففي الصلاة اليومية التي نقلناها في العدد الماضي عن (الصدى الكنسي لقسنطينة وبونة) يقول : « وأقدم إليك صلواتي بصفة أخص ، من أجل اتحاد كـل الكاثوليك ومـن أجل محاربة الإسلام » .

بهذا تغذي الكنيسة مؤمنيها وهـم فى وسط إسلامي لا تمكن سعادته وهناؤه إلا بتعاون سكانه فيـه بـروح التسامح والتواد ، وتمـلأ صدورهم بهـذا التعصب الممقوت ضـد قـوم مسالمـين ومستضعفين . فلا يدري إلا الله كم أثمرت هذه التغذية الخبيثة من علقم كان وزر مـن جرعه ومن تجرعه على مـن بثوه في النفوس ومكنوه من القلوب .

حاشا الأصول الأولى لتلك الملة أن تأمر بهذا ، فقد عرفوا ما جاء في « متى » (5 : 44) « وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم ، باركوا لاعنيكم ، أحسنوا إلى مبغضيكم ، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم » ولكن الرؤساء الذين يريدون المحافظة على مصالحهم ويرون أن محبة أتباعهم لهم تكون بقدر بغضهم للإسلام ، هم الذين يتحملون مسؤولية هذا ويبوءون بإثمه .

نكتب هذا ليطلع قراؤنا عـلى حقائق واقعية تتصـل بالحيـاة الاجتماعية بينهم وبين من يساكنونهم في وطنهم . وليعلم إخواننا

المسلمون عظيم نعمة الله عليهم بما شرعه لهم مـن أصل التسامح العظيم،فيزدادوا به تمسكا،فيعيشوا سالمي الصدور من داء الحقد الديني،والتعصب الممقوت،وليعرف الذين يبثون تلك السموم أن أعمالهم لا تخفى على غيرهم،فعسى أن يقلعوا عنها،ويرجعوا للعمل معنا على بث التسامح بين عباد اللـه . واللّـه يهدي مـن يشاء إلى سواء السبيل (1) .

(1) الشهاب : ج 3 ، م 12 ـ ربيع الاول 1355 هـ ـ جوان 1936 م .

بعد مصر والعراق

علم قراؤنا مما كنا نشرناه في جزء سابق ما كان من النهضة الإصلاحية في مصر بصفة رسمية من حكومة مصر ومن جماعة كبار العلماء بالأزهر ، وقد تلت العراق مصر في هذه النهضة .

كان القائم بالإصلاح الإسلامي في بلاد الرافدين هو الجمعيات الإسلامية ، مثل جمعيات الشبان المسلمين،وجمعية الهداية الإسلامية، وقد جاهدت هذه الجمعيات ـ وما زالت ـ في سبيل الإصلاح جهادا كبيرا .

أما اليوم فإن الحكومة العراقية نفسها أخذت تعمل لذلك،فقد أوفدت الأستاذ بهجت الاثرى إلى مصر ليطلع على نظمها في الأوقاف الإسلامية وفي التعليم الديني،وقبيل سفره قابله الاستاذ يونس بحري « السائح العراقي الذي كان زار الجزائر وتشرفنا بمعرفته » وسأله باسم جريدة « البلاغ » أسئلة فأجابه عنها . وقد نشرناها ملخصة فيما يلي :

ـ ما هي المهمة التي ستسافرون من أجلها إلى مصر؟ فأجابه :

ـ إني مسافر إلى مصر درة الإسلام ، في مهمة رسمية أرجو أن أوفق فيها،هي الإطلاع على شؤون الأوقاف العامة هناك،ودرس نظم التعليم في المعاهد الدينية على اختلاف درجاتها ومناهجها،والنظر في كيفية تطبيقها تطبيقا عمليا في العراق ، وكل ذلك تمهيدا لما تعتزمه الحكومة العراقية من إصلاح أوقافها ومدارسها الدينية ،

وإيجاد طبقة مستنيرة من العلماء تتولى إرشاد المسلمين وتهذيبهم من طريق العلم الصحيح .

ـ ما هي الغاية التي تقصدها حكومة العراق من وراء هذا الإصلاح ؟

ـ نحن نرمي إلى توحيد الثقافة الدينية العامة بين الأقطار العربية خاصة والإسلامية عامة ، والعمل على تغيير عقلية بعض المسلمين الذين صورت الأغراض لهم الإسلام الحنيف تصويرا عكسيا مخالفا لحقيقته،فابتعدوا عنه وأصبحوا عالة عليه . فلابد من مواصلتنا السعي لرفع مستوى هؤلاء المسلمين العقلي والروحي ، على النمط الذي يرتضيه روح الإسلام ، وبهذا يخلق الله الأمة خلقا جديدا يمكنها من استعادة مجدها بين الأمم (1) .

(1) ش : ج 3 م 12 ـ غرة ربيع الاول 1355 هـ ـ جوان 1936 م .

جـــواب عـــن كتـــاب

إلى الاخ الشيخ الطاهر الحركاتي رئيس شعبة باتنة ـ وعليكم السلام ورحمة الله .

وبعد فكلنا نعلم أن أهل باتنة كانوا وما زالوا من أنصار الجمعية والمؤيدين لها في خطتها الدينية العلمية ، وأن ما بينهم اليوم من خلاف إنما نشأ من أيــام الانتخابات البلدية،ثــم استمر إلى أيــام المؤتمر ، وفي أثناء هذا ما رأيت من الشعبة ورئيسها وأهل باتنة وفي جانب الجمعية إلا خيرا،ولم يكن مني في جانبهم إلا الدعوة إلى الصلح أو المهادنة على الأقل،كان هذا مني مع كل من اجتمعت به من تلك الناحية،فلما ايست مــن أمر الصلح لازمت الحيــاد وكاتبتكم بكتاب آخر آمركم فيه بالحياد التام،وهو الكتاب الوحيد الذي كاتبت به باتنة من هذه المدة كلها ـ وها هو نص الكتاب الذي أنشره ليطلع عليه الجميع،وليعلم منه موقف الجمعية في مثل ما بينته من خلاف .

نص الكتاب بعد الافتتاح

وبعد فلما كانت الجمعية واقفة في الخلاف الواقع بين أهل باتنة موقف الحياد، لا تؤيد أحدا ولا تعارض أحدا، حتى يتجلى الموقف على خير إن شاء الله ـ فيلزم إذا وقفتم في موقف عام أو خاص في شأن من شؤون باتنة الخلافية أن تعلنوا للناس انكم لا تتكلمون باســم الجمعية مثل ما نفعل نحن في المواقف الخارجة عن نطاق الجمعية .

إننى أؤكد عليكم بهذا،وأرجو أن يبلغنى صداه .

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : السنة الثانية العدد 74 ـ 30 ربيع الثانى 1356 هـ ـ 9 جوليت 1937 م .

إحياء ليلة المعراج النبوي الشريف

ليلة الثلاثاء 27 رجب الجاري

المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله وأسري بمحمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إليه ، وكان معراج محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ إلى الملكوت الأعلى منه ، وهو اليوم بين مسايل الدماء (...) (1) الأشلاء ، وأنقاض النسف والتخريب بالنار والحديد . وأن سكان أرضه من جميع الملل والأجناس الذين عاشوا قرونا آمنين أصبحوا اليوم بسبب الاستعمار الانكليزي الغاشم والمذهب الصهيوني الطامع في عذاب أليم . وإن إخوانكم الذين يحفظون ذلك الحرم المقدس ، ويعمرون أرضه ويردون عنه العدوان ، قد رملت الآلاف من نسائهم ، ويتم مثلها من أبنائهم ، وضاع عجزتهم ومرضاهم ، فأكلتهم الفاقة ، وأنهكتهم الأوصاب ، وأحاط بهم البلاء من كل جانب .

وإننا نرى غيرنا يبذل الجهد في إغاثة المنكوبين من إخواننا بتلك الأرض المقدسة ، بل نرى أحزابا وجمعيات تجتهد في إغاثة المنكوبين في جهات أخرى ، فلنبادر للقيام بالواجب علينا نحو إخواننا في كل مناسبة تعرض لنا ، وإن من أعظم تلك المناسبات وأفضلها ليلة المعراج النبوي الكريم واليوم الذي يليها ، فلنذكر

(1) كلمة محيت من الاصل .

فيهما أولئك المنكوبين نذكرهم بالدعاء لرفع البلاء والعطاء لتحصيل القوت والدواء .

وقد دعت جمعية العلماء في السنة الماضية المسلمين إلى هذا الإحسان الإسلامى الإنسانى،فلبى المسلمون دعوتها،وهي اليوم تجدد لهم الدعوة بنص ما دعتهم به في السنة الماضية،راجية منهم الإجابة وسائلة لهم التوفيق . وهذا نص دعوتها الماضية :

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تقوم بواجبها الديني وشعورها الإنسانى :

1 ـ تدعو المسلمين عموما وأئمة المساجد خصوصا إلى إحياء ليلة المعراج بالتضرع والتوجه الى الله تعالى بالدعاء ليرفع البلاء عن ذلك الحرم المقدس وساكني رحابه ، وأن يرفع عدوان الظالمين عن المظلومين ، وأن يرجع لتلك البلاد عهدها السابق الذى تمتع فيه جميع السكان بالأمن والسلام .

2 ـ كما تدعو كل مسلم أن يذكر في تلك الليلة أولئك الأيتام والأرامل والمنكوبين فيخصص لإعانتهم ما استطاع من المال . (وأمين مال لجنة إغاثة منكوبي القدس الشريف المؤسسة بقسنطينة في عيد الأضحى السابق السيد كرمانى الحاج حموش) مستعد لقبول ما يرد عليه ليرسله إلى لجنة الإغاثة بمصر وينشره بالصحف .

3 ـ كما تدعو المسلمين أن يكونوا ليلتهم فى هدوء وخشوع مناسبين للدعاء والابتهال ، لا يرى ولا يسمع منهم جيرانهم من اليهود والنصارى إلا ما أمر به الإسلام من العدل والإحسان،والله المستعان .

بيان ما أرسل للمنكوبين :

فرنكـات :

24200 اجتمعت من دعوة الجمعية ليلة المعراج من السنة الماضية وأرسلت بواسطة أمين لجنـة الجزائر العاصمة في ديصامبر 1938 وتحت يده وثيقتها .

21105 مـن جلـود الضحايا وأرسلت بواسطته في افريل 1939 وتحت يده وثيقتها .

24500 اجتمعت من جلود الضحايا وأرسلت بواسطة أمين لجنة قسنطينة في 19 ماى 1939 وتحت يده وثيقتها . (1)

---

(1) البصائر : س 4 ، ع 180 ـ 25 أوت 1939 .

القسم الرابع

التاريخ

الحياة ماض ، ومستقبل ، وحال ، وما أقل حظنا من الحياة لو حظنا منها هو الحال خاصة ، ذلك الجزء اليسير من الزمن ، الذى ما يجىء حتى يذهب ، ولا يثبت حتى يزول .

ولكن حظنا من الحياة عظيم ، بالماضى المديد ، والمستقبل البعيد ، بالماضى إذا كانت لنا ذكريات نشعر بها ، وبالمستقبل إذا كانت لنا آمال نتوق إلى تحقيقها ، وأنه لتتسع حياة الشخص الماضية بقدر ما تمتد ذكرياته فى سوالف الأزمان،وتمتد آماله فى غابرها ، حتى يكون كأنه ـ وهو شخص واحد ـ قد عاش أعمار الأجيال والأمم من السابقين واللاحقين ، فالذكريات والآمال هى مقياس الأعمار (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 6 ـ جمادى الاولى 1349 هـ ـ أكتوبر 1930 م .



شهـــداء فلسطـين الـدامية

ما كان يوم 21 المحرم يوم موت ، إنما كان يــوم حياة وخلود ؛ وما كان يوم حزن وكدر ؛ إنما كان يوم الفاتحة الرهيبة ، فاتحة النضال العنيف،فاتحة الاستشهاد والتضحية والتحرير .

كانت فلسطين مجاهدة ؛ إلا أنها لـم تقــدم فى جهادها ضحايا وشهداء ؛ وكل جهـــاد خلا عن الضحايا وعن الشهداء يعد جهادا عقيما . فكان يوم 21 المحرم تتويج الجهاد الوطنى الفلسطينى بتاج التضحية والاستشهاد،وأصبح لعــرب فلسطين ــ وكلهم فى الحقيقة ضحية مستشهد ــ ضحايا وشهداء . تصاممت انكلترا عــن سماع تلك التوسلات التى ارتفعت نحوها من سائر أصقاع العالم الإسلامى والعربى ؛ وأبت إلا الإصرار على عنادها وكبريائها ، فنفذت حكم الإعدام فى ثلاثة من فتيان العرب الأمجاد ؛ وهم الشهداء :

فؤاد حجازى ــ عطا الزير ــ محمد جمجوم . أعدمتهم المشاركة فى حركات الدفاع ضد تهجمات الصهيونيين .

ماتوا رحمهم الله ، وفى موتهم حياة لفلسطين وللعالم العربى .

ماتوا رحمهم اللــه ، فخلدوا ذكرى الجهاد والتضحية ، وأناروا بموتهم فى وجه الشعب الفلسطينى سبل الحياة ، ومسالك النجاة .

وكانوا يوم إعدامهم فى قلعة عكا ، يوما لم تر بلاد العرب أشد منه رهبة،وأكثر منه سوادا .

وكان الجلادون كلما وضعوا حبل المشنقة فى رقبة شهيد من الشهداء ، ترتفع أصوات المؤذنين من المنارات ، وترتفع أصوات الأجراس من الكنائس ؛ إشعارا بأن تلك الروح الزكية قد فاضت إلى خالقها تطلب عدله وانتقامه .

وقد قال ضابط الجند الانكليزى الذى باشر تلك المهمة السوداء : لم أر في حياتى أشد ثباتا وأكثر قوة نفسية من هؤلاء الشبان الثلاثة.

ولقد قابل الناس جموعا هؤلاء الشهداء ، لما استقر رأي السلطة على إزهاق أرواحهم ، فكانوا وهم يرتدون لباس الموت الأحمر يقتبلون الزائرين بثغور باسمة،وجبين وضاء ، ولا يتلقون عبارات التشجيع من الزائرين ، إنما كانوا يزودون زائريهم بكلمات الوطنية التى كانت تخرج من أفواههم نارا حامية تكوي القلوب فتترك عليها طابعا أبديا لا يظل ولا يشقى .

ولقد دوّن أحد الفضلاء كلمات أولئك الشهداء :

فمما قاله الشهيد محمد جمجوم :

« نحمد الله على أننا نحن لا أهمية لنا نذهب فداء الأمة ؛ لا أولئك الرجال الذين يستفيد الوطن من جهودهم وخدماتهم ، وإذا كان إعدامنا نحن الثلاثة يزعزع شيئا من كابوس الانكليز عن الأمة،فليحل الإعدام فى عشرات الألوف منا،لكى يزول هذا الكابوس عنا تماما ».

وطلب جمجوم والزير حناء لكي يخضبا أيديهما ، كما يفعل الناس هنالك ليلة الزفاف .

ومما قاله فؤاد حجازى ، وهو شاب متعلم ، دون العشرين من عمره : « يجب أن لا نكون شغلكم الشاغل ، نحن لسنا بحاجة للتشجيع والتطمين ، وكل ما نحن بحاجة إليه أن نسمع قبل أن

يفرق الموت بيننا وبين الحياة،وقبل أن نعلق على أعواد المشنقة ، أنكم أمـــة تستحق الحياة » .

وقال لأخيه الصغير بعد أن أوصاه بوالدته خيرا : « إياك إياك أن تغتفر للباغى ذلته ، وأن تنسى قرة عينك شقيقك فؤاد ، الذى يموت على مرأى منك . وكل ما استطيع أن أوصيك به هـــو أن تصيح بأعلى صوتك قائلا للأجيال : إن أخى مات ظلما » .

وكان يوم دفن الشهداء يوما تجلت فيه حيـــاة الأمة بأجـــلى مظاهرها ؛ وأرغم الشعب الحكومة على تسليم الجثث الخالدة إليـــه فسلمتها مكرهة ، ومشت فى مأتمهـــم الأمة كلها ؛ وتبعهـــم إلى مرقدهم الأخير هلالها وصليبها .

لم تدفن فى تلك القبور الثلاثة جثث الأبطال الشهداء الخالدين، كلا ، لقد دفن أولئك فى القلوب العربية الدامية ، إنما الذى دفن فى تلك القبور أبديا هو سياسة حسن الظن فى الانكليز ، واعتماد الضعيف على القوي لإحراز حقه ، سياسة التكفف والاستجـــداء والابتذال ، فلن يكون بينهما فى مستقبل الأيام إلا الموت الزؤام.

« وَلَا تَحْسِبَنَّ الذِينَ قُتِلُوا فِى سَبِيـــلِ اللّٰهِ أَمْوَاتًا ، بَلْ أَحْيَـــاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ » (1) .

(1) ش : ج 7 ، م 6 ـ غرة ربيع الاول 1394 هـ ـ أوت 1930 م .

فاجعـــة قسنطينـــة

كتبنا في الجزء الماضي كلمة مختصرة جامعة في هذه الفاجعة وأردنا الاكتفاء بها . لكن كثيرا من قراء الشهاب بقسنطينة وغيرها طلبوا منا أن نكتب الحقائق التي نعلمها بالصدق والصراحة التي تعودوها من مجلتهم،فرأينا الصواب فيما طلبوا،فعدنا للكتابة في هذا الجزء،معتمدين في تصوير الواقع على ما شاهدناه بأنفسنا، وما شاهده من يكون محل ثقة عندنا .

ابتـــداء الاعتـــداء
ليلـة السبـت

بينما كان الناس في ميضأة الجامع الاخضر إثر صلاة العشاء ليلة السبت ـ وعددهم نحو الاثني عشر ـ إذا باليهودي الياهو خليفي يفاجئهم مطلا عليهم من نافذة الميضأة،مدعيا عليهم كشف العورة عند الوضوء ، ومبادرا لهم بقوله : « نعل دينكم وصلاتكم وجامعكم والكبرا انتاعكم » فأجابه بعض الحاضرين :

« نحن لا نكشف عورتنا عند الوضوء وديننا ينهانا عن كشف العورة دائما،ولا نلومك لأنك سكران » فأجاب : « لا،راني بعقلي وراني عسكري ، نعل النبي نتاعكم » .

خرج الناس في غاية الاستياء ، فأشار عليهم قيم المسجد ـ لأجل تهدئتهم ـ بتقديم شكاية للكوميسارية ـ وهي برحبة الصوف أمامهم ـ فامتثلوا وذهب شرطيان : الزواوي وابن عريوة . ودقا

عليه الباب، وأعلماه بأنهما من أعوان الشرطة، وأن عليه أن يجيب الكوميسارية ، وأنه لا خوف عليه من شيء ، فأبى أن يجيبهم بكلمة. ومرت فرقة الجند المتجولة فأعلمها الشرطيان بالواقعة،وطلبا منها إخراج الجاني،فأبى من الامتثال لها ، كما أبى من الامتثال للشرطة. ففرق الشرطيان الناس وقالا لهم : هذا شغلنا ، فتفرقوا ، ولم يبق إلا القدر المعتاد في رحبة الصوف وذهبا .

بعد ذهابهما،وقف اليهودي وزوجته في نافذة محلهما،وأخذا في السب مثل السب الأول،فأرسل الناس القيم إلى المفتي ليقوم بكف عادية هذا المعتدي بواسطة الحكومة ، وانتظر الناس المفتي على أحر من الجمر ، وهم يسمعون في السب من المعتدي .

رجع الشرطيان فوجدا الناس متجمهرين ، فلما سألاهم لماذا رجعتم،قالوا لهما إنه عاد إلى السب كما تسمعون ، وكان هو وزوجته إذ ذاك مازالا في النافذة على حالهما ، وكان غيرهما قد شاركهما في السب . وسمع الشرطيان بعض الناس يقول : نهجم على داره ، فذهبا ووقفا عند بابها يحرسانها .

في هذه الساعة ابتدأ اليهود المجاورون برمي الكوانين والبيادين ، فأجابهم المسلمون برمي الحجارة ، فشرع اليهود في الرمي بالرصاص .

أثناء هذا جاء المفتي ـ بعد ما أرسل الناس إليه مرة ثانية من أتوا به أو وجدوه آتيا ، فوقف يهدىء الناس،باذلا غاية جهده في ذلك،فلم ينفع شيئا ، وقال له بعض الناس:من برودتكم لحقتنا هذه الإهانات كلها حتى وصلنا لهذه الحالة .

إثر هذا جاء الدكتور جلول (1) وقد كان خارج البلد في معالجة بعض مرضاه ، فوقف يهدىء الناس والرصاص ما يزال ينصب من

(1) هو الدكتور محمد الصالح بن جلول رحمه الله .

نوافذ اليهود . واستطاع بعد الجهد الجهيد أن يسكن الناس ويفرقهم، وانتهت المصيبة نحو الساعة الثالثة .

استنتاجات من حوادث هذه الليلة

رغم ما سمعه المسلمون من سب اليَاهُو الأول لدينهم وصلاتهم وجامعهم وكبرائهم،لم يهتاجوا،وأجابوه بكل تعقل،وعذروه بأنه سكران ، وهذا دليل قطعي على تسامحهم،وعدم حملهم لحقد دينى على اليهودى،وعدم استعدادهم لفرصة الانتقام .

أما هو فإنه نفى عن نفسه السكر،واعتز بأنه عسكرى،وأعاد السب بأقبح من الأول . وهذا دليل على أنه كان شاعرا بما يقول ويفعل ، وعلى اغتراره بالحرمة العسكرية ، وعلى قصده إلى المبالغة في الإذاية . والاغترار بالحرمة،والقصد إلى المبالغة فى الإذاية،هما الأمران المشاهدان من عامة اليهود دائما فى معاملتهم للمسلمين .

امتثل الناس لقيم المسجد وقدموا شكايتهم للكوميسارية ، وهذا دليل على أنهم لم يكونوا يريدون أن ينتقموا لأنفسهم ، وإنما يريدون أن يتوصلوا لحقهم على يد العدالة .

امتنع اليَاهُو المعتدى من إجابة الشرطة،ومن إجابة فرقة الجند المتجولة،وهذا دليل على تمرده حتى على رجال الحكومة المدنية والعسكرية ، وما تجرأ على هذا إلا لعلمه بأن نازلته مع المسلمين ، وقد تعود هو وأمثاله أن نوازل تعديهم على المسلمين فى الغالب (تكلاصا) : تطرح وتهمل .

لما فرق الشرطيان الناس تفرقوا،وهذا دليل آخر على انقياد الناس لأوامر دائرة حفظ الأمن،واعتمادهم عليها . ودليل آخر على أنهم لم يكونوا يفكرون أن يجعلوا ما وقع من المعتدى سببا للانتقام.

بعد عود اليهودى للسب هو وزوجته من نافذة دارهما لم يفعل المسلمون شيئا غير إرسالهم للمفتى ، وهذا دليل آخر على ضبطهم لعواطفهم،وعدم قصدهم للانتقام،وتصميمهم على انتظار الإنصاف من طرف الحكومة ودائرة الأمن العام .

شارك المعتدى غيره من يهود الحومة فى السب بدل أن يكفوه عنه ، وهذا دليل على الروح المتفشية فى عوام طائفته من الاستهانة بالمسلمين،والتمالؤ على إذايتهم،وعدم احترام الحكومة فى ناحيتهم .

وقف الشرطيان المسلمان عند باب اليهودى يحرسان داره ، وهذا دليل على ما يتحلى به المسلم من احترام واجبه وقيامه به ، وعلى شدة محافظة أعوان الشرطة المسلمين على الأمن والنظام .

رغم ما رأى المسلمون وما سمعوا فقد استمروا ماسكين لأيديهم حتى ابتدأهم اليهود برمي البيادن والكوانين ، وهذا دليل واضح على تحمل اليهود لمسؤولية الشر بالقول والفعل .

استطاع الدكتور جلول بعدما بذل جهد الأبطال أن يسكن ثائرة الناس ، وهذا أول مواقفه العظيمة فى إطفاء هذه الفتنة ، وهو دليل على مكانته عند الأمة،وعلى حسن استعماله لهذه المكانة فى الخير .

صبيحة السبت 4 أوت

جئت إلى ادارة الشهاب الساعة الثامنة فعلمت بالواقعة،وأعلمت باستدعاءى من طرف مدير الشرطة م. فيزرو مثلما استدعى غيرى .

اجتمعنا عنده فكان مما قال لنا : إننى دعوتكم لتعينونى على تنزيل العافية ، فابتدأته أنا فقلت له : ـ وترجم عنى السيد يحيى

أحمد ـ إن فطرتنا الإسلامية وعقائدنا الدينية واحترامنا لرجال الحكومة كل هذه تحملنا على معاونتكم فيما ذكرتم ، ولكن ـ بمزيد الأسف ـ أن الدين الذى نهذب به الناس ونربيهم وننزل فى قلوبهم الرحمة قد وصلت الإهانة والتعدى إليه ، ومع ذلك فإننا سنبذل غاية المجهود . ورأى الجماعة أن يقابلوا القائم مقام البريفى،فطلب لهم الكوميسار مقابلته،وذهبنا كلنا إلى دار العمالة .

خرج علينا م. لنديل القائم مقام البريفى فألقى خطابا طويلا ترجمه السيد عمر بن الموفق ، كله تأسف على ما وقع،وتوصية بلزوم العافية فيه،وتهوين لما كان من اليهودى السكران ، ووعد بأن العدالة ستقتص منه. وبعد ما فرغ من خطابه سأل هل من يريد الكلام فابتدأته أنا فكان مما قلت ، إن هذا الاعتداء ليس هو الاعتداء الأول ، وأننا معشر المسلمين نحب السلم بطبعنا،وقد بات مفتينا ونائبنا يهدئان الناس ، وأن المسلمين لا يستطيعون الصبر دائما على التعدى على أمر دينهم ، وأننا نستطيع أن نمسك بغضب المسلمين،إلا إذا أهينوا فى دينهم ، فإن الأمر حينئذ يصعب علينا ، وأن اليهودى المعتدى على الجامع إذا كان هو سكران فإن زوجته وجيرانه الذين شاركوه فى السب وابتدأوا بالضرب ليسوا بسكارى، وبينت له أن الشيء الذى جرأ اليهود على هذه التعديات المتكررة هو ما يحملونه من السلاح ، مع علمهم بأن المسلمين لا سلاح لهم ، وأنهم ما داموا يحملون السلاح ويطلقون الرصاص لأدنى شيء فإن الشر لا ينتهى ، وطلبت منه لذلك نزع السلاح منهم ، فاعتذر بأن هذا لا يمكنه معهم لأنهم سِيطْوَيَان ، وطلبت منه أن يقوم بتوصيتهم والتأكيد عليهم فى كف عامتهم عن الشر ، فأجاب بأنه يفعل ذلك أو قد فعله .

ثم استدعى جماعتهم فيهم أعيانهم ونوابهم وحبرهم،وخطب على الجميع بلزوم التسامح والنسيان لما مضى ، فابتدأته أنا بالكلام،فمما

قلت له : إن المسامحة الحقيقية لا تكون إلا بعد العتاب الودى المبنى على الحقائق الواقعة، وتوجهت لمخاطبة الجماعة الإسرائليين فذكرتهم باعتداءاتهم المتكررة التى من أقربها اعتداء أولادهم على ولد ابن البجاوى، من تلامذة الليسى، حتى كسروا ساقه ، وقبيلها اعتداؤهم علي ،وعلى مدير مجلة الشهاب السيد أحمد بوشمال، وذكرتهم بمسامحتنا وسترنا للواقعة حتى لا يقع بسببها شر . كل ذلك لما نحن مصممون عليه من منع كل فتنة بين السكان ، وذكرت لهم أنهم غير ما مرة اجتمعوا مع جماعة المسلمين أمام رجال دار البريفى،وفى كل مرة تعدون بكف سفهائكم،ولكن الاعتداء يتجدد، فهذا إما لأن عامتكم لا تحترمكم ولا تنقاد إليكم ، وإما لأنكم أنتم لم تصدقوا فى تهدئتهم وكفهم عن الشر، أو إذا كانت عامتكم لا تنقاد إليكم والحكومة لا تنزع منها السلاح ، فمن الذى يكفها ويرد عنا شرها ؟

انتهى المجلس باعتذارهم عما وقع ووعدهم ـ كالعادة ـ بكف سفهائهم ، وتصافح الجميع ، وتصافت الخواطر ، وخرج المجتمعون كلهم متواعدين على العمل على تنزيل العافية وتوطيد الأمن .

مساء السبت

اجتمعت بالدكتور جلول فاتفقنا على أن نخطب فى الناس لتهدئتهم ، ورأينا وجوب المبادرة بذلك قبل دخول الليل ، وكان هذا فى آخر النهار نحو الخامسة ونصف ، فأمرنا من نادى فى الناس بالاجتماع فى الجامع الكبير على الساعة السابعة ، فما جاءت الساعة السابعة حتى امتلأ الجامع الكبير بالناس من جميع طبقاتهم، رغم ضيق ما بين وقت المناداة ووقت الاجتماع ، وكان الناس فى تهيج شديد وتأثر بالغ ، فقد ضرب اليهود بعض أفراد فى ذلك المساء . وقبل أن أصعد على كرسى الخطابة نادى جماعة بأن اليهود

ما زالوا يحملون السلاح لقتلنا ، وقد ضربوا وجرحوا فى هذا المساء منا ، فبادرت بالصعود على الكرسى وافتتحت الخطاب واستطعت ـ بإذن الله ـ التغلب على تلك العواطف الثائرة ، وأظهروا الطاعة والقبول ، فنزلت عن الكرسى،وصعد الدكتور جلول فألقى خطابا مؤثرا،فازداد الناس قبولا ، وخرج ذلك الجمع الذى يقدر بالآلاف هادئا مهدئا بعد ما كان متأثرا هائجا ، ووقفنا فى الطريق العام نفرق الجموع ، ونطلب منهم أن يذهب كل واحد إلى محله ، وأن يعلم غيره بما دعوناهم إليه من لزوم الهدوء ، وما تفرق الناس حتى أقسمت لهم أننى لا أذهب حتى يذهبوا . وكنا عند الخروج من الجامع قد جاءنا خبر صحيح بجرح ولد صغير مكفول لأحد الناس ، فاستطعنا ـ بإذن الله ـ أن نقف الخبر عن الانتشار،وأن نهدىء من بلغه الخبر وكافل ذلك الصغير .

تفرق الناس وخلت منهم الطرقات ، ونزل الهدوء التام ، وباتت البلدة فى أمن وأمان ، وسهرت أنا والدكتور جلول وبعض النواب الى منتصف الليل نتجول فى بعض الشوارع فشاهدنا بأنفسنا هدوءا شاملا للبلدة كلها .

استنتاجات من حوادث يوم السبت وليلة الأحد

فى قول من قال قبل الشروع فى الخطبة : « إن اليهود ما زالوا يحملون السلاح لقتلنا،وقد ضربوا وجرحوا فى هذا المساء منا » دليل على ما كان لبقاء السلاح عند اليهود من الأثر السىء فى إدخال الروع فى القلوب مما يقوى فى النفس غريزة الدفاع عن الحياة ، وعلى ما كان من عود اليهود إلى الضرب الذى فرغ ما عند المسلمين من الصبر عليه .

وفى هدوء المسلمين بعد ما سمعوا منى ومن الدكتور جلول دليل على انقيادهم لمن يكون محل ثقتهم ، وتمسكهم بأسباب العافية حتى فى أحرج الأوقات . وكانت ليلة الأحد بتمامها أصدق دليل وأقواه على ذلك .

يوم الأحد 5 أوت

أصبح الناس يوم الأحد على أحسن حال،لا فرق بينه وبين سائر الأيام،وأصبحت المعاملات التجارية بين المسلمين واليهود فى سوق الخضر وغيره كعادتها .

مررت نحو الثامنة ونصف أمام دار المير نازلا إلى باب الوادى فالتقيت بسى سليم البوليس السري فسألنى هل عندكم اجتماع هذه الصبيحة فى الصنوبر؟فأجبته بالنفي ، وذكرت له أن الاجتماع الذى أردناه قد وقع أمس عشية بالجامع الكبير،ليكون أعون لنا على ضبط الناس ، وقد حصل مقصودنا من تهدئة الناس باجتماع أمس، فلماذا نعقد اجتماعا آخر ؟ وكيف يكون فى الصنوبر ؟

وصلت إلى ادارة الشهاب نحو الساعة التاسعة،فجاء من أخبرنى أن بعض الناس اجتمعوا فى الصنوبر،وقيل لى إن هؤلاء لما سمعوا بالاجتماع ولم يعلموا بوقوعه أمس ظنوا أنه يقع اليوم ، وبعد نحو ربع ساعة جاء من أعلمنى بأنهم افترقوا .

نحو الساعة العاشرة ذهبت إلى جمعية التربية والتعليم لألقى محاضرتى على أعضائها ، فما كدنا نشرع فى المحاضرة حتى جاءنا من أخبرنا أن اليهود أطلقوا الرصاص فى جهة رحبة الصوف ، وأن الفتنة قد وقعت ، وأخذنا إثر ذلك نسمع فى طلق الرصاص المرات الكثيرة ، فمكثنا كلنا بالجمعية إلى الساعة الثانية عشر، فسرحت التلامذة مثنى وثلاث،وأمرتهم بأن لا يصعدوا إلى رحبة

الصوف،التى كنا نحسب إذ ذاك أن الفتنة قاصرة عليها . ونحـو الساعة الواحدة بعد الزوال صعدت إلى دارنا بنهج القصبة محروسا بفرقة من الجند .

كيف ابتدئت الفتنة وكيف انتهت

من الشائع المتواتر الذى عرفته حتى الجرائد الباريسية فنشرته جريدة «لاكسيون فرانسيس» أن الفتنة ابتدأت بسبب طلق أبناء الزاوى اليهود الحاملين للسلاح .

حضر الدكتور جلـول لرحبة الصوف والفتنـة عـلى أشدهـا، فدخل المعمعة يهدىء الناس من ناحية،ويضمد الجراح من ناحيـة أخرى،وكانت حالة الناس ــ وهم يسمعـــون دوي الرصـــاص ويشاهدون الجرحى يتساقطون منهم ــ أعظم من أن تهدأ . ومع ذلك فقد استطاع الدكتور جلـول أن يـرد الناس عن الهجوم على الشارع،حومة اليهود،ولولاه لكان ذلك الجمع مصبحا اليهـــود فى شارعهم شر صباح .

انتشر الخبر فى البلد،وماجت الأنهج بالناس،وكثر ضرب اليهود الرصاص من النوافذ،فانكب الناس على دكاكين اليهود التى كانت مقفلة يوم الأحد يكسرون أبوابها،ويمزقون ما فيها من قمـاش، ويهشمون ما فيها من أثاث،ويمزقون الأوراق المالية،وأطلقوا النار فى بعضها،وقتلوا نيفا وعشرين نفسا،وفرغوا من عملهم نحـــو الساعة الثانية .

استنتـــاج وتعليـــل

فتح أسواق الخضر الإسلامية كعادتها وتعاطى المسلمين البيـع والشراء مع اليهود واليهوديات دليل قاطع على أن المسلمين كانوا

قد اطمأنوا وأمنوا، وعلى أنهم ما كانوا عازمين على شيء من الشر لليهـــود .

ابتداء أبناء الصائفى بضرب الرصاص، ورؤية المسلمين السلاح بيد اليهود والرصاص يتهاطل من نوافذهم وهم لا سلاح لهم، بعث فيهم الرعب والحنق، فاندفعوا ذلك الاندفاع القوي السريع المحطم.

غريزة الدفاع عن النفس فطرية فى الإنسان بل فى جميـع الحيوان، فإذا أحس بالخطر فإنه يعمل أعمالا عــن غير وعـي لا يستطيع أن يعملها لولا ما أحس بــه من الخطر، وما تحرك فيه مــن غريزة الدفاع عن النفس، فقد يجرى الإنسان فارا أمام حيوان يريد افتراسه بمقدار من السرعة لا يستطيعه أبــدا فى غير تلك الحال. فالإنسان الأعزل الذى لا سلاح معه عندما يــرى خصمه مسلحــا ويشاهد الرصاص منطلقا من سلاحه يحس بخطر محقق داهـــم ، فتتحرك فيه غريزة الدفاع عن النفس، فينبعث عن غير وعي فينقض على خصمه انقضاض المستميت، فربما قضى عليه رغم سلاحه .

هذا فى الفرد فى الناس. أما فى الجموع منهم فإن المسألة تكون أروع، لأن الجماعة لا تعمل بفكر، وإنما تعمل عن عاطفة، فإذا خافت على أنفسها واندفعت بغريزة الدفاع عنها فإنها تأتى فى تلك الحالة بما لا تتصوره العقول .

بهذا التقرير العلمى النفسى نعلل ما كان مــن الجماعة المسلمة العزلاء من السلاح أمام اليهود المسلحين فى اندفاعها وما أتت بــه من أعمال مروعة .

ولعلمنا بهذه الحقيقة العلمية النفسية كنا حريصين أمام القائم مقام البريفى عــلى نــزع السلاح مــن اليهود، وقد أمرت السلطة أعوانها بنزع السلاح من المارة فى الأزقة، ولكن بعد فوات الوقت، فالذين قاموا بتلك الأعمال من المسلمين لم يكونوا مندفعين إليهــا

بحقد على اليهود ولا بعامل ديني ولا ببغض جنسي،وانما كانوا مندفعين بغريزة الدفاع عن النفس أمام الخطر المسلح .

نعم،كان المسلمون يسمعون دائما سب دينهم ونبيهم من اليهود وخصوصا من النساء،وكانوا يلقون منهم سوء معاملة،خصوصا من النساء في سوق الخضر،وكانوا يشعرون بتسلطهم في دوائر الحكومة وعلى رجال بارزين من الساسة الفرنسيس،ويعلمون تغلبهم في الوظائف حتى على الفرنسيس أنفسهم،وحسبك أن موزعي البريد ببلدة قسنطينة منهم ثلاثون ونيف،ومن الفرنسيس خمسة،ومن المسلمين واحد.ولكن هذا كله ما كان ليبعثهم على ما انبعثوا إليه لو لم تتحرك فيهم غريزة الدفاع عن النفس أمام الخطر المسلح . بل كان ذلك كله مما أسكن في قلوبهم الخوف والاستسلام للواقع .

قتل من اليهود نيف وعشرون،كان منهم خمس نسوة،وستة من الصبيان،وكان المعتدون لما يشتد الرمي بالرصاص من النوافذ ومن أيدي بعض النساء في بعض الجهات يصعدون للمنازل فيبطشون بمن فيها عن غير تمييز . وكان قتل النساء والصبيان دليلا على أن المعتدين لم يكن اندفاعهم عن عقيدة الإسلام الذي هو معلوم مشهور عند أهله أنه يحرم قتل النساء والصبيان حتى في الحرب المشروعة، وعلى أن تلك الفظاعة هي من آثار الجهل،وتلك الحالة النفسية الخاصة الطارئة،لا من آثار الإسلام .

المصائب على الجانبين

إذا كانت دكاكين اليهود قد أصيبت بما أصيبت،فإن دكاكين المسلمين التي في حومة اليهود قد أصيبت كذلك،وإذا كانت خسائرها قليلة فذلك لأنها قليلة،ولأنها ضعيفة كأصحابها الضعفاء،بخلاف

دكاكين اليهود فقد كانت خسائرها كثيرة لأنها هى كثيرة،ولأنها قوية كأصحابها الأقوياء .

وإذا كان القتلى من اليهود نيفا وعشرين ومن المسلمين اثنين فالفضل لمسدسات اليهود التى خانتهم عند الضرب،فالمطر الوابل من الرصاص الذى نزل من مسدساتهم ما قصدوا به إلا القتل وإزهاق الأرواح،بلا فرق بين من فى الأنهج من رجال ونساء وشيوخ وصبيان وجنود،وقد جرحوا بالفعل نحو الأربع من الصبيان،وجرحوا جنديين أو ثلاثة،فلو صحت من اليهود فى الرمي زنودهم ، كما صحت فى القتل قصودهم ــ لكان القتلى من المسلمين كبارا وصغارا ــ يعدون بالمئات ، وليس من قصد القتل وارتكب سببه ولم يتم له ما قصد لمانع ــ دون من قتل بالفعل فى الجرم .

أما عدد الجرحى فقد تساوى أو تقارب من المسلمين ومنهم ، فكان من الجانبين نيفا وعشرين وكان كثير من جرحى المسلمين بسلاح الجند،مما يدل على أن الجنود وإن لم يطلقوا الرصاص لعدم الإذن لهم بذلك،فقد دفعوا الناس بالسلاح الأبيض .

ليلة الاثنين ويومها

أعلنت حالة الحصار ومنع المرور بالأنهج إلا بورقة المرور .

وفى مساء الاثنين رغبت منى دار البريفى،بواسطة إنسان له مقام عندى،أن أذهب إلى عين البيضاء لتهدئة الناس.ولما كان هذا من أعمال الخير التى وقفت لها نفسى أجبت الطلب،وصحبنى السيد عمر ابن الموفق ليباشر هو الناحية الإدارية ورجالها،وأباشر أنا ناحية الأمة . ولما وصلنا إلى عين البيضاء فى منتصف الليل بقيت فى السيارة ونزل السيد عمر إلى دار المير،وبعد نحو ساعة رجع إلي

يقول:إن بعض النواب يرون أنهم قد قاموا بتهدئة الناس،وأن دخول غيرهم ربما يشعر بتقصيرهم فى واجبهم،فقفلنا راجعين .

وقد علمنا بعد ذلك من حوادث عين البيضاء أن شرطيا يهوديا أطلق الرصاص على ولد صغير مسلم أرسله أبوه لشراء الغاز، وهذا الولد جيء بـه إلى مستشفى قسنطينة وتوفى بـه . وأن النائب العمالى بن بومالى قدم استعفاءه للبريفى احتجاجا على تكليف غيره بتهدئة الناس .

فى ليلة الاثنين جدد اليهود اعتداءهم ، وعلى بيوت الله

يقع مسجد سيدى الكتانى فى رحبة سوق العصر فى وسط حومة اليهود،ففى ليلة الاثنين هاجمه اليهود فكسروا أربعة أو خمسة من نوافذه،وهشموا التخاريب التى على أحد أبوابه،وقد حققت ذلك إدارة الأمن،وأثبتت فيه تقريرا رسميا .

استنتاجات وملاحظات

أجبنا رغبة الحكومة لما دعتنا إلى فعل الخير، ومددنا يدنا للتعاون معها على ذلك . فهل علمت من ذلك أننا دعاة خير وسعاة إحسان. وهل هى بعد ذلك تستطيع أن تخلي بيننا وبين ما نقوم به مما هو أصل كل خير،ألا وهو نشر العلم والدين ؟

أما النواب الذين زعموا ذلك الزعم،فأحسب أن الأنانية حالت بينهم وبين فهم معنى التعاون،وإلا فإن القائم بواجبه مهما كان مقدار قيامه فإنه لا يأنف من إعانته فيه،محبة فى تحقيق ذلك الواجب على أكمل وجوهه،لكن هذا إذا كان قيامه بالواجب لأجل الواجب نفسه ، لا لشائبة من حظه وغرضه .

وأما النائب الذى قدم استعفاءه وتحمس هذا التحمس فإننا كنا نود أن لو كان عنده هذا الحماس وهذه الغيرة والحمية فى مواطن أخرى،كان فيها حضرته باردا ومبردا،ولا حاجة لنا إلى تعريفه بهذه المواطن،فالناس كلهم على علم بها،وعلى ذكر منها . ونحن وإن كنا نرى حماسته هذه فى غير محلها،فإننا نتفاءل لحضرته بها خيرا،ونرجو أن تدوم له فى مواقفه القادمة فى حياته العامة إن قدر له العود إليها .

قتل اليهودى الشرطى ولدا صغيرا رميا بالرصاص !! وهل نحتاج بعد هذا إلى دليل على روح النداء والتعدى ؟ ومن الثابت أيضا أن بعض الشرطة اليهود بقسنطينة أطلقوا الرصاص وأن شرطى (1) اسمه علوش سكر وقال سأضرب وأفعل وأفعل، فعزل من الشرطة لثبوت ذلك عليه . فاذكر هنا ما تقدم عن ليلة السبت بقسنطينة وكيف وقف الشرطيان المسلمان أمام دار اليهودى الياهو أصل الشر والبلاء يحرسانها،وقس بين الروح والروح والتربية والتربية .

صبيحة الثلاثاء

استدعى الوالى العام وفدا من المسلمين وألقى عليهم خطابا دل على وقوفه موقف الحاكم العادل الذى يريد أن يعرف الحقيقة لذاتها، وأذن للجماعة بالكلام،فقدموا الدكتور جلول،فألقى خطابا جامعا صور فيه الواقعة تصويرا فوتوفرافيا،نظن أنه أبلغ وأصدق ما سمعه الوالى العام على صورة الحالة . سأل الوالى الدكتور عن سبب اجتماع الناس فى الصنوبر صبيحة الأحد،فأجابه الدكتور بأن الذين اجتمعوا بالصنوبر هم الذين سعوا مساء السبت بالاجتماع على الساعة السابعة فحسرها صباحا،وأوقعهم فى هذا

(1) كذا فى الاصل والصواب : شرطيا

الغلط. ضيق ما بين وقت الإعلام بالاجتماع الذى وقع بالجامع الكبير ووقوعه . ثم قدموا الأستاذ مختار بن الحاج سعيد المحامى فـألقى خطابا بليغا دافع فيه عن الحقيقة بصدق وإنصاف،ثم تكلم النائب المالى السيد محمد المصطفى ابن باديس وقال:إنه موافق على كـل ما قالـه الدكتور جلـول والأستاذ مختار . ثم أعاد الوالى الحديث وسأل الوفد هل يستطيعون أن يعدوه بكف المسلمين ؟ فأجابه السيد ابن باديس أن المسلمين منكفون بالفعـل،وأننا نعـد بكفهم،وأننا نستطيع ذلك بشرط أن ينكف اليهود الذين قد تكرر منهم الاعتداء. فأجاب الـوالى العام بأنه يعتمد عليهم،وأنـه سيكلم اليهود مثـل ما كلمهم .

وفـاء الوفـد بوعـده

خرج ذلك الوفد الإسلامى الحافل المتركب من النواب والأعيان وبعض أهل العلم،فارتأوا أن يبادروا بوفاء وعدهم للوالى العـام بأن يتجولوا فى الأنهج الإسلامية،ويعرفوا الناس بمقابلتهم للوالى العام،وما طلب منهم،وما التزموا به عن إخوانهم المسلمين،واتفقوا على أن أقوم خطيبا فى كل نهج من الأنهج الكبرى الإسلامية لأخطب فى الناس بذلك،فوقفنا بضعة عشر موقفا ألقيت فيها بضع عشرة خطبة أخاطب فيها الناس باسم الوفد،وأدعوهم إلى الهدوء والسكينة، وأذكرهم بآداب الإسلام ، وأعرفهم بما كان من طلب الوالى العام وما كان من التزام نوابهم،وكان الله ــ وله الحمد ــ يفتح فى كل موقف بفن من فنون التذكير،وكان إخوانى المسلمون ــ جعلنى الله فداءهم ــ يلتفون بنا فى كل موقف،ويبدون من الاستماع للوعظ، والانقياد للخير ما عرفنى بما تنطوى عليه تلك الصدور المحمدية الطيبة مـن الـروح الإسلامية الشريفة،والآداب الدينية العاليـة الكامنة فيهم،التى لا يحتاج فى إظهارها إلا لكلمة صادقة عن نيـة

خالصة . وكان كل موقف يختم بإعطاء كلمتهم بأن لا يكون منهم سوء،وبالدعاء للجميع .

عملت تلك الخطب ـ بإذن الله ـ عملها فى قلوب كانت متفرقة فاتحدت،وأرواح كانت متناكرة فتعارفت،وما انتهينا إلى آخر مواقفنا ـ وكان أمام مكتب وعيادة الدكتور ابن جلول ـ حتى تصافح هو والسيد محمد المصطفى بن باديس،وصعد النواب كلهم إلى مكتب الدكتور ، فأعدتهم إلى النهج ليحضروا آخر موقف، وليسمعوا آخر خطاب،ولم أكتف بوقوفهم بنوافذ المكتب المطلة على النهج،فلما نزلوا خطبت فى الجمع خطابا يشتمل على أصل ما ألقيت الخطب لأجله،وعلى ما ناسب ذلك الموقف الذى تجلت فيه روح الإخاء والصفاء . وكان ذلك الموقف لمواقفنا ـ والفضل لله ـ خير ختام .

يوم السبت 11 أوت

صبيحة السبت قابل وفد المسلمين عامل العمالة،ودار الحديث فى الحوادث التى وقعت،ورأينا من عاملنا الجديد رجلا يحمل روحا فرنسية لطيفة،ويتحلى بآداب الموظف العالى ، أبدى تأسفه أن وجد قسنطينة أول قدومه فى هذه الفاجعة،وأظهر رغبته فى رجوع الأمور إلى مجاريها . وبعد ما تكلم الدكتور جلول والطبيب زرقين وغيرهما،تكلم النائب المالى ابن باديس فذكر للسيد العامل أن الأمن من ناحية المسلمين قد استتب،وأن جماعة المسلمين قد استطاعوا بما قاموا به أن يهدئوا إخوانهم على كثرة عدد المسلمين وانتشارهم ، وأن جماعة اليهود من ناحيتهم لم يقوموا بشىء مما قام به جماعة المسلمين على قلة عدد اليهود،وسهولة إبلاغ الصوت إليهم،ولذا فإن المسلمين لم يتجدد منهم شىء من يوم الحادثة ، وأما اليهود فقد تجدد منهم الاعتداء مرارا،وذكر له الولد بياع الجرائد

الذى جرحوه برحبة الصوف،وولدا آخر صب عليه المادة الملتهبة الفيتريول،والرجل الذى أطلقوا عليه الرصاص بنهج فرانس، كل هذا ما بين يوم الاربعاء والسبت،فوعد العامل بأمرهم بالكف والتأكيد عليهم به .

تنظير بين المسلمين واليهود

نريد أن نعرض لطبقات من المسلمين واليهود لنعرف موقفهم من هذه الفتنة اعتمادا على المعلومات المتقدمة .

النــــواب

وقف الدكتور جلول النائب العمالى ليلة السبت برحبة الصوف وقفة المهدىء للجميع،المسكن للثائرة،ومعه السيد محمد آمزيان النائب البلدى يعينه على ذلك،ويبذل جهده مثله .

وحضر النائب العمالى اليهودى لُولُّوش فبدلا من أن يهدىء قومه ويأتى باليهودى المعتدى ويدخله حبس الكوميسارية،وكان فى استطاعته ذلك،ولو فعله لأطفأ به تأثر المسلمين فى الحين،لأنهم ما كانوا يريدون إلا عقاب ذلك المعتدى على دينهم ونبيهم وجماعتهم ومسجدهم ــ بدلا من أن يفعل هذا كان تارة يستبعد وقوع ما وقع من الاعتداء،وتارة يستكبر على المسلمين تأثرهم من ذلك الاعتداء إن وقع . ولم يظهر منه أدنى شىء فى التهدئة والتسكين .

كان الدكتور جلول صبيحة الاحد يتنقل من مكان إلى مكان مهدئا للناس مداويا للجرحى معرضا نفسه للخطر، وممن شهد له بمواقفه فى ذلك التقرير الرسمى للجندرمة . أما النائب العمالى لولوش فقد اختار السلامة التى ذاق حلاوتها أيام أبقته الأعذار بقسنطينة عن ميادين الحرب الكبرى ...

أبدى النواب المسلمون فى كل ما كتبوا ونشروا وتكلموا أمام الحكام ـ غاية التعقل والرصانة والحكمة، وأعلنوا ثقتهم بالحكومة وبالعدالة، وكرروا دعوتهم إلى تناسى الماضى، والعمل لخير المستقبل، وجددوا تأسفهم بعبارات دالة على كمال فى الإنسانية، وسمو فى الدين .

أما النائب لولوش وغيره فقد كانت تقاريرهم وخطبهم ومنشوراتهم ـ وخصوصا رابور لولوش ـ تهجمات حتى على الحكومة، وتقولات بالباطل، وتكذب على النواب المسلمين، مما ينم عن أمراض قلبية ـ والعياذ بالله ـ ويدل على قلة أدب وإفلاس سياسة .

طاف النواب الأنهج الإسلامية، وخطبوا فى الناس بلسان من قدموا لذلك، ووفوا بوعدهم للوالى العام . ولم يفعل شيئا من ذلك النواب اليهود .

مفتى المسلمين وحبر اليهود

جاء المفتى ليلة السبت وبذل جهده، أما حبر اليهود فلم يأت لا هو ولا واحد من طرفه .

الشرطة

قام الشرطة المسلمون بواجبهم ولم تغلب عواطفهم على أمانتهم، حتى تقدم منهم من حرس باب المعتدى الأثيم الياهو خليفى . أما الشرطة اليهود فقد كان منهم من أطلق النار، ومنهم من قتل وهو شرطى عين البيضاء .

الامـــــــة

وفى المسلمون بوعدهم لجماعتهم فلم يكن منهم أى اعتداء ، أما اليهود فما زال الاعتداء يتكرر منهم على من ينفردون به وحده،كما فعلوا ببعلى سليمان بن لخضر . ومن أقرب ذلك رمى صبيانهم نوافذ من جامع سيدى الكتانى فكسروها . نقول هذا ونحن على ثقة مـن تعقل إخواننا المسلمين،وعدم التفاتهم إلى هذه الأفعال الطائشة التى تتولى أمرها العدالة،وأنهم يبلغون كل ما يلحقهم إلى العدلية لتقوم بواجبها نحو المعتدين،كما طلبنا منهم فى خطبنا ووعدوا بـه وهم الموفون بما وعدوا .

القتـــــــــلى

دفن اليهود قتلاهم فى مشهد حافل،أما قتلانا ــ وهم الرجل الذى قتل يوم الاحد والصبى الذى قتلـه الشرطى بعين البيضاء والذى مات مـن جراحه بعد ذلك ــ فإنهم دفنـوا دون أن يشيعهم أحـد، ودون أن تقال عليهم كلمة،ودون أن تراق عليهم دمعة .

علمنا أنهم يدفنون هكذا وسكتنا ــ لا لهـون المصاب علينا،ولا لقلة ألمنا وحزننا ــ ولكن موافقة للإدارة على تجنب كل ما قد يثير العواطف،ويكون مخيف العاقبة . وعلمت الأمة بهذا ورضيت به انقيادا لرجالها،لما لها بهم من الثقة،وإظهارا لما عندها من الرغبة فى الهدو والسكينة والتغلب على العاطفة أمام ما فيه مصلحة عامة .

الخـــاتمـــــة

كتبنا هــذا التقرير عن الحالة كما شاهدنا فيما شاهدنا ، وكما تحققنا فيما بلغنا من الثقات عندنا . وإننا بعد ذلك نأسف ونألم على ما يصيب الإنسان من أخيه الإنسان،وعلى أن تجرى هذه الحوادث

بين عنصرين ساميين ابراهميين،عاشا قرونا فى وطن واحد دون أن يشهدا مثلها . ونسأل الله تعالى أن يبطل كيد الظالمين . ويرد شر المعتدين عن الخلق أجمعين ، وأن يرحم المستضعفين وينصر المظلومين من جميع العالمين .

وصدق الله العظيم فى كتابه الكريم : « ومَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ »،« مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِى الْأَرْضِ وَلاَ فِى أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِى كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ، لِكَيْلاَ تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ » (1) .

(1) ش : ج 10 ، م 10 ، غرة جمادى الثانية 1353 هـ 11 سبتمبر 1934 م .

محمد عثمان باشا

داى الجزائر سنة (1766 ـ 1791)

هذا اسم السفر الجليل الذى ألفه ـ أخيرا ـ الأخ الأستاذ أحمد توفيق المدني ، لخص فيه تاريخ الجزائر فى العصر التركى ، وبين حالتها الاجتماعية والأدبية والسياسية بأسلوب بديع،جمع الفصاحة والتناسق ، وعرض للتاريخ بين دلائل العلم ومناهج الفن ، وبروح إسلامية لا تعرف إلا الصدق،عربية لا تفارقها العزة والشهامة وإذا كان «الوطن هو تاريخ الوطن» كما يقول الأستاذ عبد الرحمن صدقى ، و « لا حياة لأمة إلا بإحياء ماضيها » كما يقول الدكتور هيكل ، فالأخ الأستاذ المدنى بكتابه هذا لم يكن كاتبا بليغا ومؤلفا مبدعا ومؤرخا حكيما فحسب ، بل كان فوق ذلك من خير من بعثوا أوطانا وأحيوا أمما .

إن من جنايات الاستعمار الاوروبى على البشرية أنه قلب حقائق التاريخ على الناس،فقد صور الأمم التى ابتليت به وأصيبت بشره، بصور من الهمجية والوحشية والتأخر والانحطاط لا أبشع منها، ذلك ليبرر استيلاءه عليها ، ومن عليها بما زرعه فيها من عمران ، وإن كان هو المستغل لذلك العمران والمستبد به . فأمريكا ـ مثلا ـ يصورها الاستعمار ويصور سكانها الأصليين بأقبح الصور، حتى هب من أبنائها الأصليين ومن العلماء المنصفين من رد ذلك التصوير وزيفه . وهاك بعضا مما يبين لك هذا،ذكره الأستاذ محمد كرد علي فى آخر كتابه « الإسلام والحضارة العربية »،قال الأستاذ :

« ذكر أحد الباحثين فى جريدة الكوتيدين Quotidien الباريسية تحت عنوان (تاريخ الأمم المغلوبة على أمرها لم يكتب)،إن المجلس الأعلى لبقايا هنود أمريكا فى الولايات المتحدة أرسل إلى شيخ مدينة شيكاغو احتجاجا جاء فيه : (إن الكتب المدرسية المستعملة الآن فى الولايات المتحدة صورت قبائل الهنود فى صورة مخالفة للحقيقة التاريخية).قال الكاتب:وليتنا نفكر قليلا فيما كانت أمريكا قبل أن يفتحها كلومبس ، ونقرأ ما قصه الفاتحون الأولون وأرباب الرحلات الأقدمون من الأقاصيص الغريبة . ونلقى رائد الطرف على المدن القديمة في العالم الجديد وما بلغته من الازدهار وما غصت به من المعابد العظيمة التى تضاهى بعظمتها معابد مصر وتماثيلها العظيمة المحلاة بالذهب ، وما كان هناك من متاحف وخزائن كتب ومراصد فلكية . وإذا كتب لنا أن نتوغل فى المكسيك الماياس فى يوكتان ولانكاس فى الانو ـ إذا رأيت كل هذا استنتجت ـ والدهشة آخذة منك ـ أن فتح أميركا كان من أعظم جنايات أوروبا » اهـ .

هذا هو نفس ما وقع بالجزائر من تشويه تاريخها،وتصويرها فى جميع عصورها،خصوصا فى العصر العثمانى ـ بأقبح الصور فى الكتب التى تدرس فى المكاتب الفرنسية،وتدرس ـ يا للبلية يا للحصرة لأبنائها ! ـ غير أن الجزائر ليس فيها جمعية تحتج على هذا التشويه الباطل القبيح ، بلى : من أبنائها ـ المثقفين بالافرنسى طبعا ـ من ينكر تاريخها جملة،ويزعم أن لا شخصية لها . لكن لا يمكن للحقيقة أن تبقى مستورة بالأباطيل،فهى كالشمس لابد أن تظهر ولو توالت أيام الدجن والغيوم . فقد جاء الأخ أحمد توفيق المدنى بكتابه هذا يبين ما كانت عليه الجزائر من القوة والعمران قبل الاحتلال الفرنسى،وما أصابها من التخريب والتقتيل أيام الاحتلال وبعيد الاحتلال،ناقلا له من كتب ووثائق أفرنسية لا غبار عليها .

هذا إلى بيان ما كانت تتمتع به من حريـــة فى دينها وقضائها ولغتها وتعليمها وبيان غير ذلك من أحوالها ، لا تتسع هذه الصفحات لعرض كل ما فى الكتاب،ولكنى أقول بكلمة واحدة : (إنه يتحتم على كل مسلم جزائرى أن يقرأ هذا الكتاب) . وإنك إذا ختمته ـ أيها المسلم الجزائرى ـ لابد أن تخرج منه تحب مـــن يجب أن تحب ... وتبغض من يجب أن تبغض ... والحب والبغض سلاحان لازمان فى الحياة،ولا بقاء لأمة بدونهما إذا استعملتهما فى محلهما.

وحقيق علي أن أذكر بالإعجاب والسرور المطبعة العربية للأخ الشيخ أبى اليقظان التى أخرجت الكتاب فى حلة فنية جذابة،تدل على تقدم الجزائر فى الفن المطبعى،وأن أذكر بالثناء المكتبة المصرية لحضرة محمود نسيم أفندى التى تولت نشره . جازى الله العاملين على نشر العلم وإحياء الأمم بكل إحسان وجميل (1) .

(1) ش : ج 7 ، م 13 ـ شعبان 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م .

شكوى الجزائر وبلواها (1)

منذ ستة وأربعين سنة

عثرنا في أوراق عمنا السيد حميدة بن باديس،الذي كان نائبا عماليا عن قسنطينة في عهد من حياته ، على تقرير عن الحالة بالجزائر في ذلك العهد ، حرره هو بالعربية وأمضاه معه زملاؤه بالمجلس العمالي السادة : محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة ، عمار بن أحمد ، وذو إمضاء لم أفكه . وترجمه م. ميرسي تحت رقم 16،245 وقدمه لأحد رجال السينا الذى قدم للبحث عن الحالة . ونظرة فيه تدلنا على المظالم الثقيلة التى أثقلت كاهل الأمة من قديم ، وعلى اجتهاد رجال من نوابها في ذلك العهد في إظهار حقيقة حالها للحكومة الفرنسية العليا،دون مبالاة ولا محاباة ، وعلى أن الحالة كانت معلومة عند الحكومة الفرنسية تمام العلم،دون حاجة إلى تتابع الوافدين على الجزائر للبحث والتنقيب .

وقد رأينا ـ بمناسبة ما تقوم به لجنة البحث البرلمانية اليوم في الوطن ـ أن ننشره على القراء كوثيقة تاريخية يعتبرون بها، ويقارنون بين الماضي والحاضر .

☆ ☆ ☆

لقد جاءت من فرنسا جماعات وأفراد من وزراء ونواب وكبار موظفين مرات عديدة،من ذلك العهد البعيد إلى اليوم ، تعاقبوا كلهم على البحث عن الجزائر وحالة المسلمين،ولكن بدون جدوى،

(1) آثرنا إدراجه في آثار الشيخ لقدمته عليه،ولأهميته في المقارنة والاعتبار .

ولا تخفيف للبلوى ولا أدل على ذلك من الحالة التعيسة التى بلغنا إليها اليوم ، من جهل وفقر، وسقم وقهر، وظلم وإذلال . لا جرم أن حصل للجزائر ـ بعد هذا كله ـ يأس وقنوط من بحث كل باحث ووعد كل واعد ، بل ومن الحكومة الفرنسية نفسها . وما رجع للنفوس شىء من الأمل ضئيل إلا يوم جاءت هذه الحكومة الشعبية، وأعلنا نحن ثقتنا بها للناس من أول يوم سعينا فى تأسيس المؤتمر الإسلامى الجزائرى،وذلك لما نعرفه فى أحزابها من احترام ما ، للأمم المرتبطة بفرنسا ، واتساع حرية فى الفكر والإنسانية ، ولما رأينا من أخذها فى التفكير فى شأننا والحديث عنا .

وبتلك الثقة وبذلك الأمل تلقت الأمة الجزائرية لجنة البحث البرلمانية،التى تجول اليوم فى أنحاء الوطن ، وهى ـ والحق يقال ـ لجنة ممتازة عن كل لجنة،كما امتازت الحكومة الشعبية عن كل حكومة، فقد تقصت فى البحث،واتصلت بجميع الناس،وتباعدت عن المظاهر الإدارية،وقابلتها الأمة بكل ما يعينها على مهمتها،فأطلعتها على جميع نواحى بؤسها وشقائها ، مرتجية فيها أن تطلع فرنسا : شعبها ونوابها وحكومتها على ذلك كله، حاثة للجميع على المبادرة بالعلاج الحاسم لتلك الأدواء كلها،من جميع النواحى كلها ، مبينة للجميع أن كل محاولة للتسكين بغير الدواء الحقيقى لا تزيد الأدواء إلا استفحالا ، ولا الحالة إلا ارتباكا واضطرابا إلى عواقب سيئة لا يعلمها إلا الله .

✡ ✡ ✡

وهذا نص المقال الذى ذكرناه :

الحمد لله ،

لما بلغنا اشتغال الدولة الفرنسية بتأسيس أمور المسلين سكان بر الجزائر، وإصلاح حالهم، وجلب المنفعة لهم ،ودفع المضار عنهم،

وتحقق عندنا ذلك بقدوم المعظم السيد فرانك شفو،أحد الأعضاء بالسينا لبلدنا،ودعائه إيانا للحضور لديه بواسطة السيد البريفى، وحضرنا نحن وجماعة بيرو الكونساى جنرال،وسمعنا ما وقع من الكلام من أولئك السادات،وعرفنا من لسان السيد السنتور المذكور المسائل التى نحن مسؤولون عنها ومحتاجون للجواب عليها،وطلبنا منه أن يأذن لنا بالجواب عنها بالكتابة،وأباح لنا ذلك على سبيل الإطلاق،بحيث يمكننا أن نتكلم فيها أو فى غيرها من الحقوق،وكنا نحن وكلاء على عامة المسلمين سكان عمالة قسنطينة ، وكان الواجب بصريح الشرع والسياسة على الوكيل أن يقوم بحق موكله بالجد وغاية الجهد،ولا يبالى بقول قائل ولا بلوم لائم ، فشرعنا حينئذ فى التأمل والتدبر فيما يجب فى الجواب عن كل مسألة بكلام مختصر مفيد . ولا شك أن عقول أرباب الدولة الراسخة تفهم شرحه وإيضاحه،فنسأل الله ــ تعالى ــ الإعانة والإلهام للصواب،ونقول: المسألة الأولى حال المسلمين مع الكولون الفرانسويين،فالجواب عنها أن المسلمين سكان إقليم الجزائر مثلهم كمثل الأغنام التى رعاتها عاجزون عن القيام بها على الوجه الأكمل،وسبب ذلك أن الحكام الآن مربوطة أيديهم على صرف الأموال فى المصالح العمومية،ولا يقدرون أن يحدثوا شيئا إلا بمساعدة وموافقة من أعضاء الديوان العام فى العمالة المعبر عنه بالكونساى جنرال،وأنه لا يكون فيهم إلا الخمس أو السدس من المسلمين،وأن الكثير من الأعضاء الفرنسويين لا يكترثون بعامة المسلمين،ولا يبالون بمنافعهم،ويعز عليهم صرف المال فى مصالح المسلمين الخاصة بهم،فلا يكون حينئذ للمسلمين ناصر ولا معين،لأن كلمة إخوتهم المسلمين فى الكونساى جنرال كل شىء، ومع هذا فان الكونساى جنرال يطلب المرة بعد الأخرى إبعاد المسلمين عنهم،وإخراجهم من بينهم . نعم،قد يكون بعض الأعضاء الفرانسويين راغبا فى مصالح المسلمين،ولكن لا يجد سبيلا لذلك لقلتهم بالنسبة لغيرهم،وربما لا تسعهم مخالفة إخوانهم ، ومثلهم

الحاكم فانه مربوط اليد على التوصل إلى جانب المنفعة للمسلمين. والأصل في ذلك كله أن الكثير من الكولون سكان إقليم الجزائر ضد للمسلمين،ولا يحبون لهم إلا الضعف والتلاشي والهلاك،ووكلاؤهم في الديوان العمومي يسيرون على حسب غرضهم وقصدهم . وأما الحكام مع كونهم مربوطة أيديهم كما ذكرنا،فإذا ظهرت منهم الحمية على المسلمين توجه لهم الكولون بالإذاية والذم في الجرنالات وغيرها. فمنهم من يصبر لذلك،ومنهم من يتقلق ويكره وظيفته ، ويرغب في الرجوع لفرنسا.وها نحن نبين سبب حقد بعض الكولون أو الكثير منهم على المسلمين،وذلك السبب أمر باطني يعتقدونه في عقولهم،ويظنون أن المسلمين منتصبون دائما لإيقاع الإذاية لهم، والاضرار بهم في أموالهم أو ذواتهم،ويزعمون أن دين الإسلام هو الذي يحرضهم على ذلك،وخصوصا القرآن.وقد رأينا في بعض الجرنالات كلاما منسوبا لبعض السادات في السينا يوافق ما يعتقده الكولون في جانب المسلمين من أن القرآن يحرضهم على الجد في إذاية الفرنسويين،وذلك غلط صراح . أما أولا فإن الركن الأعظم في الدين الإسلامي الصلاة خمس مرات بين اليوم والليلة،وهي لا تقام إلا بقراءة القرآن ، وإلا تكون باطلة،فهذا هو السبب الذي أوجب على المسلمين قراء القرآن وتعليم أولادهم له في المكاتب، ليحصلوا بذلك معرفة القلم العربي،ومعرفة اللسان العربي الخالص،الذي تكتب به الكتب،ويتوصلون إلى حفظ القرآن وقراءته في الصلوات . وثانيا فإن دين الإسلام يوجب على المسلمين الوفاء بالعهد،وعدم الغدر والمكر،وعدم الفساد في الأرض . ولولا خوف الإطالة لجلبنا النصوص الدالة على صدق قولنا من الكتاب والسنة . ومن جملة ما يقوى الحقد في قلوب الكولون أنه مهما تقع من مسلم جناية إلا ويسبون بها جميع جنس المسلمين، ويعيرونهم بذلك في الجرنالات وغيرهم،ولم يتأملوا في أن ما يفعله أصحاب الجنايات المعروفين بالجرأة هو من طبعهم من زمن ولاية

الإسلام ، ومع ذلك فإن كثيرا ما يصدر منهم يقع على إخوانهم المسلمين . وأيضا فإن الجنايات لا يخلو وقوعها فى كل بلد وفى كل أمة.والحاصل أن الذى يعتقده المسلمون وخصوصا ذوو الخبرة بأحوال الدول،أن الدولة الفرنسوية أشد رفقا وحنانة على رعيتها، وأنها تراعى جنس الخليقة الآدمية من غير نظر للمخالفة فى الدين أو فى الطبيعة،وأنها ترغب دائما فى تبديل طبيعة أهل الغلاظة وجلبهم إلى التمدن،وإتقان الخدمة،وحسن العيش،والامتزاج والمؤاخاة،ولكن لم يتم ذلك المراد لبعضهم عن المسلمين وعدم إطلاعهم على أحوالهم.فلو كان الفرنسويون المقيمون بإقليم الجزائر مجتهدين فيما هو غرض للدولة،ومساعدون للحكام على صرف الأموال فى الأمور التى تصلح حال المسلمين،وتخرجهم من الظلمة إلى الضوء،وتسدد أحوالهم،ولا يبخلون بصرف الأموال فى الأسباب التى ينتج منها ما ذكر كاستعمال المدارس ونحو ذلك،فلا شك أن قصد الدولة يتم،والمرض الذى فى المسلمين يزول،ويعم الخير والنجاح جميع الناس في أمد قليل . فيتلخص مما ذكرنا أن المسلمين إن نالوا خيرا بسبب اجتهاد الحكام وتعبهم فى ذلك،كما وقع ذلك مرات من بريفى عمالة قسنطينة،وخصوصا وقت المسغبة ونزول الجراد فيهم،فرحوا واستبشروا،وإذا نزل بهم أمر مضر صبروا على مصيبتهم التى تؤديهم إلى الفقر والخصاصة وسوء الحال،ولم يجدوا ناصرا كضيق الأرض عليهم،وانتزاعها من بعضهم،وثقل المغرم عليهم،وإجراء الأحكام على من تراخى فى دفع المغرم أو عجز بالخطية والحبس،على حسب ما يقتضيه قانون لانديجينا،وغير ذلك مما يطول شرحه،وخصوصا واقعة السكيسطر على التهمة بإيقاد النار من غير حجة قاطعة.فينبغى للدولة أن تتنبه لهذه الأمور، وتتخذ طريقا يتوصل بها المسلمون إلى حقوقهم،ويستعملون لهم نوابا فى المجالس الكبرى على المنوال الذى يتأتى ويمكن على طريق السداد . ونرغب من السيد السينتور أن يتأمل فى البرشور الذى

كنا استعملناه فى شرح حال العرب فى تاريـخ الرابع والعشرين من أفريل عام 1882 ، المسألة الثانية إدخال المسلمـين جملة فى « الناطور اليزاسيون » وإعطاؤهم الحرية الكاملة فى اختيار أعضاء النواب عنهم فى ديوان العمالة،أعنى « الكونساى جنـرال » .
الجواب عن هاته المسألة،لا يخفى على أحد أن المسلمين-وخصوصـا سكان البوادى-قليلا ما يكون منهم من يدرك المقصود من كل حاجة وما ينتج منها ، وكثيرهم في غاية الجهل والغلاظة، حتى أنه إذا أظهر لهم بعض الأفراد بحسب عقله الفاسد أن القصد من هذه الحوادث الإضرار بهم وإفساد دينهم أو غير ذلك،رسخت تلك المقالـة فى أذهانهم،وجزموا بها،وحصل لهم غاية الخلق، بخلاف الناس العقلاء العارفين للأمور فإنهم يعلمون ويتحققون أن قصد الدولة مـن إدخالهم فى «الناطور اليزى»توقيرهم واحترامهم، وتسهيل الطريق للتوصل إلى حقوقهم . لكنهم لا يرغبـون فى ذلك مـراعـاة لما يقع من الخلل فى مسائل دينية كالميراث والنكاح والطلاق وغـير ذلك ، فبهذا السبب لا تجد إلا أفرادا قليلة يرغبون فى «الناطور اليزى» وأمام انتخابهم للنواب عنهم فلا يليق بهم لجهلهم للأمـور، وكونهم مربوطين دائمـا لكبرائهم مـن حكـام أو غيرهم، فينتـج حينئذ أن اختيار النواب يكون على حسب غرض بعض الأفراد لا على حسب غرض العامة،وربما يتولد بينهم الهرج والمناقشة .

فبهـذا السبب ينبـغى أن يكـون أمرهـم فى ذلـك مفوضا لحكام الدولة،لأنهم بحسب الجهـل الموجود فى كثيرهم والاعتماد فى أمورهم على رأي غيرهم صاروا كالمحاجير، نعـم،إنما يليق بهم بعد زمان،وذلك حين تنتقل طبيعتهم من الغلاظة إلى التمدن،لكن ينبغى للدولة أن تزيد فى عـدد نواب المسلمين فى « الكونساى جنرال » وأن تجعـل لبعض أولئك النواب مدخـلا فى مجمـع « الكونساى سبريور » . وإذا أرادت الدولة الجـد فى نفع المسلمين فينبغى أن

تجعل لهم نوابا (1) بالقامرة من أبناء جنسهم ، إن أمكن ، أو من الفرنسويين،ويكون اختيار النواب الفرنسويين بنظر نواب العامة من المسلمين فى الكونساى جنرال مع شخص أو شخصين من أعضاء « الكونساى منسبال »،المسلمين يعينهم « الكونساى منسبال » من كل « كمون » وينبغى للدولة إدخال أعضاء « الكونساى منسبال » من المسلمين فى اختيار «المير» كما كان الأمر فى السابق (2) لأن «المير» وخصوصا فى الفلاجات،هو الحاكم فى كل شىء،وكثير من سكان الكمون هناك مسلمون بأضعاف،فكيف يمنعون من اختيار من يليق بهم،ويعرف أحوالهم ؟ المسألة الثالثة : إلزام المسلمين بالدخول فى خدمة العسكر بالجبر على حسب الترتيب الجارى فى فرنسا ، الجواب عن هاته المسألة أنها ثقيلة على كافة المسلمين لا يرضون بها،ويتألمون منها غاية،بحسب ما يراعيه ويخممه كل طائفة منهم،وخصوصا الجبر والإلزام.وحيث يكون الأمر كذلك فالأولى والأليق فتح الباب للناس فى الدخول فى عسكر الطريور،فإنه يوجد العدد الكثير ويحصل المقصود بالغرض وطيب النفس . نعم قد جرت العادة أنه إذا احتاج جانب المخزن للاستعداد للحرب فى نازلة،يطلب من سكان الأعراش الإعانة فى ذلك،ويعين على كل فريق عددا معلوما فينقادون لذلك بلا كلفة.فغالب الظن إذا طلب جانب المخزن من كل عرش عددا معلوما يحملون السلاح ويتعلمون الحرب والسفر أمدا معلوما فإنهم لا يبخلون بذلك،وأيضا فينبغى التأمل فى أنه إذا صار أهل البادية كلهم حاملين السلاح،ربما تقع منهم بعض الفتن ، ولو مع بعضهم بعضا ، ألا ترى أن من جملة عوائدهم الفاسدة إذا تشاجر أحد من عرش مع واحد من عرش آخر قامت الفتنة بين الفريقين، وتضاربوا بما يجدونه بأيديهم،وربما تقع بينهم الموت.فانظر إذا

(1) ش : فطلب النيابة فى البرلمان قديم ليس ابن اليوم (ابن باديس) .
(2) ش : اذا قد كان المسلمون ينتخبون المير ثم منعوا .. (ابن باديس) .

صارت أيديهم عامـــرة بالســلاح مع هاته الطبيعة . المسألة (3) الرابعة : في ذكر ما نزل بالعرب مـن الفقر وسوء الحـال، بسبب انتزاع الأرض منهم، وعدم قدرتهم على مفارقتها ، والرضى بالبقاء فيها، بالكراء الغالي الذي يوقعهم في ضعف الحال وذهاب المال، وذلك أن كثير الكولون لما يأخذون الأرض ولا يقدرون على خدمتها والقيام بها وتحصيل الفائدة منها، يؤول أمرهم إلى إكرائها إلى العرب، بالسعر الذي لا يقدر المكترى على تحصيله، وتحصيل معاشه، والمغرم اللازم له، فيتلاشون ويعجزون عن الحرث، ولا يجد رب الأرض لمن يكريها فيبيعها إن أمكنه، أو يتركها وينتقل. وبهذا السبب لـم تتم عمارة « الفلاجات » كما ينبغي ، ويوجد كثير أراضيها خاليا، والعذر محقق للكولون في العجز عـن تعمير الأرض، لأن أرضنا وإن كان ترابها جيدا فإنها معدومة الماء إلا في مواضع قليلة، وأن الحمى لا تفارق النواحي الكثيرة منهـا، وتضر الذوات التي نبتت الأرض الجيـدة الصحيحة كأرض فرنسا، وبالجملة فكثير أرضنا بالنسبة لقلة الماء كذات بلا روح .

المسألـة الخامســة: في كيفيـــة تمليك أراضي العرش لأربابها، وتمكينهم بالعقود الذين يتوصلون بها إلى البيع والرهن وغـير ذلك . الجواب عنها: أن ذلك الترتيب وإن كان فيه عدل وإنصاف ووفاء بالحقوق، لكنه لا يناسب حال الأعراش، وما جرت عليه عادتهم من التداخل في بعضهم بعضا، والانتفاع بالمرعى مع بعضهم . ولما وقع ما ذكر ، أولا : تمزقت أراضيهم، ودخلها الأجانب، وحصل لهم ضيق في انتفاعهم بأراضيهم، ضد ما كانوا عليه سابقا. ولا شك أن الأليق بهم لو أبقتهم الدولة على حالهم السابق من الانتفاع بالأرض فقط كالحبس . وليس لهم البيع، ويدفعون الحكر الذي هو منزل

(3) ش : تـأمل في هذه المسألة والتي بعدها الحيـل الشيطانية التي يـرتكبها الاستعمار لنزع الاراضي من أهلها (ابن باديس) .

كالرنط على الكونسيسيون،فبذلك يستقيم حالهم،ويكونون فى غاية الهناء فى عيشهم،ولا يقدر واحد أن يضر بأخيه . وأما إذا صار هذا يبيع قطعة من ناحية،وهذا يبيع قطعة من أخرى،انحلت عليهم أبواب الهرج والاختلاط مع من لا يناسب قصده طبيعتهم . وأيضا فنى بقائهم على حالهم منفعة لجانب البايلك من حيث أنهم يدفعون الحكـــر .

المسألة السادسة : قضية الشريعة ، الجواب عنها: أن الدولـــة الفرانسوية كانت احترمت شريعة الإسلام وأمرت بإجرائها عــلى أصلها ، ونصبت القضاة في كل ناحية ، وضبطت أمورهم بقوانين مؤسسة على أحسن ما يكون،وأباحت لمن شاء من المسلمين إعـــادة النظر فى خصومته لدى مجالس «الطريبونال »و «الاكور»،واستمر الحال على منوال حسن إلى أن برز القانون المـــؤرخ بسبتمبـــر سنة 1886 فردت خصومات المسلمين إلى «الجوج» على أن يحكم بينهم بمقتضى شريعتهم . ولم يكن ذلك ، وصارت الأحكام تقع بـين المسلمين على خلاف شريعتهم،ولأجل ذلك يقع كثيرا تكسير أحكام الجوج فى مجالس «الطريبونال» إذ تعاد . ومع هذا فلما كانت أشغال الجوج كثيرة ولا ينتصب لحوائج المسلمين إلا مرة فى الجمعة، ويحتاج فى فهمه للقضية بواسطة الترجمان إلى زمان طويل،ويحتاج أيضا طالب الخصومة إلى المصروف الذى يبلغ فى كثير من الأوقات إلى أزيد من الحق الذى يطلبه،ويتعطل طالب الخصومة على أشغاله بسبب تردده إلى محل الحكم ، وتأجيل خصومته إلى جمعة بعد جمعة، فضاعت الحقوق،وصار الناس يأكلون حقوق بعضهم،ويقع بينهم بسبب ذلك الحقد والإذاية لبعضهم بعضا . والحاصل أن القانــون المذكور أضر بالمسلمين غاية الضرر،وخصوصا من جانب إبطــال الاسيسورات،وعدم تسمية من مات أو عزل،وحط درجة من لا زال موجودا من المشاركة فى النظر إلى المشورة فقط،مع أن «الأجواج»

الفرنسويين محتاجون للاستعانة بهم،فإذا أمكن الدولة أن تبطل العمل به وتأمر بالعمل بالقانون البارز عام 1866،ففى ذلك خير للمسلمين،وإن لم يمكن ذلك بدلته ولم تبقه على حاله . ولو تتبعنا شرح المسائل التى أضرت بالمسلمين بسبب القانون المذكور فى شريعتهم وقعنا فى الإطناب فى الكتابة .

المسألة السابعة : قضية المغرم على المسلمين ، الجواب عنها : لا يخفى على أحد أن المسلمين يدفعون المغرم على طريقين؛واحدة على حسب عادة الإسلام فى الزمان السابق،وواحدة على حسب السيرة الجارية بفرنسا،ولا شك أن فى ذلك ثقل (1) ، لأن الرجل صار حاملا لحملين،وقد حصل للناس ضرر،وخصوصا من جانب ما جرى به العمل من أن الرجل ينسب له ما لا يملكه من الحيوان وغيره، ويلزم بأداء المغرم عنه،وإن عجز أو تراخى عن الدفع يقع عليه الحكم بالخطية والحبس . وآخر ما نختم به كلامنا أن تأسيس إقليم الجزائر مثل بناء قصر عظيم،والبناء يحتاج إلى أساس،والأساس يحتاج إلى صانع عارف بالبناء،ويحتاج إلى الآلات كالجير والحجر والرمل وغيرها . أما الآلات تيسر العيش للناس ، ونشر العلم والصناعات بينهم ليتحولوا إلى التمدن،والرفق بهم والتسوية بين الفريقين،فإذا تمت هذه الأمور كمل بناء الأساس،ووجب شكر الصانع الذى خدمه وهم الحكام،ويكون بعد ذلك تمام القصر وزينته بحصول المؤاخاة بين الناس ، وصفو الباطن،وتمام العافية، والرفاهية فى العيش . ونرغب من واقف على غلط فى شىء مما قلناه فيصفح كما هو شأن الكرام والسلام (2) .

حرر فى العاشر من أفريل عام 1891 م

محمد الطاهر بن الحاج علي معيزة

حميدة بن باديس

عمار بن أحمد

---

(1) كذا فى الاصل والصواب : ثقلا .

(1) ش : ج 2 ، م 13 _ صفر 1356 هـ _ أفريل 1937 م .

القسم الخامس

البرقيات والاحتجاجات

أنا كمسلم أديـن بالأخوة الإنسانية واحترامها في جميع أجناسها وأديانها ، وأسعى للتقريب بين جميع عناصرها ، وأجاهد فيما هو السبيل الوحيد لتحصيل ذلك ، وهو العدل والتناصف والاحترام ، فكل ما تفضلتم به فهو موجه إلى هذا المبدإ الإسلامي الإنسانى ، فشكرا لكم بلسان هـذا المبدإ السامي وأهله ، ثم بلسان شخصي الضعيف الفانى (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) الشهاب : ج 5 ، م 13 ، جمادى الاولى 1356 هـ ـ جويلية 1937 م .



* الشهـــاب والمنتقـــد * (1)

رسمنا لأنفسنا خطــة بيناها فى جريدتنا المحتجبــة ، كتبناها بإخلاص وصراحة ، مبينين ما ترمي إليــه مــن الإصلاح والرقي والتهذيب ، في كنف فرنسا « الديمقراطية » وبمساعدتها ، تلك هي هي خطتنا التي لا نرى أفضل منها ، ولا يمكننا أن نحيد قيــد شبر عنها ، ولا حاجة بنــا اليوم إلى إعادة نشرها ، وهذه الكلمات التي قلناها قد حوت زبدتها . سرنا على تلك الخطة فيما أصدرناه من جريدتنا المحتجبة بحسن نية وسلامة ضمير ، غير متوقعين مــن الإدارة أدنى معاكسة ولا(.........)، ولكن ما كل مسالم تسلم عليه الصدور ، ولا كل مخلص يلقى جزاء المخلصين .

ففي صبيحة 31 من أكتوبر حجزت أعداد « المنتقد » من حوانيت الباعة ، وفى عشية الأربعاء التي تلي أعلم صاحب الامتياز بتحجير نشر الجريدة ورواجها بقرار من وزير الداخلية ، فعجبنا ! ولــم نعجب !

عجبنا أن تعطل جريدة تصرح بمبدئها السني الديمقراطي على رأس كل عدد منها ، في الوقت الذي يؤذن فيــه لجرائد فرنسوية ذات مبادىء شيوعية سامة مخطرة بالرواج في القطر الجزائري .

عجبنا أن تعطل جريدة ما نقلت خبرا إلا من الجرائد الفرنسية أو الموالية لفرنسا ، ولا قالت أفكارا إلا كانت بلهجــة هي العطف بكثير مما تحرر به مقالات كثيرة في الجرائد الفرنسوية نفسها .

(1) أدرجناه فى قسم (البرقيات والاحتجاجات) لأنه إليه أقرب وبه ألصق .

عجبنا أن تعطل جريدة تنادي بمساعدة فرنسا الديمقراطية في أيام حكومة عصبة الشمال وولاية المسيو فيوليط الاشتراكي الصميم الذي نصبته تلك العصبة ليطبق مباديها على أبناء المستعمرات الذي طالما حجبتهم عن فرنسا الحقيقية سدول ... وأي سدول ...

عجبنا أن تعطل جريدتنا بهذه التصرفات الإدارية بدون أن نعرف بالسبب أو نناقش فيه ، لندافع عن أنفسنا ، أو نعرف على الأقل ما استاءت منه الإدارة لنتجنبه أو نعتذر عنه ـ إن كان يوجب الاعتذار ـ .

عجبنا ... وعجبنا ... وعجبنا ...

ولم نعجب من هذا كله :

لأننا نعلم أن في أطراف الإدارات عناكب لا تفتأ تنسج من خيوط الأوهام بيوتا ربما حسبها بعض الرؤساء شيئا وما هي في الحقيقة إلا بيت عنكبوت .

ولم نعجب من هذا كله :

لأن جريدتنا عربية ، فهي معرضة للترجمة ، وكلمة واحدة من المترجم عن قصد حسن أو سيء ، تنقل الكلام من باب إلى باب !

ولم نعجب من هذا كله :

لأن جريدتنا أهلية ، وسور الأهلي قصير ...

سواء علينا أعجبنا أم لم نعجب ، فقد وقف « المنتقد » ولكن الفكرة الحرة الحقة السلمية الإصلاحية لم تقف ولن تقف .

وقف « المنتقد » فها هو أخوه « الشهاب » .

« شهاب » فى سماء الحريــة والأخوة والمساواة ، أصول شيدها الإسلام ومات في سبيلها أبنــاء فرنسا الأحرار ، فبقيت شعارها أينما حلت رايتها المثلثة الألوان .

« شهاب » تنجلي بنوره ظلمات الجهل والخرافات والاوهام عــن شمس الدين والمدنية المشرقة السنا ، وينير سبيل الحــق والهداية لدعاة الإصلاح والرشاد .

« شهاب » رصد على الدين الصحيح من أن تلمسه أيدي دجاجلة السوء وأنصار البدعة بأذى .

« شهاب » ثاقب يقذَف به كل شيطان رجيم وأفاك أثيم ودجال مارق وقتات منافق ، فيحترق من عاند واعتدى ، ويسلم من اقتدى بإخوانه من الجن لمــا لمسوا السماء فوجدوها ملئت حــرسا شديدا وشهبــا .

هذه هي جريدتنا اليوم التي سنخدم بها ما هو خير ونافع للأمة الجزائرية وحكومتها الفرنسوية .. رجاؤنا من الأمة الجزائرية أن تسمع القول وتتبع أحسنه من جميع الكاتبين ، ورجاؤنا من حكومتنا الفرنسوية ورجالها الأحــرار أن يتحققــوا إخلاصنا كجزائريين برهنوا في جميع المواقف على حسن نواياهم نحو أم الوطن ، وإننا لا نريد إلا أن نعيش مــع جميع أبنــاء فرنسا في حرية وأخــوة ومساواة ، متحابين متعاونين على ما فيه سعادة الجميع .

هذه تصريحاتنا ، ونحن بها عاملون ، وعلى الله متوكلون . (١)

الشهاب : ع 1 ـ 25 ربيع الثانى 1344 هـ ـ 12 نوفمبر 1925 .

شكر عام للاحساس العام

تهاطلت على الإدارة البرقيات والكتب مـن جميع جهات القطر ومن تونس الشقيقة بالتهنئة بسلامة الأستاذ ، والاستياء من توحش الجاني العليوى ، مثلما تواردت وفود القسنطينيين من جميع طبقاتهم على داره ، فجاءنا من جنابه ما يلى :

إنني أشكر الشكر الجم الأمة الجزائرية جمعاء عـلى ما أظهرته مـن العطف والشعور نحـو شخصي الضعيف ، بما رأيـت مـن القسنطينيين كلهم ، وما تلقيته مـن الكتب والبرقيات مـن جميع الجهات . وأشكر كذلك الأمة التونسية العزيزة التي لا يفصلنا عنها غير الاعتبارات السياسية من فاصل في الوجود .

إننى ــ وأيم الله ــ لأرى نفسى أحقر وأقل من هذا الاعتناء ،

ولكنني أسر وأبتهج عندما أعلم أن هذا الشعور العام دليل على (1) في قلوب المسلمين مـن المكانة العظيمة لكلمة الحـق وكلمة الدين اللذين ما أوذيت إلا فى سبيلهما مـن طائفة تدعي الخصوصية فى الإسلام وتبعث أتباعها يسطون على الأبرياء بالظلم والعدوان .

فهذا العاجز يكرر شكره بلسان الحق والدين لأهل هذا الشعور الطاهر الشريف ، سائلا من الله تعالى أن يزيده رسوخا في قلوبهم على مدى الأيام (2) .

---

(1) كذا فى الاصل والظاهر : على ما فى قلوب ..
(2) الشهاب : عدد 76 جمادى الثانية 1345 هـ ــ 22 ديسمبر 1926 م .

تلغـراف الاحتجـاج

وقع حجز جريدة (السُّنة) بالعاصمة والمجلس الإداري للجمعية منعقد بها ، فاتفق المجلس على رفع احتجاج على تعطيله (1) وكلف الرئيس برفعه بعد اتصاله بقرار التعطيل رسميا ، ولما اتصل بـه رفع الاحتجاج ببرقية هذا نصها :

وزير الداخلية : باريس

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تعرب لكـم عن استيائها البالغ منتهاه ، وعـن حزنها العميق الذي سببـه تعطيـل جريدة (السُّنة) العربية ، وتحتج بكل ما لها من قوة على قراركم المؤرخ بـ : 22 جوان القاضي بهذا التعطيل الذي ينشأ عنه للجمعية ضرر مادي وأدبي جسيم . وإن عجب الجمعية عظيم جدا ، ومما يزيد في عظمه أنها تجهل أسباب التعطيل لعدم ذكرها في قراركم ، وأنها تعلـن وتصرح أن الجريدة المعطلة لم تنشر إلا ما كتب في مواضيع دينية بحتة ، وفي مسائل لا تخرج عن دائرة العقائد والعبادات ، وتغتنم هذه الفرصة لإلفات (2) نظركم إلى الدسائس التي يدسها لها بعض خصومها الذين لا غاية لهـم سوى إنشاء شتى العراقيل في سبيـل مشروعها التهذيبي الأخلاقي ، وتشويه سمعة أعضائها الذين يشهد الواقع بنزاهتهم التامة وبراءتهم من كل تهمة .

عبد الحميد بن باديس

(1) كذا فى الاصل والصواب : تعطيلها . (2) كذا فى الاصل والصواب للفت .

رفع قضية ضد التعطيل

وقد كلفنا محامي الجمعية برفع قضية لدى مجلس الدولة الأعلى ضد قرار التعطيل (1) .

(1) الشريعة : السنة الاولى ، العدد الأول ، ربيع الأول 1352 هـ - جويلية 1933 .

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
ضد اعتداء النائب المالي غراب وافترائه

كثر على هذا الرجل مع جهله باللغتين أن يتعرض لجمعية علمية كبرى فيتقول عليها بجمل لا يفهم معناها ومفردات ما جرت على لسانه من قبل ـ مثلما في خطابه ضد الجمعية الذي نشرناه بالعدد السابق ـ لولا أنه اعتاد أن يوحى إليه بالأمر فيجريه على لسانه، ويكتب له الكتاب فينسبه إلى نفسه . ولكنه ليس بكثير عليه ولا غريب عنه ولا بعيد عنه أن ينطوي قلبه على البغض والكيد للعلم والعلماء ، فيغتنم فرصة اجتماع المستدعين لملاقاة الوالي العام في إدارة الأمور الأهلية فيلقى ما لقي إليه ويتحمل مسؤوليته بعد نشره ، لأنه على مقتضى هواه من بغض العلم وأهله والسعي في إلحاق الشر والأذى بهم . ولولا اسم النيابة الذي يحمله ـ والله يعلم كيف كان حمله ـ والمجمع الحافل الذي نفث سمومه فيه ، والإدارة الرسمية التي كان يلقي خطابه فيها لما بالت به الجمعية ولا أعارت كلامه أدنى التفات ، ولكن مراعاة لهذه الوجوه فالجمعية ترفع احتجاجاتها لدى الأمة ولدى ممثل الحكومة الذي ألقى هذا الخطاب في حضرته .

احتجاجنا لدى الأمة :

أيتها الأمة الجزائرية المسلمة !

قد دعاك العلماء إلى العلم واحترام العلم واتباع العلم لما دعاك أضدادهم إلى الجهل وما يجر إليه الجهل ، قد دعاك العلماء إلى التفك

في الدنيا والآخرة لما دعاك أضدادهم إلى الجمود والخمول في الدنيا والدين ، قد دعاك العلماء إلى العمل والكد والتعاون لما دعاك أضدادهم إلى الكسل والبطالة والتواكل ، قد دعاك العلماء إلى الله وعبادته وحده لما دعاك أضدادهم إلى أنفسهم وتقديسهم ، قد دعاك العلماء إلى كتاب الله لما دعاك أضدادهم إلى خرافاتهم ، قد دعاك العلماء إلى اتباع رسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ والسلف الصالح ـ رضي الله عنهم ـ لما دعاك أضدادهم إلى اتباع أسلافهم وبدعهم وقبيح عاداتهم ، قد دعاك العلماء إلى البذل في سبيل الخير العام فالمغرم القانوني لما دعاك أضداده إلى البذل لهم وملء خزائنهم. هؤلاء العلماء ـ أيتها الأمة الكريمة ـ الذين دعوك دعوة الحق لا يريدون منك جزاء ولا شكورا ، وهم يتحملون في سبيلك ما تعلمين وما لا تعلمين . قد قام هذا النائب الجاهل الذي تشرف بالنيابة عنك وتحملت مسؤولية ما يأتيه باسمك ، يوجه مطاعنه الكاذبة ومفترياته السامة إلى جميع العلماء المسلمين الجزائريين يحاول نسفها من أصلها ، ويطلب من الحكومة بإلحاح أن تعاملها المعاملة « الشديدة القاسية » ، حتى كأن المسكين تخيل نفسه نائب الحق العام أمام قفص الاتهام .

فإليك أيتها الأمة التي ما رأت منها الجمعية إلا الإكرام بإكرامها لوفودها ، وما رأت منها إلا الإقبال بإقبالها على جريدتها ، التي ما راجت جريدة في القطر مثل رواجها ، وما رأت منك إلا التأييد بما جاءها من وفودك للاجتماع العام الماضي من اجتماعاتها ، فإليك ـ أيتها الأمة الكريمة ـ ترفع الجمعية احتجاجها على هذا النائب الجاهل المعتدي المفتري ، وأنت تعرفين بعد أين تضعينه ...

احتجاجنا لدى الحكومة :

أيتها الحكومة الفرنسوية ، حكومة الجمهورية المشيدة على العلم ، والأمة التي تدعى بمعلمة الأمة ، ما أسسنا جمعيتنا إلا على مقتضى

قوانينك العادلة ، ومـا أردنا إلا مساعدتك عـلى تعليم وتهذيب وترقية هذه الأمة الجزائرية المرتبطة بك في السراء والضراء مدة قرن ، وهي ما زالت تعرف بين الأمم بأنها أمة منحطة جاهلة ، وقد خطبنا في الجموع الحاشدة ، وكتبنا في الصحف المنتشرة ، وما كانت دعوتنا في كل ما خطبنا وكتبنا إلا إلى العلـم والتهذيب وتثقيف العقول وإتقان العمل والتعاون مع جميع السكان واحترام القوانين، ثـم لم تكمل على تأسيس جمعيتنا سنتان حتى أصبحنا نلقى مـن الانتفاعيين الذين لا يعيشون إلا على الجهل ما نلقى مـن وشايات كاذبة تولد تقريرات باطلة ، وتجرئ مثل هذا النائب على أن يقول ما قال . فإليك أيتها الحكومة العظيمة ، نرفع احتجاجنا عـلى هذا النائب المعتدى على كرامة العلم ، وهي كرامة الإنسانية والعالم .

احتجاجنا إلى ممثل الحكومة فى ذلك المجلس :

أيها الممثل المحترم ، قد كان جديرا بمجلسكم الموقر أن ينزه عن توجيه المطاعن الكاذبة لجمعية علمية محترمة في غيبتها . فإذا كان هذا النائب المتقول قد اعتدى على جمعيتنا فقد اعتدى على مجلسكم العظيم ، وإذا كنا نحتج عليه لديكم لاعتدائه علينا فإنا نحتج عليكم لديكم لعدم إسكاته ولسكوتكم عليه . فعسى أن لا يجـد مثلـه في المستقبل فرصة أمـام أمثالكم للطعـن والافتراء . وحسب الحكام العادلين وحسبنا منهم إثبات الحجة وتطبيق القانون ، وذلك ما نرجو ونتحقق أنه من ممثلي فرنسا العظام سيكون ، ولا نزال نسعى في خطتنا المستقيمة إلى غايتنا الشريفة واثقين مطمئنين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل (1) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
الرئيس عبد الحميـد بن باديس

(1) الشريعة : العدد 6 السنة الاولى ، 29 ربيع الثانى 1352 هـ الموافق 21 أوت 1933 م .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
وصولاتها الجدد
تنبيه إلى رؤساء الشعب

قرر مجلس إدارة الجمعية الجديد فى اجتماعه الأول رفض العمل بباقي وصولات الجمعية المطبوعة أولا ، وقرر وضع مثال جديد يطبع عليه وصولات جدد .

وقد طبعت الوصولات الجدد وسلمت لأمين المال ليمضيها وسنوجه من مجلداتها إلى رؤساء شعب الجمعية راجين منهم النشاط في العمل للنهوض بالجمعية ماديا وأدبيا (1) .

من رئيس الجمعية : عبد الحميد بن باديس

وداع وشكر :

وقرر إرسال برقية وداع وشكر لعامل عمالة قسنطينة (م. كارل) وهي هذه :

إن المجلس الإدارى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين المجتمع اليوم بنادي الترقي بلغه بمزيد الأسف نبأ مبارحتكم لهذا الوطن بعد أن عمرتم فيه بشرف ولياقة تامين الوظيف السامي الذي كان قلدتكم إياه الحكومة الجمهورية وقمتم بــه أحسن قيام مدة سنين عديدة . وإن الجمعية تقدر إحسانكم للأمة الإسلامية الجزائرية

(1) الصراط السوى : العدد 2 السنة الاولى ، جمادى الاولى 1352 هـ ـ سبتمبر سنة 1933 م .

وتشكر لكم مواقفكم الشريفة في شتى الظروف والحوادث التي حركت ما كان ساكنا بهذا القطر، كما تشكر لكم شكرا خالصا ما أظهرتم لها من العناية وستحفظ لكم بسبب ذلك ذكرا جميلا لا ينسيه تعاقب الأيام .

رئيس الجمعية
عبد الحميد بن باديس

بـــــراءة

وقرر إرسال كتاب لجناب الوالي العام وهو هذا :

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد صرحت في ظروف وفرص مختلفة ولا زالت تصرح وتؤكد بأنها بريئة من كل صبغة سياسية ، وأن خطتها وغاياتها وأغراضها التي لم تحد ولن تحيد عنها قط هي دينية علمية تهذيبية لا غير .

كما تصرح وتؤكد لكم من جديد بأنها مستقلة عن كل الطوائف، وكل الأحزاب السياسية وغيرها سواء في ذلك الداخلية منها والخارجية ، وهي جمعية جزائرية إسلامية تعمل للأمة الجزائرية الإسلامية في دائرة الديانة الإسلامية والقوانين الفرنسوية خلافا لما قرأناه وفهمناه من التصريحات المنسوبة إليكم فى جريدة (البتي باريزيان) في عددها الصادر يوم أول نوفمبر سنة 1933 .

رئيس الجمعية
عبد الحميد بن باديس

احتجاج ديني إنساني

وقرر إرسال برقية احتجاج لوزارة الخارجية وهي هذه :

إن الحوادث الدامية التى وقعت أخيرا بفلسطين قد آلمتنا ومست

شعورنا الديني،وأن تلك البقاع المقدسة عند جميع الأمم والتي هي القبلة الأولى للإسلام مما يجب أن تستنكر الإنسانية وكل روح دينية كل ما يكون فيها من ترتيب يؤدي الى إثارة الفتنة وسفك الدماء بها فنحن باسم الدين والإنسانية نقدم لوزارة الخارجية الفرنسوية التي هى الممثلة لرعاياها المسلمين في مثل هذه المواقف احتجاجنا ضد ذلك .

برقية تألم

وقرر إرسال برقية إلى فضيلة مفتي القدس وهى هذه :

آلمتنا كما آلمت كل مسلم الحوادث الدامية الواقعة بفلسطين،وإننا رفعنا احتجاجنا ضد ذلك بواسطة وزارة الخارجية الفرنسوية .(*)

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عبد الحميد بن باديس

(*)الصراط السوى : السنة الاولى العدد 11 ، 9 شعبان 1352 هـ 27 نوفمبر 1933 م

تلغراف مرسل إلى السيد الوالي العام

إن أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين البالغ عددهم ألفين ، المجتمعين بعاصمة الجزائر من اجتماعهم العمومي السنوي يعربون عن إخلاصهم لفرنسا وارتباطهم بها، ويلفتون نظركم بكل احترام نحو الحالة السيئة الناشئة عن منع الوعاظ والمرشدين الأحرار من المساجد، وتضييق حرية التعليم العربي، وتعطيل الجرائد التى تصدرها الجمعية باللغة العربية، ويطلبون منكم، مراعاة للصالح العام وتهدئة للأفكار، أن ترفعوا كل تحجير وكل منع من النوع المشار إليه، وأن تصدروا الأوامر التي تكفل حرية الديانة، وحرية التعليم العربي، وحرية الصحافة العربية (1) .

رئيس الجمعية

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 10 غرة جمادى الاولى 1353 هـ 12 أوت 1934 م

حول مقال نشرته جريدة الطان
بعنوان : « قبل اجتماع اللجنة العليا للبحر المتوسط »
وأذاعته عنها جرائد الشمال الافريقي اليومية الفرنسية

جريدة الطان الباريسية الكبرى تعمل على إثـــارة الشعـــب الجزائري وتهييج الرأي العام بما نشرته من تهم باطلة وأكاذيب ملفقة كنا نحسب أنها ذهبت بذهاب مروجيها، وإبعادهم عن إدارة حكومة الجزائر، وإطلاع الحكومة العليا بباريس على الحقيقة .

ترجمة ما يتعلق بالجزائر من مقال الطان : المنشور في عددها الصادر بتاريخ 21 فيفرى 1936 م ، إلى العربية .

1 ـ تأثيره في الرأي العام الجزائري .

2 ـ احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بواسطة سمو الوالي العـــام .

3 ـ رسالة الاحتجاج التي أرسلتها الجمعية إلى (الطان) وطلبت منها نشرها إحقاقا للحق وردا للفرية المفتراة .

(ترجمة ما يتعلق بالجزائر من مقال الطان)
(عدد 21 فيفرى 1936 م)

عندما ألقى مسيو لوبو الوالي العام تقريره على مسامع مسيو سارو أثناء الأسبوع السالف ، عزم رئيس الحكومـــة فجأة عـــلى

استدعاء اللجنة العليا للبحر المتوسط ، ذلك أنه في أيام قليلة ، تغير الطقس السياسي في الكثير من الجهات الجزائرية ، كأنما ذلك الأمر وقع بناء على أمر ورد من الخارج .

فالمهيجون الذين نعرفهم من زمن بعيد ، والذين كنا نعتقد أنهم أخلدوا لجانب الهدوء أثر الإنذارات التي تلقوها من مسيو ريني أثناء سياحته بقطر الجزائر سنة 1935 م ، قد عاد إليهم الإقدام ، ولعلهم يهيئون الجماعات الأهلية للقيام بنفرة رهيبة كالتى لا تزال آثارها عالقة بأذهان سكان قسنطينة .

فالدكتور ابن جلول مؤسس ورئيس جمعية النواب المسلمين، والنائب فى المجلسين المالي والعمالي،ونائب شيخ مدينة قسنطينة ، يتهم الإدارة علنا في جريدته (الانطانط) بأنها تريد أن تلقي بالجزائر في ميدان النيران والدماء .

ويتبعه في هذا الطريق السيدان ابن باديس والطيب العقبي ، وهما على رأس العلماء ، قد جمعا في نادي الترقي كل الذين يعملون على تحطيم النفوذ الفرنسي ، باستعمال الوسائل المختلفة وبمثابرة ودقة عنصرية .

وفي كل جهة نجد دعاة ناشطين للمذهب الوهابي الجديد ، وهم أعوان الجامعة العربية الذين يدينون بفكرة شكيب ارسلان ، يرسلها إليهم من لوزان على طريق القاهرة ، وطريقة عملهم غير متوحدة،كما أن مطالبهم مختلفة : حرية الوعظ في المساجد، والتعليم الحر بدون مراقبة .

فهنا يقع حث الفلاحين على عدم دفع الضرائب وهم يقبلون ، وهنالك تجمع الإعانات لشراء الديار التي ستكون تحت ستار المعاهد الدينية ، مراكز لتعليم وتثقيف الناشئة الإصلاحية المتعصبة ، وفي جهة أخرى يقع استثمار موت الأمير خالد حفيد

عبد القادر ، وقد توفي أخيرا بدمشق ، ويقومون بدعوة لإقامة الصلوات العامة عليه .

أما دعاية الأممية الثالثة (الشيوعية) فهي ليست بدعاية مبدئية ، فدعاتها لا يبشرون بالشيوعية،إنما يختارون أشياء يمكنهم بواسطتها الدعوة إلى حزب الثورة بين عملة السكة الحديد والمراسى وبقية الشغالين ، فيدعونهم إلى مقاومة الفاشيستية،وإلى تحبيذ سياسة الأعمال الزجرية النهائية (التى قررتها جمعية الأمم ضد ايطاليا) وبلا ريب أن العدالة قد استعملت حقها فى زجر الزعماء الذين تقدموا بصفة فاضحة كالمنادى وبارتيل ، إنما فى غيبة هذين الزعيمين تقوم بالدعوة جمعية « الإعانة الأممية الحمراء » و « أحباب أورس س » الذين بواسطة جمعية « نجم شمال افريقيا » يبثون فى الأوساط الإسلامية أفلاما سنمائية تمجد أعمال الشيوعية ، فناحيتا قسنطينة وتبسة القريبتان لتونس والتى يمكن الجولان بسهولة للدعاة بين تونس والجزائر بواسطتها ، وتلمسان وهي مركز التعصب الديني القوي ، هي النواحي التي تحوم حولها الشكوك بكثرة ، والتي تسهر الولاية العامة على مراقبتها ، حسبما سيبسطه مسيو لوبو أمام أعضاء اللجنة العليا للبحر المتوسط ، انتهى .

* * *

هذا هو المقال الذى نشرته "الطان" فأقام الجزائر وأقعدها ، وصير الأمة الجزائرية ترجع في اتهامها وإساءة الظن بها إلى ما كانت عليه قبل عامين،بعد أن هدأت الأفكار، وركدت ريح المشاغبات،وذهب الله بمن كانوا سببها وسبب كل ما حل ونزل بهذه الأمة الوديعة من جهد وبلاء ، أما الاحتجاجات التى أثارها مفعول هذا المقال الذي كان وقعه جد شديد على الأمة كلها فهو كما يلى :

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أبرق رئيس جمعية العلماء إلى سمو الوالي العام على القطر الجزائري «بباريس» احتجاجا على ما نشرته جريدة (الطان) بالبرقية الآتية :

سيدي الوالي العام :

إن ما رمت به صحيفة (الطان) الأمة الجزائرية جمعاء قد استاءت له جميع طبقاتها ، وهى تعلن لسموكم براءتها من تلك التهم واستياءها من كل ما يورث حكومتها سوء الظن بها ، وترجو من سموكم أن تبرئوا ساحتها من تلك التهم الباطلة .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عبد الحميد بن باديس

رسالة جمعية العلماء إلى الطان

رئيس تحرير صحيفة الطان المحترم :

إن ما نشر بصحيفتكم في شأن الأمة الجزائرية وتصوير علمائها ونوابها وعامتها فى صورة العداء لحكومتها الفرنسية،ورميها بتهم هي منها بريئة ، قد استاء له الفكر العام الجزائري ، واعتبر تلك التهم الجارحة استخفافا منكم بكرامتها،ونكرانا لمواقفها العديدة الناطقة بإخلاصها لحكومتها الفرنسية .

إن نشريات كتلك تعد عند العقلاء تفتينا بين الأمة الهادئة ، والحكومة العليا العادلة ، وسعيا فى إثارة الظنون السيئة،وإيغار الصدور الصافية .

إن الأمة الجزائرية قد بلغت حالتها ماديا وأدبيا إلى أسوإ مـا يتصور . وأنها مع ذلك كله ملازمة لجانب الهدوء التام،ومعتصمة بحبل الرجاء والانتظار ، وأنها ما تزال مع ذلك تلاقي معاملات قاسيـــة .

رئيس التحرير المحترم !

إن الإنسانية تقضي بالرأفة والرقة لحالة الأمة الجزائرية،وإن النصح يقضي بمطالبة الحكومة بالإسراع إلى معالجة حالتها الحاضرة بما يرضى الأمة والانسانية وتحسين سمعة حكومتنا الفرنسية في الداخل والخارج (1) .

عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : س 1 ، العدد 9 ، 5 ذى الحجة 1354 هـ 28 فيفرى 1936 م

عريضة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الى جناب مدير الشؤون الاهلية العام (ميو)

مما تقرر في الجلسة الأخيرة لهيئة إدارة الجمعية رفع هذه العريضة إلى مدير الشؤون الأهلية العام، بعد ترجمتها إلى اللغة الفرنسية ، وقد أرسل إلينا رئيس الجمعية بنصها العربي موقعا عليه بإمضائه لتنشر في «البصائر» حسبما تقرر أيضا ، فبادرنا بنشرها حرفيا .

(قلم التحرير)

جناب السيد المدير العام للشؤون الأهلية والتراب الجنوبي بالولاية الجزائرية العامة !

يا جناب المدير !

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ لأول ما استلمتم مقاليد الإدارة الأهلية، وتوسمت في شخصكم مخايل الحق والإنصاف ـ فاوضتكم بواسطة وفدها في حقوقها التي كانت مهضومة ، وشرحت لكم النقط التي يشهد الحق أنها كانت وما زالت فيها مظلومة ، وتقدمت إليكم بمطالب هي أصول لفروع وكليات لجزئيات . وقد سمع الوفد من جنابكم تصريحا بحقية مطالبها ، ووعدا بإنصافها ورفع الظلم عنها .

فعدت الجمعية ذلك التصريح منكم تسجيلا لحقوقها ، وعدت ذلك الوعد منكم عهدا محقق الوفاء ، وعقدا محقق التنفيذ ،

وأعلنت للأمة المغبونة في حقها ، المحرومة من مساجدها ، المرهقة في تعلمها وتعليمها ، أن تلك القرارات الفردية الجائرة ستلغى ، وأن ما مضى من الظلم لا يعود،وأن أول الإنصاف فتح باب المفاهمة بالحسنى ، وانتظرت الجمعية ، وانتظرت من ورائها الأمة نتيجة هذه المفاهمة واثقة بوعد جنابكم ، وخففت الأصوات التي كانت مرفوعة بالشكوى والتظلم تقليلا لأسباب الجفاء ، وتمهيدا لتحقيق الوفاء ، واعتصمت الجمعية والأمة بالصبر والهدوء تمكينا لجنابكم من اغتنام الفرص وتذليل الموانع التي كلنا يعتقد أنها موجودة وأنها كثيرة ، وإن كنا نعتقد أيضا أن الحق موجود وأنه أقوى منها ، وأن الذي نطلبه ليس بإيجاد لشيء لم يكن لنا ، وإنما هو إرجاع لحق ثابت لنا واغتصب منا ، ورجوع من خطإ إلى صواب ، ومن ظلم إلى إنصاف ، ثم نجز بعد طول الانتظار جزء قليل من وعدكم فأنعش الأمل وقوى الرجاء،ولكن الجزء الذي نجز أرب من آراب ، وباب من أبواب ، وصحيفة من كتاب ، وما زال وعدكم بإتمام الباقي يتجدد، والأسباب الداعية للإسراع بالتنجيز تقوى في نظرنا وتتأكد ، والموانع العائقة عن رجوع الحق إلى أهله تتلاشى – في اعتقادنا – وتزول من غير أن تنتهي إلى نتيجة ترفع الحيرة وتجلي الموقف،وقد مر على هذه الحالة ما يقرب من السنتين ، وحدث من الأسباب ما اقتضى تجديد الخطاب ، وطلب الفصيح الواضح من الجواب .

يا جناب المدير !

إن المجلس الإداري لجمعية العلماء المنعقد بمركزها العام بالجزائر يوم 6 ماي 1936 م قد قرر قيام وفوده بجولات الوعظ والإرشاد الديني في العمالات الثلاث في أول جويلية القابل على العادة التي جرى عليها في السنوات الماضية . وهي عادة أصبحت من حقوق الأمة على الجمعية ، تتقاضاها الأمة من الجمعية ، ويجب على الجمعية الوفاء بها للأمة ، ولا تستطيع بحال أن تسقطها أو تقصر فيها .

وان وفود الجمعية في السنة الماضية اضطرت إلى إلقاء دروسها الدينية على الأمة في أماكن لا تتناسب مع حرمة الدين ، ولا مع شرف الجمعية وقدر الأمة وسمعة الحكومة ومبدئها ـ كل ذلك ومساجد الأمة موجودة ، ولكنها مغلقة في وجهها ووجه علمائها .

فرأى المجلس بهذه المناسبة أن يلفت نظركم إلى أن أمد الانتظار قد طال ، وأن يذكركم باعترافكم الرسمي لوفده بحقية مطالبه ، ورأى نفسه مضطرا إلى مصارحتكم بأن الثقة التي وضعها المجلس الإداري في جنابكم ، لم تقابل بما يكافئها من النتائج في نظر الجمعية والأمة معا ، وأن الرأي العام قوى شعوره بأن المفاهمة طال أمدها ولم تأت بنتيجة تحققها . فالمساجد لا تزال مغلقة في وجوه علماء الأمة ، والتضييق على التعليم العربي الحر لم يزل على شدته لم يتبدل فى قليل ولا كثير ، ورجال الجمعية الذين هم ـ في الواقع ـ دعاة خير ورحمة ، وحملة أمان وسلام ، ووسائل تربية وتهذيب ، لم يزالوا محفوفين بالشكوك والريب في دوائرهم الخاصة،ولا تزال تنبعث من بعض الجهات الإدارية إيعازات التحريض بهم ، والتخويف منهم،ومحاولات تصويرهم بغير حقيقتهم .

والمجلس الإدارى لجمعية العلماء لا يعرف الفرق بين جهة من الإدارة وبين جهة أخرى،ولا يعتقد إلا أن تلك الجهات بعضها من بعضها ، ولا يفهم معنى للمفاهمة بالحسنى مع بقاء الحالة على ما وصفنا ، وبعد أن حكم الزمان حكمه وأقام الأدلة على أن باطن هذه الجمعية كظاهرها .

ولتعلم ـ يا جناب المدير ـ أننا لا نطلب فتح المساجد لنتخذها بيوت سكنى ، أو نستعملها فى مصالحنا الخاصة ، أو لنحتكرها لدروسنا ، وإنما نطلبها للأمة لتنتفع بها في غرض ديني هو أحد المقاصد التى أسست لأجلها وهو أن تتعلم أمور دينها على علمائها في مساجدها .

فهل يحسن بسمعة فرنسا أن تساس أمة إسلامية وفـيرة العدد بالقرارات الفردية في أخص خصائص دينها ؟ وهل يجمل بحكومة الجزائر أن تتوقف كل هذا التوقف في إلغاء قرار فردي ظهر خطأه من يوم وضعه ؟ وهل من المعقول أن يكون غير المسلمين أولى مـن علماء الأمة بإقامة الاجتماعات في المساجد ؟ أو يكون غير المسلمين أحرص من علماء الإسلام على احترام المساجد ، وأعرف بحقوقها وبما يجوز أن يقال فيها وما لا يجوز ؟

يا جناب المدير !

إننا نرجو أن يكون جوابكم في هذه المرة إيجابيا عمليا واضح الحدود منطقيا متناسبا مع مكانتكم العلمية ومقامكم الإداري ومركز الجمعية التي تخاطبكم بهذا نيابة عن الأمة .

فهل لكم ـ يا جناب المدير ! ـ أن تحققوا ثقة الجمعية بكم لدى الأمة ، وتؤكدوا احترامها لوعودكم ؟

وتقبل ـ يا جناب المدير ! ـ فائق احترامنا لشخصكم وتقديرنا لمساعيكم (1) .

عن المجلس الإدارى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :
الرئيس عبد الحميد بن باديس

---

(1) البصائر : السنة 1 العدد 21 ـ 8 ربيع الاول 1355 هـ 29 ماى 1936 م .

الاحتجـــاجـــات

على المعاملة السيئة التي عومل بهـا الحجاج في هذه السنــة

(عومل الحجاج كما أسلفنا في هذه السنة معاملة لم يسبق لهـا نظير ولذلك ارتفعت الأصوات بالاحتجاج على هذه المعاملة السيئة من كل جهة . وإلى القارىء الكريم نص ما أمكننا الحصول عليه من هذه الاحتجاجات الكثيرة الصارخة التي نشرت جلها جريدة « لِيكُوْدْ الْجِي ») .

برقية الأستاذ عبد الحميد بن باديس

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عنابة 28 جانفي 1937 م

إلى السيد الوالي العام ـ باريس :

أتشرف بإعلامكم أن عددا كبيرا من حجاج عمالة قسنطينة بقي معطلا بمدينة عنابة،حيث أن الباخرة (مندوزة) لا تستطيع أن تحمل الجميع . أسائل فيكم عاطفة العدالة أن تأذنوا بسفر باخرة ثانية لحمل بقية الحجاج الذين تحصلوا على تذاكر السفر ، وبذلك يمكنكم أن تخففوا وطـأة التأثر المؤلم العميق الـذي سـاد في الطبقات الإسلامية وتقبلوا انعطافنا (1) .

عبد الحميد بن باديس رئيس العلماء

(1) البصائر : س 2 ، عدد 54 ذو القعدة 1355 هـ ـ 9 فيفرى 1937 م

شكـــر ووداع

أودع الأمة التونسية الكريمة شاكرا لها ولصحافتها الراقية ما أبدته نحوي من عواطف الود الأخوي الذي فاق كل تقدير . وأن الذي يسرني ــ حقا ــ من ذلك هو أنه كان موجها في الحقيقة نحو المبدإ الذي دعوت إليه في خطبي،وهو الاحتفاظ بالذاتية العربية الإسلامية في الشمال الافريقي كله،والإعلان بوحدة أقطاره الأربع ــ طرابلس وتونس والجزائر ومراكش ــ في الحاضر والمستقبل مثلما هي ثابتة في الماضي . وأفضل الود والإكرام ما كان للمبادىء الخالدة،وجاءت فيه الأشخاص الفانية عـلى التبع ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته (1) .

وأرسلت إلى (البُتِي مَاتَانْ) :

سيدى مدير (البتي ماتان)المحترم

تحية وتقدير ،

سيدي ــ أنا كمسلم ــ أديـن بالأخوة الإنسانية واحترامها في جميع أجناسها وأديانها ، وأسعى للتقريب بـين جميع عناصرها ، وأجاهد فيما هو السبيل الوحيد لتحصيل ذلك وهو العدل والتناصف والاحترام . فكل ما تفضلتم به في جريدتكم من ذكري فهو موجه إلى هذا المبدإ الإسلامي الإنساني الذي تساهم فيه جريدتكم بنصيب وافر . فشكرا لكم ــ سيدي ــ بلسان هذا المبدإ السامي وأهله ، ثم بلسان شخصي الضعيف الفاني .

لكم احترامات معظمكم (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 5 ، م 13 ، جمادى الاولى 1356 هـ 11 جويلية 1937 م

الشقيقـة الجزائـرية

تهنىء شقيقتها تونس بعودة الزعيم

وردت علينا من العاصمة الجزائرية البرقية التالية مـن فضيلة العلامة الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس بـاسم جمعية العلماء الجزائريين يهنىء بها الزعيم الجليل والأمة التونسية بعودة زعيمها إليها وهذا فحواها .

عاصمة الجزائر :

إن جمعية العلماء الجزائريين تحيي بكل فـرح وسرور عودتكم من منفاكم،وتساهم بقسط وافر في فرح وسرور إخوانها التونسيين المحتفلين بالزعيم المحبوب المحترم الـذى ضرب المثل الأعـلى في الإخلاص والتضحية ».(1) .

الرئيس عبد الحميد بن باديس
نادي الترقي بعاصمة الجزائر

(1) ش : ج 5 ، م 13 ، جمادى الاولى 1356 هـ ـ جويلية 1937 .

فى الاجتماع الإداري الأخير

برقية تهنئة برجوع الزعيم الكبير الأستاذ عبد العزيز الثعالبي إلى تونس .

برقية احتجاج على تعطيل القراءة بجامع الزيتونة وإهمال النظر في مطالب تلامذته حتى اليوم .

برقية احتجاج على تعطيل حكومة « مراكش » الاحتفال بالمولد النبوي بها .

لائحة استنكار لعرقلة التعليم وتعطيل سيره .

مما تقرر بمجلس إدارة « جمعية العلماء المسلمين » في اجتماعه الاخير المنعقد في الأيام 12 و 13 و 14 جويليت ونفذ بالفعل، إرسال هذه البرقيات الثلاث ، وإلى القراء هي بنصها العربي المبين .

الشيخ عبد العزيز الثعالبى :

بإدارة جريدة « الزهرة » بتونس :

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحييكم بسرور بمناسبة رجوعكم من المنفى، وتشارك مشاركة تامة الإخوان التونسيين في ابتهاجهم بعودة الزعيم المحبوب المحترم الذي أصبح مثال الإخلاص والتضحية .

وزيـر الخارجية بباريس والمقيـم العـام بتونس

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين متألمة جد الألم لما حدث بكلية الزيتونة،وترغب منكم أن تبادروا بفعل اللازم لتنتهي الحالة الأسيفة التي أقلقت جميع المسلمين عموما ومسلمي شمال افريقيا خصوصا،وفي أملها أن تتخذ عزما كـلّ الوسائل لإرضاء التلاميذ والتعجيل بفتح الدروس من جديد .

وزيـر الخارجية بباريس والمقيم العـام بالرباط

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحتج بكل شدة وبالنيابة عن كافة المسلمين ضد منع الاحتفالات التي نـوى إقامتها مسلمو مراكش بمناسبة موسم المـولد النبوي الشريف،وتعتبر هذا المنع اعتداء فادحا على الحرية الدينية،وعلى شرف مسلمي المغرب الأقصى والعالم بأسره،وتعلمكم بأن تكرر حادث من هذا القبيل يقضي على عواطف المسلمين بلا استثناء نحو دولة فرنسا .

ومما تقرر أيضا تقديم لائحة إلى سمو الوالي العام تستنكر بها الجمعية عرقلـة التعليم العربي وتوقيف سـيره حتى في المكاتـب القرآنية وهي كما يلي :

الجزائر يوم 13 جوليت سنة 1937 م

إلى جناب الوالي العام على القطر الجزائري

سيد الوالي العام !

أتشرف بتقديمي لكم اللائحة الآتية المصادق عليها بالإجماع من المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين :

إن المجلس الإداري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين متــألم ومتأسف جــد الأسف للمظالم والاعتداءات المتكررة عــلى رؤساء وأعضاء جمعيات التهذيب والتعليم العربي .

وبما أن جميع طلبات الرخص لفتح المكاتب تلغى بغير سبب أو لا يجاب أصحابها .

وحيث أن طالبي الرخص لما يشاهدون هذا الحيف وهذا الجفاء ويرون في ذلك ما يعاكس رغبتهم في تعليم أبنائهم،ويضيع ما بذلوه من الجهود في هذا السبيل ـ يفتحون المكاتب ممتثلين تمام الامتثال لقانون 18 أكتوبر سنة 1892 م ومحسنين الظن بالحكومة،عسى أن تقدر كما ينبغي،رغبتهم في تعليم الأولاد ، وتعتبر ما ضحوا بــه لهــذا الغرض الشريف .

وحيث إن الذين يفتحون المكاتب بهذه الكيفية وبهذه الطريقة المعقولة يحاكمون كلهم ويساقون أمام المجالس العدلية كأنهم جناة .

وحيث إن هذا العمل الممقوت تكرر في عــدد كثــير من المدن والقرى بالعمالات الثــلاث كوهران والأغواط وشرشــال وبجاية وعدة بليدات بناحية قالمة وأوراس .

وحيث إن المسلمين يتعسر عليهم فهم ما يقصد من هذه المعاملات القاسية الشاذة التي تعرقل ســير التعليم وتثبط مساعي الرجال الذين ينهضون لعلاج الحالة السيئة الناشئة عن قلــة عــدد المكاتب الرسمية،ويتعذر عليهم تصور الأسباب التي تقــاوم بهــا الحكومة رغبتهم الشديدة في نــشر التعليم عــوض أن تشجع هذه الرغبة وتعينهم على تنفيذها .

لهذه الأسباب والموجبات يلتمس المجلس الإداري من السيد الوالي العام ويطلب منه بكل الحاح أن يرسل حينا إلى الحكام المحليين الأوامر

والتعاليم اللازمة ليسهلوا فتح المكاتب القرآنية التي تبقى لا محالة تحت مراقبة الحكومة في دائرة العدل والإنصاف،وليكفوا عن محاكمة الذين فتحوا بعض المكاتب بغير مخالفة للقوانين المتعلقة بالموضوع.

وتقبلوا سيدي الوالي فائق احترامي .

رئيس الجمعية : عبد الحميد بن باديس

البصائر : السنة 2 العدد 76 ، الجمعة 14 جمادى الاولى 1356 هـ 23 جوليت 1937 م

احتجاج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عـلى تقسيم فلسطـين

وزير الخارجية الفرنسية :

باسم الأمـة الإسلامية الجزائرية أرفع احتجاجي الشديد ضـد مشروع تقسيم فلسطين ذلك القطر العربي الذي ضمنت له العهود والمواثيق الدولية حفظ كيانه واستقلاله ، وأعتبر هذا المشروع ضدية قاضية على حياة شعب ضعيف، دافع طيلة سنين عديدة دفاع الأبطال عن شرفـه وحريته ، واعتداء شنيعا عـلى جميع الشعوب العربية الإسلامية ، وانتهاكا لحرمـة الأماكن المقدسة عند سائـر المسلمين ، ولي الامل في تدخل الحكومة الفرنسية بكل سرعة لمنـع هذا التقسيم (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : س 2 ، ع 79 جمادى الثانية 1356 هـ ـ أوت 1937 م

احتجـاج جمعيـة العلمـاء

على انتهاك حرمة الدين بغرادية

نحن باسم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحتج بكل قـوة ضد الاعتداء الفظيع والامتهان الجارح لكرامة الديـــن الإسلامى وحرمة القرآن العظيم في شخص إخـواننا بغـي ميزاب باعتقال سيدين منهم في السجن وهما الأستاذ صالح با بكر رئيس جمعية الإصلاح ومدير مدرستها بغرداية .

والسيد بغباغة أحمد بـن حـم نائب الرئيس والعضو العامل بجماعة الضمان .

وبتغريم ستة من أعضاء جماعة الضمان في وقت أدائهم لواجب دينى محض من قراءة القرآن الكريم،وتوزيع الصدقات،وتضرع إلى الله أن يغيث خلقه بوابل رحمته،وأن يزيح عنهم كابوس القحط النازل على البلاد .

كما نحتج بكل قوانا ضد القرار الذي وضعته إدارة غرداية في 17 ماى 1937 م وصادقت عليه الولاية العامة في 11 جوان 1937 م، ذلك القرار الموجه ضد حرمة الدين المقدس القاضي بمنع أي اجتماع ما عدا موكب الجنائز . ونرجو باسم عدالة فرنسا وإنصافها أن تلغي هـذه القوانين الاستثنائية الجارحة التي تنـافي سائـر تعهداتها والتزاماتها لرعاياها المسلمين، وتمس كرامة الإسلام في الصميم (1)

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : س 2 ، ع 80 ، جمادى الثانية 1356 هـ ـ سبتمبر 1937 م

احتجاج رئيس جمعية العلماء على حادث مسجد قنزات

قسنطينة 24 كتوبر سنة 1937 م

سيدي الوالي العام ،

سيدي عامل عمالة قسنطينة ،

أتشرف بتقديمي لكم احتجاجي الصارم على ما ارتكبه بعض الجندرمة وأعوان الحكومة من انتهاك حرمة مسجد قنزات ، وهاكم تفاصيل الحادث كما وقع بغير زيادة ولا نقصان .

يوم الجمعة 22 أكتوبر بينما كان أحد الشبان المثقفين ، الشيخ الفضيل الورتلاني يفسر آية من آيات كتاب الله أمام جم غفير من مسلمي القرية المذكورة إذ دخل عليهم في المسجد أعوان السلطة بدون استئذان ولا مراعاة لما توجبه قواعد النظام على من يريد دخول المعابد على اختلاف أنواعها ، كفاكم أنهم لم يتنازلوا حتى لخلع نعالهم .

ولما أبدى لهم إمام المسجد ملاحظة لطيفة على هذا الصنيع المزري أجابوه بأن لهم أن يفعلوا ما شاءوا فعله وأسمعوه من بذىء القول ما جرح عواطفه ومس بشرفه .

في أملي أن مجرد إخباركم بهذا الاعتداء على الآداب العامة يكفي لاستصدار ما يلزم من أوامركم العادلة بزجر مقترفي هذا العمل الشنيع لكيلا تتكرر أمثاله .

وتقبلوا سيدي فائق احترامي (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : س 2 ، ع 85 ، رمضان 1356 هـ ـ 5 نوفمبر 1937 م

برقية تهنئة ورجاء

إلى أبي الدستور الأستاذ عبد العزيز الثعالبي

قسنطينة 18 رمضان 1356 هـ الموافق لـ 21 نوفمبر 1937 م
الأستاذ عبد العزيز الثعالبي : تونس

أهنئكم بفتح النادي العظيم ، راجيا أن يكون به فتح جديد لتونس العزيزة وافريقيا الشمالية ، دمتم للإسلام والعروبة والعلم والفضيلة (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م

برقية شكر وتهنئة

إلى الدكتور الماطري رئيس الحزب الدستورى التونسى

الدكتور الماطري تونس

بلسان افريقيا الشمالية والجزائر أشكركم وأشكر الحزب الدستورى وأشكر تونس على عطفكم الأخوي الصادق ، وأهنئكم بفوزكم بإعلان تضامن افريقيا الشمالية بالفعل لأول مرة (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م

عيـد الفطـر المبـارك

تهنئة به إلى الأمة الجزائرية الكريمة

كنا قبل اليوم نهنىء الأمة الجزائرية بمثل هذا العيد ، وليس لها من مظاهر السعادة ما تهنأ به إلا ما نرجوه لها ونأمل .

أما اليوم فإننا نهنئها وهي في طور جديد من أطوار حياتها هو أساس سعادتها ، طور سامت به شقيقاتها هنا وهنالك ، فنهنئها ومن أبنائها من هو سجين في سبيل العلم والهداية ، ومن هو سجين في سبيل السياسة والحقوق المغصوبة .

أمة أخذت تقدم الضحايا في سبيل سعادتها ، حقيقة بأن تنـال السعادة ، وبأن تهنأ بها ، فتهانينا إليها بعيدها وسعادتها ، وتهانينا ـ على الخصوص ـ إلى أولئك الأبطال الأماجد السيد الحاج مصـالي ورفاقه والشيخ عمر دردور .

حياهم اللـه وعجل بسراحهم ، وجعل فيهـم القدوة الحسنة في الصبر والتضحية .

وتهانينا إلى العالـم الإسلامي والعـربي النـاهض للسعـادة والكمال (1) .

عبد الحميد بن باديس

(1) ش : ج 9 ، م 13 ، رمضان 1356 هـ ـ نوفمبر 1937 م

بــرقية جمعيــة العلمــاء

الى المؤتمر البرلمانى من أجل فلسطين

أبرقت جمعية العلماء إلى المؤتمر البرلماني ببرقية هي خلاصة ما يلي : مكتب علوبة باشا ـ القاهرة ـ مصر .

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ باسم المسلمين الجزائريين ، تحيي في شخصكم مؤتمركم العظيم ، وتضم صوتها إلى صوتكم ، وتوافق على ما يستقر عليه رأيكم ، وتؤيدكم بكل ما تستطيع في سبيل قضية فلسطين التي هي قضيــة الحــق والإنسانية والسلم العــام (1) .

الرئيس عبد الحميد بن باديس

(1) البصائر : س 2 ، ع 135 ـ شعبان 1357 هـ ـ أكتوبر 1938 م

القسم السادس

الفواتح والخواتم



إننا نجدد العهد بيننا وبين قرائنا على السير على ما عرفوه فينا من صدق وصراحة وقصد للخير ، غير متملقين لأحد ولا متحاملين عليه ، مع المحافظة التامة على شخصيتنا وكل مقوماتنا الكريمة مما به كنا ، وبه يقينا ، وبه نكون ، دون تفريق في العدل والإحسان ، بين الأجناس والأديان ، والمجد للإسلام والعروبة والجزائر ، والسعادة للعاملين ، من الأفراد والأمم لخير الإنسان (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 15 ، محرم 1358 هـ فيفرى 1939 م



خاتمة المجلد الخامس

بهذا الجزء تمت أجزاء المجلد الخامس اثني عشر جزءا . وانقضى عام على « الشهاب » مجلة شهرية ، وإذا لم يكن يجب أن يكون فقد كان على نهاية ما استطاع ، وقد كان قرر أن يشعر قراءه بروح الأخوة الإيمانية التي تربط بينهم مهما اختلفت أفكارهم ، وقد نجح في هذا إلى حد بعيد . فهو بهذه النعمة الربانية جد مغتبط ومسرور . معتزما على شكرها باستمرار العمل،حاسبا إياها أعظم جزاء على ما عمل ، وأكبر معز ومصبر عما يلقاه من مكاشحة « العدو » وتقصير الصديق .

علم الله أننا لا نجني من هذه المجلة ثمرة مادية ، وإنما نعود عليها بمالها . ولو كثر مالها لكبر حجمها وغزرت موادها ، ورغم ذلك فقد بلغت صفحاتها ستة وخمسين،بعدما كانت اثنتين وثلاثين في الجزء الاول ، وستصدر في سنتها الجديدة ـ إن شاء الله تعالى ـ في أربعة وستين ، وسنوسع في أبوابها حسبما نستطيع من التوسيع.

ليس لنا ـ بعد عون الله تعالى ـ إلا همم إخواننا المسلمين عموما والمشتركين معنا في المجلة خصوصا ، فنحن ندعوهم إلى مؤازرتنا على ما نتوخاه للجميع من خير وصلاح ، ونستحث المقصرين والمتخلفين إلى أداء واجب اشتراكهم القليل .

وقد رأينا ـ والحمد لله ـ من كثير من إخواننا مؤازرة ومساعدة، شكر الله لهم ما عملوا،وأثابهم عليه،ووفق غيرهم إلى الاقتداء بهم فيه ، والله ولي العون والتوفيق للجميع (1) .

---

(1) ش : ج 12 ، م 5 ، شعبان 1348 هـ ـ جانفي 1930 م .

فاتحة المجلد السادس

بسم الله الرحمن الرحيم ،

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم .

نحمد الله الذي أمدنا بروح منه حتى قطعنا السنة الماضية ، وأبقى فينا الثقة والرجاء لقطع السنة الحالية ، والسنوات التالية ، ثم نتقدم لقراء « الشهاب » ومشتركيه ومناصريه الفضلاء الأكارم بالإشادة بحسن الثناء ، والدعاء بجميل الجزاء ، واعدين حضرتهم بالمضي على ما عرفوا من خطتنا : ننشر هداية القرآن وندعو إليها ، ونعتصم برابطة الأخوة ونحافظ عليها . داعين إلى العلم والعمل والتقدم،في نظام وسلام،قاصدين الخير،وساعين فيه لصالح الجميع .

ثبت الله القصد ، وأيد العمل ، وقرب الغاية ، إنه الولي النصير.[1]

---

(1) ش : ج 1 ، م 6 ، رمضان 1348 هـ ـ فيفرى 1930 م .

خاتمة المجلد السادس

قد انتهى بهذا الجزء المجلد السادس ، فالحمد لله على نعمته وتيسيره،وما أمكن لنا إنهاؤه بعد ذلك إلا بهمم أولئك الإخوان الكرام المشتركين والمؤازرين،الذين لولا مثلهم لما كان لمجلة علمية أن تعيش في الجزائر إلى اليوم ، فهم أصحاب هذه المجلة،وهم أصحاب الفضل بها .

وإذا كان حقا علينا أن نذكر هؤلاء السادة الذين يعملون على حياة هذه المجلة،فإن حقا آخر علينا أن نذكر قوما آخرين من الذين يعملون على قتلها من حيث لا يشعرون،وأولئك هم الذين يتأخرون بدفع بدل الاشتراك الزهيد،بعد مكاتبتهم وتذكيرهم السبع والثمانى مرات،فلا هم يدفعون،ولا هم يعتذرون،ولا هم يجيبون،فيحملون الإدارة بمصاريف المكاتبة مع بدل الاشتراك المتأخر ضغثا على ابالة وليست هذه الابالات ذوات الاضغاث بالشيء القليل الذى يتحمله كاهل الإدارة على ضعفها ، بل هي بمجاوزتها للمائتين قد صارت عبئا ثقيلا لا تنوء به الإدارة إلا بجهد جهيد .

لقد كنا ــ لولا هؤلاء السادة المتأخرين (1) عازمين على زيادة توسعة وتحسين في نطاق المجلة ووضعها . ولكنهم تأخروا فتأخرنا، وعسى الله أن يجعل بعد العسر يسرا ، وبعد الشح سخاء ، وبعد الإهمال اعتناء،فنبلغ بهذه المجلة حيث نأمله لها من رقي في خدمة الدين والعلم والوطن .

والله يسدد خطى الأمة ــ ونحن في جملتها ــ إلى ما فيه سعادتنا وفلاحها في الدنيا والآخرة،بلطف منه وتيسيره ، إنه اللطيف الخبير (2) .

---

(1) هكذا فى الاصل والصواب ، المتاخرون .

(2) ش: ج 12 ، م 6 ، غرة شعبان 1349 هـ ــ جانفى 1930 م .

تنبيـــــه

ما ينشر في باب رسائل ومقالات هو على عهدة كاتبيه،فمن رأى فيه ما لا يوافق عليه فليباحث فيه صاحبه،وباب المباحثة والمناظرة في المجلة مفتوح لهما . لا نقول هــذا تبريا من كتابنا أو فرارا من مسؤولياتهم،وإنما نقوله :

أولا ــ لثقتنا بكفاءتهم في تحمل مسؤولية كتاباتهم والجواب عن أنفسهم بالعلم والأدب والإنصاف .

ثانيا ــ لفتح مجال البحث والمناقشة العلمية النزيهة بين الكتاب، فنعم المشحذ للذهن والمظهر للحقيقة هي :

دعانا إلى كتابة هذا أن بعض الناس اندهش مما كتبــه صاحب مناظرة المصلح والمحافظ في مسألة الأفعال النبوية ، ومسألة تقسيم البدعة ، ومسألة لزوم الحق لجانب الكثرة،وعوض أن يوجه بحثــه وسؤاله إلى كاتب المناظرة وجهه إلى صاحب « الشهاب » الذى وقف اسمه كالشجا في حلقه،فلم يستطع أن يذكره . وصاحب « الشهاب » يرد (1) لو أن هذا الباحث يوفق إلى الإتيان إلى قسنطينة فيفيده هذه المسائل من كتبها بدلائلها وأقوال الأئمة فيها ، ويعتقد أنه لو وفق إلى هذه السفرة لحمد غب سراه،وعدها من خير أيامه،ويعيذه باللــه من أن ينفخ الشيطان في أوداجه فينكبر عن الرحلة للعلم وتحصيله،

(1) كذا فى الاصل . والظاهر يـود .

وأما الجواب في الصحيفة فإنه يدعه لصاحب المناظرة،لأنه يرى أن الجواب على بحث يتعلق بمناظرته تعد خارج (2) عن سياج الأدب .

والامر المهم أكثر من هذا كله الذى يجب على أن أنبهك عليه ويحرم علي إقرارك عليه هو كذبك وافتراؤك ـ والله يغفر لك إن تبت ـ في الحديث الشريف فانك قلت هكذا بالحرف : « وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة : إن أمتي لم تجتمع على ضلالة فإذا رأيتم اختلافا فعليكم بالسواد الأعظم » وهذا المتن لا وجود له في البخاري ولا في مسلم البتة . فبأي شيء نسمي صنعك هذا وجرأتك عليه،ومن كان قدوتك فيه ... أأنت الذي سميت نفسك في إمضائك (أحد كتاب أهل السنة) ترتكب هذا الافتراء على السنة! أهكذا كتاب السنة يكونون ؟ أهذا هو القدر الذي عندك من السنة التي أضفت نفسك إليها ؟

هداك الله أيها الأخ وعرفك قدرك،ورزقك احترام السنة التي ألصقت نفسك بها،ثم بعدما نبهتك فهل تعترف بالحق وتنشره حيث نشرت الباطل ؟ أم تسكت أنت الآخر . ويخنقك الكبر عن لفظ الحقيقة. نصيحتي لك أيها الأخ ولأمثالك أن تقرأوا العلم،وتلتزموا الصدق،وتتقدموا حينئذ للعمل،فأما هذا الخبط وهذا الكذب وهذا التجرى فشيء نعوذ بالله منه ، ونسأل الله أن يقينا والمسلمين شر غائلته وسوء عاقبته (3) .

---

(2) كذا في الاصل والظاهر : يعد خارجا .

(3) ش : ج 12 ، م 8 ، شعبان 1351 هـ ـ ديسمبر 1932 م .

فاتحة المجلد التاسع

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم

يخطو الشهاب خطوته التاسعة ، نحو غايته الشريفة السامية ، بقدم ثابتة ـ إن شاء الله تعالى ـ وأمل كبير يذكر أنصاره ومؤازريه بالثناء الجميل، ويرجو لهم ولغيرهم كل خير، يدعو في مستقبله كما دعا في ماضيه ـ إلى الله ، بكتاب الله وسنة رسول الله، مهتديا ـ إن شاء الله ـ هدي السلف الصالحين، والأئمة الهادين المهديين ، ويعرض للمسائل الجزائرية في حق ونزاهة وشيء كثير من الرفق واللين ، داعيا إلى المساواة بين جميع المتساكنين ، داعيا إلى التعارف والتقارب والتفاهم بين سكان الجزائر أجمعين ، داعيا إلى حفظ النظام ، ومراعاة الجوار، واحترام القوانين، سائلا من الله تعالى العون والتوفيق للعمل الخالص المثمر النافع للجميع (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 9 ، رمضان 1351 هـ ـ جانفي 1933 م .

مجلة الشهاب والحركة الاصلاحية

الحمد للــه على آلائه ، والصلاة والسلام على خير انبيائه
وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأبنائه

وبعد،فإن مجلة (الشهاب) تفخر بأنها أنشئت للحركة الإصلاحية ورافقتها في جميــع مراحلها،وأنهــا هاجمت البــدع في معاقلها، وواثبت الخرافات في أيــام عزها واشتدادها ، وساورت الأباطيل على احتفالها واستعدادها،لم تهن لها عزيمة في موقف من المواقف التي تخور فيها العزائم وترجف الأفئدة ، ولم يكتب (1) لها قلم في ميدان من الميادين التي تنعقد فيها الألسنة وتجبل القرائح .

وهي اليــوم تعلــن فخرها واغتباطها بما وصلت إليه الحركــة الإصلاحية من نتائج اتسع مداها،وطبق الخانقين (2) صداها،مكتفية من الجزاء بهذه الغاية ومن الآيات على إثمار عملها بهذه الآية ، وقد كان مــن الاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في هذه السنة،ما أقــام على ما ادعيناه الدليل ـ وقطع عــلى المكابرين السبيل ، وعلى ذلك فمجلة الشهاب تعد من المساهمة لجمعية العلماء المسلمين إلى الابتهاج بالنتائج الصالحــة التى تجلــت في اجتماعها الأخير ، أن تتقدم إلى قرائها بهــذا العــدد خاصا لجمعية العلمــاء المسلمين الجزائريين،ومخلدا لوصف ذلك الاجتماع الرهيب ، ومــا قيل فيه،كما تقدمت إليهم بالعدد الذى قبله خاصا بالطلبة، تنشيطا لهــم،وتقوية لعزائمهم،واستفزازا للهمــم لإعانتهم فى جهادهــم العلمي (3) .

---

(1) كذا وفى الاصل والظاهر : ولم يكب .
(2) كذا فى الاصل والظاهر : الخافقين .
(3) ش : ج 9 ، م 10 ، جمادى الاولى 1353 هـ ـ 12 أوت 1934 م .

بعد عقد من السنين

في يوم النحر من ذي الحجة خاتمة شهور عام ثلاثة وأربعين وثلاثمائة وألف، برزت جريدة « المنتقد » تحمل فكرة الإصلاح الديني بتنزيه الإسلام عما أحدثه فيه المبتدعون، وحرفه الجاهلون. وبيانه كما جاء في القرآن العظيم والسنة المطهرة وعمل به السلف الصالحون، معلنة أن المسلمين بذلك وحدة تصفو عقائدهم، وتزكو نفوسهم، وتستقيم أعمالهم، وينبعثون عن قوة وبصيرة في الأخذ بأسباب الحياة الراقية والمدنية الطاهرة. مشاركين لأمم الدنيا في خدمة الإنسانية وترقية وتوسيع العمران، سالمين مما تشكو منه أمم الحضارة التي غلبت عليها المادية والأنانية، وتفشت فيها أمراض ليست من التمدن الحقيقي في كثير ولا قليل.

برزت جريدة « المنتقد » تحمل هذا وتلفت الجزائريين المسلمين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها ودينها وتاريخها، فهي بذلك أمة تامة الأهمية لا ينقصها شيء من مقومات الأمم. وأنهم إلى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة ذات تاريخ مجيد، ومدنية راقية، وحكومة منظمة، وأن عليهم أن يراعوا هذا كله في حياتهم فيحترموا قوميتهم، ولغتهم، ودينهم، وتاريخهم، والأمة التي هم مرتبطون بها، والحكومة التي هم مسيرون بقوانينها.

ثم ما كاد يبرز العدد الثاني منها حتى ظهر في الجزائر كتاب لم يجدوا مجالا لأقلامهم قبلها، فانضموا إلى تحريرها، وأوجدوا بهيئتهم أول حزب المصلحين.

مضت الجريدة على خطتها حتى سقطت في الميدان بقرار التعطيل، بعدما برز منها (18) ثمانية عشر عددا كانت في بنيان النهضة ثمانية عشر سندا . صدرت جريدة « الشهاب » إثر تعطيل المنتقد على مباديه وخطته،فلاقت ما لاقت في سبيلهما من العناء والبلاء، فثبتت،وصبرت،وصابرت،وثابرت على العمل،تشتد مرة،وتلين أخرى، وصدمتها في سنتها الرابعة أزمة مالية كادت تقضي عليها،فصدرت مجلة شهرية فوق ما كانت يوم ذلك تستطيع قوتها،ثم تدرجت حسب تيسير الله حتى تممت اليوم العقد الأول من حياتها .

فالحمد لله،وشكرا لمن عاشت هذه الصحيفة بإيمانهم ومؤازرتهم. وإذا كان لها أثر فيما دعت إليه من إصلاح،وما أعلنته وخدمته من حقيقة وضعية هذه الأمة . فالفضل في ذلك لله،ثم لهم.وإذا كان من شيء وراء ذلك الأثر تغتبط به فهو – أولا – أنها كانت تقصد الصواب عن نظر وصدق وإخلاص،فاذا ظهر لها خطأ رجعت،وأعلنت عن خطئها،واعترفت به . كان هذا بضع مرات مع أصحابها وخصومها و – ثانيا – أنها ما خطت حرفا إلا بوحي ضميرها واقتناع منها،لا بوحي ناحية ولا لإرضائها،وما أنفقت فلسا إلا من مالها وكيسها لا من مال ذي غاية،ولا من كيس أية هيئة .

وها هي اليوم تخطو إلى العقد الثاني من عمرها على خطتها ومبدئها،مستعينة بالله،متكلة عليه،معتضدة برجالها وأنصارها العاملين الصادقين ، والله ولي الجميع (1) .

---

(1) ش : ج 1 ، م 11 ، محرم 1345 هـ – أفريل 1935 م .

في العشيرة الصحافية :

ثنـــاء كـــرام

(لا يجوز أن نعمل للثناء ، ولكن الثناء الذي يأتي عفوا من أهل الصدق والخبرة يسرنا ، إذ يشعرنا بأن معنا في طريق العمل مـن يرانا ويسمعنا ويتبع أعمالنا ، فيدعونا ذلك إلى الجـد في العمل والإتقان ، وشدة التوقي للخطأ والزلل ، على أن ما يقال في المجلة ليس خاصا بفرد،ولكنه يصيب كل المشاركين في النهوض بها . وعلى هذا الذي قلنـا رأينا نشر ما قالته بعض الرصيفات الكريمات في هذه المجلة،شاكرين للرصفاء الفضلاء عطفهم وتشجيعهم) .

✡ ✡ ✡

ما جاء في « البلاغ » الذائع

نفحة من الجزائر :

وصل إلى يـدي عدد مـن مجلة الشهاب ، وهـو العدد الخاص بالاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وهو عدد طريف يشتمل على فوائد كثيرة تصور الحياة العلمية في الجزائر ، ومن أدق ما فيه ما قرأته من إصرار العلماء هناك على إلقاء عظاتهم باللغة الفصيحة ، واحتجاجهم بأن البلاغة تلقن عن طريق السماع كما تكتسب بالدرس ، ومعنى ذلك أن العامـة يكتسبون الـذوق الأدبي بفضل الإكثار مـن سماع الكلام الفصيح ، كمـا يكتسبه المتعلمون بكثرة الإطلاع على الكلام الفصيح .

ذلك يقع فى الجزائر ، والعامية هناك بعيدة بعدا شديدا من اللغة الفصيحة ، فليعرف ذلك الواعظون في مصر ، وعامية أهـل هـذه البلاد قريبة كل القرب من الكلام المعرب الفصيح .

وفي ذلك العدد من الشهاب قصائد تـدل عـلى أن هناك نهضة شعرية،منها هذه الأنشودة التي ألقاها الاستاذ أبو اليقظان :

أَهـزارَ الـروضِ غـرِّد	بنشيـدِ الـوطنيـة
أَحمـامَ الأيْـكِ غـنِّ	بحيـاةِ العـربيـة
بلبـل الـدوح تنغـم	لـي بـألحـان شجيـة
فـوق لبـات الغصـون	اهـد للجمـع التحيـة

وهي أنشودة طويلة ، ومنها قصيدة الأستاذ الهادي السنوسي في خطاب أعضاء الجمعية :

حيـاك شعبك إقليمـا وسكانا   يا هيئة قد زكت علما وعرفانا

أدركـت مـن روحـه الطهـرى حشاشتـه
مـن بعـد ما قيـل حـين الشعـبُ قـد حانـا

شعب أضـاع كثيرا من مفاخره   لولاك أصبح فى الأيام نسيانا

وحرص أهل الجزائر على اللغة العربية هو من أظهر ما هم عليه من الشهامة والرجولة والإباء . فإليهم ، على بعد الدار ، أطيب التحيـات .

ـ زكي مبارك ـ

* * *

ما جاء في « القلم » البليغ

وصلنا عدد خاص من مجلة الشهاب الغراء التي تصـدر في قسنطينة بالجزائر، وقد زين العدد المذكور بصور طلبة صديقنا

الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحميد بن باديس،وقد تصدر حضرته الصورة الأولى من تلك الصور، فإذا بنا نرى جلالا ومهابة في وجه الشيخ ذي الأيادي البيضاء على العلم واللغة فى تلك البلاد المنكودة الحظ،التي لولا حضرة الشيخ وأمثاله لماتت اللغة العربيـــة في الجزائر لا محالة .

فإلى حضرة الشيخ الفاضل الكريم تحيتنا القلبية،وتمنياتنـا الطيبـــة .

☆ ☆ ☆

ما جاء في « الزهرة » الزاهرة

الشهـاب النـير

في عقـده الثـاني الحفيـل

استقبلت رصيفتنا « الشهـاب » الزاهرة الـتي تصدر عـن قسنطينة من القطر الجزائرى الشقيق عامها الحادي عشر، أو عقدها الثاني بعدد حافل بالمواضع المهمة،والبحوث المفيدة،في تحريـــر نفيس،وأسلوب ممتع كثيرا ما ألف لها ولحضرات السادة محرريها، وبالمقدمة حضرة العالم الجليل صديقنا الشيخ عبد الحميد بن باديس السلفي الصميم .

والعدد على ورق صقيل في 64 صفحة متقن الطبع،جميع التنسيق، طيه صور شمسية للأستاذ ابن باديس تمثله ممسكا لمصحف ايماءة لطيفة إلى لزوم التمسك بالقرآن الكريم وتعاليمه الحكيمة،وتتقدم ذلك كلمة المجلة وما تضمنته : (فالحمد لله وشكرا لمن عاشت هذه الصحيفة بإيمانهم ومؤازرتهم،وإذا كان لها أثر فيما دعت إليه من

إصلاح،وما اعلنته وخدمته من حقيقة وضعية هذه الأمة،فالفضل في ذلك لله ثم لهم) .

تهنئة حارة للزميلة فيما توفقت لانتهاجه نحـو إشاعة الإسلام وبث تعاليمه،وما غنمته الجزائر بآثارها البارزة في ميادين العرفان المنبثقة عن أشعة ذلك (الشهاب النير ومشكاتـه الوضيئـة،وفي الوقت نؤمل له مزيد التقدم واطراد الرواج حتى يثمر الأمـل المرغـوب) .

* * *

ما جاء في « الزهو » العذبة

مجلة «الشهاب» الغراء

استأنفت الصدور هذه المجلة الراقية بعـد أن أدخلـت عليهـا إدارتها تحسينات جمة،وترقيات صيرتها من أرقى المجلات في العالم العربى،وقد قررت طبع هدايا مع كل عـدد بمناسبـة دخولها لعامها (II) لأشهر مشاهير القطر الشقيق الجزائرى ، وجاء فعـلا مع الجزء المتحدث عنه رسم جميل للأستاذ العلامة المصلح الشيـخ عبد الحميد بن باديس،رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريـين ورئيس تحرير (الشهاب).فنهني الزميلة الكريمة بعامها ، ونرجو لها طول العمر وعظيم الرواج والانتشار في كافة الأقطار (1) .

---

(1) ش : ج 2 ، م 11 ، صفر 1354 هـ ـ ماى 1935 م .

عـــودة (البصائـر)

الحمد لله ولي المؤمنين ، وناصر المحقين ، والصلاة والسلام على سيدنا « محمد » إمام المتقين ، وقدوة المصلحين الصالحين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين وتابع التابعين لهم بإحسان،وعلينا معهم إلى يوم الدين .

وبعد؛فعلى اسم الله ربنا وبمعونته وحده نستأنف المسير فى خطتنا ، ونعيد الكرة في إصدار جريدتنا جريدة (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) ولسان حالهم،فقد صدرت إدارة الحكومة العليا لنا بإصدارها،وتحصلنا منها على الإذن بذلك ، حيث زالت الموانع،وحطمت تلك القيود والأغلال التي احكم صنعها دعاة الفتنة،وحاكت حبائل دسائسها يد المغرضين « وَمَا النَّصْرُ إلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ » .

أما خطتنا التي سنسير عليها فهي تلك الخطة المعلومة والمبينة في جرائد جمعية العلماء السابقة . ولكي لا نذهب بالقاري بعيدا أو نحيله على معدوم غير معلوم،ننقل له هنا الكلمة القيمة الواضحة التى حررها قلم رئيس الجمعية نفسه في العدد الأول من جريدة « الشريعة » المعطلة ، فإن فيها ما يشفي العليل،ويبرىء الغليل، حيث يقول :

« وبعد،فما ينقم علينا الناقمون ؟ أينقمون علينا تأسيس جمعية دينية إسلامية تهذيبية،تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته

ورفع مستواه الى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتها وتربيتها للشعوب وتثقيفها . فإذا كان هذا ما ينقمون علينا فقد أساءوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا ، وقد دلوا على رجعية فيهم وجمود لا يتناسبان مع المبادىء الجمهورية ولا مع حالة هذا العصر. أفتكون في الهند جمعيات للعلماء تقوم بأعمالها بغاية الحرية والهناء عشرات من السنين تحت السلطة الانجليزية الغاشمة القاسية، وتضيق صدوركم أنتم عن أن تكون جمعية واحدة للعلماء المسلمين بالجزائر تحت المبادي الجمهورية العادلة المشعة بعلومها على الأمم فتناهضوها،وهي ما تزال في المهد،أفظننتم آن الأمة الجزائرية ذات التاريخ العظيم تقضي قرنا كاملا في حجر فرنسا المتمدنة ، ثم لا تنهض بجنب فرنسا تحت كتفها،يدها في يدها،فتاة لها من الجمال والحيوية ما لكل فتاة أنجبتها أوربتها مثل تلك الأم،أخطأتم يا هؤلاء التقدير،وأسأتم الظن بالمربي والمربى ، وبعدتم عن العلم بسنن الكون في نهضات الأمم بعضها ببعض عند الاختلاط أو التجاور أو الترابط بشيء من روابط الاجتماع .

انظروا شيئا إلى ما حواليكم من الأمم ، وتأملوا فيما تنادي به الشعوب،وما تعلنه من مطالب،فإنكم إذا نظرتم وتأملتم حمدتم لهذه الجزائر الفتية نهضتها الهادئة،وتمسكها المتين بفرنسا،وارتباطها القوي بمباديها، وعدها نفسها جزءا منها ، وقصرها لطلبها منها على ان تعطى جميع حقوقها ، كما قامت بجميع واجباتها ، وأن لا يتقدمها في أيام السلم من قد لا يساويها في أيام الحرب .

لا إخالكم تنظرون ولا تتأملون، فإن الأثرة المستولية على النفوس حجاب كثيف يحول دون رؤية الحقائق كما هي،ويحول حتى دون رؤية مصلحة فرنسا الحقيقية نفسها . وإني لأفهم من مناهضتهم العجيبة للجمعية،وهي جمعية دينية تهذيبية بعيدة عن كل سياسة ـ انكم لا تريدون من الجزائر إلا أن تبقى جامدة،وأن لا تتمتع

بشيء من الحق إلا ما لا غناء فيه ولا بقاء معه . ولعمر الحق أن من يريد هذا بالجزائر اليوم لمخالف للشريعة والطبيعة،إذ من الطبيعي ان تتحرك الجزائر ضمن الجمهورية الفرنسية في زمان تحرك ما فيه حتى الحجر ، ومن الشرعي أن تنال منها من الحقوق كفاء ما قامت به من الواجبات .

أستكثرتم على الجزائر أن تكون لها جمعية لها منزلتها العظيمة في قلبها،وجريدة لها قيمتها الكبيرة في نظرها ؟ فنبشركم أنه سيكون للجزائر الفرنسية جمعيات وصحف ، وسيكون لها وسيكون، حتى يقف المسلم الجزائري مع أخيه من بقية أبناء فرنسا على قدم المساواة الحقة التي يكون من أول ثمراتها الاتحاد الصحيح المنشود للجميع .

أم هالكم أن يكون في أبناء الجزائر الفرنسوية من لا يزحزحه عن مبدئه وعد ولا وعيد، ولا يستهويه رنين ولا زخرفة ؟ فنبشركم بأن الجزائر المفطورة على مبادى الإسلام والمتغذية بمبادي فرنسا أنجبت وتنجب رجالا كما رأيتم وفوق ما تظنون رجالا تفتخر بهم فرنسا كما تفتخر بسائر أبنائها الأحرار .

كونوا كما تشاءون أيها السادة فلكم ـ وأنتم تمثلون ما تمثلون ـ كل احترامنا ، وظنوا بنا ما تشاءون،فإنا على بصيرة من أمرنا، ويقين من استقامة خطتنا ونبل غايتنا ، ومهما تبدلت اعتقاداتنا في أناس بتبديل معاملاتهم لنا فلن تتبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها .

وعلى خطتنا المستقبلة وهي نشر العلم والفضيلة ومقاومة الجهل والرذيلة .

وعلى غايتنا النبيلة وهي تثقيف الشعب الجزائرى المرتبط بفرنسا،ورفع مستواه العقلي والخلقي والعلمي إلى ما يليق بسمعة فرنسا .

وعلى ثقتنا بعدالة فرنسا وحرية الأمة الفرنسية وديمقراطيتها

ـ أسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، وأسست جريدة « السُّنة » المعطلة ، وأسسنا اليوم بدلها جريدة « الشريعة المطهرة » ـ وستقوم إن شاء الله ـ مقامها،وتحل من القلوب محلها . والله المستعان،وهو حسبنا ونعم الوكيل (1) .

(1) البصائر : السنة الاولى ، عدد 1 ـ 1 شوال 1354 هـ ـ 27 ديسمبر 1935 م.

بسم الله الرحمن الرحيم ، وصلى الله على محمد وآله وسلم

فاتحة العام الثانى من العقد الثانى

على اسم الله نخطو هذه الخطوة نحو الغاية التي نعمل إليها من ترقية المسلم الجزائري فى حدود إسلاميته التى هي حدود الكمال الإنسانى ، وحدود جزائريته التي بها يكون عضوا حيا عاملا في حقل العمران البشري .

وليس ما ندعو إليه ونسير على مباديه من الإصلاح بأمر يخص المسلم الجزائري ولا ينتفع به سواه ، كلا ، فإن صحة العقيدة واستنارة الفكر ، وطهارة النفس ، وكمال الخلق ، واستقامة العمل ـ وهذا هو الإصلاح كله ـ مما يشترك في الانتفاع به جميع المسلمين بل جميع بني الإنسان . وإنما نذكر المسلم الجزائري لأنه هو الذي قدر أن يكون منا ونكون منه كما يكون الجزء من كله والكل من جزئه،فحاجته أشد،وحقه أوجب ، فكان المقصود بالقصد الأول . على أنه لم يذكر لتخصيصه وانما ذكر ليشعر بنفسه فيعمل لإسلامه وجزائريته،فيكون ذا قيمة ومنزلة في المجتمع .

عمل الماضي :

نحن ـ بحمد الله ـ ما عزمنا على مد خطوة إلى الأمام،والتفتنا إلى ما كان من أثر سيرنا،وما مضى من خطواتنا ـ إلا وجدنا ذلك

الشعور قد نما،وألفينا العمل بمقتضاه قد زاد . وها نحن نعرض صورة السنة الماضية لنرى فيها مصداق ما قلناه .

التعليـــم :

ولا أدل على وجود روح الحياة في الأمة وشعورها بنفسهـــا ورغبتها في التقدم من أخذها بأسباب التعليم : التعليم الذي ينشر فيها الحياة،ويبعثها على العمل،ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الإنساني،ويظهر كيانها بين الأمم .

وقد تأسست في السنة الماضية جمعيات،وفتحت مكاتب،وتأسست نوادي،ونهض المصلحون في العاصمة بأبي النوادي كلها ؛ نادي الترقي ، نهضة جديدة إصلاحية خالصة . وطلبت عدة جهـــات معلمين للمساجد غير الحكومية،واشتريت بتلمسان وقسنطينـــة وميلة دور للتعليم،وتزايد عدد الوافدين من الطلاب على الجامع الاخضر،وعلى جامع الزيتونة،وعلى الجهات التي فيها دروس منتظمة.

وهذا والمساجد ما تزال مغلقة في وجوه العلماء،ورخص التعليم الحر ما تزال غير معطاة لهم،ولولا ذلك لكانت النهضة العلميـــة أكثر بكثير مما كانت .

الإصـــــلاح :

بقدر ما كان تمسك الأمة بأسباب العلم كان رفضها للجمـــود والخمود والخرافات والأوضاع الطرقية المتحدرة للفناء والزوال، حتى أصبح القطر الجزائري كله يكاد لا تخلو بيت من بيوته ممن يدعو إلى الإصلاح،وينكر الجمود والخرافة ومظاهر الشرك القولي والعملي،وأصبحت البدع والضلالات تجد في عامة الناس مـــن يقاومها وينتصر عليها .

ومن أجمل مظاهر انتشار الإصلاح وانتصاره أن خصومه بعد ما كانوا يقاومون ما يدعو إليه من نشر التعليم بالعرقلة والتزهيد أصبحوا لا يستطيعون أن يظهروا للأمة إلا بمظهر المعلمين . فهم لأجل حفظ مراكزهم اليوم مضطرون لتأييد العلم ـ ولو ظاهرا ـ العلم الذي يقضي عليهم في المستقبل بإذن الله .

نعم هنالك طائفة من المنتسبين للعلم،ومن طلبة القرآن معروفون عندنا بأسمائهم،يتسترون باسم العلم والقرآن ، ويبثون في الناس ما يتبرأ منه العلم والقرآن،ولعل هذه السنة تكون سنتهم فيستنزلهم المصلحون للميدان ليعرفوا الحق فيكونوا من أنصاره،أو يكابروا فيه فيعرفهم الناس فيحذروهم ويتقوا شرهم .

أمــــل المستقبــــل :

إذا نظرنا في عمل الماضي الذي قدمنا انبعث فينا الرجاء والأمل فيما نستقبل ، وأصدق الأمل ما انبنى على عمل ، فنتقدم ـ بإذن الله ـ للعمل في سبيل ترقية المسلم الجزائري،داعين إلى العـدل والإحسان والألفة والرحمة بين جميع المتساكنين بهذا القطر، وإلى التفاهم والتعاون على ما فيه هناء وسعادة الجميع (1) .

(1) ش : ج 1 ، م 12 ، محرم 1355 هـ ـ أبريل 1936 م .

فاتحة السنة (13)

بسم الله الرحمٰن الرحيم ـ وصلى الله على محمد وآله وسلم

بهذا الجزء نستفتح السنة الثالثة عشرة من سنوات هذه المجلة ، حامدين الله تعالى على ما يسر من عمل للإسلام والجزائر ، شاكرين لكل من أعان على هذه الخطوات في هذه السبيل .

وسنخطو هذه الخطوة ـ إن شاء الله تعالى ـ على ما عرفه الناس من مبدئنا في الإصلاح الديني من ناحية العقائد والأخلاق والأفكار والأعمال ، تصحيحا وتهذيبا وتنويرا وتقويما . كل ذلك في دائرة الإسلام كما نـزل بـه القرآن،وبينته السنة،ومضى عليه ـ علمـا وعملا ـ السلف الصالح من هذه الأمة . وعلى ما عرفوه من مبدئنا في الإصلاح السياسي ، وهـو المحافظة التامة عـلى جميع مقوماتنا ومميزاتنا كأمة لها مقوماتها ومميزاتها ، والمطالبة بجميع حقوقنا السياسية والاجتماعية لجميع طبقاتنا دون الرضى بأي تنقيص أو أى تمييز،كما قمنا بما أوجب علينا ، والتعاون على هذين الأساسين مع كل أحد من أي جنس وأي دين مد يده للتعاون معنا .

وقد بلغنا ـ والحمد للـه ـ من النجاح فى الإصلاح الديني أن أصبح الذين كانوا يعارضوننا لا يستطيعون أن يروجوا لأنفسهم إلا باسم العلم والكتاب والسنة . وفقهم الله إلى ما يصدقهم . وبلغنا ـ والحمد لله ـ من النجاح في الإصلاح السياسي أن أصبح أمـــر المحافظة على شخصيتنا أمرا إجماعيا حتى ممن كان لا يباليه أو لا

يشعر به ، ومعترفا به ــ رسميا ــ شيئا ضروريا في كــل برنامج يوضح للجزائر .

هذا،وإذا كان شيء يؤلمنا حقا ويوجب شكوانا لمن يهمهم بقاء هذه المجلة ــ فهو تأخر نحو شطر المشتركين عن أداء اشتراكهم أكثر من سنة،مع علمهم بأن هذه المجلة لا مورد لها إلا منهم فقط ، وقد عزمنا على قطعها ــ مع الأسف ــ عن جميع المتخلفين إلا المعتذرين .

وإلى هذا فنحن نجدد شكرنا لأولئك الذين وازرونا ــ ماديــا وأدبيا ــ حتى أمكننا ــ بإذن الله ــ البقاء إلى اليوم . وإننا عندما نشعر بثقتنا بالله ثم بهم نجد في أنفسنا القوة التي نندفع بها إلى الأمام في جميع الأعمال . والله المستعان ، وعليه التكلان (1) .

---

(1) ش : ج 1 ، م 13 ــ 1 محرم 1356 هـ ــ 14 مارس 1937 م .

بيـــان واعتـــذار

وردت علينا رسائل من قــراء الشهاب الأفاضل المعتنين بجمــع مجلداته طالبين للأجزاء المتأخرة،فوجب علينا أن نبين ما صدر من الأجزاء في المجلد الرابع عشر .

صدر الأول في 19 صفر 1357

صدر الثاني في 28 ربيع الاول 57

صدر الثالث في 7 جمادى الأولى 57

صدر الرابع والخامس خصصا لمــا قيل وما كتب بمناسبة ختــم التفسير ، وقد تم طبعه وهو الآن بين يــــدى الأستاذ الإبراهيمي للمراجعة .

وصدر الجزء السادس في 5 رجب 57

وصدر الجزء السابع فى 17 شعبان 57

وصدر الجزء الثامن فى 19 رمضان 57

وصدر الجزء التاسع في 8 ذي القعدة 57

وبه أنهينا المجلد الرابع عشر ودخلنا المجلد الخامس عشر، عازمين على إصدار كــل جزء في وقته،وستكون أجزاؤه عامرة ـ إن شــاء الله ـ تعوض على القراء وترضى ضميرنا بما لهم من الحق علينا (1)

(1) ش : ج 9 ، م 14 ، رمضان 1357 هـ ـ نوفمبر 1938 م .

فاتحة السنة الرابعة عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم ـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

بحمد اللـه وتوفيقه وإعانته ثـم بشكر المشتركين بعقولهم أو مالهم وتأييدهم ـ نخطو خطوة جديدة بهذه المجلة في ميدان الحياة ، على ما عرفه القراء منا من صراحة في الرأي ، وصلابة في الحـق ، ورغبة في الخير، نعمل لصلاح الأمة فى دينها ودنياها على نور الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، فتتمسك الأمـة بإسلامها وعروبتها، وتحافظ على قوميتها وتاريخها، وتتناول أسباب الحياة والتقدم من كل جنس وكل لغة ، وتعمل مع كل عامل لخـير البشرية وسعادة الإنسان .

على هذه الأصول وفروعها مضت الثلاث عشرة سنة من حيـاة هذه المجلة، وقد شاهدت من آثار تلك الأصول في الأمة ـ بحمـد الله ـ ما زادها إيمانا بهذه الأصول وفروعها، وثباتا فيها، وصبرا على ما تلقاه في سبيلها . ولأجل أن يشاركنا الجدد من قرائنا في هذا الإيمان نعرض شيئا من تلك الآثار، نقتطفها من الماضي بنظرة مختصرة .

الشبـــاب :

أعلن « الشهاب » من أول يومه ـ و « المنتقد » الشهيد قبله ـ أنه « لسان الشباب الناهض في القطر الجزائري »، ولم يكن يوم ذاك من شباب إلا شباب أنساه التعليم الاستعماري لغته وتاريخه

ومجده،وقبح له دينه وقومه ، وقطع له من كل شيء ـ إلا منـــه ـ أمله ، وحقره في نفسه تحقيرا ، وإلا شباب جاهل أكلته الحانات والمقاهى والشوارع ، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه إلا آلــة متحركة في ذلك العمل،لا هم له من ورائه في نفسه،فضلا عــــن شعوره بأمر عام . وإلا شباب حفظه الله للإسلام والعروبة،فأقبل على تعلمها،لكنه تعلم سطحي لفظي خال من الروح لا يعتز بماض ، ولا يألم بحاضر ، ولا يطمح لمستقبل، اللهم إلا أفرادا قلائل جدا هنا وهنالك .

أما اليوم فقد تأسست في الوطن كله جمعيات ومدارس ونواد باسم الشباب والشبيبة والشبان،ولا تجد شابا ـ إلا نادرا ـ إلا وهو منخرط في مؤسسة من تلك المؤسسات وشعار الجميع : الإسلام ، العروبة ، الجزائر .

الــوطـــن .

وأعلن (الشهاب) من أول يومه ـ و (المنتقد) الشهيد مــن قبله ـ أن (الوطن قبل كل شىء)،وما كانت هذه اللفظة يومئـذ تجري على لسان أحد بمعناها الطبيعي الاجتماعى العام لجهل أكثر الأمة بمعناها هذا وعدم الشعور به ، ولخوف أقلها من التصريح به . أما اليوم فقد شعرت الأمة بذاتيتها،وعرفت هذه القطعة من الأرض التي خلقها الله منها ومنحها لها ، وأنها هي ربتها وصاحبة الحق الشرعي والطبيعي فيها ، سواء اعترف لها به من اعترف أم جحده من جحد ، وأصبحت كلمة (الوطــن) إذا رنت في الأذان حركت أوتار القلوب ، وهزت النفس هزا .

فـرنســـا :

أعلن (الشهاب) من أول ـ و (المنتقد) الشهيد من قبله ـ أنه (يعمل لسعادة الأمة الجزائرية بمساعدة فرانسا الديمقراطية)

فصور بكلمته هذه الحقيقة الواقعة عارية من براقش الخيـــال وحجب التلبيس والتضليل ، فوضع الأمة الجزائرية بإزاء الأمة الفرنسية ، إذ كل منهما لها ذاتيتها ومقوماتها ومميزاتها القلبية والعقلية والنفسية والتاريخية ، التي يستحيل معها أن تندمج في أمة أخرى ، وضعها بإزائها على أنها تابعة لها مرتبطة بها محتاجة إلى مساعدتها .

على هذه الحقيقة ناهض (الشهاب) التجنس والاندماج،وناضل عن الشخصية الإسلامية غير مبال بما يعترضه من غلاة الاستعمار أكلة الأمم ، ولا من صرعاهم من ضعاف النفوس ، ولا من صنعائهم خربى الذمم ، حتى أصبحت الأمة اليوم وهي مجتمعة بجميـــع طبقاتها على لزوم المحافظة على شخصيتها وعدم التنازل عن شيء منها ولو حرمت كل حق بيد الظلم والعدوان ، مع بقائها على فكرة الارتباط بفرنسا ومطالبتها بإنصافها قبل أن تنصفها الأيام وقبل أن تحل نقمة الله الذي جرت سنته بالانتقام من الظالم للمظلوم ولو طال الزمان .

الإدارة :

عانى (الشهاب) من الإدارة بسبب صراحته وجرأته ما عانى ، ولكنه صبر حتى ألفت الإدارة تلك الصراحة وتلك الجرأة ، وقد عرفتها الأيام أن صراحة (الشهاب) صراحة الحق والصدق ، وأن لا غرض وراءها إلا خدمة الصالح العام ، وأن جرأته جرأة الواثق بصدق قوله وحسن قصده،لا المغتر بنفسه ولا المستهين بمقام غيره، وهي اليوم تعتنى بالشهاب عناية خاصة ، وتتولاه أقلام للترجمة عديدة ، أعلاها قلم الأستاذ ماسينيون في وزارة الداخلية ، وقد اشترك فيه م. سارو لما أنيطت به إدارة افريقيا الشمالية،ونحن نعلم أنه يعتبر في الدوائر الحكومية المعبر الحقيقي عــن الجزائر

العربية المسلمة ، الذى لا يثنيه عن تصوير الحقيقة خوف ولا طمع، ولا يحجبها عنه غرض ، ولا يبعده عنها خيال . وأن (الشهاب) ليغتبط بهذا،ويرجو من الله تعالى أن يثبته عليه حتى يخدم أمته من هذه الناحية لدى الحكومة،ويكون أداة تعريف صحيح وواسطة خير للجميع .

الأمـــــة :

برغم ما في الأمة الجزائرية من أصول الحيوية القومية ، فقد عركتها البلايا والمحن حتى استخذت وذلت ، وسكتت على الضيم ، ورئمت للهوان ، وبرغم ما بينها من روابط الوحدة المتينة ــ فقد عملت فيها يد الطرقية المحركة تفريقا وتشتيتا ، حتى تركتهـا أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع ، تتخطفها وحوش البشرية من هنا ومن هنالك بسلطان القوة على الأبدان ، أو شيطان الدجل على العقول والقلوب .

أما اليوم فقد نفضت الأمة عن رأسها غبار الذل،وأخذت تنازل وتناضل ، وتدافع وتعارض ، وشعرت بوحدتها فأخذت تطرح تلك الفوارق الباطلة ، وتتحلى بحلل الأخوة الحقة ، وتنضوي أفواجا أفواجا تحت راية الإسلام والعروبة والجزائر .

العلمـــــاء

كان الذين يتسمون بالعلم ــ إلا قليلا ــ بين جامـــد خرافي تستخدمه الطرقية وما يحرك الطرقية في التخدير والتضليل ، وقد لا يدري المسكين ما يدس به للأمة من كيد ، وحاذق دنيوي قد غلبه الوظيف،واستولى حبه على قلبه فأنساه نفسه،وأنساه ذكر الله . وكان العلماء الأحرار المفكرون ــ على قلتهم ــ مغمورين مشتتين ، فلما برز (المنتقد) الشهيد فـ (الشهـاب) هـب أولئك العلمـاء

الأحرار المفكرون للعمل ، وتكونت النواة الأولى لجمعية العلماء . وأصبح اليوم اسم العلماء يحمل في أثنائه كل معاني الجد . والتضحية في سبيل الحياة الحقيقية دنيا وأخرى .

النواب :

مجلدات (الشهاب الماضية سجل يحفظ اسم كل نائب وقف موقفا مشرفا ، يطلب حقا أو يدافع باطلا، فـ (الشهاب) ينوه بكل عامل ويشيد بذكره، ويهيب دائما بلزوم المحافظة على شخصية الأمة وعدم التساهل في شيء منها والمصارحة في كل موقف بأنها أمة لها لغتها ولها دينها، ولقد كان من يرى السكوت عن هذه الناحية أقرب للمجاملة ، وكان من يرى التسامح فيها والمساهلة ، وكان من يصارح ويتصلب في هذه الناحية وإن تساهل فى ناحية أخرى .

أما اليوم فقد أصبحت الأمة ولا يستطيع أحد أن يتقدم للنيابة عنها إلا إذا أقنعها بالمحافظة على شخصيتها، والدفاع عن دينها ولغتها.

وإننا لنغتبط جد الاغتباط أن نرى نواب الأمة ـ إلا قليلا ـ قد أخذوا يشعرون بما عليهم من المسؤولية في الدفاع عن الإسلام والعربية ، وأن نسمعهم ـ وقد سمعنا بعضهم ـ يرصعون خطبهم العامة بكلمات : إسلام ، عربية ، تاريخ ، وطن ، أمة، وإنا لنرجو أن تكون لهم مواقف في هذه الناحية، كما كانت لهم مواقف في النواحي الأخرى هذه الناحية في نظر الأمة ، وفي الواقع أجل وأعز منها .

المصلحون :

ليس المصلحون حزبا ـ وربما يكونونه يوما من الأيام ـ وإنما هم العاملون على الأصول التي ذكرناها آنفا ، وتحدثنا عن آثارها.

كانوا يوم رفع (الشهاب) وقبله (المنتقد) الشهيد دعـــوة الإصلاح قليلا ، وهم اليوم لا يأخذهم العدو لا تخلو بقعة مـــن نواحى القطر منهم ، قد ملأوه من أقصاه إلى أقصاه ، وقد تجلت قوتهم في الانتخابات الكثيرة بعمالة قسنطنة وعمالة وهران،وهم لم ينتظموا انتظام الأحزاب فكيف لو انتظموا ؟

الطرقيـــة :

كان الناس كأنهم لا يرون الإسلام إلا الطرقية ، وقد زاد ضلالهم ما كانوا يرون من الجامدين والمغرورين من المنتسبين للعلم مــن التمسك بها والتأييد لشيوخها ، فلما ارتفعت دعوة الإصلاح في (المنتقد) و (الشهاب) حسب الناس،إن هدم تلك الأضاليل التى طال عليها الزمان ، ورسخها الجهل ، وأيدها السلطان ، محال . ولقد صمد (الشهاب) للطرقية يحارب ما أدخلته على القلوب من فساد عقائد،وعلى العقول من باطل أوهام ، وعلى الإسلام من زور وتحريف وتشويه ، إلى ما صرفت من الأمة عن خالقها بما نصبت من أنصاب، وشتت من كلمتها ، بما اختلقت من ألقاب ، وقتلت من عزتها ، بما اصطنعت من إرهاب ، حتى حقت للحق على باطلها الغلبة ، فهي اليوم معروفة عند أكثر الأمة حقيقتها ، معلومة غايتها ، مفضوحة دوافعها ... إذا دعاها داعي السلطان لبت خاضعة مندفعة ، وإذا دعاها داعي الأمة ولت على أعقابها مدبرة . ومن نكاية الله بها ان جعل أكبر فضيحتها على يد من يريد ممن توالتهم من دون الأمة مددها بما لها من مزايا عليه .

لا يهمنا اليوم أن نجهز على الجريح المثخن الذي لم يبق منه إلا ذماء . وإنما يهمنا أن نبين موقفنا مع البقية من شيوخها ونسمعهم صريح كلمتنا .

حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها ــ علم الله ــ من بلاء على الأمة من الداخل ومن الخارج، فعملنا على كشفها وهدمها بهما تحملنا في ذلك من صعاب ، وقد بلغنا غايتنا والحمد لله، وقد عزمنا على أن نترك أمرها للأمة هي التي تتولى القضاء عليها، ثم نمد يدنا لمن كان على بقية من نسبته إليها لنعمل معا في ميادين الحياة على شريطة واحدة وهى : أن لا يكونوا آلة مسخرة في يد نواح اعتادت تسخيرهم ، فكل طرقي مستقل في نفسه عن التسخير، فنحن نمد يدنا له للعمل في الصالح العام . وله عقليته لا يسمع منا فيها كلمة، وكل طرقي ــ أو غير طرقي ــ يكون أذنا سماعة ، وآلة مسخرة، فلا هوادة بيننا وبينه حتى يتوب إلى الله .

قد نبذنا إليكم على سواء ... « إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْخَائِنِينَ » .

هذا عرض سريع لصور من الماضي والحاضر ، لنواح عديدة من الأمة والوطن وما يتصل بهما ، يبين ما كان من تأثير تلك الأصول الإسلامية التي تمسك بها (الشهاب) فيها . فالله نرجو أن يثبتنا على الحق، ويعيننا على الصدع به ، وصدق تنفيذه ، وحسن تبليغه ، حتى يبلغ المسلمون كل خير وسعادة وكمال (1) .

---

(1) ش : ج 2 ، م 14 ، محرم 1357 هـ ــ مارس 1938 م .

فاتحة السنة الخامسة عشرة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على الرسول وآله

وهذه أول خطوة نخطوها ـ إن شاء الله تعالى ـ إلى العام الخامس عشر من حياة هذه المجلة، حامدين الله على عونه وتوفيقه وتيسيره، شاكرين لأسرة المجلة ـ من مشتركيها ومحرريها وطابعيها وناشريها ـ أعمالهم التي هي أعمال في سبيل الإسلام والعروبة والجزائر، ذاكرين كل ذي خير بكل خير.

هذا، وإننا نجدد العهد بيننا وبين قرائنا على السير على ما عرفوه فينا من صدق وصراحة وقصد للخير، غير متملقين لأحد ولا متحاملين عليه، مع المحافظة التامة على شخصيتنا وكل مقوماتنا الكريمة مما به كنا، وبه بقينا، وبه نكون، دون تفريق في العدل والإحسان بين الأجناس والأديان.

والمجد للإسلام والعروبة والجزائر، والسعادة للعاملين من الأفراد والأمم لخير الإنسان (1).

(1) ش: ج 1، م 15، محرم 1358 هـ ـ فيفري 1939 م.



خاتمة



★ الى القـارىء الكريـم ★

لم نأل جهدا ـ منذ سنوات ـ في تتبع الصحف والمجلات ، داخل الوطن وخارجه ، لاستقراء كل ما كتبه الامام ، سواء كان بامضائه الصريح : « عبد الحميد بن باديس » أو بامضاءات أخرى اعتاد أن يكتب بها ، كـ « العبسى ، والجزائرى ، والقسنطينى » (1) .

وكان فى تقديرنا أننا بانجاز هذا الجزء نكون قد ألممنا بكل أعمال الامام ، ولكن ما ان أوشك هذا الجزء أن يأخذ طريقه الى المطبعة حتى ظهرت لنا أعمال أخرى للامام لم تصل اليها أيدينا من قبل ، وهى موضوعات فى شتى الاغراض والمقاصد ، ستنتظم جميعها فى الجزء السادس الذى سيصدر قريبا بحول الله .

واذا كان هناك من ملاحظة يثيرها الاعجاب بغزارة تراث الامام وأصالته وتنوعه ووضوح رؤيته فى معالجة الامور من أقرب الطرق وأحكمها ، والارتياح أيضا الى أثر هذا التراث فى مختلف الاوساط العلمية والادبية والثقافية بعد نشره ـ فهى ان فى الجزائر كنوزا من الفكر قد تبعثرت فى مختلف الصحف والمجلات ، وتفرقت فى الخزائن والمكتبات ، فى المدائن والقرى ، عند الخاصة والعامة ، كنوزا هى ثمار عبقريات صقلتها التجارب والمحن والشدائد وتعاقب السنين ، كنوزا طالما عشيت فى سبيل تسطيرها الابصار ، وتآكلت فى صنعها الاصابع، وأنفقت في جمعها وتمحيصها الاعمار،

(1) ليس كل ما كان بهذه الامضاءات للشيخ الامام ، وسيأتى توضيح هذا فى خاتمة الجزء السادس ان شاء الله .

كنوزا فيها من مختلف العلوم والمعارف ما لو جمع ونشر لكان لـه شأن وأى شأن فى تفجير ثورة فكرية واجتماعية فى هذه الامـــة ، وفى تمتين الصلة بين الماضى والمستقبل .

والامة الجزائرية أمة الماضى وأمة المستقبل ، تبنى حياتها عـلى (أرضية) الماضى التى أرسى قواعدها الاسلام على (العلم والمعرفة .. والايمان العملى البناء) .

والى ان نلتقى ـ قارئنا الكريم ـ فى الجزء السادس بحول الله نودعك ، ونرجو من الله مزيدا من الاعانة والتوفيق .

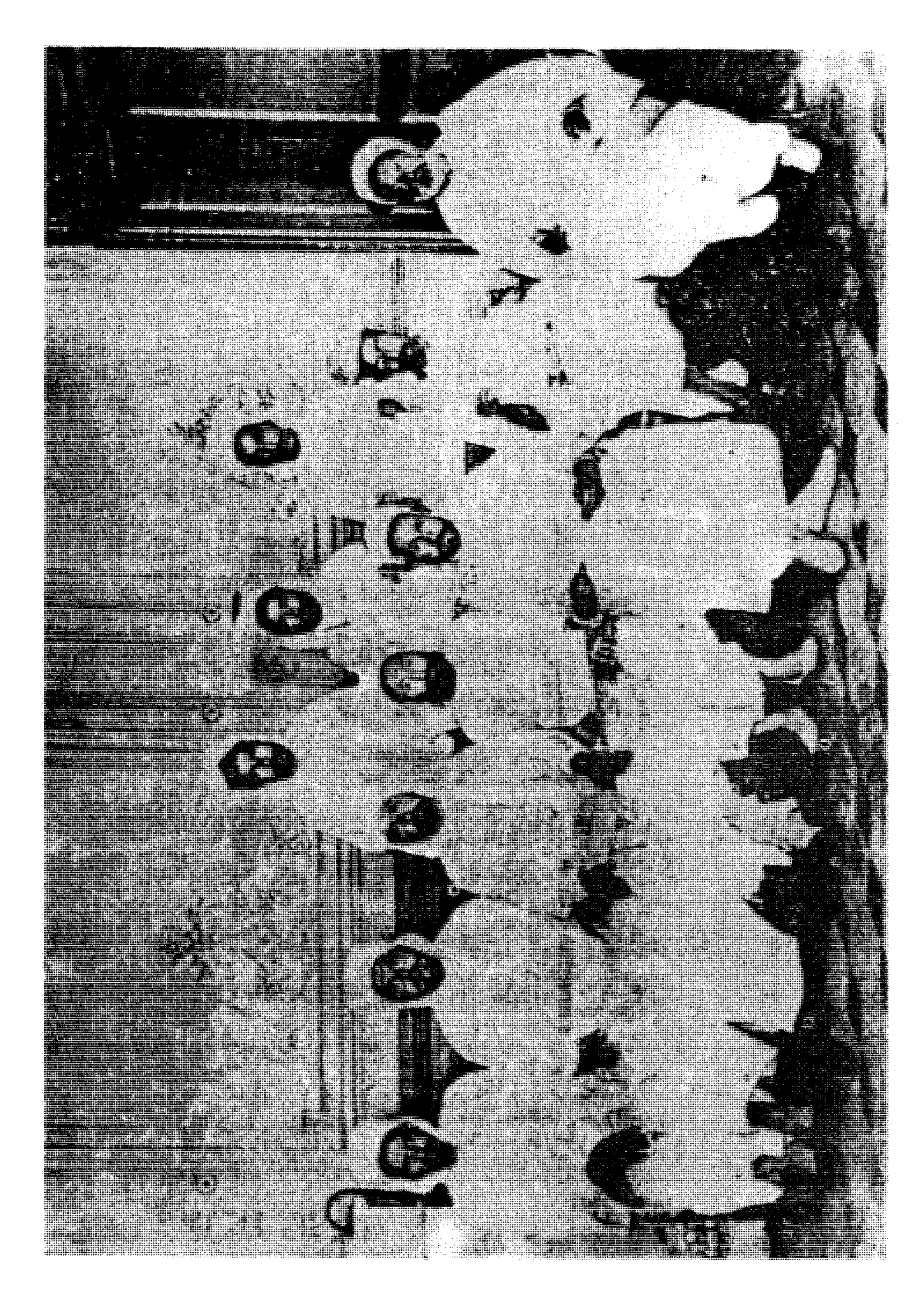
الجزائر فى :
29 ربيع الثانى 1411 هـ
18 نوفمبر 1990 م

المشرف على الهيئة المكلفة باحياء التراث العلمى
بوزارة الشؤون الدينية
محمد الصالح الصديق

الفهـــــرس

القسم الثالث : الاجتماعات


في هذا الموقف وعلى
منصة نادي الترقي
بالعاصمة في ربيع سنة
١٩٣٨ ارتجل الشيخ الرئيس
خطابا جاء فيه:
الساعة قد دقت
وآن وقت العمل
وبعد العمل الموت



ردمك: ISBN : 978-9947-24-208-7
الإيداع القانوني: 2007-2960

سحب الطباعة الشعبية للجيش
الجزائر ـ 2007